مطبوعات المجمع العلمي العراقي

تاريخ الموصل

سعيد الديوه جي

الجزء الاول

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام
على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وأصحابه
أجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الموصل احدى قواعد بلاد العرب والاسلام ، ولها تاريخ حافل بالمآثر في اختلاف العصور . واني مذ نشأت عكفت على تتبع تاريخ بلدتي وتراثها ، ووفقني الله عز وجل ان اساهم في الكتابة عنها . فنشرت عدة كتب وأبحاث في تاريخها وتراثها وأعلامها . ورأيت من المفيد ان أكتب تاريخاً جامعاً لها ، يكون في متناول من يريد الاطلاع على تراثها المجيد ، وماضيها الغني بالمفاخر والعلوم والفنون .

والمتتبع لتاريخ أم الربيعين يجد المصادر التي تبحث عنها ـ في بعض الفترات ـ قليلة ، كما ان اهتمام بعض المؤرخين القدامى في الحروب والمنازعات كان أكثر من اهتمامهم بالتراث ، وقد اختصرت الحوادث السياسية والحروب والمنازعات ، وذكرت منها بصورة مجملة ما له أثر في المدينة ، وركزت جهدي في ابراز مآثرها في العلم والأدب والفن والاقتصاد ، ومن قام فيها من أعلام الفكر ـ ومع هذا فاني أعترف بأن كتابي لم يوف تاريخ أم الربيعين وحضارتها العريقة بصورة مفصلة ، وقبل ان أقدم كتابي أقول ما قال العماد الاصفهاني :

« اني رأيت أنه لا يكتب انسان كتاباً في يومه ، الا قال في غده : لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد كذا لكان يستحسن ، ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر . » .

أقول هذا واحمد الله عز وجل الذي وفقني بالكتابة في تاريخ بلدتي الطيبة ، التي نشأت في ربوعها ، وتفيأت ظلالها ، واستفدت من مدارسها وخزائن كتبها .

بحثت في هذا القسم ـ الأول ـ عن نشوء المدينة وسكانها ، والفتح الاسلامي ، وما كانت عليه من التوسع والتقدم في العهد الأموي ، حتى صارت قاعدة بلاد الجزيرة ، ومركز تجمع عربي كبير ، يوم تسلط الديالمة والأعجام على الخلفاء

العباسيين ، وجردوهم من كل سلطة ، وتحكموا في البلاد والعباد . فكانت الموصل ملجأ العرب والخلفاء ، ومصدر تموين للعراق كلما قل عندهم القوت !. تقدمت فيها الصناعة والتجارة والعلوم ، وهي معتزة بعروبتها ، صامدة بوجه الدخلاء ، كبحت جماحهم وانتصفت للعرب من أعدائهم ، كما صدت الروم عن بلاد الجزيرة .

اما القسم الثاني بحثت فيه عن الدور السلجوقي (٤٨٧ ـ ٥٢١ هـ) وحالة البلد فيه ، وما لاقته منهم . ثم عن الدولة الاتابكية التي انسلخت عن السلاجقة (٥٢١ ـ ٦٦٠ هـ) وكانت من اعظم الدول في الشرق الاوسط ، صدت الصليبيين ونشرت الامن والعلم والرخاء في البلاد . فكانت الموصل على عهدهم ثالثة بلاد الدنيا العظام ، كما قال عنها ياقوت .

وبحثت في الجزء الثاني منه عنها في ٦٦٠ ـ ١٣٣٧ هـ ، وما لاقته من مصائب ونكبات ، من الدخلاء الذين سخروا الشعب لمطامعهم ، وعن نهضتها في القرن الثاني عشر للهجرة وما كانت عليه من التقدم في العلم والصناعة والتجارة .

اقدمه الى محبي ام الربيعين ، ام الابطال ، وام رجال العلم والادب والفن . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين .

سعيد الديوه جي

الموصل : ١٢ ربيع الاول ١٣٩٥ هـ

٢٣ / نيسان ١٩٧٥ م

الموصل قبل الاسلام

سكن العرب الهلال الخصيب قبل الميلاد بقرون ، فالبادية والهلال الخصيب امتداد لارض جزيرة العرب ، والهجرة اليها قديمة قدم وجود الانسان في هذه المواقع ، فسكان الجزيرة العربية كلما امحلت ديارهم ، او حدث نزاع بين قبيلتين ، نزحوا الى الشمال طلباً للمرعى والماء ، فيجدون ارضاً خصبة ، ومياهاً ثرة ، ومناخاً جميلاً .

وكانوا يتولون حراسة القوافل والمنازل التي تمر بها طرق التجارة ، فان آنسوا ضعفا من اهل البلد الذي نزحوا اليه ، فرضوا عليهم الضرائب وتولوا حمايتهم ، فتمكنوا في الهلال الخصيب ، وشيدوا عدة مدن ، أقاموا لهم دولا صغيرة ، تولوا الحكم في بعضها مثل سنجار ، حران ، حمص ، الرها ، وغيرها من البلاد .

وكانت صلاتهم بقومهم في جزيرة العرب مستمرة ، وهذا ما حمل القبائل ان تتوارد على الهلال الخصيب ، وأخبارهم مع الآشوريين وغيرهم ، وما كان لهم معهم من صلات وخروب، كثيرة(١) .

ومن ديار الجزيرة التي سكنها العرب خلال هذا الزمن هي : (مدينة الموصل) ـ المقابلة لمدينة نينوى ـ والتي تقع في ملتقى عدة طرق تجارية ، وتشرف على سهول واسعة ترويها مياه دجلة والأمطار ، فكانت الموصل من المواطن القديمة التي حل بها العرب مع الاشورين .

وفي سنة ١٠٨٠ ق . م ، اتخذ الآشوريون مدينة نينوى عاصمة لهم ، وأقاموا حولها قلاعاً ، أودعوا فيها العدد والعدد ، ومنها : القلعة التي شيدوها فوق التل الذي يعرف اليوم بـ (تل قليعات) على شاطىء دجلة ، فتجمع الفلاحون وأصحاب المواشي حولها ، وشيدوا الدور والمنشآت ، فكانت قلعة مدينة الموصل(٢) .

فالآشوريون استفادوا من موقعها المنيع وسهولها الواسعة ، والطرق التي تمر بها ومن العوامل التي أدت الى توسيعها :

١) موقعها المنيع على دجلة يقابل مدينة نينوى ، ويشرف على السهول الغربية التي تمر بها عدة طرق تصل بين جناحي الهلال الخصيب ، فشيدوا الحصن في هذا الموقع ، واتخذوا به حامية تتولى الدفاع عن نينوى ، وحماية طرق المواصلات .

---

(١) ـ (٢) جواد علي ١ ، ١٦٩ ـ ١٧١ ، طه باقر ، ٢ ، ١٨٧ ـ ١٩٠ ـ ١٩٤ ، الحضر ، ١٧ ـ ١٩ ، تاريخ كلدو وآثور ، ١ ، ٩٢ ، ١٠٨ ، الرافدان ، ١٠١ .

٢) والسهول الواسعة التي تزرع بها الحبوب والبقول ، وتربى الأغنام والمواشي في مراعيها ، فشجع الآشوريون الفلاحين وأصحاب المواشي ، وأسكنوهم بجانب الحصن ، فكانوا يعملون في الزرع والرعي ، وهذا ما أدى الى توسع العمارة في مدينة الموصل

٣) وجود الرخام بكثرة في شمال مدينة الموصل وفي غربيها ، واستعمل الآشوريون الرخام في بناياتهم : صوروا عليه معاركهم الحربية،وما قاموا به من أعمال عمرانية ، كما صوروا عليه مظاهر حياتهم الاجتماعية والدينية ، ونحتوا منه التماثيل المختلفة التي زينوا بها معابدهم ومنشآتهم ، وكان العمال الذين يعملون في استخراج الرخام ونقله ونحته ، عاملاً آخر في توسع العمارة .

ولم يظهر اسم الموصل كمدينة ، ة ازدهار (نينوى) ، وهذا شأن كل ضاحية تكون بجانب مدينة كبيرة ــ خاصة كنينوى في ذلك الوقت ــ فطغت أخبارها على أخبار الضاحية .

وفي سنة ٦١٢ ق . م دمر الميديون والكلدانيون مدينة نينوى ، وأعملوا فيها القتل والحرق ،ولم ينج من سكانها الا القليل ، وأصاب الحصن الغربي والموصل ما أصاب نينوى .

وبعد أن هدأت الاحوال رجع فلول من السكان ممن سلم من فتك الأعداء ، ،شيدوا لهم حصنا على الشاطيء الغربي من دجلة ، على أنقاض الحصن القديم ــ فوق تل قليعات ــ فكان هذا اول ذكر الموصل بهذا الاسم موسيلا(١) .

كما شيد بعضهم حصناً آخر فوق تل توبة ، فكان الحصن الشرقي ، ونجد الكتبة بعد هذا اذا ما تكلموا عن الموصل اردفوها : بالحصنين ــ الشرقي والغربي .

وبسقوط نينوى وزوال الكيان الآشوري ، زادت هجرة القبائل العربية الى بلاد الجزيرة وبادية الشام ، ثم امتدت الى نصيبين وديار بكر ، والى ماوراء مدينة الرها ــ اوديسا = اورفة الحالية ــ والى سهل انطاكية ، فطغت موجات القبائل العربية على هذه البلاد ، وصارت تعرف باسم (عربايا) اي بلاد العرب ، واقدم ذكر لاسم عربايا يرجع الى اواخر القرن السادس قبل الميلاد في كتابة « حجر بهستون » ضمن الاقاليم المؤلفة لامبراطورية الملك الاخميني دارا الكبير (٢) .

(١ ــ ٢) الرافدان ، ١٠١ ــ ١٢١ ، جواد علي ، ١ ، ١٧٠ .

قال الاصمعي : « كانت قريش تسأل في الجاهلية عن خصب باعربايا ، وهي الموصل ، لقدرها عندهم ، وعن ريف الجزيرة ، وما يليها لانها تعدل في الخصب باعربايا » (١) .

ومن الدول التي كان لها شأن في بلاد الجزيرة هي (مدينة الحضر العربية) سكنها كثير من تنوخ وقضاعة وغيرهما ، وكانت نقطة اتصال على الطريق التجاري الذي يربط بين جناحي الهلال الخصيب(٢) .

فشيد العرب عدة مدن لهم ، استطابوا جمال مواقعها ، وخصب اراضيها ، ووفرة حاصلاتها ، ومنها مدينة الموصل على غربي دجلة ، سكنها العرب في هذه الفترة كما سكنوا غيرها من المدن ، وظهر اسم الموصل عوضاً عن اسم نينوى ، واخذت تتوسع باستمرار الهجرة اليها .

واهتم الاخمينيون الذين حكموا هذه البلاد ٥٥٠ ـ ٣٣١ ق . م في توطين العرب والفرس فيها ، وصارت الموصل مدينة ذات شأن .

والموصل اسم اطلقه عليها سكانها العرب الذين استوطنوها ، فهو مشتق من الوصل ، لانها كما قدمنا تقع على ملتقى عدة طرق تصل بين الشرق والغرب ، وتلتقي فيها طرق التجارة في اختلاف العصور . وفي اخبار هذه الفترة خلط بعض المؤرخين اخبار الموصل واخبار نينوى ، فاذا تكلموا عن الموصل ذكروها باسم الموصل تارة ونينوى اخرى . كما ان بعضهم يذكر اخبار نينوى وما كانت عليه في العهد الآشوري باسم الموصل ، وهكذا تداخلت اخبار المدينتين .

ومهما يكن من أمر فان الموصل خلال حكم الاخمينيين كانت تتسع وتزدهر اذا ما استقر الأمر في البلاد ، تكثر خيراتها ، وتنشط تجارتها ، ويتسع عمرانها . ولم تخلص من نكبات لاقتها من الجيوش التي كانت تمر بها ، سواء كانت منتصرة او منخذلة ، شأن الجيوش المحاربة في ذلك العهد .

وبعد حادثة سيل العرم ٤٥٠ م زادت هجرة القبائل العربية ، فنزحت القبائل القحطانية الى مشارف جزيرة العرب ، وامتدت منها الى بلاد الجزيرة والشام ، وما جاورهما من البلاد ، وصارت تعرف باسماء القبائل التي استوطنتها . فكانت المصادر

---

(١) البلدان لابن الفقيه ، ٣٥ . يسمى الموصل باعربايا ، أي بيت العرب .

(٢) مقدمة كتاب الحضر مدينة الشمس

الفارسية تطلق على منطقة نصيبين وما جاورها من البلاد اسم (عربستان) اي بلاد العرب .

كما اطلق استرابو اسم (بلاد العرب) على منطقة الجزيرة الواقعة جنوبي المنطقة الكردية وتمتد حتى الصحراء [١] .

ومما يؤيد لنا قدم العرب في الموصل وبلاد الجزيرة ماذكره صاحب التاريخ السعرتي عند كلامه عن الحصن الغربي ـ الموصل ـ قال : « كانت تسكنه منذ القدم قبائل عربية [٢] .

فظهور الموصل كمدينة ذات شأن كان على ايدي العرب الذين سكنوا هذه المنطقة منذ القدم .

ولو ان الموصل سلمت من الحروب التي كانت بين الشرق والغرب ـ لكانت من اعظم البلاد ـ ولكن كثرة الحروب التي دامت قروناً في بلاد الجزيرة، واتخاذ الموصل نقطة ارتكاز وتجمع للجيوش والذخيرة ، مما سبب نكبتها عدة مرات [٣] .

ومن ذلك ان اولغاش الرابع ١٩١ ـ ٢٠٨ م اغار على بلاد حدياب ، فنهبها ودمرها وفتك في اهلها لانهم لم يساعدوه في حربه مع بلاد فارس ، وكان نصيب الموصل كنصيب غيرها من البلاد الاخرى [٤] .

كان الساسانيون يحرصون على تحصين الموصل ، واتخذوها مركزاً حربياً فيها العدد والعُدد ، ومن ذلك ، فان اردشير الاول ٢٢٤ ـ ٢٤١ م جدد عمارتها ، واتخذها مركزاً حربياً عندما حارب الامبراطور اسكندر سفيروس ، فاطلق عليها الفرس اسم « نو اردشير » .

واستمر النزاع بين الطرفين ، فكان يشتد تارة ويهدأ اخرى ، وفي القرن الخامس للميلاد اشتد النزاع بين الرومان والساسانيين ، فعزز الساسانيون قلاعهم ، وحصنوها وحشدوا فيها الجيوش والعتاد .

---

(١) السامر ، ١٦٥ . هذا ما ذكره الدكتور السامر ونقلته عنه ـ ولم يتيسر لي الوقوف على المصدر الذي اشار اليه

(٢) تاريخ الموصل ، ٣ ، ٩٣ .

(٣) لم تنقطع الحروب بين الشرق والغرب . فكانت بين الاخمينيين والفرس ، ٥٣٩ ـ ٣٣٠ ق . م .
ثم بين الفرثيين والرمان ، ٢٤٧ ـ ٢٢٦ ق . م .
ثم بين الساسانيين والرومان ، ٢٢٧ ق . م ـ ٦٢٧ م الموصل في العهد الاتابكي ، ٥ ـ ٧

(٤) تاريخ الموصل ، ١ ، ٤٣ .

ومن ذلك ، فان قباذ الأول ٤٨٨ ـ ٥٣١ م حارب انستاسبوس ، ثم بليزاريوس ، فأنشأ عدة قلاع ومواطن سكنية في الموصل والعراق ، وحشد فيها العرب والفرس ، وامرهم بالعمارة والزراعة .

وفي عهد كسرى الاول انو شروان ٥٣١ ـ ٥٧٩ م تجددت الحرب بين الطرفين ، فاغار الروم على الموصل ، وتقدموا في البلاد يقتلون ويأسرون ، فنكبت الموصل .

وفي عهد كسرى ابرويز بن هرمز ٥٩٠ ـ ٦٢٨ م بذل عناية في عمارة الموصل ، وجعلها من المعاقل الكبيرة لصد الهجوم الروماني .

ففي سنة ٦١٦ م قام كسرى ابرويز بحملة قوية على بلاد الروم ، وتوغل في الشام ، وأرسل حملة الى الأنضول ، بلغت سواحل البسفور ، وسار هو الى بيت المقدس ، فنهب المدينة ودمرها ، وأحرق قبر السيد المسيح وكنيسة القيامة ، وأخذ ما فيها من تحف وهدايا ، كما حمل خشبة الصليب الى بلاده

وبينما كان كسرى في لهوه وفخره بنشوة الانتصار ، جاءه رسول يحمل اليه كتاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدعوه الى الاسلام . كما ان هرقل كان آخر عهده وعهد الرومان ببلاد الشام ، وفتح المسلمون الهلال الخصيب .

وبلغ خبر انتصارهم بلاد العرب ، ففرح المشركون من أهل مكة ، لأن الفرس مجوس لا كتاب لهم ، والروم أهل كتاب ، وشمتوا وقالوا للمسلمين : « أنتم والنصارى أهل كتاب ، ونحن وفارس أميون ، وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ، ولنظهرن نحن عليكم » فنزلت الآية الكريمة تبشرهم بالنصر لأهل الكتاب ، ثم للمسلمين (غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين ، لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) .

فقال لهم أبو بكر رضي الله عنه : « والله ليظهر الروم على فارس بعد بضع سنين ـ ما بين الثلاث الى العشرة ـ وراهن أبيّ بن خلف على عشر قلانص ، والأجل ثلاث سنين ، وأعلم أبو بكر النبي صلى الله عليه وسلم بهذا ، فقال له عليه السلام : « زد في الحظ وأبعد في الأجل » فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ، وظهرت الروم على فارس ، فأخذ أبو بكر الحظ من ذرية أبي ، فأمره عليه السلام أن يتصدق بها . هذا الاندحار الشديد حمل هرقل أن يستنفر النصارى الى الذود عن

مقدساتهم ، واقترض أموالاً من الكنائس وجمع الحشود ، وانتصر على فارس سنة ٦٢٢م ـ وهي السنة التي هاجر بها المسلمون الى المدينة [١].

واستمر هرقل في زحفه الى الشرق ، وكان له معهم أقوى معركة حاسمة سنة ٦٢٧ م ، قرب الموصل ، وفتك فتكاً ذريعاً ، وساق الأُسرى الى بلاده ـ وفيهم صهيب بن سنان [٢] ـ واستمر في زحفه الى « دستجرد » مما اضطر كسرى ان يهرب مع بعض جواريه الى طيسفون ـ المدائن ـ وتنازل عن عرشه ، وكان هذا اخر مجد للدولة الساسانية ، فكانت الموصل وتكريت تحت حكم الرومان عندما فتحها العرب .

هذه نبذة عن نشوء الموصل حتى دخلت في ظل الاسلام .

---

(١) انظر ابن العبري ، ١٥٥ ـ ١٥٧ ، التمدن الاسلامي ، ١ ، ٣٦ ـ ٤١ ، الرافدان ، ١٧٧ ـ ١٨٤ الأخبار الطوال ، ١٠٥ ـ ١١١ ، تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ، ٢ ، ٤٩٠ ـ ٥٠٨ .

(٢) انظر ، مجلة ، المجلة ، السنة الاولى ١٩٣٨ (ص ، ٦٦٦ ـ ٦٧٠)

مقدساتهم ، واقترض أموالاً من الكنائس وجمع الحشود ، وانتصر على فارس سنة ٦٢٢ م ـ وهي السنة التي هاجر بها المسلمون الى المدينة [١] .

واستمر هرقل في زحفه الى الشرق ، وكان له معهم أقوى معركة حاسمة سنة ٦٢٧ م ، قرب الموصل ، وفتك فتكاً ذريعاً ، وساق الأسرى الى بلاده ـ وفيهم صهيب بن سنان [٢] ـ واستمر في زحفه الى « دستجرد » مما اضطر كسرى ان يهرب مع بعض جواريه الى طيسفون ـ المدائن ـ وتنازل عن عرشه ، وكان هذا اخر مجد للدولة الساسانية ، فكانت الموصل وتكريت تحت حكم الرومان عندما فتحها العرب .

هذه نبذة عن نشوء الموصل حتى دخلت في ظل الاسلام .

---

(١) انظر ابن العبري ، ١٥٥ ـ ١٥٧ ، التمدن الاسلامي ، ١ ، ٣٦ ـ ٤١ ، الرافدان ، ١٧٧ ـ ١٨٤ الأخبار الطوال ، ١٠٥ ـ ١١١ ، تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ، ٢ ، ٤٩٠ ـ ٥٠٨ .

(٢) انظر ، مجلة ، المجلة ، السنة الاولى ١٩٣٨ (ص ، ٦٦٦ ـ ٦٧٠)

سكان الموصل

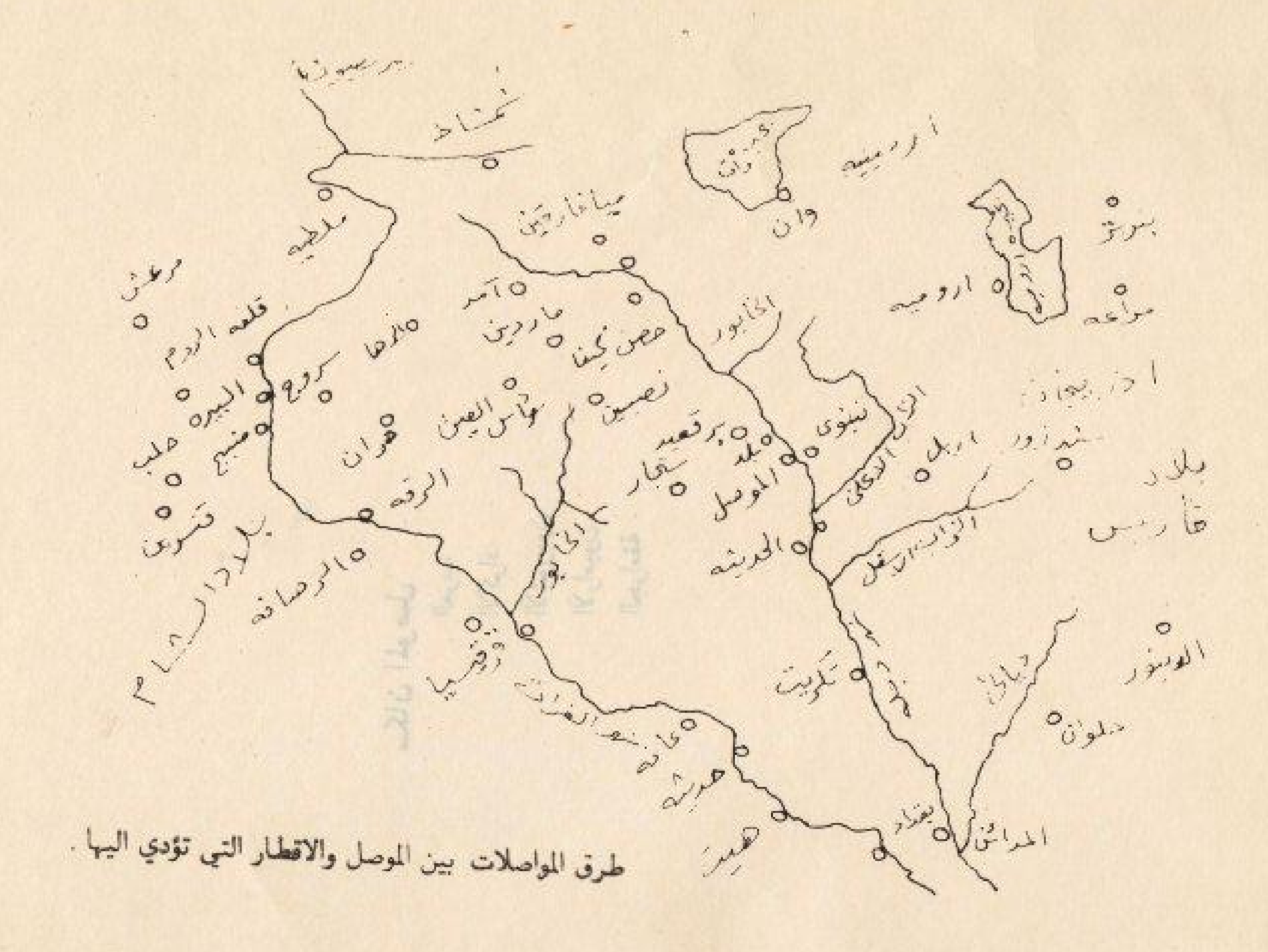
العرب

الاكراد

الآشوريون

الآراميون

الجرامقة



طرق المواصلات بين الموصل والاقطار التي تؤدي اليها .

العرب

ومن القبائل العدنانية التي سكنت الموصل :

اياد : من القبائل العدنانية . نزحت الى الفرات . واستمروا بزحفهم الى ارض الجزيرة . وكانوا كالليل في الكثرة . وكانت لهم حروب مع الفرس في زمن « سابور الثالث بن سابور » ٣٨٣ ــ ٣٨٨ م . فقال شاعرهم :

على رغم سابور بن سابور اصبحت   قباب اياد حولها الخيل والنعم

ولهم حروب مع « كسرى أنو شروان » ــ ومنهم كاتب كسرى وترجمانه في العربية « لقيط بن يعمر الايادي » الذي حذر قومه من بطش كسرى بقصيدته التي ارسلها اليهم . والتي اولها :

سلام في الصحيفة من لقيط   الى من بالجزيرة من اياد

وفتك فيهم كسرى . فلحق بعضهم بارض الروم .

وساعدوا المسلمين في فتح تكريت والموصل . أنفوا من دفع الجزية . فرحل كثير منهم الى ارض الروم . وصاروا يؤرخون بعام الانتقال . ثم ارسل اليهم الفاروق جماعة من المسلمين وعرضوا عليهم القرآن الكريم . فأسلم منهم اربعة الاف وعادوا الى ديار الجزيرة[١] .

النمر : لما كانت الحرب بين بكر وتغلب . وتفرقت قبائلهما في البلاد . انحازت النمر الى اطرف الجزيرة منذ القرن الثالث للميلاد .

وكانت قبيلة النمر عزيزة الجانب في الموصل . يستعين الفرس برجالها في الادارة والحرب . فكان « سنان بن مالك » ــ والد صهيب ــ من اهل الموصل . عاملاً لكسرى على الابلة .

وفي الفتح الاسلامي لهذه البلاد . انضموا الى جيش المسلمين وساعدوهم في فتح تكريت والموصل[٢] .

تغلب : من القبائل العدنانية التي كان لها شأن في بلاد الجزيرة والعراق . وعرفت بلادهم ــ بديار تغلب ــ وساعدوا المسلمين في حادثة فتح الموصل . وعظم نفوذهم في الاسلام . واشتهر منهم عدة أسر كان لها شأن في ادارة البلاد مثل :

---

(١) اليعقوبي ، ١ ، ١٨٥ ــ ١٨٦ . البكري ، ١ ، ٦٩ ــ ٧٦ . ٣٤١ التنبيه والاشراف ، ١٧٥ ــ ١٧٦ . معجم البلدان ، ٣ ، ٩٧ . جواد علي ، ٤ ، ٩٣ .

(٢) انساب الاشراف ، ١ ، ١٨٠ ــ ١٨١ . البكري ، ١ ، ٨٥ ــ ٨٦ . طبقات ابن سعد ، ٣ ، ١٦٣ ــ ١٦٤ .

العدويون والحمدانيون والعقيليون . وكثر عددهم في الموصل . ويذهب البعض انهم سكنوا قرب باب العراق . فكانت المحلة تسمى محلة التغالبة .

كانوا يعتنقون النصرانية . وأنفوا من دفع الجزية . ونظراً لكثرة عددهم فان الفاروق ضاعف عليهم الصدقة . وكان يقول عنهم ، انهم قوم من العرب وليسوا من اهل الكتاب . ولعلهم يسلمون . وشرط عليهم ان لا ينصروا اولادهم . وبعد هذا اعتنقوا الاسلام وكانوا مع الجيوش الاسلامية التي دافعت ضد الروم[1] .

قضاعة : لما تفرقت قضاعة . في البلاد سار « عمرو بن مالك التزيدي » ومعه من قضاعة الى ارض الجزيرة . وخالطوا قراها . وغلبوا على طائفة منها . وكانت بينهم وبين الاعاجم وقعة . هزموا الاعاجم فيها . فاصابوا فيهم فقال شاعرهم جدي بن الدلهاث بن عشم العُشمي :

صففنا للاعاجم من معد ... صفوفاً بالجزيرة كالسعير
لقيناهم بجمع من علاف ... ترادى بالصلادمة الذكور
فلاقت فارساً منا نكالا ... وقاتلنا هرابز شهرزور

وفي عهد الملك « سابور الثاني » ـ ذو الاكتاف ـ ٣١٠ ـ ٣٧٠ م حاربهم وقتل جماعة منهم . فلحق بعضهم بالشام . فكانوا مع « تنوخ » .

والى قضاعة تنسب « الزرابي العبقرية » . فكان نساؤهم ينسجنها من الصوف . وعملوا البرود التي يقال لها « التزيدية » نسبة الى تزيد[2] .

ثقيف : من قبيلة « هوازن » . سكنت الموصل بعد الفتح الاسلامي في المحلة التي تسمى اليوم « محلة باب المسجد » . وكانت دورهم حول هذا المسجد . وامامها حضيرة تسمى « حضيرة ثقيف » ويلفظها اهل الموصل « حضيرة الشكيف » .

وأما باب المسجد فان اهل هذه المحلة يبدلون الجيم ياء . فيقولون « محلة باب المسيد » وبعضهم يكسر حرفي الميم والسين . ويحذف الياء . فيقولون « باب المسد »[3] . واشتهرت المحلة بين العامة بهذا الاسم .

(١) تغلب ، البكري ، ١ ، ١٢٠ ـ ١٢٣ . الخراج ، ١٤٣ ـ ١٤٤ ، ١٦١ .

(٢) ، الطبري ، ٢ ، ٩٦ ـ ٩٧ . الكامل ، ١ ، ١٥٧ ، جواد علي ، ٤ ، ٢٤٠ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ . معجم البلدان ، ٣ ، ٩٦ ـ ٩٧ ، البكري ، ١ ، ٢٢ .

(٣) جوامع الموصل ، ١٦٥ ـ ١٦٦ .

« جاء في كتاب المدخل الى تقويم اللسان ـ لابن هشام اللخمي المتوفى سنة ٥٧٧ هـ عند كلامه عن لفظ مسجد ، فيه لغتان ، مسجد وهو افصح ، ومسيد وهو اضعف ، حكاها غير واحد . الا ان بعض العامة تكسر الميم ، والصواب فتحها . وهو ما عليه اهل باب المسجد ، حتى عرفت محلتهم بين العامة في الموصل باسم محلة باب المِسِيْد (المورد ، ١٠ ، ٢ ، ٥٢) .

بنوشيبان: بطن من « بكر بن وائل » ، القبيلة التي انتشرت الى ديار بكر التي عرفت بها . وسكن بنو شيبان الجزيرة والموصل . وكانت لهم كثرة شرقي دجلة في جهات الموصل – في صدر الاسلام – واكثر ائمة الخوارج منهم يقول « مقصلة بن عتبان الشيباني » منوها برجال الخوارج :

فمنا سويد والبطين وقعنب ومنا امير المؤمنين شبيب
غزالة ذات البدر منا حميدة لها في سهام المسلمين نصيب

سكن بنو شيبان في الربض الاعلى من الموصل . ولهم خطة ومسجد فيه . وكان المسجد يعرف « بمسجد ابن أكمه القطران الشيباني » . امير الموصل سنة ١٢٨هـ (١).

وسكن من قريش في الموصل بعد الفتح :

– **الامويون :** وكان لهم خطة ومسجد . وبعد انقراض دولة بني أمية . طمس العباسيون أخبارهم . ولم يبق لهم ذكر الا قليلا . ومنهم ابناء الحر بن يوسف . ولم يزل في الموصل بعض الأسر ينتهي نسبها الى الامويين .

– **العباسيون :** سكنوا الموصل بعد الفتح . وخاصة بعد أن تأسست دولتهم . وبقى منهم الى القرن الرابع الهجري . ذكر أبو زكريا الأزدي عند كلامه عن « اسماعيل بن علي » الذي تولى الموصل ، ومن بالموصل من الهاشميين من ولده . من ولد « أحمد بن اسماعيل » . وله فندق اسماعيل وحمام اسماعيل وسوق اسماعيل ومسجد أبي حاضر . . الخ . ولم يزل في الموصل بعض الاسر ينتهي نسبها بالعباسيين (٢).

– **العلويون :** سكن العلويون في أواسط القرن الرابع للهجرة الموصل . ولم يزل العلويون الذين في الموصل ينتهي نسبهم بالعلويين الذين سكنوها – كما قدمنا .

– **العمريون :** لاندري متى سكنوا الموصل . ولهم ذكر في القرن الرابع للهجرة . ويذكر العمريون الذين في الموصل أن بعضهم يتصلون بهم (٣).

– **بنو سعد بن لؤي :** بطن من « لؤي بن غالب » من قريش . كانوا يسكنون في البادية مع بني شيبان وكتابتهم في قريش . ومنهم نفر في الموصل (٤).

---

(١) الازدي : ٦٨ – ٦٩ . معجم القبائل العربية : ٢ : ٦٢٢ . مجلة الجزيرة : ١ : ٢٢٧

(٢) الازدي : ١٩٧

(٣) جوامع الموصل : ١٢٩ – ١٣١ .

(٤) انساب الاشراف : ١ : ٤٤ – ٤٥ .

ـ **بنو عبادة بن عقيل**: بطن من « عقيل بن كعب » سكنوا الموصل بعد فتحها، وفي غربي الموصل محله تسمى « محلة تل عبادة » وفيها مسجد يسمى « مسجد تل عبادة » والذي نراه أنهم سكنوا في هذه المحلة فنسب اليهم، ومنهم بنو عقيل الذين تولوا الحكم بعد الحمدانيين.

وذكر ابن سعيد ـ القرن السادس ـ ومنهم الى الآن بقية بين الخابور والفرات. يقال لهم « عرب شرف الدولة » في تجمل وعز. ولهم عز من صاحب الموصل، وهم في عدد قليل نحو مئة فارس[١].

ومن القبائل القحطانية التي سكنت هذه البلاد هي:

الأزد: نزحت من اليمن بعد حادثة « سيل العرم ». وانتشرت في البلاد، وهي من أعظم القبائل العربية، وأشهرها. نزحت الى الموصل في خلافة عثمان بن عفان. فانه أرسل الى الموصل « عرفجة بن هرثمة البارقي » في أربعة آلاف من الازد وطي وكندة وعبد قيس.

وزادت هجرتهم اليها في خلافة الامام علي. وفي ولاية « محمد بن مروان » سنة ٧٥ هـ. نقل الى الموصل من البصرة الأزد وشيبان وسلول والخزرج.

وكان للازد شأن في الموصل، في القوة والعلم. فنجد الكثير من محدثي الموصل وأدبائهم كانوا من الازد، ومنهم مؤرخ الموصل « أبو زكريا الازدي ».

وكانت لهم ايام مع بني الحسن الهمدانيين، وانتصروا عليهم، ومنهم السيد بن انس « الذي تولى الموصل »[٢].

الفراهيد: وهم من بطون الأزد، ويذكر أبو زكريا الازدي أن الفراهدة نزحوا من عمان الى الموصل. ومنهم بالموصل « عمرو بن مالك » وكان بالموصل منهم جماعة انقرضوا وبقي بقية من مواليهم، وذكر عدة أشخاص منهم عرفوا بالعلم والشجاعة[٣].

عنزة: وهم من الأزد، كانوا يسكنون بين الزابين، ومنهم بالموصل. وجرى بينهم وبين الازد قتال[٤].

---

(١) معجم قبائل العرب، ٢، ٧٧٠.

(٢) انساب الاشراف، ٥، ١٨٦. الاصابة، ٤، ٢٣٥. اليعقوبي، ٣، ٧٧. الازدي، ١٧٣.

(٣) الازدي، ٩٣.

(٤) الكامل، ٧، ٦٣ ـ ٦٤.

الخزرج : وهم من الازد . تفرقوا بعد حادثة « سيل العرم » وبعضهم استمروا في زحفهم الى بلاد الجزيرة . ومنهم من نقلهم « محمد بن مروان » الى الموصل . وسكنوا في المحلة التي تعرف بهم (محلة خزرج) ولهم جامع فيها[١٤] .

كندة : من القبائل القحطانية التي نزحت الى الموصل في خلافة ذي النورين . وهم من حضرموت . وربما سكنوا المحلة التي كانت تدعى « حضرموت »[١٥] .

طي : وسكنوا الموصل في خلافة ذي النورين . وجاء عنهم في القرن الثالث للهجرة : كانوا كالرعايا لبني حمدان يؤدون اليهم الاتاوات . وينفرون معهم في الحروب[١٦] .

همدان : وهم من القبائل الكبيرة التي كانت في بلاد الجزيرة والموصل . واكثرهم حارثيون . وكان لهم شأن في القرن الثاني والثالث للهجرة . فكانوا أكثر القبائل نفوذا فيها . وهم الغالبون على البلد . واليهم أمرها سنة ١٩٨ ـ ٢٠٢ هـ . ثم قضى على نفوذهم السيد بن أنس . وقد أفاض الازدي في أخبارهم[١٧] .

سليمة : نزحت من البصرة الى الموصل . وسكنوا قرب باب سنجار . ومنهم « أبو الأشهل بن الحكم بن سلمان السليمي » . كان من فرسان العرب . بعثه أبو جعفر المنصور في الف فارس من رجال الموصل مددا ليزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب لما ولاه افريقية سنة ١٥٤ هـ[١٨] .

وذكر « ابن حوقل » عند كلامه عن الموصل : « وأهلها عرب . ولهم بها خطط واكثرهم ناقلة البصرة والكوفة . ولها بواد واحياء كثيرة . تصيف في مصايفها . وتشتو في مشاتيها . من احياء العرب . قبائل ربيعة ومضر واليمن . واحياء الاكراد . كالهذبانية والحميدية واللارية . وكانت بها بيوت فاخرة . وقوم اهل مروءة ظاهرة . ولهم بها من التناية يسار . وبأملاكهم ويسارهم على الايام استطالة واقتدار . كبني فهد . وبني عمران من وجوه الازد واشراف اليمن . وبني سحاج وبني اود وبني زبيد وبني الجارود . وبني ابي خداش . والصداميين والعمريين وبني هاشم وغير ذلك[١٩] .

---

(١٤) جواد علي ، ٤ ، ٢٥٣ . مجموع الكتابات ، ٣٥ . البكري ، ٣٤٢ منهل الاولياء ، ١ ، ٥٧ .

(١٥) الاصابة ، ٤ ، ٢٣٥ .

(١٦) اسد الغابة ، ١ ، ٤٠٠ . معجم قبائل العرب ، ٢ ، ٦٩١ .

(١٧) البكري ، ١٤٦ . جواد علي ، ٤ ، ٢٦٦ . تاريخ الازدي ، حوادث سنة ١٩٣ ـ ٢٠٢ هـ . احسن التقاسيم ، ١٤٦ .

(١٨) الازدي ، ٨٦ ـ ٩٣ .

(١٩) صورة الارض ، ١٩٥ .

وسكن في المدينة وما حولها الاكراد ، انتشروا في الجبال ، وفي بعض السهول ، فعاشوا مع العرب في اتفاق ووئام ، خاصة بعد اعتناقهم الدين الاسلامي ، فاندمجوا في المجتمع الاسلامي وساهموا في العلم والادب والحرب .

والاشوريون : الذين نزحوا من جزيرة العرب ، وكان لهم شأن في التاريخ ، وبعد انقراض دولتهم ، اندمجوا مع اخوانهم العرب بالزواج والثقافة واعتنقوا الدين الاسلامي - بعد الفتح - .

والجرامقة : وقد اختلف المؤرخون في اصلهم ، فيذكر الجواليقي عنهم ، قوم بالموصل اصلهم من العجم[1] ويذكر ابن العبري[2] ان اصلهم من الفرس ، بينما يذكر ابن سعيد المغربي ، انهم من بقايا الاشوريين[3] . ولم يبق لهم ذكر بعد الفتح الاسلامي ، اعتنقوا الدين الحنيف ، وتكلموا العربية .

ان اكثر هذه الاقليات ، اعتنقوا الاسلام ، واقبلوا على اللغة العربية واستعملوا كتابتها ، وشاركوا في النهضة العلمية ، بما الفوه في التراث العربي .

اسمها

سكن العرب الموصل وبلاد الجزيرة قبل الميلاد - كما قدمنا - واقدم ما وقفنا عليه عن اسمها ما ذكره زنفون ٤٤٤ - ٤٩٣ ق م باسم موسيلا وهو اسم عربي مشتق من الوصل ، اطلقه عليها سكانها الذين مصروها ، ذلك لوقوعها على ملتقى طرق تصل بين اقطار مختلفة .[4]

وكان العرب يطلقون اسم الموصل على الحصنين - الشرقي والغربي - قال عبد الله بن سيده الحرشي :[5]

او جرمقيان باتا يرطفان له ادنى ديارهما الحصنين او بلد

كما كانوا يقولون عن الموصل وبلاد الجزيرة - الموصلان - قال رجل من طي :

وبصرة الازد منا والعراق لنا والموصلان ومنا الحل والحرم

(١) المعرب من الكلام الاعجمي - مصر ١٣٨٩ (ص : ٩٤)

(٢) تاريخ مختصر الدول : ١٣١

(٣) صبح الاعشى : ١ : ٣٦٧

(٤) طه باقر : ٢ : ٢٤٢ ، معجم البلدان : ٨ : ١٩٦

(٥) البكري : ٧١ ، ٣٤١ ، ٤٥٢

كما قالوا البصرتان عن البصرة والكوفة .(١)

وتسمى الموصل « ام الربيعين » لان فصل الخريف فيها يشبه الربيع .

ويقول ياقوت : وتسمى الموصل الحدباء ، لاحتداب في دجلتها واعوجاج في جريانها .(٢) ونجد ذكر هذا في اقوال الشعراء . قال ابو الحزم مكي بن ريان الماكسيني الموصلي المتوفى سنة ٦٠٣ هـ(٣):

وقد اضحت لي الحدباء داراً   واهل مودتي بلوى العقيق

ويقول ابن عنين المتوفى سنة ٦٣٠ هـ :

سقى الله صوب الغوطتين ولا ارتوت
من الموصل الحدباء الا قبورها

وتسمى ايضا الفيحاء : لجمال ربيعها و كثرة ازهارها . قال السرى الرفاء الموصلي المتوفى سنة ٣٦٠ هـ .

سقى ربا الموصل الفيحاء من بلد   جود من المزن يحكى جود أهليها

ويقول ابن ابي الحديد المدائني المتوفى سنة ٦٥٥ هـ(٤).

والموصل الفيحاء مات جماعة   فيها مع الغرباء في اطلالها

ويسميها بعضهم البيضاء لان دورها مبنية بالجص والرخام . قال الشاعر يرثى مالك بن اشقر الازدي ، الذي قتل في وقعة الميدان في الموصل سنة ١٩٨ هـ مع تغلب(٥) .

اليس ابو الصخر فتى الموت مالك   فتى الرمح والسيف الحسام المصلب
عن الموصل البيضاء قد ردّ تغلباً   وقد اشرف منها على شر مرقب

ويذكر المقدسي ان العرب كانوا يسمون الموصل « خولان »(٦) ولم نعثر على ذكر لهذا في غير كتابه .

---

(١) ، (٢) تاريخ الازدي ، ٢٢٦ ـ ٢٢٧ ، معجم البلدان ، ٨ ، ١٩٦

(٣) ابن خلكان ، ١ ، ١٣٣ ، ٢ ، ١٣١

(٤) معجم البلدان ، ٨ ، ١٩٧ ، الحوادث الجامعة ، ٤٦٤

(٥) تاريخ الازدي ، ٣٣٢ ـ ٣٣٣

(٦) احسن التقاسيم ، ١٣٦

وكان الفرس يسمونها « نوار دشير » ذلك لان اردشير الاول ٢٢٤ ـ ٢٤١ م جدد عمارة الحصن .(٩)

ويسمي بعض الكتبة من النصارى الحصن الغربي « حصنا عبرايا » اي الحصن العبوري تمييزاً له عن الحصن الشرقي ـ فوق تل توبة ـ الذي كانوا يعبرون منه الى الحصن الغربي .

(٩) جاء في الاخبار الطوال ، ان اردشير شيد في بلاده ست مدائن ومنها الموصل ويسميها « خرزا اردشير » .

الموصل

في عهد الخلفاء الراشدين

١٦ ـ ٤٠ هـ

موقعة تكريت، فتح الموصل، تمصيرها، هجرة القبائل العربية اليها، ولاة الموصل في هذا الدور

في سنة ١٦ هـ = ٦٣٧ م ، انتصر سعد بن ابي وقاص على الفرس في القادسية ، وداوم في زحفه الى المدائن ، ودخل عاصمتهم ، فلاذوا بالفرار الى الجبال الشرقية . ورأى سعد بعد هذا :

١ ـ أن يعقب فلول الفرس ويقضي على نفوذهم في العراق قبل ان يتجمعوا ويعيدوا الكرة على المسلمين ، ومن الحزم ان يستولي على النقاط الاستراتيجية والطرق المهمة التي تؤدي الى العراق ، فيقطع صلتهم مع هذه البلاد .

٢ ـ ان يحتل بلاد الجزيرة ومجرى الفرات ، ويضم العرب ـ سكان البلاد ـ الى جيش المسلمين ، لان المستعمرين كانوا يجندونهم ويسخرونهم في حروبهم التي كانت في الجزيرة وسورية والعراق ، وباستيلائه على هذه البلاد يكون قد كسب قوة جديدة ، وأضعف جيش العدو في الهلال الخصيب .

وعلى هذا فانه جهز أربع حملات لهذه الغاية :

١ ـ حملة تتوجه الى قصر شيرين ـ جلولاء ـ بقيادة هشام بن عتبة ، وكان الفرس قد جمعوا ما امكنهم من جيش ، وخندقوا فيها ، فباغتهم المسلمون بقيادة « القعقاع بن عمرو » مع ثلة من الجيش ، وفتكوا بهم وعقبوهم الى حلوان ، فتركها الملك « يزدجرد » وبذا سيطر المسلمون على طريق رئيسي يؤدي الى اذربيجان والجبال والى بلاد فارس ، وقطعوهم عن العراق[١] .

٢ ـ حملة ثانية بقيادة « ضرار بن الخطاب » تزحف على « ماسبذان » فسار اليها وافتتحها وأمن أهلها ، وعزل الفرس عن العراق ، فكان تحت أيدي المسلمين المواقع الحصينة والطرق المهمة التي تؤدي اليه[٢] .

٣ ـ حملة تذهب الى هيت بقيادة « عمرو بن مالك » فسار اليها وافتتحها ، وداوم في سيره الى « قرقيسيا » ، فكان مجرى الفرات تحت حكم المسلمين .

٤ ـ حملة تتوجه الى تكريت ومنها الى الموصل ، وكانت بقيادة« عبد الله بن المعتم » وتتألف من خمسة آلاف مقاتل .

كان على مقدمة الحملة « ربعي بن الافكل العنزي » ، وعلى ميمنتها « الحارث ابن حسان الذهلي » وعلى ميسرتها « فرات بن حيان العجلي » وعلى ساقتها « هاني ابن قيس » وعلى الخيل « عرفجة بن هرثمة البارقي » ، ووصل الجيش تكريت بعد مسير أربعة أيام من المدائن[٣] .

---

(١) ، (٢) معجم البلدان ، ٧ ، ١٠٢ ، ٣٦٣ ـ ٣٦٤ .

(٣) أنظر عن فتح تكريت والموصل ، الطبري ، ٤ ، ١٨٦ ـ ١٨٧ ، الكامل ، ٢ ، ٢٢١ ـ ٢٢٢ .

وكان « الانطاق » قائد الروم قد خرج من الموصل الى تكريت ليصد المسلمين عنها . وجمع ما أمكنه من الروم ومن القبائل العربية . أياد وتغلب والنمر والشهارجة . وخندق بجيشه في تكريت .

التقى الجيشان . . . فلمن ستكون الغلبة ؟ جيش المسلمين قائدهم الايمان ، ورائدهم الصدق . وهدفهم أعلاء كلمة الله . ونشر الحق والاسلام بين الناس . ولا يصدهم عن ايمانهم القوي أحد . فهم يطلبون الشهادة أو نصرة الحق .

أما جيش الروم فكان يتألف من الروم وبعض القبائل العربية خرجت معهم أما راغبة في غنيمة أو راهبة من بطشهم .

أرسل عبد الله بن المعتم العيون ، يستطلع حالة العدو . ولما علم بالقبائل العربية التي معهم . أخذ يستميلهم ويمنيهم . وقد أفلح في هذا . فأقبلت جماعة منهم وأخبروه بصدقهم معه ومساعدتهم لاخوانهم . وطلبوا منه الامان لهم وللعرب القاطنين في هذه الديار . وأراد عبد الله أن يتأكد من صدقهم واخلاصهم . فقال لهم : ان كنتم صادقين فاشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله . وأقروا بما جاء به من عند الله . ثم أعلمونا رأيكم .

رجع الرسل الى قبائلهم ، وعرضوا عليهم الامر . فقبلوه واعادوا رسلهم الى عبد الله يؤكدون له اخلاصهم وصدقهم . ويرحبون بقدومهم وتخليصهم مما هم عليه . وصاروا يطلعون المسلمين على امور جيش العدو .

بعد ان تأكد عبد الله من صدق القبائل العربية . دبر معهم خطة الهجوم على جيش الروم ، يهجم المسلمون على المدينة من جهة البر . وتهجم القبائل العربية من جهة النهر وتحفظ الابواب . وتمنع الروم من الافلات . وكان المسلمون قد احاطوا بالمدينة من جهة البر . وشددوا الخناق عليها مدة اربعين يوماً . تزاحفوا بها (٢٤) زحفة . وكانت كفة المسلمين هي الراجحة وأضعفت قوة الروم .

هجم عبد الله بن المعتم على جيش الانطاق من جهة البر . ورأى الروم ان لا قدرة لهم بمقاومة جيش المسلمين . وكانوا معتمدين على الطريق النهري للخلاص باموالهم وانفسهم عند التقهقر . فعزموا على النزول الى النهر . والانحدار بسفنهم . ولكن القبائل العربية كانت قد وقفت من جهة النهر . ولزمت الابواب التي تؤدي اليه . ولما كبروا ايذاناً بالهجوم ـ وذلك على أثر تكبير المسلمين ـ ظن الروم ان المسلمين قد اتوهم من خلفهم . فذعروا وارتبك امرهم فانهزموا الى جهة الابواب التي

عليها المسلمون . فاستقبلهم جيش المسلمين بسيوفهم . كما ان القبائل العربية كانت تضربهم من الوراء . وقضوا عليهم . فكانت تكريت بيد المسلمين سنة (١٦ هـ= ٦٣٧م). وغنم المسلمون من الروم مغانم كثيرة، فكان نصيب الفارس منهم ٣٠٠٠ درهم ونصيب الراجل الف درهم .

وبعد هذا سير عبد الله بن المعتم جيشاً الى الموصل بقيادة « ربعي بن الافكل العنزي » . ومعه القبائل العربية التي انضمت الى المسلمين في تكريت . وذلك لما لاقوه من حسن معاملة المسلمين الفاتحين . وطمعاً في تخليص اخوانهم من حكم الروم .

واوصى عبد الله بن المعتم قائد الحملة التي ارسلها مع ربعي بن الافكل العنزي ان يجد السير ويسرع في احتلال الموصل .

ولم يلاق هذا الجيش مقاومة في طريقه . لان سكان البلاد كانوا مع الجيش الفاتح . وسارت القبائل العربية : تغلب واياد والنمر . امام الجيش يمهدون له الطريق .

ومن زعمائهم الذين اشتركوا في الحملة : (عتبة بن الوعل) احد ابناء سعد بن جشم . و (ذو القرط) و (ابو وداعة بن ابي كرب) . و (ابن ذي السنية قتيل الكلاب) . و (ابن الحجير الايادي) . و (بشر بن ابي حوط) . فكانوا يسيرون متساندين .

دبر ربعي خطة الفتح مع القبائل العربية : بأن يسبقوا الجيش ويذهبوا الى اهل الحصنين . يظهرون لهم انهزام المسلمين وظفرهم عليهم في تكريت . ولما يدخلوا الحصنين يلزمون ابوابها . فيدخل المسلمون من غير مقاومة .

واول من دخل الحصن الغربي (الموصل) هو : عتبة بن الوعل . فادعى بالظفر والنفل والقفل ـ الرجوع ـ ثم ذو القرط . ثم ابن ذي السنية . ثم ابن الحجير الايادي ثم بشر بن ابي حوط . ووقفوا بالابواب وقد اخذوا بها . ثم أتت سرعان خيل ربعي . فاحتلوا الحصن من دون مقاومة .

ثم جاء (عبد الله بن المعتم) الى الموصل . فأقر الصلح مع الذين صالحهم (ربعي بن الافكل العنزي) ودعا من هرب منهم . فرجعوا الى ديارهم آمنين مطمئنين . وصارت لهم جميعاً الذمة والمنعة . وولي على الموصل ربعي بن الافكل العنزي . وعلى حربها عرفجة بن هرثمة البارقي[١] .

---

(١) الخراج لأبي يوسف : ٤٩ . الكامل : ٢ : ٢٢٢ . الاصابة : ٤ : ٢٣٥ .

وتولى الموصل بعد ربعي (عتبة بن فرقد السلمي)[1]، وكان من الولاة المحبين للاصلاح، فبنى المسجد الجامع سنة (١٧ هـ = ٦٣٨ م). وبنى الى جانبه دار الامارة، وعين منازل لبعض العرب النازحين الى الموصل.

وفي سنة (٢٢ هـ = ٦٤٢ م) سار الى اذربيجان وفتحها، وتولى أمرها.

وعين الفاروق (عرفجة بن هرثمة البارقي) على الموصل سنة (٢٢ هـ = ٦٤٢م)، وكان هذا من رجال الحرب[2]. والادارة، ونزح معه الى الموصل من القبائل: الازد، وطي وكندة وعبد قيس. وصارت الهجرة الى الموصل مستمرة. فخطط عرفجة منازل العرب المقيمين فيها والنازحين اليها، وثبت خطط القبائل فيها، فتوسعت المدينة، وكثر سكانها، وضاق المسجد الذي بناه عتبة بن فرقد بالمصلين، فوسعه عرفجة بن هرثمة.

واستمرت الموصل بالتوسع بنزوح القبائل العربية اليها. وما لاقاه سكانها ـ العرب وغيرهم ـ من حسن معاملة المسلمين الفاتحين.

وفي خلافة ذي النورين عثمان بن عفان (رض) تولى الموصل (حكيم بن سلام الحزامي) سنة (٣٤ هـ = ٦٥٤ م). وسار على خطة عرفجة في توطين العرب النازحين[3]. ولما تولى الخلافة الامام علي بن ابي طالب (ك) ولى على الموصل (معقل بن قيس الرياحي) فوطد له الامر في بلاد الجزيرة. وزادت هجرة القبائل الى الموصل من الكوفة والبصرة[4].

ثم سار ابراهيم بن مالك الاشتر النخعي قبل معركة صفين ـ التي كانت سنة (٣٧ هـ = ٦٥٧ م) ـ فاستولى على بلاد الجزيرة والموصل وديار بكر وهيت وعانات وبعض بلاد الشام[5].

وفي سنة (٣٩ هـ = ٦٠٩ م) ولي الامام علي (ك) عبد الرحمن الخثعمي على الموصل، فتصدى له التغلبيون وقتلوه، قبل ان يدخل الموصل[6].

---

(١) الطبري، ٤، ٢٥٥، الاصابة، ٤، ٢١٦، أسد الغابة، ٣، ٤٠١.

(٢) الاصابة، ٤، ٤٣٥، الكامل، ٣، ١٦، جمهرة انساب العرب، ٣٦٧.

(٣) الكامل، ٣، ٦١، ابن خلدون، ٢، ٣٩٢.

(٤) الاخبار الطوال، ١٦٩، مسكويه، ١، ٥٧١.

(٥) الاخبار الطوال، ١٥٦.

(٦) الكامل، ٢، ١٩٣.

وفي سنة (٤٠ هـ = ٦١٠ م) قتل الامام علي (ك) وانتهى دور الخلفاء الراشدين . والموصل في توسع وازدهار ، لما لاقته من اهتمام الخلفاء بها . وخاصة الفاروق (رض) . فانه رأى ما للموصل من موقع خطير . فهي تقع على ملتقى طرق تصل بين جناحي الهلال الخصيب ، ومنها الى أرمينية وأذربيجان . فجعلها من ثغور الكوفة الاربعة ، حلوان وماسبذان وقرقيسيا ، والموصل . واتخذ فيها احد الاجناد الستة التي جندها في البلاد المهمة . وكانت تابعة للكوفة[١] . ومنها خرجت الجيوش الى أذربيجان وأرمينية وشهرزور ، والصامغان . كما خرجت منها الجيوش الى بلاد الجزيرة والشام ، وساعدت المسلمين في فتح البلاد . وفي خلافة عثمان بن عفان (رض) عزز جند الموصل . فاضاف اليه (٤٠٠٠ مقاتل) وجعل عليهم عرفجة ابن هرثمة البارقي الذي كان يتولى الموصل ـ حربها وخراجها ـ ونظم ادارتها وخططها[٢] .

ان المسلمين كانوا محررين للبلاد التي فتحوها ومنها الموصل . فانهم لم يعاملوا السكان معاملة الغالب للمغلوب ـ كما كان عليه القياصرة والاكاسرة ـ فازالوا نظام الطبقات بين الناس ، وجعلوهم طبقة واحدة ، لا فرق بين سيد ومسود . كلهم شركاء في البلد ، ولهم حرية العمل والتصرف بما يملكون وما يعبدون .

وكانت الضرائب التي وضعوها على السكان زهيدة . فقد عين (عياض بن غنم) ما يدفعه الفرد من اهل الجزيرة ـ ومنها الموصل ـ فعلى كل جمجمة ، دينار ، ومدا قمح ، وقسطا زيت ، وقسطا خل[٥] .

ولما زرع المسلمون وكثرت خيراتهم ، فان الفاروق خفف عن اهل الجزيرة ، واقتصر على ان يدفع الغني ٤٨ درهماً في السنة . ويدفع متوسط الحال ٢٤ درهماً ، ويدفع دون هذا ١٢ درهماً[٦] .

كان الروم والفرس يجندون اهل البلاد ، ويرسلونهم الى ميادين القتال ، يقتل بعضهم بعضاً ، لا لغاية سامية وانما لتثبيت عرش كسرى او قيصر . وان المسلمين لم يقسروا اهل الكتاب او غيرهم على الجندية . بل اكتفوا منهم بجزية سنوية تؤخذ من البالغ القادر على الكسب وهي ، مدا قمح (×) ، وقسطان(××) من زيت ،

---

(١) ـ ابن خلدون ، ٢ ، ٣٤٢ . أسد الغابة ، ٣ ، ٣٦٦ .

(٢) ـ الاصابة ، ٤ ، ١٣٥ . أسد الغابة ، ٣ ، ٤٠١ .

(×) المد ، رطل وثلث الرطل . والرطل ، اثنا عشر اوقية . والاوقية اربعون درهماً والدرهم يساوي ٢٨٧ غرام والقسط نصف صاع . والصاع اربعة امداد (القاموس المحيط)

من البالغ القادر على الكسب ـ وهذا شيء زهيد بجانب ما كانوا يلاقونه من ويلات الحرب والقتل ـ فهم معفوون من الخدمة في الحرب ، ولهم المنعة والذمة(٢).

ولما رأى السكان حسن معاملة المسلمين ، وسماحة دينهم الحنيف ، وعنايته في معاملة الضعيف ورفع مستواه ، وبازالته نظام الطبقات ، ليس لاحد فضل على احد الا بالعمل النافع ، فاقبلوا يدخلون في هذا الدين السمح ، ويسعون في نشره وتحرير اخوان لهم ذاقوا مرارة حكم جائر ـ قبل هذا ـ وانضموا الى صفوف المسلمين راغبين في اعلاء كلمة الله ، واحقاق الحق ، ويدافعون عن حقوق نبيلة اكتسبوها بعد عسف وذل كانوا عليه .

(١) ـ (٢) ـ الخراج لأبي يوسف : ٤٩ ، فتوح البلدان : ١٨٢ ، معجم البلدان : ٣ : ٩٩ .

ولاة الموصل في عهد الخلفاء الراشدين

١٦ ـ ٤٠ هـ

سنة/ هـ		سنة/ هـ	
١٦	ربعي بن الأفكل العنزي (فتحها وتولى حربها)	١٣ ـ ٢٣	الفاروق
	عرفجة بن هرثمة البارقي (على خراجها)		الفاروق
١٧	عتبة بن فرقد السلمي (على الحرب والخراج)		
٢٢	عرفجة بن هرثمة البارقي (خطط الموصل) ثم أرسله الفاروق الى البصرة لمساعدة عتبة بن غزوان		الفاروق
٣٤	حكيم بن سلامة الحزامي	٢٣ ـ ٣٥	عثمان
	عرفجة بن هرثمة البارقي أعاده عثمان مع القبائل العربية		عثمان
٣٥	معقل بن قيس الرياحي	٣٥ ـ ٤٠	علي
٣٧	ابراهيم بن مالك الاشتر النخعي		علي
٣٩	عبد الرحمن الخثعمي (قتله التغالبة قبل ان يصل الموصل)		علي
٣٩	قيس بن سعد بن عبادة الانصاري		علي

الموصل
في العهد الاموي
٤٠ ـ ١٣٢ هـ

توطيد الحكم فيها ، اشهر الولاة واصلاحاتهم ، محمد بن مروان بن الحكم ، سعيد بن عبد الملك ، يحيى بن يحيى الغساني ، الحر بن يوسف الاموي ، مروان بن محمد

١ ـ المسجد الجامع ودار الامارة

٢ ـ تل قليعات وفوقه بيعة بارقسرى

٣ ـ سوق سعيد ومسجد سعيد

٤ ـ قصر المنقوشة ٩ ـ الجسر

٥ ـ سوق القتابيين ١٠ ـ سوق الجسر

٦ ـ سوق الشعارين ١١ ـ مقابر قريش

٧ ـ سوق الاربعاء ١٢ ـ مقبرة عمرو بن الحمق الخزاعي

٨ ـ سوق الحشيش ١٣ ـ مقبرة الخثعمي

١٤ ـ تل الكناسة

١٥ ـ تل بني عبادة وفوقه مسجد عبادة

١٦ ـ سوق الطعام

١٧ ـ التغالبة

١٨ ـ حي خزرج

١٩ ـ حي ثقيف ومسجدهم

بعد مقتل الامام علي (ك) ، أرسل معاوية جيشا الى الجزيرة بقيادة (قيس بن سعد بن عبادة الانصاري) ، وأقبل معاوية بجيش الى الموصل ، وكانت كفته هي الراجحة فيها ، خاصة بعد ان تنازل الامام الحسن عن الخلافة سنة (٤٠هـ= ٦٦٠م)، فكانت الموصل تخضع لمعاوية (١).

وممن تولاها في عهد معاوية سنة (٥١ هـ = ٦٧١ م) (عبد الرحمن بن عثمان الثقفي) ، ويعرف بابن أم الحكم ـ وهو ابن أخت معاوية ـ وكان من رجال بني أمية ، ومنها غزا بلاد الروم في سنتي ٥٣ ، ٥٧ ، ثم ولي الكوفة وبقي فيها الى سنة (٥٩ هـ = ٦٧٨ م)(٢)، وكانت الموصل في توسع لكثرة من هاجر اليها من القبائل ، فنشطت فيها التجارة والزراعة والعمران ، وبلغ خراجها أربعة ملايين درهم في السنة ، وخراج الموصل وما يضاف اليها ويتصل بها (٤٥) مليون درهم في السنة(٣) ، وهذا يدلنا على ما كانت عليه المدينة من التفوق في الاقتصاد ، وما يتمتع أهلها من عيش رغيد ، وسعة وأمن في الحياة .

وبعد وفاة معاوية تولى ابنه يزيد الخلافة (٦٠ - ٦٤ هـ = ٦٧٩ - ٦٨٣) على كره من بعض ابناء الصحابة ، وكانت ثورة الامام الحسين بن الامام علي (ك) سنة (٦١ هـ = ٦٨٠ م) ومصرعه في كربلاء ، وثورة المدينة المنورة ووقعة الحرة سنة (٦٣ هـ = ٦٨٢ م) ، ثم ثورة عبد الله بن الزبير ، وتوفي يزيد ، وحركة ابن الزبير في توسع .

وفي خلافة مروان بن الحكم سنة (٦٤ ـ ٦٥ هـ) وابنه عبد الملك من بعده (٦٥ ـ ٨٦ هـ = ٦٨٤ ـ ٧٠٥ م) ، كثرت الثورات والمطالبة بالخلافة ، فثار المختار بن أبي عبيد الثقفي في كربلاء سنة (٦٦ هـ = ٦٨٥ م) ، وولى على الموصل (عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني) ، وكان على الموصل اذ ذاك (محمد بن الاشعث) ـ عامل ابن الزبير ـ ، فانحدر الى تكريت ، فكتب اليه ابن الزبير يعنفه ، ثم جاءه ابنه عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث ، ونصحه بأن ينحدرا الى الكوفة ، وانضما الى المختار الثقفي(٢) .

---

(١) اليعقوبي ، ٢ ، ٩١ .

(٢) الكامل ، ٣ ، ١٦٤ ، ٢٠٦ ، ٢١١ ، ٢١٩ ، اليعقوبي ، ٢ ، ٢٠٦

(٣) اليعقوبي ، ٢ ، ٢٠٨ .

ـ ٢ ـ

وفي سنة (٦٧ هـ = ٦٨٦ م) تنازع على الموصل المختار وعبيد الله بن زياد بن أبيه ـ عامل عبد الملك ـ فسير المختار الى الموصل جيشاً بقيادة (يزيد بن أنس بن كلاب الاسدي) ومع أنه كان مريضا فانه كان يحرض جيشه على القتال ، ويبعث فيهم الحماسة في الحرب ، وانتصر على جيش ابن زياد الذي كان بقيادة (عبد الله بن حملة بن عبد الرحمن الخثعمي) في معركة باتلي ـ برطلة ـ ومات يزيد الاسدي بعد المعركة ، وخلفه في جيش المختار،ورقاء بن عازب الاسدي ، وكان جباناً، فسحب جيشه ورجع الى المختار(٢) .

فأرسل المختار جيشاً بقيادة (ابراهيم بن مالك الاشتر النخعي)(٣) ، والتقى مع جيش عبد الملك بن مروان الذي كان بقيادة عبيد الله بن زياد في قرية (بار بيثا)(٤) على الخازر ، وكان جيش ابن زياد مؤلفاً من (٨٠) الف مقاتل .

واستمال ابن الاشتر (عمير بن الحباب السلمي) ـ وهو قيسي ـ كان قد خذل قومه في مرج راهط ـ فانضم اليه،واعلمه بضعف جيش ابن زياد وتخاذله .

وكان ابن الاشتر من رجال العرب دهاء وتدبيراً واحكاماً في الحرب ، شجاعاً لا يرهب احداً ، يهجم امام جيشه .

وفي صباح احد الايام ، علم ان جيش ابن زياد على غير استعداد فعبأ جيشه ، وخطب فيهم ، وحثهم على الهجوم ، وهجم امامهم ، وفتكوا بجيش ابن زياد في عاشوراء سنة ٦٧ هـ ، وقتل ابن زياد ، وارسل رأسه الى المختار في الكوفة ، ثم زحف الى الموصل واستولى على الموصل ، واقام والياً على الموصل وارمينية . وانفذ عماله الى البلاد التي استولى عليها(٥) .

ـ ٣ ـ

وفي سنة (٦٧ هـ = ٦٨٦ م) ولي عبد الله بن الزبير أخاه مصعباً على البصرة ، وكان من ابطال المسلمين ورجالهم ، فزحف الى الكوفة وقتل المختار في حروراء في (١٤ رمضان من سنة ٦٧ هـ) وقضى على حركته ، وصار العراق كله تابعاً لابن الزبير(٦) .

---

(١) ـ (٢) أنساب الاشراف ، ٥ ، ٢٢٩ ـ ٢٣٣ ـ ٢٥٠ .

(٣،٤) في الاخبار الطوال (ماريثـا) .

(٥) ـ (٦) ، الاخبار الطوال ، ٢٨٩ ، ٢٩٦ ـ ٣٠٠ ، التنبيه والاشراف ، ٢٧٠ ، انساب الاشراف ٥ ، ٢٥٥ . الكامل ، ٤ ، ١٠٨، ١١٢، ٢١٧ .

واراد مصعب ان يستفيد من ابراهيم بن الاشتر، فكتب اليه يدعوه الى طاعته، ومبايعة أخيه عبد الله بن الزبير، فقدم اليه ابراهيم الى الكوفة، وولّى مصعب مكانه (المهلب بن ابي صفرة سنة ٦٨ هـ)

ثم استدعى المهلب لحرب الازارقة، واعاد ابراهيم بن الاشتر الى ما كان عليه في الموصل وأرمينية، ولما علم مصعب ان عبد الملك بن مروان يريد العراق، استقدم ابراهيم بن الاشتر وولاه مقدمة جيشه[1] وكان عبد الملك بن مروان قد ارسل لحرب مصعب بن الزبير اخاه (ابا عبد الرحمن محمد بن مروان ابن الحكم)، وهذا من أشد ولد مروان واشجعهم في حسن الخلق، ومع ان عبد الملك كان يحسده ويحذر منه، فانه كان يستعين به في الملمات، فضرب به مصعب بن الزبير، ولما سيره اليه قال عبد الملك للجيش،: «قد استعملت عليكم سيد الناس محمد بن مروان أخي ونصيحي». فسار محمد، وقتل مصعب بن الزبير وابراهيم بن الاشتر في واقعة (مسكن)× في جمادي الاولى سنة ٧٢ هـ = ٦٩١ م[2].

وفي سنة (٧٣ هـ = ٦٩٢ م)، قضى الحجاج بن يوسف الثقفي على ثورة عبد الله بن الزبير وقتله، فصار العراق، والحجاز لعبد الملك بن مروان.

ـ ٤ ـ

وتولى محمد بن مروان، الجزيرة، وأرمينية واذربيجان، وكان احد اركان دولة عبد الملك، ولما اراد الوليد عزله، طلب من يسد مكانه، فلم يقدم عليه احد الا مسلمة بن عبد الملك.[3].

وبعد ان انتهى محمد بن مروان من توطيد الامر في العراق بقضائه على مصعب ابن الزبير، عزم على غزو بلاد الروم، وفاتح أخاه الخليفة عبد الملك بن مروان بالامر ولكن عبد الملك أراد ان يستفيد منه في توطيد حكمه في بلاد الجزيرة وما يجاورها، فولاه الموصل والجزيرة وأذربيجان وأرمينية، ولم يكف محمد عن غزو

(١) أنساب الاشراف، ٥، ١٨٦، ٣٣٥، ٣٥١.

(٢) وفي هذه المعركة غنم محمد جارية كردية كانت لابراهيم بن الاشتر النخعي، فتزوجها فولدت له مروان بن محمد ـ آخر خلفاء بني أمية، فكانوا يسمونه، ابن أمة النخع ـ انساب الاشراف، ٥، ٣٥١.

(٣) الكامل، ٥، ٢٨.

(×) موضع قريب من اوانا على نهر دجيل عند دير الجاثليق، فيها قبر مصعب بن الزبير (معجم البلدان، ٨، ٥٤).

ومن اصلاحاته في الموصل، وسع سور الموصل في الاماكن التي امتدت اليها العمارة. وذلك في سنة (٨٠ هـ = ٦٩٩ م)، ونقل الى الموصل الازد وربيعة من البصرة، وعين خططهم ومنازلهم[١].

ـ ٥ ـ

وتولى الموصل سعيد بن عبدالملك، وذلك عندما كان عمه يتولى البلاد الجزرية والثغور، وتفرغ سعيد لادارة الموصل والعناية بها. وكان محباً للخير والاصلاح، عفيفاً عن اموال الناس، متألهاً زاهداً، فكانوا يسمونه (سعيد الخير).

ولما تولى الموصل سعى في تنظيم خططها وشوارعها، فرصف طرقها بالحجارة، وبنى بها سوقاً عرف بـ (سوق سعيد)، كما أنشأ مسجداً عرف بـ (مسجد عبيدة) نسبة الى مؤذن فيه اسمه عبيدة. واهتم في اكمال بناء سور الموصل وتوسيعه، وهو الذي هدمه هرون الرشيد سنة ١٧٧ هـ (٧٩٣ م)

ومن آثاره ظاهر الموصل، بنى (دير سعيد) لطبيبه النصراني الذي كان قد عالجه من مرض أصابه. وينسب اليه (نهر سعيد) دون الرقة من ديار مضر، كان محله غيضة ذات سباع، فأقطعه اياها أخوه الوليد بن عبد الملك، فحفر النهر وقطع ما حوله، وعمر ما هناك، فكان من أخصب مناطق الزراعة، وسكن فيه بعد اعتزاله ادارة الموصل.

ـ ٦ ـ

كانت ولاية سعيد الخير على الموصل كلها خير ورفاه، وبقي فيها الى أن عزله عنها عمر بن عبد العزيز عندما تولى الخلافة سنة ١٠١ هـ. فكتب اليه، سلم الموصل الى يحيى بن يحيى الغساني وأقدم.[٢]

وسكن الموصل من الخلفاء الامويين هشام بن عبد الملك ـ قبل ان يلي الخلافة ـ فاشترى في قطائع بني وائل جزيرة كانت لقوم يعرفون ببني (بريضة)

---

(١) انظر عن محمد بن مروان، أنساب الاشراف، ٥، ١٨٥ ـ ١٨٦، اليعقوبي، ٣، ١٧، المعارف ١٧٥، جمهرة أنساب العرب، ١٨٦

(٢) انظر عن سعيد، فتوح البلدان، ١٨٣ ـ ٣٢٨، المعارف، ١٥٧، نسب قريش، ١٦٥، الكامل، ٦، ٥٠ ـ ٥٥، تاريخ ابن عساكر، ٦، ١٥٣ ـ ١٥٤، معجم البلدان، ٨، ٣٤١، المشترك، ٤٣٦

من الازد ، وغرس فيها النخيل والاشجار المثمرة ، وبنى له قصراً جميلاً سكن فيه ، وبقي القصر والبستان الى زمن العباسيين ، فأقطعه السفاح للسحاج ابن وائل الازدي الذي ساعده على الامويين ثم أضاف اليه أبو جعفر المنصور البستان والارض التي حوله سنة ١٣٩ هـ (٧٥٦ م)(١).

ومن الولاة الذين خدموا الموصل بهدوء يحيى بن يحيى الغساني ، وكان رجلاً هادئاً صالحاً ، ولاه الموصل عمر بن عبد العزيز بعدسعيد الخير ، وفي عهده خرجت خوارج بالموصل ، وكان سبب خروجهم تذمرهم من الضرائب التي كان قد وضعها عبد الملك بن مروان على الجزيرة والموصل .

ذكر ابو يوسف في كتابه الخراج ، قال « فلما كان عبد الملك بن مروان ، بعث الضحاك بن عبد الرحمن الاشعري ، فاستقل ما يؤخذ منهم ، فاحصى الجماجم ، وجعل الناس كلهم عمالاً بايديهم ، وحسب ما يكسب العامل سنته كلها ، ثم طرح من ذلك نفقته وادمه وكسوته وحذاءه ، وطرح ايام الاعياد في السنة كلها ، فوجد الذي يحصل بعد ذلك في السنة لكل واحد اربعة دنانير ، فالزمهم ذلك جميعاً ، وجعلها طبقة واحدة ، وحمل الشام على مثل ذلك ، وحمل الموصل على مثل ذلك » فرفع يحيى بن يحيى الغساني(٢) أمره هذا الى الخليفة عمر بن عبد العزيز ، فكتب الى الخليفة : « ان اعدل دية اهل الموصل : على الغني ٤٨ درهماً ، وعلى الوسط ٢٤ درهماً ، وعلى الفقير ١٢ درهماً ، فرضي القوم بهذا .

ويصف لنا يحيى الغساني ما كانت عليه الموصل عندما تولاها ، وما آل اليه بعد ذلك قال :

---

(١) تاريخ الازدي ، حوادث سنة ، ١٣٦ ، ١٣٩ ، شهراب ، ١٢٣ مروج الذهب ، ٢ ، ٥٢٢ سنة ٣٣١ هـ سهراب ، ١٢٣

الدينار الشرعي من الذهب ، وزنه ٤,٢٥ غرام ، اي ٦٦ حبة تقريباً . والدرهم من الفضة ووزنه ٢,٩٧ غرام وهو يساوي ٧/١٠ من وزن الدينار الشرعي ، وعلى هذا تكون قيمة الدينار تساوي ٢٤ درهماً (٢٨ ـ ٣٢ صنج السكة) عبد الرحمن فهمي محمد دار الكتب المصرية ، ١٩٥٧ .

« لما ولاني عمر بن عبد العزيز الموصل ، قدمتها ، فوجدتها من اكبر البلاد سرقاً ونقبا ، فكتبت الى عمر ، اعلمه حال البلد واسأله آخذ من الناس بالمظنة ، واضربهم على التهمة ، او آخذهم بالبينة ، وما جرت عليه عادة الناس ، فكتب اليّ : ان آخذ الناس بالبينة ، وما جرت عليه السنّة ، فان لم يصلحهم الحق فلا اصلحهم الله .
قال : ففعلت ذلك ، فما خرجت من الموصل حتى كانت اصلح البلاد سرقاً ونقبا . (٣)

وفي سنة (١٠٢ هـ = ٧٢٠ م) ولى الخليفة يزيد بن عبد الملك مروان بن محمد الموصل ، وسبب ذلك على ما ذكره الازدي :

ـ ٧ ـ

« أن يزيد بن عبد الملك عزل مسلمة بن عبد الملك عن الجزيرة واذربيجان ، وولى مكانه عمر بن هبيرة الفزاري ، فغزا هنا أرمينية ، وفتح فتحاً عظيماً ، ووجه البشارة والرسالة مع مروان بن محمد الى الخليفة يزيد ، فغضب بنو أمية وقالوا : فزاري يحمّل البشارة والرسالة رجلًا منا ؟ فولاه يزيد مكانه الموصل فعاد أميراً .

وبقي مروان بن محمد يتولى الموصل واعمالها والجزيرة باجمعها الى سنة (١٠٥هـ = ٧٢٣ م) وهو ما كان يتولاه أبوه محمد بن مروان في خلافة عبد الملك وابنه الوليد من بعده(٤) .

ـ ٨ ـ

ومن الولاة الذين خدموا الموصل « الحر بن يوسف بن يحيى بن الحكم الاموي » كان يتولى مصر ، وعلى خراجها عبيد الله بن الحبحاب السلولي الموصلي ، ووقعت مغاضبة بينه وبين ابن الحبحاب الذي كان ينظم خراج مصر ، فسافر الحر الى الخليفة هشام بن عبد الملك يشكو اليه أمر ابن الحبحاب ، والخليفة هشام يعلم دهاء ابن الحبحاب وحسن تدبيره ، فابقاه في مصر ، وولى الحر الموصل سنة (١٠٦هـ = ٧٢٤م) وكان الحر من أجل امراء بني أمية ، شجاعة وكرماً وسؤدداً ، فاستقلت أخت الحر (أم حكيم) زوجة الخليفة هشام بن عبد الملك امارة الموصل ، وقالت لزوجها تعاتبه : تولي أخي الموصل ؟ ، وهشام ـ كما نعلم ـ كان قد سكن

---

(٢) ـ (٣) الخراج لابي يوسف ، ٤٩ ، تاريخ الازدي حوادث سنة ١٠١ ، حلية الاولياء ، ٥ ، ٢٧١ ،
وتوفي يحيى في الموصل سنة ١٣٥ .
(٤) تاريخ الازدي حوادث سنة ١٠٢ ـ ١٠٥ ، جمهرة انساب العرب ، ١٠١ ، الكامل ، ٥ ، ٥٣ ، ٩٥ .

الموصل ، ويعلم اهميتها وما فيها من قبائل عربية كريمة ، فقال لزوجته ، يا بنت يحيى ، اما يرضى إخوك ان يصلي خلفه الهراثمة ؟ اي اولاد عرفجة بن هرثمة البارقي .

وأول عمل قام به في الموصل ، بنى قصراً جميلاً ، اتخذه داراً لسكناه ، ودار امارة ، وعني في زخرفتها وتزويقها ، فكانت تسمى المنقوشة[1] ، وكانت كبيرة واسعة ، تقع في سوق القتابين الى الشارع المعروف بالشعارين الى سوق الاربعاء ، الى سوق الحشيش[2] ، وكانت منقوشة بالفصوص الملونة والفسافس والساج المزخرف وبلط مرافقها بالرخام ، ابتدأ بعمارتها سنة (١٠٦هـ = ٧٢٤م) ، وسكنها سنة ١٠٧هـ على ما جاء في سبب حفر النهر المكشوف في الموصل ، وبقيت آثارها شاخصة الى القرن السابع للهجرة .

ذكر عنها ابن الاثير المتوفى سنة ٦٣٠ هـ ، « اما الآن فهي تجاور سوق الاربعاء[3] . » وكانت المنقوشة ظاهر السور الذي بناه سعيد بن عبد الملك في الموصل .

ذكر أبو زكريا الازدي في حوادث سنة ١٣٢ هـ عند كلامه عن قتل العباسيين أهل الموصل ، قال : « وفيها قلد أبو العباس السفاح أخاه يحيى بن محمد الموصل ، وقدمها من الكوفة ، وكان محمد بن صول والياً قبله ، فأقام معه ، وقدم الموصل ومعه اثنا عشر ألف فارس ، فنزل قصر الامارة الملاصق للمسجد الجامع ، وأمر محمد بن صول فنزل قصر الحر بن يوسف ، وهو المنقوشة ، ونهاه عن النزول في نفس المدينة ، ودخول سورها ، وعلى هذا فقد كانت المنقوشة ظاهر سور الموصل .

ومن أعماله الجليلة التي انعش بها الموصل ، وقدم لها أجل الخدمات ، هو توفير الماء للسكان ، بأن شق نهراً من دجلة ، وأجرى ماءه الى الموصل .

---

(١) انظر عنها ، تاريخ الموصل للازدي ، حوادث سنة ١٠٦ هـ ، ١٠٧ هـ ، ١٣٥ هـ ، الكامل ، ٥ ، ٥٣ النجوم الزاهرة ، ١ ، ٢٥٩ ، مختصر تاريخ العرب ، ١٦٨ ، سومر ، المجلد السابع العدد الثاني ، ٢٢٩ ــ ٢٣٠ .

(٢) سنعرض للتعريف بها بعد هذا .

(٣) الكامل ، ٥ ، ٥٣ .

كان نهر دجلة بعيداً عن المدينة ، يجري تحت سور نينوى (×) ويلاقي السكان مشقة في نقل الماء . وفي احد الايام من سنة ١٠٧ هـ ، كان الحر جالساً في قصره المنقوشة ، ينظر في مناظر له . فرأى امرأة تحمل جرة فيها ماء ، وهي تحملها ساعة وتضعها ساعة تستريح قليلاً ، لبعد الماء عن البلد . فسأل عنها ، فقيل ، امرأة حامل وقد جاءت بها من دجلة ، وقد أجهدها حملها . فاستعظم ذلك واثر في نفسه .

فجمع أهل الخبرة والهندسة وكلفهم بدراسة شق نهر يأخذ ماءه من دجلة ، ويجري الى الموصل . وبعد دراسة الموضوع أعلموه ان مثل هذا العمل يكلف نفقة باهظة وعملاً متواصلاً يستغرق عدة سنين ، فرفع الامر الى الخليفة هشام ، وأعلمه ما يعانيه أهل البلد من مشقة في نقل الماء ، وانه يمكن شق نهر يأخذ ماءه من دجلة الى البلد ، فيستريح السكان ، وبين له ما يحتاجه النهر من نفقة ومدة طويلة ، والخليفة هشام كان قد سكن الموصل ، وتمتع بخيراتها الكثيرة ، ومناخها الجميل ، فدفعه حنوه على أم الربيعين ان يوافق على هذا المشروع ، وأن ينفق عليه ما يحتاجه من خراج الموصل ، وان لا يحمل اليه شيئاً من خراجها حتى يتم حفر النهر .

وفي سنة (١٠٨ هـ = ٧٢٦ م) ابتدأ الحر في حفر النهر ، جمع الصناع وأهل الهندسة ، واتخذ الآلات اللازمة للعمل[١] ، وهو لا يستكثر شيئا الا اطلقه فيه ، وذكروا انه كان يعمل في النهر خمسة آلاف رجل ، وبقي العمل مستمرا بجد ونشاط الى سنة (١١٣ هـ = ٧٣١ م) . والحر ينفق واردات الموصل على هذا المشروع ، وحفر القسم الكبير منه . وفي هذه السنة كتب اليه الخليفة هشام انْ يضاعف الجهد في حفر النهر والا يقصر في النفقة عليه مهما كلف الامر ، ولكن المنية عاجلت الحر قبل ان يتم العمل ، فتوفي في آخر هذه السنة[٢] . فتولى الموصل ابنه يحيى ، ولم يحسن ادارتها فعزله الخليفة هشام ، وعين على الموصل الوليد بن تليد العبسي سنة (١١٤هـ = ٧٣٢م) ، وأمره ان يجد في حفر النهر ، وأن يزيد في العمل وصرف الاموال ، واستمر العمل به الى سنة (١٢١ هـ = ٧٣٨ م) حيث فرغ الوليد بن تليد من حفرة ، وبلغت النفقة عليه ثمانية ملايين درهم .

(×) وان احد ابواب مدينة نينوى هو باب مشكى اي باب المسقى او السقاة ، وقد استظهرته مديرية الاثار العامة سنة ١٩٦٨ م وصانت جوانبه والابراج التي كانت قريبة منه .

(١) انظر عن نهر الحر ، تاريخ الموصل للازدي ، حوادث سنة ١٠٨ ـ ١٢١ هـ . أحسن التقاسيم ، ١٣٩ صورة الارض ، ١٩٤ . الكامل ، ٥ ، ٧٠ ، ٩٥ ـ ٩٦ .

(٢) توفي في ذي الحجة ، ودفن بمقابر قريش ، بأزاء داره المنقوشة .

وكان الخليفة هشام قد أمر الوليد بن تليد سنة (١١٥ هـ - ٧٣٣ م) أن يعمل على النهر عشرين رحا ، يوقف ريعها على نفقة النهر ، ولكن الوليد جعل عليه ثمانية عشرة رحا للطحن(١) ، ثم أنهم وزنوا سرعة جريان الماء الى الارحاء ، ووزعوها على اشخاص يتولون ادامتها وصيانتها ، وجمع وارداتها لصالح كري النهر وما يحتاجه ، فقعد الاشخاص في زورق ، وطرحوا امامهم في النهر لكل رجل جوزة ، والجوزات تسير امامهم في سيب النهر ، حتى خرجوا الى آخره ، فجاءت كل جوزة ودخلت في سيب الرحا التي عملت لها ، فتأكدوا من سرعة جريان ماء النهر وتوزيعه على سيب كل رحا ، وتخليداً لذكرى من كان له الفضل في جريان هذا النهر اطلقوا عليه اسم « نهر الحر بن يوسف » ، واتخذوا شارعاً على شاطيء النهر ، غرسوا على جانبيه الاشجار والرياحين ، فكان اهل المدينة يقصدونه في الاماسي ، يتمتعون برؤية النهر ، وما يحف بجانبيه من اشجار ، وسموا هذا الشارع « شارع النهر » - وهو أول كورنيش كان في الاسلام - ولما تولى العباسيون الموصل حاولوا ان يطمسوا آثار بني امية وما قاموا به من اعمال ، فاطلقوا على النهر « نهر زبيدة » لأن زبيدة بنت جعفر بن ابي جعفر المنصور ولدت في الموصل ، في قصر ابيها جعفر المشرف على الربض الاسفل من المدينة ، وبقي هذا النهر الى القرن الرابع الهجري على ما ذكره المقدسي وابن حوقل .

اما مجرى النهر ، فالذي نراه ، انه كان ينفصل عن دجلة قرب دير مار ميخائيل ، ويجري محاذياً للتلول المشرفة على السهل المعروف بـ « حاوي الكنيسة » ويستمر الى عين كبريت ، فيأخذ مجراه الذي عليه دجلة اليوم ، ويجري تحت البلد .

وفي سنة (١٢٢ هـ - ٧٣٩ م) تولى الموصل ابو قحافة المزني - ابن اخي الوليد ابن تليد العبسي - ولاه الخليفة هشام بن عبد الملك صلاة الموصل وحربها ، وبقي فيها الى سنة ١٢٦ هـ (٢) .

- ٩ -

وفي سنة (١٢٦ هـ - ٧٤٣ م) ولى الخليفة الوليد بن يزيد ، مروان بن محمد بن مروان الموصل واحداثها ، والجزيرة وارمينية واذربيجان - وخليفته على ارمينية واذربيجان عاصم بن عبد الله - وكان مروان قد اتخذ الموصل قاعدة لبلاد الجزيرة .

(١) في الكامل ، ٥ ، ٩٦ ، ثمانية أرحاء .

(٢) تاريخ الازدي ، حوادث سنة ١٢٢ - ١٢٦ هـ ، الكامل ، ٥ ، ١٢٩ .

ونقل اليها الدواوين ، وجعلها من الامصار العظام ، لتوسعها وكثرة سكانها ، ووفرة خيراتها واهمية ، زقيها .

ولم يكن في الموصل جسر يسهّل الاتصال بين الجانبين ، فيلاقي السكان مشقة في نقل حاصلاتهم وتجارتهم ، فمد مروان جسراً على النهر ، وكان هذا من الاعمال التي سهلت اتصال الجانبين مع بعضهما ، فنشطت تجارتها ، ووفرت حاصلاتها .

ونظر مروان في تخطيط المدينة ، فنظّم طرقها ورصفها ، كما وسع السور في المواقع التي امتدت اليها العمارة في البلد ، وجدد ما كان قد تداعى منه .

وكان الجامع الذي بناه عتبة بن فرقد هو الجامع الوحيد في المدينة ، والموصل في توسع مستمر ، وكان يضيق بالمصلين ، فهدم مروان الجامع ووسعه ، وبناه جامعاً كبيراً ، يتسع لأكثر من احد عشر ألف شخص ، وبنى فيه منارة ، واتخذ فيه مقصورة يصلي بها أمير البلد ، وبنى بجانب الجامع مطابخ يطبخ بها للفقراء في شهر رمضان ـ وهذا ما حمل بعض المؤرخين ان يقول : ان مروان بن محمد استحدث هذا الجامع ، والحقيقة انه لم يستحدثه ، بل وسعه وجدد بناءه[1] .

الخوارج

من القبائل التي تقطن بلاد الجزيرة والموصل هم بنو شيبان ، كانوا يرون رأى الخوارج الصفرية ، واستمرت ثوراتهم حتى القرن الثالث للهجرة ، ومن بني شيبان (شبيب بن يزيد الخارجي) نشأ بين قومه في مضارب الكوفة ، فكان خطيباً مفوهاً ، بليغاً ، متفوقاً في الفروسية والكر والفر ، وعلى جانب كبير من الشجاعة .

امه جهيزة ، من علماء الخوارج ، فشب على هذه المبادىء ، وكانت أمه ترافقه في حروبه ، وتشترك معه في الكر والفر ، قال الشاعر :

هل تلد الذيبة الا ذيبا ... ام شبيب ولدت شبيبا

وكانت زوجته غزالة من مجتهدي الخوارج وابطالهم ، هجمت على الحجاج في احدى المعارك ، ففر امامها ، وكانت هذه الحادثة ، مما يعير بها .

ومن ذلك ما قالته ام البنين بنت عبد العزيز بن مروان زوجة الوليد بن عبد الملك ، قاتل الله القائل حين نظر اليك ، وسنان غزالة بين كتفيك :

---

(١) جوامع الموصل : ٦ ـ ٧ .

اسد عليّ وفي الحروب نعامة ... فدعاء تفزع من صفير الصافر
هلا كررت الى غزالة في الوغى ... بل كان قلبك في جناحي طائر
صدعت غزالة قلبه بفوارس ... تركت مدابره كأمس الدابر[1]

انتقل شبيب الى الموصل ، واخذ يبث دعوته بين قومه بني شيبان ، وله من فصاحة لسانه ، وقوة جنانه ، وزهده في الحياة ، وايمانه بمبادئه خير مساعد . فلاقت دعوته نجاحاً كبيراً في بلاد الجزيرة .

وفي سنة ٧٦ هـ = ٦٩٥ م قصد مكة المكرمة ليؤدي فريضة الحج ، ويجتمع بزعماء الخوارج ، واتصل بصالح بن مسرح ، وكان هذا قد تبعه أهل دارا(×) واتفقا على الثورة .

وكان الخليفة عبد الملك بن مروان في مكة المكرمة يؤدي فريضة الحج ، فهم شبيب بقتله ، ولكن الخليفة كان محتاطاً بحرس قوي . فكتب الى الحجاج ـ عامله على العراق ـ يأمره بأخذ شبيب عند عودته .

اما شبيب فانه رجع الى بلاد الجزيرة ، واتصل بصالح بن مسرح ، واعلنا الثورة ، فجهز والي الموصل والجزيرة محمد بن مروان جيشاً لحربهم بقيادة عدي ابن عدي ، فهجموا على الجيش وفتكوا به ، ثم اعقب هذا بجيش آخر ، ولم يتمكن من القضاء عليهم ، فانسحب الخوارج الى الموصل وتحصنوا فيها .

ثم ارسل الحجاج جيشاً قوياً بقيادة الحارث بن عميرة ، سنة ٧٦ هـ (٦٩٥م) وحاصرهم في قرية (المدبج)[2] فقتل صالح بن مسرح ـ رئيس الخوارج ـ وجرح شبيب ، فانسحب الخوارج الى حصن لهم ، وحملوا معهم شبيباً ـ زعيم الحركة بعد صالح ـ وشدد جيش الحجاج عليهم الحصار ، فاضطر الخوارج الى مهاجمته وفتكوا به ، وغنموا كل ما كان معه . .

لمع أسم شبيب في الحروب ، وانضم اليه سلامة بن سنان التميمي الموصلي ، وصار شبيب ينتقل ما بين الموصل وبلاد الجزيرة واذربيجان ، يبث دعوته[3] .

---

(١) الابيات لعمرو بن حطان الخارجي المتوفى سنة ٨٩ هـ .

(×) بلدة في لحف جبل نصيبين وماردين ، معجم البلدان ، ٤ ، ٥ .

(٢) قرية بين الموصل والعراق معجم البلدان ، ٧ ، ٤١٥ .

(٣) انظر عن شبيب ، البيان والتبيين ، ١ ، ٩٩ ، العقد الفريد ، ١ ، ٦٠ ـ ٦١ ، الطبري ، ٧ ، ٢١٨ ـ ٢٢٣ ، ٢٤٥ ، ٢٥٧ ، مروج الذهب ، ٢ ، ١٤٠ ، ١٧٣ ـ ١٧٤ ، عيون الاخبار ، ١ ، ١١٦ ، ١٦٩ ـ ١٧٠ ، الكامل ، ١٦٣ ـ ١٧٩ ، ابن خلكان ، ١ ، ٢٢٣ ـ ٢٢٤ ، النجوم الزاهرة ، ١ ، ١٩٥ ـ ١٩٦ ، مجلة الجزيرة الموصلية ، ١ ، ١٩١ ـ ١٩٤ ، ٢٢٦ ـ ٢٣٠ .

أرسل الحجاج اليه ثلاثة جيوش ، كان نصيبها الفشل والاندحار ، لدهاء شبيب وجرأته واقدامه ، وانه يكون أمام جيشه في المعارك . فقالوا عنه :

ان صاح يوما حسبت الصخر منحدرا والريح عاصفة والموج يلتطم

ثم بدا لشبيب ان يزحف الى الكوفة ، ويهاجم الحجاج في عقر داره ، فاستعد الحجاج كل الاستعداد ، ولكن شبيب دخل الكوفة غير هياب ولا وجل ، فتحصن الحجاج منه في قصر الامارة . فتقدم شبيب الى باب القصر ، وضربه ضربة تركت فيه اثراً بالغاً ، وقال :

عبدٌ دعيٌ من ثمود اصله لا بل يقال ابو ابيهم يقدم

وحلفت غزالة ـ زوجة شبيب ـ أن تصلي ركعتين في مسجد الكوفة ، تقرأ في الاولى سورة البقرة ، وفي الثانية آل عمران . فبرت بقسمها ، ودخلت الكوفة وصلت ، فقالوا :

وفت الغزالة نذرها يا رب لا تغفر لها

علم الحجاج أن معنويات جيشه قد خذلت أمام قوة شبيب . فكتب الى الخليفة عبد الملك يطلب جيشاً من الشام ، وتولى قيادته بنفسه ، فعبأ الجيش ، وأوصاهم أن لا يهاجموا الخوارج ، وأن يحذروا مباغتتهم ، وقال لهم : « غضوا الابصار ، واجثوا على الركب ، واستقبلوهم بأطراف الأسنة » .

رتب شبيب أصحابه ، ووقف هو في القلب ، وهاجموا جيش الحجاج ، فلم ينالوا منه شيئاً ، وكانت غزالة بين المهاجمين ، فقتلت في المعركة ، فأمر الحجاج ان يطاف برأسها على جيشه ـ تشجيعاً لهم ـ ولكن شبيب هجم على جيش الحجاج ، واخذ رأس غزالة ، وغسله ودفنه .

كان جيش العراق قد سد على الخوارج طرق الانسحاب ، وأحاط بهم جيش الشام ، فضاق الأمر بالخوارج ، فأمرهم شبيب بالعبور الى الجانب الثاني ، وتخلف هو يحمي جيشه ، ولما عزم على العبور زلق حصانه ، فسقط شبيب في النهر وقال : « ليقضي الله أمراً كان مفعولا » ـ ولم يكن يحسن السباحة ، فغرق ومات سنة (٧٧ هـ = ٦٩٦ م) ، فاستراح الحجاج منه . على أن شبيباً وان كان قد مات فان الثورة لم تهدأ عند أتباعه ، فكانوا يترقبون زعيما يجمعهم ويسير بهم الى ساحة الجهاد .

وفي سنة (١١٩ هـ = ٦٣٧ م) خرج بهلول بن بشر الملقب « كثارة » – وهو موصلي من قبيلة شيبان – سافر الى الحج ، واجتمع برؤوساء الخوارج ممن يرون رأيه ، ولما عادوا اجتمعوا في احدى قرى الموصل ، وبايعوا بهلول ، وكانوا يريدون الفتك بخالد القسرى ، فتوجه الى الكوفة وفتك بجيش خالد ، ثم انسحب الى الموصل ، فكتب الوليد بن تليد العبسي – عامل الموصل – الى الخليفة هشام بن عبد الملك ، يستنجده ، فأجابه الخليفة ، بأن يسير اليهم كثارة بن بشر ، فأعلمه الوليد أن الخارج هو كثارة – البهلول – فأرسل الخليفة جيشاً من الشام ، وسير عامل الجزيرة جنداً من الجزيرة ، والتقوا مع الخوارج « بكحيل »(×) دون الموصل ، ودافع الخوارج دفاعاً مجيداً ، فقتل البهلول وخلفه عمرو اليشكري ، فقتل فتولى امرهم البختري – صاحب الاشهب – فوجه اليه خالد القسري جيشاً ، فأسره ثم قتله(١) .

وفي سنة (١٢٧ هـ – ٧٤٤ م) بويع مروان بن محمد بالخلافة ، فاستخلف اخاه عبد العزيز بن مروان على الجزيرة ، وارسل القطران بن أكمه الشيباني والياً على الموصل .

وكانت البلاد في ثورات ، في حمص وفلسطين ، وسليمان بن هشام بن عبد الملك مع الضحاك الخارجي ، الذي استولى على الموصل ، وبعد ان أخمد مروان ثورة حمص ، قصد الضحاك ، والتقى معه في (كفر توثا)(×) فقتل الضحاك ، وتولى زعامة الخوارج (الخيبري) فقتله مروان ، فولى الخوارج عليهم شيبان بن عبد العزيز اليشكرى ، فقصد الموصل ، وتحصن بها ، ومعه اهل الموصل ، وسليمان بن هشام بن عبد الملك ، وتقاتلا على الموصل شهراً واحداً ، ثم رحل عنها شيبان ، وكانت الجيوش تطارده فقتله جلندي بن مسعود بن جيفر بن جلندي الازدي سنة (١٣٤ هـ = ٧٥١ م) .(٢)

---

(١) الكامل ، ٥ ، ٨٢ – ٨٤ .

(×) الكحيل ، مدينة على دجلة بين الزابين فوق تكريت كانت موجودة سنة ٢٧١ . وذكر ياقوت عنها اما الآن – القرن السابع – فليس لهذه المدينة اثر ولا خبر . والكحيل موضع بالجزيرة (معجم البلدان ، ٧ ، ٢٢)

(٢) الكامل ، ٥ ، ١٣٠ ، ١٤٢ – ١٤٣ .

(×) ذكر عنها ياقوت (٧ ، ٢٦٣) قرية كبيرة من اعمال الجزيرة ، وهي بين دارا ورأس عين وذكر عنها الهروي في الزيارات ، ٦٤ ، بها شهداء لا يعرفون ، وقرأت على منارتها مكتوباً سورة الاخلاص وتاريخ بنائها سنة ١٥٥ هـ .

اما مروان فانه سار من الموصل الى حران ، ومنها الى الزاب ، وكانت نهاية خلافته في هذه المعركة .

هذه نبذة عن الخوارج ـ في الجزيرة والموصل ـ تكلمنا عنهم باختصار فيما له علاقة بتاريخ الموصل . فكانت دعوتهم تنشط كلما وجدت لها متنفساً ، فيحاربون الدولة ويقلقون راحتها ، ولكن كانت العقلية البدوية تسود هذه الجماعة ، فهم سريعو الانقسام فيما بينهم ، ولم يتمكنوا من ترسيخ دعوتهم في هذه البلاد .

خطط المدينة

كانت خطة العرب اذا ما فتحوا مدينة انشأوا دار امارة ، والى جانبه المسجد الجامع ، وهذا ما فعله عتبة بن فرقد السلمي سنة ١٧ هـ ، فانه بنى دار امارة فيها ، والى جانبه مسجداً جامعاً ، ولما تولى الموصل (عرفجة بن هرثمة البارقي)سنة٢٢هـ وسّع الجامع ، ثم هدمه ووسعه مروان بن محمد ـ كما تقدم .(١)

فان العرب لم يهتموا بانشاء القلاع للحكام والجيش في المدن التي فتحوها ـ كما كان يفعل الفرس والروم ـ فكانوا يكتفون بدار الامارة بجانب الجامع ، يسكن فيه الامير الذي يتولى ادارة المدينة ، ويؤم المصلين في الجامع .

كانت دار الامارة في الموصل على سفح تل قليعات ، ثم وسّعها عرفجة بن هرثمة البارقي ، ثم وسعها مروان بن محمد وجعلها تناسب ما بلغته الموصل في عهده من التوسع والتنسيق ـ قاعدة بلاد الجزيرة .

ذكر (غرس النعمة الصابي) ، ان دار الامارة بقرب الجامع ، وبينها وبين الجامع باب في ممر طويل ، قد فرش بالبلاط ، وفي نهاية البلاط ستر ، يحجز المصلين عن دار الامارة ، واذا ما وصل الامير الى المصلى ، رفع المكبرون الستر .(٢)

اما الحر بن يوسف فانه عندما تولى الموصل بنى المنقوشة ، واتخذها دار امارة ومسكناً له ولأسرته ، وبعد وفاته بقي اولاده فيها الى ان اخرجهم منها اسماعيل بن علي بن عبد الله بن العباس سنة ١٣٥ هـ .

---

(١) وفي كتابنا ، جوامع الموصل ، ص ٣ ـ ١٧ ، بحثنا عن الجامع في اختلاف العصور .

(٢) الهفوات النادرة ، ١٠٠ ـ ١٠١ .

اما الاسواق في الموصل فكانت قرب الجامع ودار الامارة ، لأن الاسواق تكون في المواقع التي يزدحم بها السكان ، وما يحتاجه الجيش من لوازم الخيل والابل ، ويعرض بها ما ينفق من طعام ولوازم وحاجيات . واهم الاسواق التي وقفنا عليها :

١) سوق الشعارين : ولم يزل يعرف بهذا الاسم الى هذا اليوم . كان يباع به ما يتخذ من الشعر والصوف مما يحتاجه الجيش والسكان . وهو يمتد من جامع النبي جرجيس الى شارع نينوى .

٢) سوق القتابين ، وكان يتخذ به اقتاب الابل ، ويقع شرقي سوق الشعارين ، ويعرف اليوم بسوق النجارين قرب مسجد الخلال . ويتخذ فيه اليوم المهود والمراجيح للأطفال والاسرة وصناديق الموتى . وغير ذلك .

٣) سوق السراجين : كانت تقع جنوب المسجد الجامع . تقابل باب جابر احد ابواب الجامع . هدمها المهدي سنة ١٦٧ هـ (٧٨٣م) واضافها الى المسجد الجامع عندما وسعه .

٤) سوق البزازين : وتعرف بسوق الداخل ايضاً . اضافها المهدي الى الجامع .

٥) سوق الطعام : تقع بالقرب من سوق الحشيش . انشأ فيها اسماعيل بن علي العباسي فندقاً عرف بـ (فندق اسماعيل) . وحماماً (حمام اسماعيل) .(١)

٦) سوق الحشيش : كانت تقع جنوب الحصن الغربي . في موقع سوق باب السراي الحالية .

٧) سوق الدواب ، وكانت تقع ظاهر المدينة . قريبة من مقابر قريش ـ جنوب غربي جامع النبي جرجيس . جاء في حوادث سنة ١١٣ هـ : « وفي اواخر هذه السنة توفي الحر بن يوسف في الموصل . ودفن في مقابر قريش . كانت بأزاء دورهم المنقوشة . وهي بين سوق الدواب وسدة المغازلي » .

٨) سوق السقط : كانت تقع قبلي المسجد الجامع . هدمها المهدي واضافها الى المسجد الجامع عندما وسّعه .

٩) سوق سعيد بن عبد الملك : انشأها عندما كان والياً على الموصل . وبنى بها مسجداً . والذي نراه ان مسجد الرحماني هو المسجد الذي بناه سعيد في السوق الذي انشأه .

(١) وجدت حاشية في تاريخ الازدي عن الحمام المذكورة : واظنها حمام شقاقين الفرش

١٠) سوق الاربعاء : كانت تقع على الارض التي بين باب الجسر وسوق القتابين ، وبقيت تعرف بهذا الاسم الى القرن السابع الهجري .(١)

١١) سوق الجسر : يستدل مما ذكره ابو زكريا الازدي في حوادث سنة ١٤٨ هـ انه كان يقع في الجانب الشرقي من النهر ، يقصده اهل هذا الجانب فيبتاعون منه ، ويبيعون ما حملوه معهم . وقد ادركنا هذا في اوائل القرن العشرين ، فكانوا يقيمون سوقاً في صباح كل يوم من ايام الصيف والخريف ، تباع فيه المخضرات والقثاء والبطيخ ، وما يحمله القرويون ، ويسمى سوق الكب.(٢)

وعلى هذا فان أكثر أسواق الموصل كانت قرب دار الامارة والمسجد الجامع ، وفيها ما يحتاجه الجيش والسكان من حاجيات وطعام ، ولوازم الخيل والابل والحيوانات الاخرى ، فتكون الاسواق عادة في كل بلد قرب مركز الحكم والقيادة ، ليسهل الاتصال بمن فيها ، يؤيد هذا ما ذكره أبو زكريا الأزدي في حوادث سنة ١٣٧ هـ : أن أسواق الموصل كانت حول جامعها ، فنقلها اسماعيل بن علي أمير الموصل الى مقبرة أهل الموصل . وكان في الاسواق حمامات وخانات وفنادق لنزول التجار ومن يقصد البلد ، ومنها فنادق بناها الحر بن يوسف وابنه يحيى من بعده ، وفندق جد مساور الخارجي ، وفندق دار الحواكين في سوق الحشيش وغيرها .
ومن حماماتها التي وقفنا عليها ، حمام الجدالين التي استحم بها الخليفة مروان بن محمد .

وعلى هذا فان للعرب الفضل في تخطيط الموصل وتنسيقها ، وتمصيرها وتعيين منازل القبائل والاسواق وما فيها من مساجد وحمامات وخانات وفنادق وطرق واسعة ، كما زينوها بشارع النهر الذي هو أول كورنيش وقفنا عليه في الاسلام ، وحفوها بسور منيع ، وكانوا يوسعون السور كلما توسعت المدينة(٣) ، ونشطت فيها الصناعات كالحياكة والسراجة والبناء والخياطة وغيرها(٤) ، فكانت الموصل على عهد الامويين من اهم قواعد بلاد الاسلام سعة وتنظيماً وتنسيقاً ، ومن مدن العرب التي يقصدها التجار من اختلاف الاطراف .

---

(١) الكامل ، ٥ ، ٥٣

(٢) الكب ، الارض التي ينحسر عنها ماء دجلة في اوائل الصيف . وفي القاموس المحيط (١ ، ١٢١) الكُباب ، الكثير من التراب والطين اللازب وتكبب الرمل ،
انظر عن اسواق الموصل ، سومر ، ٧ ، ٢ ، ٢٢٧ ـ ٢٢٩ ، لنا بحث عنها .

(٣) سنعرض لسور الموصل في اختلاف العصور ـ في بحث خاص .

(٤) سنتكلم بصوة مفصلة عن صناعات الموصل في اختلاف العصور .

اما مساجدها في هذا الدور :

١) **المسجد الجامع** : تقدم الكلام عنه

٢) **مسجد سعيد بن عبدالملك** : وقد تقدم الكلام عنه .

٣) **مسجد خزرج** : يذكر بعض المؤرخين أنه أول مسجد بني في الموصل ، بناه خالد بن الوليد بعد فتحها ، وسكنت قبيلة خزرج حوله ـ وهذا خطأ ـ .(١)

ان أول مسجد بني في الموصل هو المسجد الجامع ـ كما قدمنا عنه ـ وان مسجد خزرج بني بعد ذلك ، ولربما بني في القرن الاول للهجرة ، أو بعده ، وليس هو أول مسجد بني في الموصل .

٤) **مسجد ثقيف** : سكنت قبيلة ثقيف في الموصل في المحلة التي تدعى اليوم (محلة باب المسجد) وشيدوا لهم مسجداً عرف بالمسجد ، وهو قريب الى جامع السلطان أويس .

٥) **مسجد جابر بن جبلة** : جاء في تاريخ الازدي عن جابر بن جبلة أنه موصلي ، وهو أول من نزل الموصل من سليمى ، وله في السكة الكبيرة مسجد وزقاق يعرف بزقاق جابر ، والمسجد يعرف بالمعافى بن عمران ، وجابر جده ـ وغلب أسم المعافى بن عمران على هذا المسجد فيما بعد فصار يعرف به .

٦) **مسجد باب سنجار** : جاء في تاريخ الأزدي في حوادث سنة ١٢٩ هـ : « وممن قدم الموصل من أخوة سليمى معن بن مالك ، ومنازلهم في الموصل باب سنجار ، والمسجد الذي فيه مسجدهم ، وكان باب سنجار بأيديهم . »

وبالقرب من باب سنجار مسجد قديم يقع على تل عبادة ، يسمى مسجد تل عبادة ، يدعى أهل المحلة أنه من أقدم مساجد الموصل ، ولربما كان هذا هو مسجد باب سنجار .

٧) **مسجد ابن أكمه القطران** : كان في الربض الأعلى من الموصل ، جاء عنه في تاريخ الأزدي في حوادث سنة ١٢٧ هـ : « بعث مروان بن محمد القطران بن أكمه الشيباني أميراً على الموصل ، وللقطران هذا خطة ومسجد في الربض الأعلى يعرف بمسجد ابن أكمه القطران » .(٢)

---

(١) منهل الاولياء ، ١ ، ٥٦ ، ٥٧ منية الادباء ، ٣٣ . وهما قد نقلا عن كتاب فتوح الشام المنسوب للواقدي ، ٢ ، ١١٧ .

(٢) أنظر عن مساجد الموصل ، سومر ، ٧ ، ٢ ، ٢٣٠ ـ ٢٣١ .

لاقت الموصل عناية خاصة من الامويين: حفوها بسور، وبلطوا طرقها بالحجارة، وشقوا لها نهر الحر، ونصبوا لها جسراً. وشيدوا فيها القصور الجميلة ومتنزهاً على شاطيء النهر.

ولاة الموصل في العهد الاموي
٤٠ ـ ١٣٢ هـ

سنة / هـ		سنة / هـ	
٧٥	محمد بن مروان بن الحكم	٦٥ ـ ٨٦	عبد الملك
	سعيد بن عبد الملك (في خلافة أبيه)		عبد الملك
١٠١	يحيى بن يحيى الغساني	٩٩ ـ ١٠١	عمر بن عبد العزيز
١٠٢ ـ ١٠٥	مروان بن محمد	١٠١ ـ ١٠٥	يزيد الثاني
١٠٦ ـ ١١٣	الحر بن يوسف بن يحيى بن الحكم الأموي	١٠٥ ـ ١٢٥	هشام بن عبد الملك
١١٣ ـ ١١٤	يحيى بن الحر (فلم يحسن ادارتها)		هشام بن عبد الملك
١١٤ ـ ١٢٢	الوليد بن تليد العبسي		هشام بن عبد الملك
١٢٣ ـ	أبو قحافة المزني (ابن أخي الوليد بن تليد)		هشام بن عبد الملك
١٢٦	مروان بن محمد	١٢٦	يزيد الثالث
١٢٧	القطران بن أكمه الشيباني	١٢٧ ـ ١٣٢	مروان الثاني
١٢٩	هشام بن عمرو الزبيدي (التغلبي) ـ تولى الصلاة والحرب		مروان الثاني
	بشر بن خزيمة الازدي ـ الاسدي ـ الخراج		مروان الثاني

الموصل
في العهد العباسي

١ ـ دور الولاة العباسيين ١٣٢ ـ ٢٩١ هـ
٢ ـ الدولة الحمدانية ٢٩١ ـ ٣٨١ هـ
٣ ـ الدولة العقيلية ٣٨١ ـ ٤٨٦ هـ





مركز الوجه **مركز الظهر**

درهم من الفضة وزنه ٢،٤٧ جم . قطره ، ٢٨ مم مكتوب على مركز الوجه ،
لا اله الا الله وحده لا شريك له .
ومكتوب في الهامش ،
بسم الله ضرب هذا الدرهم في الموصل سنة اثنتين وثمانين .
ومكتوب على مركز الظهر ،
الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد .
ومكتوب على هامش الظهر ،
محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون

وهو مضروب في خلافة عبد الملك بن مروان

اقتبسنا الصورة من مجلة ، الريان ، التي يصدرها متحف قطر الوطني في الدوحة (ص ، ٦١)

كانت حياة مروان بن محمد كلها قلاقل وثورات ، وانقسام في البيت الأموي ، بينما كانت دعوة العباسيين قوية تبشر بالنجاح ، وهذا ما كان في وقعة الزاب ـ قرب تل كشاف ـ(×) سنة ١٣٢ هـ . فان مروان بن محمد كان في جيش يزيد على مائة ألف ، بينما كان جيش عبد الله بن علي لا يتجاوز عشرين ألفا ، ودّب النزاع والفوضى في جيش مروان بعد أن كان منتصراً أول أمره ، فهجم عليه العباسيون وشردوا جيشه قتلا وغرقاً .

فتوجه مروان الى الموصل ، وعليها هشام بن عمرو الزبيدي ، وعلى خراجها وحربها بشر بن خزيمة الاسدي ، فوقف مروان على الجسر ، واستفتح بابه ، فأبوا أن يفتحوه له ، وقطعوا الجسر ، فسار الى بلد(١) وعبر اليها من مخاضة بقربها ، وما زال ينتقل من بلد الى بلد حتى قتل في بوصير من أعمال مصر في ٢٥ ذي الحجة سنة ١٣٢ هـ .(٢) (٧٤٩ م)

سار عبد الله بن علي الى الموصل ، فاستقبله عاملها ، وفتح له أبواب المدينة والجسر ، وأخذ ما كان فيها من أموال مروان ـ وكانت كثيرة ـ ثم ولى عليهم محمد بن صول .

ظلت بلاد الجزيرة أموية ، وفي أول خلافة السفاح سنة ١٣٢ هـ حدثت عدة ثورات في بلاد الجزيرة والشام،فثار أبو محمد السفياني ـ وهو يزيد بن عبد الله بن معاوية بن أبي سفيان ـ بما لديه ، وثار محمد بن مسلمة بن عبد الملك في حران وبيضوا وخلعوا طاعتهم .(٣)

وكانت ثورة الموصل سنة ١٣٣ هـ على واليها (محمد بن صول مولى « خثعم ») لأن الموصل من أكثر البلاد حباً لبني أمية ، فأخرجوا ابن صول من المدينة وقالوا : « لا يلي أمرنا مولى لخثعم » بعد أن كان يتولاها أجل أمراء بني أمية .

وكان السفاح قد ولى ارمينية رجلاً من الازد من آل المهلب ، فوافى الموصل ، فاجتمع اليه المواصلة وطلبوا منه ان يتولى امرهم ، فاجابهم الى ذلك .

(×) يقع جنوب « الزاب الاعلى ، عند مصبه في نهر دجلة .

(١) وتسمى ايضاً « بلط » وتعرف اليوم « باسكي موصل » اي الموصل القديمة ، تقع على دجلة شمال الموصل وقد اصدر عنها السيد عبد الله امين اغا كتاباً .

(٢) الكامل ، ٥ : ١٦٩ ـ ١٧٤ .

(٣) اليعقوبي ، ٣ : ٩١ ـ ٩٣ ، الكامل ، ٥ : ١٧٦ ـ ١٧٧ .

إلى السفاح يعلمه بالامر . فكتب السفاح الى ابن صول : « أن
يأتيك أمري » . وكتب السفاح الى المهلبي : « ان خلف أصحابك
وانحدر » . فانحدر المهلبي . نفذ السفاح جماعة الى المهلبي ثقبوا
وعرقوه .

على ان يفتك بالموصل قبل ان يتفاقم الأمر بها . بعد ان قضى
الجزيرة والشام . فولى أخاه يحيى بن محمد عليها . فسار هذا اليها في
فارس من الموالي والخراسانيين . فنزل دار الامارة المجاور للمسجد
صول ان ينزل المنقوشة قصر الحر بن يوسف . ونهاه عن النزول
وادخال سورها .

مقداما . ناقص العقل . متخلفاً في جميع اموره . وكان يفعل اشياء
وابوته . فوجه معه السفاح جماعة من مشائخ الدعوة . يقومون
ويكاتبون الناس عنه[1] .

بن محمد وابن صول شهراً لا يظهران للناس شيئاً ينكرونه . ولا
فيما فعلوه . واخلوا يترقبون الفرصة للفتك بأهل المدينة[2] .

من الخراسانيين والموالي . قد غرتهم نشوة الانتصار والقضاء على
يحسنوا معاملة الناس . وصادف ان امرأة من أهل الموصل اراقت
طست وهي على سطح لها . فوقعت على رأس رجل من أهل خراسان من
في شارع من شوارع الموصل . فتعتب الجندي واجتمع معه اصحاب
الموصل . فجر ذلك الى القتال بينهما . فقال ابن صول ليحيى :
أهل الموصل . فلو بادرناهم فذاك الصواب .

الأزدي . وكان في اهل الموصل ـ اذ ذاك ـ عز ومنعة . وكان
وثوب اهل البلد به . فأشار عليه ابن صول بمبادرتهم . فوجه
على جبة البر والتكرمة . ودعاهم الى المنقوشة . فلما اجتمعوا عنده
الى غرفة . وقتلهم واحداً بعد واحد . ووضع رؤوسهم في اطباق
الى يحيى بن محمد . واهل البلد لا يعرفون .

البلدان : ١٠٠ ـ ١٠١ .
الموصل . تاريخ الموصل للازدي . حوادث سنة ١٣٢ هـ . اليعقوبي : ٣ : ٩٤ . الكامل : ٥ :
٧٥ .
يتخذ من أغصان الطرفاء . وأدركنا استعمالها في الموصل .

ولما علم اهل البلد بالأمر نفروا وخرجوا بالسلاح ، فاعطاهم الامان ، ونادى المنادى ، من دخل المسجد فهو آمن بأمان الله وأمان رسوله ، فأتى الناس الى المسجد يهرعون ، فاقام الرجالة على ابواب المسجد وغلقها ، واحاطت الخيل والرجالة بالمسجد ، فاقبل ابن صول يخرج الرجال ويقتلونهم قتلاً ذريعاً ، فأول من اخرج معروف بن ابي معروف العابد ومعه ابنه ، فقال له ابن صول ، امدد عنقك فقال معروف ، ما كنت بالذي اعينك على معصية الله ، فقتله وقتل ابنه ، واخرج ابان وكان امام المسجد فضربت عنقه وعنق ابنه ، وهكذا ما زالوا يخرجون الرجال ويقتلونهم حتى قتلوا احد عشر الفاً ممن له خاتم ، وممن لا خاتم له خلق كثير .

فلما كان الليل سمع يحيى بن محمد صراخ النساء اللواتي قتل ازواجهن ، فقال ما هذا الصراخ يا بدر ـ لغلام له ـ قال بدر ، هذا صراخ النساء اللاتي قتل أزواجهن ، قال يحيى ، فاذا كان غداً فلا تدعوا امرأة ولا صبياً الا قتلتموه ، فقتل الرجال والصبيان والنساء ثلاثة أيام تباعاً ، وأتى الجند بأعمال منكرة ، وذكروا أنهم قتلوا ثلاثين ألف شخص ، ويذكر اليعقوبي أنه قتل ثمانية عشر ألفا من صلب العرب ، ثم قتل عبيدهم ومواليهم وافناهم ، وفتك جند خراسان بها فتكاً حتى قتلوا النساء والاطفال ونهبوا المدينة ثلاثة أيام (××) ويذكر الازدى ان الزنج جمعوا ثلاثين الف خاتم بعد قتل اهل الموصل .

ان ابن صول خدع الناس ودعاهم الى أمان الله ورسوله ، فاستجابوا له ظناً منهم أنه يصدق بقوله حتى قال بعضهم لبعض ، قوموا الى أمان الله ورسوله ، ولكن بعد أن غص المسجد بالناس حصرهم وفتك بهم ، ولولا هذا للقي من اهل الموصل مقاومة ، ومع انهم كانوا في المسجد عزلاً عن السلاح ، فان اربعمائة رجل منهم صدموا الجند فأفرجوا لهم .

وان بعضهم لم يستسلم الى رجل خان امانة الله ورسوله ، فخلع احدهم عمود المنبر وهاجم الجيش وجاهدهم حتى قتل ، وان ابنة الصباح بن الحصين المزني تحزمت بازار وعمامة ، وسيف ابيها في يدها ، وهاجمت العلوج الذين اجتازوا داره ، وقاتلتهم ، فقتلت اربعة منهم ، ثم ضربوها في رأسها وخاصرتها وماتت ، وكان

(××) هذا ما نقله المؤرخون ـ ولا شك ان فيه شيئاً من المبالغة ـ ولكن القتل كان كثيراً حتى ان اسواق الموصل بقيت معطلة عدة سنين ـ كما نقلنا .

ابوها من رجال الموصل ، ممن قتلهم ابن صول في المنقوشة . وان الخراسانية دخلوا داراً ليقتلوا من فيها ، فوجدوا فيها امرأة عربية ، فقال احدهم : هذه نسبيها . فأجابته ، كذبت يا ابن اللخناء مثلي لا يسبى .

كانت هذه الفاجعة بتدبير مولى خثعم ابن صول . وفتك الموالي الخراسانية بمدينة تعتز بعروبتها ومنعتها .

ولما كان في اليوم الرابع من قتل أهل الموصل ، ركب يحيى بن محمد وبين يديه الحراب والسيوف المسللة ، فاعترضته امرأة من دار الحرث بن الجارود ، فأخذت بالشكيمة ، وقالت له : « أما أنت من بني هاشم ؟ أما أنت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ اما تأنف للعربيات المسلمات » وكان معه قائد في اربعة آلاف زنجي - فلما كان من غد امر بجمع الزنج في جدة بني الجبحاب للعطاء ، وامر قواده ان يقتلوهم ، فقتلوهم اجمعين ، وطرحوهم في الجدة ، وهذا نموذج آخر من نقصان عقله وسوء تصرفه .

كان السفاح ومواليه قد دبروا لهذه الفاجعة ، ولما عزم على الفتك بالموصل ، أرسل أخاه يحيى - وهو من علمنا قلة عقله - ومعه ابن صول فدبروا ما كان في الموصل من قتل ذريع ، لم يخلص منه حتى النساء والاطفال ، وبقيت أسواق الموصل معطلة عدة سنين ، ثم بعد ذلك عزل السفاح يحيى عن الموصل ، لكي يظهر للناس ان ما فعله لم يكن بعلمه وتدبيره ، وتدبير رجاله الذين أرسلهم مع أخيه . ويذكر المؤرخون أن أم سلمة المخزومية - زوجة السفاح - سألته : يا أمير المؤمنين فيم قتل أخوك أهل الموصل ؟ قال لها السفاح : لا وعيشك لا أدري . ولم ينكر الامر[١] .

فهل يعقل ان ما كان من قتل وتدمير في الموصل من غير علم الخليفة ؟ فاذا كان هذا بغير علمه يكون خليفة مستضعفاً مغفلاً لا يعلم من امور بلاده شيئاً . ولا يهتم بمجزرة كانت في مدينة عربية مسلمة .

كان لهذا وقع سيء في البلاد ، ومن ذلك : لما سمع عويمر الاعرابي بما جرى في الموصل - وهو من المحدثين - صار يبكي ويقول : كذب والله من زعم ان هؤلاء مسلمين . وثار شريك بن شيخ المهري ببخاري على ابي مسلم وما يأتيه من قبيح الاعمال وقال : ما على هذا اتبعنا آل محمد ان تسفك الدماء وان يعمل بغير الحق[٢] .

---

(١) جمهرة انساب العرب ، ٢١

(٢) الكامل ، ٥ ، ١٨٢

- ٢ -

وفي سنة ١٣٤ هـ = ٧٥١ م) عزل السفاح اخاه يحيى عن الموصل، لقتله اهلها، كأن قتلهم لم يكن بعلمه وتدبيره، وقلدها عمه اسماعيل بن علي بن عبد الله بن العباس، فقدمها، ونزل قصر الأمارة، ووجد الموصل معطلة الاسواق، خالية من الرجال، وقد رحل عنها من سلم من القتل، وأذن بالصلاة جامعة، فاجتمع الناس في المسجد الجامع وخطبهم، ومما قاله : « لولا انا أهل بيت مغفور لنا لحقت على يحيى بن محمد النار لما صنع بكم، ولكنني سأرد المظالم عليكم، واحسن السيرة فيكم(١) » .

وهي خطبة غريبة كأن ما جرى في الموصل من قتل الوف الا برياء رجالاً ونساءاً واطفالاً لا يؤاخذ عليه يحيى بن محمد لأنه من اهل بيت مغفور لهم - حاشا لله ان يغفر لمن قتل نفساً واحدة بغير ذنب .

وكتب اسماعيل بن علي الى السفاح يعلمه بحال البلد وخرابه، فكتب اليه السفاح : « ارفق بالناس وتألفهم » .

ورأى اسماعيل بن علي ان يحيى بن الحر بن يوسف يسكن قصره « المنقوشة » وله ضياع في البرية، وقد سلم من قتل يحيى بن محمد، فلم يرق له بقاؤه، وكان يحيى بن الحر يركب في غلمانه ومواليه في نحو مائة فارس، ومعه الفهود والصقور والبزاة، يخرج الى الصيد في ضياعه .

وجه اسماعيل بن علي قائداً من قواده الى الوادي المعروف (بالمقلوب) من طريق (المرج)(٢) يتربص ليحيى اذا صار الى المقلوب يريد ضياعه فيقتله، فقتله القائد، فنكب اسماعيل اسرة الحر بن يوسف، ولم يبق منهم من يعولهم، فأشفق عليهم (عبيد) مولى الحر، فحوى قصره ودوره وفنادقه، وجمع عياله وقام بأمرهم، وزوج بناتهم ببنيه، فسعى به قوم من اهل الموصل الى اسماعيل بن علي، وقالوا : ان عبيداً - وهو مولى الحر - قد زوج بنيه بنات الحر، فبعث اليه اسماعيل واراد

---

(١) انظر عن ولاية اسماعيل، تاريخ الازدي، حوادث سنة ١٣٤ - ١٤٢هـ، الكامل : ٥ : ١٨٠، ١٩٥، ٢٠٩ .

(٢) ويعرف بمرج ابي عامر، ومرج الموصل، وهو السهل الممتد من سفوح التلال المجاورة لجبل مقلوب الى قرب عقرة (معجم البلدان، ٨ : ١٦) اما وادي المقلوب فهو جنوب جبل مقلوب وفيه يمر الطريق الموصل الى المرج .

قتله . فقال عبيد : « اصلح الله الامير ، قتل الرجل واصطفي ماله ، وبقي حرمه حيارى لاشيء لهم ، فجمعتهم وحصرت عليهم وأنا مولاهم ، والذي بلغك غير هذا باطل ، فان رأى الامير ان يأمر بمسكن فيسكنونه ، فامر لهم بدار الحاكة ، فأعطوهم اياها .

كتب اسماعيل بن علي بعد ان قتل يحيى بن الحر الى المنصور يخبره بما فعل ، وان يحيى كان في عدة وكان يخشى جانبه ، واستوهب من الخليفة ضياعه ، فوهبها له ، واخرج آل الحر منها .

وبقيت الموصل مضطربة واعمالها منتقضة وعمارتها ناقصة ، لقلة الايدي العاملة فيها ، وان اسماعيل كتب الى المنصور يصف له حال الموصل ، وما هي عليه من الاختلال ، فكتب اليه المنصور يأمره بحسن السيرة والاحسان الى اهلها ، فلم يرفع اليه طول ولايته الموصل درهماً ، بل انفقه على اصلاح المدينة وعمارتها .

ومن اعمال اسماعيل العمرانية في الموصل : ان اسواق الموصل كانت حول جامعها ، وفي سنة (١٣٧ هـ = ٧٥٤ م) نقل اسماعيل الاسواق الى مقبرة اهل الموصل ، ونقل المقبرة الى الصحراء خارج الدروب ، وابتنى المسجد المعروف بـ (ابي حاضر) الذي في وسط الاسواق[١] ، وتراجع الناس الى الموصل ، واصلح اسماعيل حالها ، وانشأ في سوق الطعام فندقاً عرف بفندق اسماعيل ، وحماماً عرفت بحمام اسماعيل .

فكان اسماعيل من الولاة الذين نفعوا المدينة ، فسعى في عمارتها ، وأمن السكان ، فتراجع الناس الى البلد ، بعد ان كانت اسواقها معطلة ، فأحبه اهل البلد ، وحج بالناس سنة ١٣٧ هـ ، وهو امير الموصل[٢] .

ـ ٣ ـ

وفي سنة (١٤٢ هـ = ٧٥٩ م) عزل المنصور عمه اسماعيل بن علي عن الموصل وولى امرها (مالك بن الهيثم الخزاعي) ـ وكان احد نقباء بني العباس ودعاتهم ـ فأبى اسماعيل ان يسلمها ، وامر (زياد بن مشكان) ـ وكان مرابطاً بالموصل في الفين ـ ان يقاتل مالك بن الهيثم الخزاعي ، فلم يقاتله مالك ، وكتب الى المنصور يعلمه بالامر ، فكتب المنصور الى ابن مشكان : « ان كنت سامعاً مطيعاً فسر الى

---

(١) ويعرف اليوم بمسجد الشالجي (جوامع الموصل : ٥٠ ـ ٥١) .

(٢) كان المنصور يعتمد عليه واناب عنه في امارة الحج ، ولما كان في مكة توفي اميرها العباس بن عبد المطلب بن معبد ، فضم اسماعيل اعمال مكة الى امير المدينة المنورة (زياد بن عبد الله) واقره المنصور على هذا (الطبري : ٩ ، ١٦٩) .

مالك بن الهيثم » . فلم يعلم اسماعيل الا وابن مشكان قد صار الى مالك في الجانب الشرقي من المدينة . واسماعيل في الموصل . وقطع الجسر . فانكسر اسماعيل . وبعث الى السفن فنقل متاعه الى بغداد . ودخل مالك بن الهيثم الموصل . وقد اثنى المؤرخون على مالك « كان خير امير وانصفه »(١) .

— ٤ —

وفي سنة (١٤٥ هـ = ٧٦٢ م) ولى ابو جعفر المنصور ابنه ... معه (حرب بن عبد الله الرويدي) وكان هذا من اكابر قواد المنصور ... الحربية ببغداد . فبنى حرب بأسفل الموصل قصراً جميلاً ... المنصور . وفيه ولدت زبيدة بنت ابي جعفر المنصور وزوجة الرشيد ...

ويذكر ابن الاثير عن قصر حرب أنه كان ملكاً لأبناء ... يومنا هذا قرية كانت ملكاً لنا . فبنينا فيها رباطاً للصوفية ... جمعت كثيراً من هذا الكتاب ـ الكامل في التاريخ ـ في ... بها . وهي من انزه المواضع وأحسنها وأثر القصر باقٍ الى الآن ...

تسلم العباسيون الموصل ومالها كثير وأعمالها واسعة ... بعمرانها وتجارتها . فكانت قاعدة بلاد الجزيرة . ومن المدن الكبيرة ... لاقته المدينة من عناية الامويين في عمارتها وتقدمها ...

— ٥ —

اما في عهد الولاة العباسيين فكانت المدينة . كثيرة الثورات ...

١ ـ سياسة الشدة التي اتبعها العباسيون مع اهل الموصل ... المذبحة التي دبرها ابن صول ـ مولى خثعم ـ وقتل عشرات ... مما جعل الموصل ناقمة على العباسيين . كلما وجدت ...

---

(١) تاريخ الازدي ، ١٧٧ ـ ١٧٨ ، الكامل ، ٥ ، ٢٠٦ .

(٢) تاريخ الازدي ، ١٩٤ ـ ١٩٧ ،الكامل ، ٥/٣١٥ ، عقائل قريش ، ٦٤ .

الذين لم يحسنوا سياستها ، ولم يسلكوا معها سياسة اللين والمداراة ـ كما كان يفعل الامويون ـ بل استعملوا القوة والعنف والشدة ، فكانوا يرسلون اليها اعنف الولاة واقساهم ـ الا قليلاً منهم ـ كما كانوا يرهقون الناس في جمع الضرائب ، وارسلوا اليها اشد الجباة قسوة ، كمتجاب والحرسي وغيرهما ، وفي سنة ٢١٧ هـ طولب اهل الموصل بأداء الخراج في يوم واحد(١) وغير ذلك ، فكان هذا سبباً في استفزاز اهل المدينة ونفورهم من الحكم العباسي ، وبلغ من قسوة جباة الضرائب ان كثيراً من سكان الموصل واعمالها اضطروا الى الهجرة الى اذربيجان وغيرها من البلاد ، فخربت القرى الكثيرة(٢) .

ولو ان العباسيين احسنوا سياسة اهل الموصل ، وولوا عليها من كان حسن السيرة ، رفيقاً بالناس لكان خيراً لهم ولأهل المدينة ، وقد رأينا هدوء المدينة عندما تولاها اسماعيل بن علي العباسي ، وكذا في ولاية خالد بن برمك وكان هذا عاقلاً ، حسن السيرة مع اهل البلد ، رفيقاً بهم فأحبوه واحترموه من غير خوف منه ، ولو ان من اعقبه من الولاة ساروا على ما سار عليه ابن برمك لهدأت الاحوال فيها وانصرف الناس الى اعمالهم ، ولكن من اعقبه لم يتبع هذه السياسة ، فكان الناس معهم في ضيق وعناء .

وبلغ من عنف الخلفاء العباسيين مع اهل الموصل ان المنصور اخذ عليهم عهداً اذا ما خرجوا عليه حلت له دماؤهم واموالهم ، وهو شرط مجحف ، يمليه قوى متحكم على اناس عزل من السلاح ، ولو لا موقف الامام ابي حنيفة مع المنصور لفعل في المدينة ما فعل .

كما ان الرشيد نفسه عامل اهل الموصل بنفس الشدة التي سار عليها جده المنصور ، ولما ثار اهل الموصل سنة ١٨٠ هـ قصد المدينة واقسم ان يقتل اهلها ويخرب سورها ، فلولا تدبير ابي يوسف القاضي لاعاد الرشيد مجزرة ابن صول في الموصل .

وفي سنة ١٩٤ هـ وثب اهل الموصل بأبراهيم بن العباس الذي لم يحسن ادارة البلد ، فأرسل الامين «الحسن بن عمران الطائي» لينظر بين ابراهيم وبين اهل الموصل ، فنظر في الامر ، واقاموا عليه الحجة مع ان ابراهيم بذل للحسن بن

---

(١) تاريخ الازدي ، ٤١٠ .

(٢) تاريخ الازدي ، ٢٨٧ .

عمران مائة الف على ان يزوي الحجة عنه . فتنزه عن ذلك . وقال : لو بذلت لي ما في بيت الموصل ما قلت الا الحق . فعزله الامين(١) .

٢ ـ استياء العرب من العباسيين الذين قدموا الاعاجم ، وعزلوا العرب عن الدولة ، فكان الاعاجم هم المتحكمين في سياسةالدولة . وهذا ما لم يرض به سكان الجزيرة والموصل وغيرهم .

فثورة الموصل على ابن صول لأنهم لم يرضوا ان يتولى مدينتهم مولى لخثعم . بعد ان كان يتولاها اجل الولاة من البيت الاموي وغيره . وهو ما حمل السفاح ان يسرف في قتل اهل الموصل على يد مولى خثعم ـ ابن صول ـ الذي اخرج الناس من المسجد الجامع وقتلهم واحداً بعد الآخر . بعد ان اعطاهم يحيى بن محمد امان الله وامان رسوله .

وفي سنة ١٩٨ هـ (٨١٣ م) خرج (نصر بن شبث العقيلي) في بلاد الجزيرة على المأمون ، وقوى امره ، واستولى على عدة بلاد . ولما عوتب على خروجه قال : « وانما محاربتي اياهم ـ بني العباس ـ محاماة عن العرب . لان بني العباس يقدمون عليهم العجم »(٢). وكان هوى نصر مع الامين لميل الامين الى العرب(٣) .

ومن ذلك ايضاً ان الخليفة المعتمد على الله استعمل على الموصل (اساتكين) وهو من اكابر قواده فأناب عنه ابنه (اذكوتكين) فسار اليها في جمادي الاولى سنة ٢٥٩ هـ (٨٧٢ م) . وكان هذا سيء السيرة مع اهل البلد . لا يتقيد بشعائر الدين . يظهر الفسق والشرب امام الناس . وحدث في عهده ما استنفر اهل البلد واخرجوه منها . ومما قام به من سيء الاعمال :

١) لما كان يوم النوروز . دعا اذكوتكين وجوه اهل البلد الى قبة اقامها في الميدان(٤) واحضر انواع الملاهي وشرب الخمر ظاهراً .

٢) كان يصادر ما يستحسنه من اموال الناس . فلا يسمع بفرس جيد عند احد الا صادره .

٣) كان في السنة برد شديد ، اهلك الاشجار والثمار والحنطة والشعير . فطالب الناس بالخراج على الغلات التي هلكت . فاشتد ذلك عليهم .

---

(١) ابو زكريا الازدي . ٣٣٢ .

(٢) انظر ما قاله في تاريخ الازدي . ٣٣٩ .

(٣) تاريخ الازدي ، ٣٢٨ ـ ٣٤٤ . الكامل : ٦ ، ١٠٩ ، ١٣٤ .

(٤) الارض التي ظاهر المدينة في الشمال منها . تمتد من ساحل دجلة الى مدفن الفتح الموصلي ـ وسنعرض لها عند كلامنا عن خطط المدينة .

٤) ان اتباعه كانوا يتجاهرون بالفسق وفعل المنكرات ، ووثب رجل من اتباعه على امرأة فأخذها من الطريق . فامتنعت واستغاثت ، فقام رجل يدعى ادريس الحميري ـ وهو من اهل القرآن والصلاح ـ فخلصها من يده ، فذهب الجندي الى اذكوتكين وشكا اليه فعل الحميري ، فأحضره وضربه ضرباً شديداً من غير ان يحقق في الامر ، فأستاء اهل الموصل من هذا ، واجتمعوا في الجامع وقالوا : قد صبرنا على اخذ الاموال وشتم الاعراض وابطال السنن ، والعسف ، وقد افضى الامر الى اخذ الحريم ، واجمعوا على اخراج اذكوتكين واصحابه من البلد مهما كلف الامر ، ثم رفع الامر الى الخليفة .

ولما علم اذكوتكين بهذا ، ركب اليهم بجنده ، واخذ معه النفاطين ، وتوجه الى الجامع ، فحمل المواصلة عليه وقاتلوه قتالاً شديداً حتى اخرجوه عن الموصل ، واصابه حجر فأثخنه ، ونهبوا داره ، فسار الى بلد ، ثم منها الى سامراء ، واجتمع الناس الى (يحيى بن سليمان) وقلدوه امرهم ، وبقي في الولاية الى نهاية سنة ٢٦١هـ

وفي سنة ٢٦١ هـ كتب اساتكين الى الهيثم بن عبدالله بن المعمر التغلبي العدوي في ان يتقلد الموصل ، وارسل اليه الخلع واللواء ـ وكان بديار ربيعة ـ فسار بجموع كثيرة ، فمنعه اهل البلد من دخولها ، وقاتلوه قتالاً شديداً ، فارتد عنهم خائباً .

واستعمل اساتكين على الموصل (اسحق بن ايوب التغلبي) فتوجه اليها في عشرين الفاً ، منهم حمدان بن حمدون التغلبي ـ جد الحمدانيين ـ فنزل عند الدير الاعلى ، فقاتله اهل الموصل ، ومرض يحيى بن سليمان الامير ، فجد اسحق في الحرب ، فانكشف الناس بين يديه ، فدخل البلد ووصل الى سوق الاربعاء واحرق سوق الحشيش ، وخرج عليه زياد بن الواحد وعلق في عنقه مصحفاً واستنفر الناس ، فأخرجوا اسحق من الموصل ، ثم اخذ يراسل اهل الموصل ويعدهم بحسن السيرة ، فأجابوه على ان يدخل البلد ويقيم بالربض الاعلى ، فدخل واقام سبعة ايام ، ثم وقع بين بعض اصحابه وبين قوم من اهل الموصل شر ، فرجعوا الى الحرب ، واخرجوه عنها ، واستقر يحيى بن سليمان في الموصل(١) وهكذا نجد اكثر الولاة لا يحسنون ادارة المدينة ، مما دعا اهلها الى التمرد .

---

(١) الكامل ، ٧ ، ٩٥ ـ ٩٦ .

حركات الخوارج

وحركات الخوارج في بلاد الجزيرة كانت من العوامل التي اضعفت الدولة الاموية في اواخر ايامها . واستمرت الى القرن الثالث للهجرة . وقد يستولون على الموصل . ويخطبون على منبرها . كما ان اهل الموصل كانوا اذا شعروا بقوة الخوارج مالوا الى مهادنتهم ومحالفتهم، وقد يستعينون بهم في مقاومة امير لا يرتضون حكمه .

وحركات الخوارج لم تؤد الى نتيجة حاسمة . تسودهم العقلية البدوية . يندفعون في تأييد ما يذهب اليه رؤوساؤهم . ويبذلون انفسهم في نصرتهم ولكنهم لم يثبتوا على مبدأ . سريعو الانقسام . وربما حارب بعضهم بعضاً . فاذا ما غلبوا على امرهم سلكوا اوعر الطرق واصعبها . ثم اذا ما آنسوا فرصة . يثورون ويحاربون . ولا يستقرون في محل ثابت .

وبلاد الجزيرة تسكنها قبائل بدوية . يعتمد أكثرها على الرعي في معاشهم . ولاقت حركتهم مرتعا خصبا عندهم لفقر حالهم وبساطة عقولهم . ولكنها لم تكن راسخة في نفوسهم . ومن حركاتهم :

ففي سنة ١٣٧ هـ (٧٥٤ م) خرج (ملبد بن حرملة الحروري الشيباني) على المنصور . بناحية الموصل . فأرسل اليه المنصور عدة حملات . هزمهم ملبد . وتفاقم أمره بانضمام الخوارج اليه لانتصاراته على جيش الخليفة .

وفي سنة ١٣٨ هـ (٧٥٥ م) أرسل اليه المنصور جيشا بقيادة حازم بن خزيمة ، ومعه عدة قواد . فضيقوا على ملبد الخناق . وقتلوه مع ثمانمائة رجل من أتباعه[١]

وفي سنة ١٤٨ هـ (٧٦٥ م) خرج (حسان بن مجالد بن يحيى بن الأجدع الوادعي الهمداني الموصلي) على ابي جعفر المنصور في قرية (بافخاري) من قرى الموصل . وهمدان من أنصار الامام علي بن ابي طالب (ك) . وان حسان أخذ مذهب الخوارج الحرورية عن جده لأمه . كما كان خاله (حفص بن أشيم) من فقهاء الخوارج . وهو موصلي أيضاً . وكان يتولى العقود للخوارج اذا خرجوا اليه . يرجعون اليه ويفخرون به . واجتمع على حسان رأي الجد والخال . فوجه اليه

---

(١) تاريخ الأزدي ، ١٦٦ . الكامل ، ١٩٥ ـ ١٩٦ الامامة والسياسة ، ٢ ، ١٥٢

المنصور الصقر بن نجدة بن الحكم الأزدي الموصلي . فالتقى معه بمزرعة (باجلدا) من (باعذرا)(×) فهزمه حسان الى جسر الموصل . فاحرق سوق الجسر ونهبه .

وحنق المنصور على أهل الموصل ، وعزم على أن يعيد فيهم ما فعله اخوه يحيى بن محمد ، لأنه كان شرط عليهم أن لا يخرجوا عليه . فان خرجوا حلت له دماؤهم وأموالهم .

وأراد أن يحصل على فتوى من علماء المسلمين تبيح له هذا . واستدعى من الكوفة الأمام أبا حنيفة ، وابن أبي ليلى ، وابن شبرمة ، فشخصوا اليه ، فقال لهم : اليس تروون عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « المؤمنون عند شروطهم » قالوا نعم ، فبين لهم أن أهل الموصل شرطوا أن لا يخرجوا عليه . فان خرجوا حلت لي دماؤهم وأموالهم ، وقد فعلوا .

فقال ابن شبرمة وابن أبي ليلى : « رعيتك ويدك المبسوطة عليهم ، وقولك المقبول فيهم ، فان عفوت فأهل لذاك ، وان عاقبتهم فبما يستحقون » .

ثم التفت أبو جعفر المنصور الى الامام أبي حنيفة ، وقال له : « ياشيخ اياك أردت فتكلم » فقال له الامام أبو حنيفة : يا أمير المؤمنين ، أليس انك في بيت أمان ؟ قال نعم . قال أبو حنيفة : شرطوا لك ما لا يملكون ، وشرطت عليهم ما ليس لك ، وأخذتهم بما لا يحل لك ، وشرط الله أحق ان يوفى . أرأيت لو أن رجلا اشترطت عليه شيئا فان لم يفعله فدمه حلال ، أكان يحل دمه ؟ ولو أن امرأة أباحت فرجها بغير عقد نكاح ، أكان يجوز اباحتها اياه ؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يحل دم امرىء مسلم الا باحدى ثلاث خصال : كفر بعد ايمان ، وزنى بعد احصان ، وقتل بغير حق » فقال المنصور : ياشيخ القول ما قلته ، وكف عن التنكيل بالموصل[1] .

وكان على الموصل (موسى بن مصعب) ـ وكان أخا المهدي في الرضاعة ـ والبلد كثير الخوارج ، مرتبك الاحوال ، وعجز موسى عن تهدئة الاحوال ، فغضب عليه المنصور ، وأمر ابنه محمد المهدي أن يسير الى الرقة سنة ١٥٨ هـ ، وأن يجعل طريقه على الموصل ، فاذا صار في البلد أخذ موسى بن مصعب وقيده ، ففعل ذلك المهدى ، فانتفضت عليه الموصل ، وانتشر الاكراد في الاطراف .[2]

---

(١) تاريخ الازدي حوادث سنة ١٤٨ هـ . الكامل ، ٥ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٦ ، ٦

(٢) الامامة والسياسة ، ٢ ، ١٥٢

(×) من قرى قضاء عين سفني ـ يسكن بها رئيس اليزيدية ، بافخارى ، وتسمى باجباره ، على الخوسر ، كان يمر تحت قناطرها ، معجم البلدان ، ٢ ، ٤٣ ، ٤ ، ٢٣

وجمع المنصور أهل الرأي واستشارهم فيمن يولي أمر الموصل ، وقد تفاقم أمر الخوارج فيها ، وانتشر الاكراد في اطرافها ، فأشار عليه (عمارة بن حمزة) ان يولي عليها (خالد بن برمك) ، وقال له ، « يا أمير المؤمنين ما رميتها بمثل خالد » .

فولى خالد بن برمك الموصل ، فسار اليها ، وساس الناس بالحسنى ، أحسن الى المطيع ، وقهر المفسدين وكفهم ، فهدأت الاحوال في المدينة ، وهابه أهل البلد هيبة شديدة لحسن سياسته وكثرة احسانه اليهم ، ويقول عنه احمد بن محمد بن سوار الموصلي : « ماهبنا أحداً قط هيبتنا لخالد بن برمك ـ من ولاتنا ـ من غير ان تشتد عقوبته او نرى جبرية منه ، لكن هيبة كانت له في صدورنا »(١) .

فهدأت المدينة على عهد خالد ، ولكن الضغائن في القلوب كانت كامنة ، وبعد ولاية خالد رجعت حركة الخوارج الى ما كانت عليه .

ان العباسيين لم يحسنوا اختيار الولاة لهذه المدينة ، فكان همهم جمع المال واستعمال الشدة مع الناس ، ولذا ، استمر التذمر في البلد ، ولم يهدأ لهم حال ، وكثرت الخوارج في الموصل والجزيرة ، حتى اضطر العباسيون ان يعينوا قائداً خاصاً يعقب أمر الخوارج في بلاد الجزيرة وهو « صاحب أمر الخوارج في الجزيرة »(٢) .

وفي سنة ١٦٠ هـ خرج بأرض الموصل (عبد السلام بن هاشم اليشكري) فكتب اليه المهدي يدعوه الى الطاعة ، ولكنه لم ينته ، وقوى امره وكثر اتباعه ، فوجه اليه المهدي عدة جيوش ، فلم يتمكنوا عليه ، ثم توجه اليه شبيب بن واج المروزي ، فادركه في (قنسرين) سنة ١٦١ هـ (٧٧٧ م) وقتله(٣) .

وفي سنة ١٦٨ هـ خرج (ياسين) من تميم ، وكان يرى رأى (صالح بن مسرح) فخرجت اليه روابط الموصل فهزمهم ، واستولى على ديار ربيعة والجزيرة ، فوجه اليه (أبا هريرة محمد بن فروخ) و (هرثمة بن اعين) فحارباه وثبت امامهم ، وما زال يقاتل حتى قتل مع عدة من اصحابه وهرب الباقون(٤)

---

(١) تاريخ الازدي ، ٢٠٧ ـ ٢٠٩ ، الكامل ، ٥ ، ٢٣٦ .

(٢) تاريخ الازدي ، ٢٥٨ .

(٣) تاريخ الازدي ، ٢٤٢ ، الطبري ، ٩ ، ٣٤١ ، الكامل ، ٦ ، ١٨ ـ ٢١ .

(٤) تاريخ الازدي ، ٢٥١ ـ ٢٥٢ ، الكامل ، ٦ ، ٢٨ .

واعقب هذا خروج (حمزة الخارجي) سنة ١٦٩ هـ ، فوجه اليه أمير الموصل جيشاً التقى معه في قرية (باعربايا)(١) فدحرهم الخارجي وكثر اتباعه ، فدبر اليه صاحب أمر الخوارج بالجزيرة من قتله غيلة(٢) .

وفي سنة ١٧١ هـ خرج (الصحصح الحروري) بالجزيرة ، فدبر اليه الرشيد أحد قواده (علي بن حرب) فهزم الخارجي الى الموصل ، فلقي روابطها في (باجرما)(٣) فهزمهم وقتل منهم ، ثم رجع وغلب على ديار ربيعة ، فأرسل اليه الرشيد احد وجوه القواد (نصر بن عبد الله الضبي) فلحقه (بدورين) وقتله (٤) .

وفي سنة ١٧٣ هـ خرج (الفضل بن سعيد الراداني) ببلاد الجزيرة ، وجاء الى بلد ، فصالحه أهلها على مائة ألف ، ثم سار الى (نصيبين) و (آمد) و (خلاط) و (أرزن) فصالحه أهل هذه البلاد ، ثم زحف الى الموصل ، فخرج اليه (المعمر بن عيسى) فلحقه بالزاب وقتله سنة ١٧٦ هـ (٧٩٢ م)(٥) .

وهكذا كانت ثورات الخوارج في الموصل والجزيرة ، تكاد تكون متعاقبة ، كلما وجدوا فرصة خرجوا على الدولة العباسية ، وأقلقوا راحتها .

وفي سنة ١٧٧ هـ خرج (العطاف بن سفيان الأزدي) على الرشيد ، وكان العطاف من فرسان أهل الموصل ، فجبى الخراج ، وحبس العمال ، وعجز والي الموصل (محمد بن العباس الهاشمي) عن مقاومته ، وأقام على هذا سنتين وهو صاحب الأمر في البلد .

وهذا ما حمل الرشيد أن يتوجه الى الموصل ليفتك بالمدينة ، ويقتل أهلها ويهدم سورها ، فلما كان في جهينة(٦) عزم العطاف وأصحابه ـ وهم أربعة آلاف فارس ـ أن يبيتوا عسكر الرشيد ليلاً ويفتك به ، ولكن شيوخ أهل البلد وصلحاءه ناشدوه في ذلك ، وحذروه عاقبة الأمر ، فخرج العطاف الى أرمينية .

علم أهل البلد بما عزم عليه الرشيد ، فخرج اليه نفر من وجوه أهلها ومن أهل العلم ، ومعهم جماعة من الأنصار منهم ، فاتصلوا بأبي يوسف القاضي الأنصاري ـ وكان مائلا الى أهل الموصل ـ وعرف حق من قصده ، وأعلمهم بعزم الرشيد على قتل

---

(١) باعربايا ، من قرى الموصل ، وكذا باجميرا من أرض الموصل (معجم البلدان ، ٢ ، ٢٥)

(٢) تاريخ الأزدي ، ٢٥٧ ـ ٢٥٨ ، الكامل ، ٦ ، ٣٩ .

(٣) باجرما ، قرية من اعمال قرب الرقة من ارض الجزيرة (معجم البلدان ، ٢ ، ٢٤)

(٤) تاريخ الازدي ، ٢٦٧ ، الكامل ، ٦ ، ٤١ .

(٥) تاريخ الازدي ، ٢٧٢ ـ ٢٧٥ ، الكامل ، ٦ ، ٤٨ .

(٦) قرية كبيرة من نواحي الموصل على دجلة ، وهي اول منزل لمن يريد بغداد (معجم البلدان ، ٣ ، ١٨٤) ولم تزل خرائبها بادية تعرف بنفس الاسم

أهل البلد . وأشار عليهم أبو يوسف : اذا جن الليل أن يصعد الناس على سطوحهم ويجهروا بالأذان . لعشاء الآخرة . ففعلوا ذلك . وسمع هارون الرشيد كثرة الآذان فقال لأبي يوسف : ما هذا ؟ قال : أذان يا أمير المؤمنين . قال الرشيد : ويحك . هؤلاء مؤمنون ؟ قال أبو يوسف : نعم يا أمير المؤمنين القوم مسلمون وفيهم أهل الصلاح وقراء القرآن . وأهل علم وفقه . قال الرشيد . فما الحيلة في يميني ؟ قال أبو يوسف : تدخلها ليلا . فلا تجد أحدا تقتله . فلا يجب عليك أن تقتل من لا ترى .

وبعث ابو يوسف الى اهل الموصل ان ادخلوا بيوتكم . واغلقوا منازلكم . ولما دخل الرشيد الموصل ودار في اسواقها وشوارعها لم يلق الا رجلاً او رجلين فقتلهما . وامر بهدم سور المدينة . فهدم الناس سورهم بايديهم . وأمن أهل البلد(١) .

فسلم اهل المدينة من فتك الرشيد . الذي اقسم ان يقتل من لقيه من اهل المدينة . وولى حرب الموصل وخراجها (يحيى بن سعيد الحرشي) وعزل (محمد بن العباس) عن الحرب ومنجاب عن الخراج .

وعسف الحرشي اهل الموصل عسفاً شديداً . وطالبهم بخراج سنين مضت . فجلا عن البلد كثير من اهلها . حتى صار ظلم الحرشي مضرب مثل . فقال الناس في هذا : « لم يرضوا بمنجاب . فجاءهم الحرشي » .

ويقال : ان الحرشي جبى من الموصل ستة ملايين درهم . فحملها الى الرشيد . فأمره بدفعها الى خالصة . فلما بلغ الحرشي قال : انا لله وانا اليه راجعون . هلك الناس والصبيان على يدي وتدفع الى مملوكة(٢) . فقال ابو نواس في هذا :

لقد ضاع شعري على بابكم ... كما ضاع در على خالصه

وفي سنة ٢٢٤ هـ (٨٣٨ م) عصى بأعمال الموصل احد مقدمي الاكراد (جعفر بن فهرجس) وتبعه خلق كثير من الاكراد وغيرهم . فاستعمل المعتصم (عبد الله بن السيد بن انس الازدي) على الموصل . وامره بقتال جعفر . وكان جعفر قد

---

(١) تاريخ الازدي ، ٢٨٤ ـ ٢٨٨ . الطبري ، ١٠ ، ٦٨ . الكامل ، ٦ ، ٥٥ . ابو الفدا ، ٢ ، ١٥ . النجوم الزاهرة ، ٢ ، ٥٤ .

(٢) تاريخ الازدي ، حوادث سنة ١٧٧ هـ .

تحصن في (باتعيس) ـ بابغيس[1] فأخرجه عنها عبد الله ، فالتجأ جعفر الى (جبل داسن)[2] فتبعه عبد الله ، فرده جعفر لمناعة بلاده ، ولمعرفة اصحابه بها .

وفي سنة ٢٢٥ هـ (٨٣٩ م) ارسل اليه المعتصم (ايتاخ) وجعل طريقه على سوق الاحد ، وحصر جعفر واصحابه واوقع بهم ، فقتل جعفر وتفرق اصحابه ، فساق ايتاخ اسرى الاكراد الى تكريت[3]

وفي سنة ٢٥٢ هـ (٨٦٦ م) خرج (مساور بن عبد الحميد بن مساور الشاري البجلي الموصلي) بالبوازيج ،[4] واجتمع حوله الاعراب والاكراد ، وقصد الحديثة ، ثم سار منها الى الموصل ، فنزل في الجانب الشرقي منها ، واخذ يقاتل جيش والي الموصل ، واستولى على اكثر اعمالها ، فسار اليه سنة ٢٥٤ هـ (٨٦٨ م) (الحسن بن ايوب بن عمر بن الخطاب العدوي التغلبي) ومعه (حمدان بن حمدون ـ جد الامراء الحمدانية ـ ومحمد بن السيد بن انس الازدي ،) وغيرهما وساروا الى الزاب ، والتقوا في (وادي الرايات) ـ وهو وادي عميق ، واشتد القتال بينهما ، فانهزم عسكر الموصل ، وكثر القتل فيهم ، وسقط كثير منهم في الوادي ، فهلك فيه اكثر من القتلى .

زحف مساور الى الموصل سنة ٢٥٥ هـ ، ونزل بظاهرها عند (الدير الاعلى) فاستتر امير البلد (عبد الله بن سليمان) لضعفه عن مقاتلة مساور ، ولم يدفعه اهل الموصل ايضاً ، لميلهم الى الخلاف ، فوجه مساور جمعاً الى دار امير البلد ، واحرقها ، ودخل مساور الموصل بغير حرب ، فلم يعرض لأحد ، وحضرت الجمعة فصلى بالناس ، وخطب على منبر الجامع ، وقال في خطبته : « اللهم اصلحنا واصلح ولاتنا » وجعل على درج المنبر من يحرسه بالسيوف ، لأنه خاف من اهل الموصل ، وكثرة اهلها ، ثم سار الى الحديثة لانه كان اتخذها دار هجرته .[5]

وفي سنة ٢٥٦ هـ (٨٦٩ م) انقسم الخوارج فيما بينهم ، فتبع جماعة منهم (عبيدة) من بني زهير العموري ، فتقدم اليه مساور بنواحي جهينة[5] ،

---

(١) ذكر عنها ياقوت ، ٢ ، ١٧ ، ناحية بين اذربيجان واردبيل يمر بها الزاب الاعلى .

(٢) جبل شمال شرقي الموصل تسكنه الاكراد الداسنية (معجم البلدان ، ٤ ، ٢٦)

(٣) الكامل ، ٦ ، ١٨٧ .

(٤) بلد قرب تكريت على مصب الزاب الاسفل في دجلة (معجم البلدان ، ٢ ، ٢٩٧) .

(٥) تقع جنوب حمام العليل ولم تزل خرائبها معروفة بنفس الاسم .

سنة ٢٥٧ هـ (٨٧٠ م) . فقتل عبيدة وانهزم اصحابه . واستولى مساور على كثير من العراق ومنع الاموال عن الخليفة . فسار اليه من بغداد (موسى بن بغا) و (بابكيال) وغيرهما في عسكر عظيم . واتبعهم الخليفة المعتمد بـ (مفلح) والتقوا قرب الحديثة . فاحتمى مساور بالجبال التي قرب الحديثة . وجرت بينهما وقعات كثيرة . فضعف جيش مفلح . فسار الى الموصل ومنها الى ديار ربيعة ، سنجار ونصيبين والخابور . فنظر في امرها ثم عاد الى الموصل . فأحسن السيرة في اهلها ، وتأهب للقاء مساور . فلم يتمكن من القضاء عليه . وقوى امر مساور فاستولى على البلاد وجبى خراجها . وما زال امر مساور يقوى ، حتى ادركه اجله في سنة ٢٦٣ هـ (٨٧٦ م) .(١)

وانقسم الخوارج فيما بينهم ، ووقعت بين بعضهم خروب . فولوا أمرهم (هارون بن عبد الله البجلي) فكثر اتباعه واستولى على اعمال الموصل ، وجبى خراجها .

وفي سنة ٢٦٧ هـ (٨٨٠ م) كانت الحرب بين هارون الخارجي ، وبين (محمد بن خرزاد) وهو من الخوارج ايضاً . وسار الى هارون ، وقابله في واسط - وهي محلة بالقرب من الموصل - فخرج اليه وجوه أهل الموصل ، وتوجه اليه هارون الخارجي ، واقتتلوا بالقرب من قرية (شمرخ(×)) . فقتل من اصحاب هارون نحو مائتي رجل ، وانهزم هارون قاصداً بني تغلب . فنصروه وعاد هارون الى الحديثة ، واجتمع عليه خلق كثير ، وكاتب اصحاب ابن خرزاد ، واستمالهم .

اما ابن خرزاد فانه قصد (شهرزور) وحارب الاكراد الجلالية وغيرهم ، فقتل . وتفرد هارون بالرياسة على الخوارج ، وقوى وكثر اتباعه ، وغلبوا على القرى والرساتيق ، وجعلوا على دجلة من يأخذ الزكاة من الاموال المنحدرة والمصعدة ، وبثوا نوابهم في الرساتيق يأخذون الاعشار من الغلات .

وفي سنة ٢٧٢ هـ (٨٨٥ م) دخل هارون الشاري مدينة الموصل ، ومعه (حمدان بن حمدون التغلبي) ، المتوفى حوالي سنة ٢٧٥ هـ وصلى فيهم هارون في جامعها(٢) .

---

(١) الكامل ، ٧ ، ٧٦ - ٨٠ ، ٨١ ، ٩٢ ، ١١٠ .

(×) قرية تابعة لمحافظة دهوك .

(٢) الكامل ، ٧ ، ١٢٩ ، ١٥١ .

ثم توجه الى بني شيبان بين الزابين ، لأنهم عاثوا في البلد ، والتقى معهم في الخازر ، فانهزم هارون نحو الموصل ، وعاث بنو شيبان في البلاد ، وجلى أهل نينوى عنها ، الا من تحصن بالقصور .

وفي سنة ٢٧٩ هـ (٨٩٢ م) زحف بنو شيبان للاغارة على نينوى والموصل ، فتصدى لهم هارون الشاري ، وحمدان بن حمدون التغلبي ، وكثير من المتطوعة المواصلة ، والتقوا مع بني شيبان في بعشيقة ، ومع بني شيبان هارون بن سليمان مولى احمد بن عيسى بن الشيخ الشيباني ـ صاحب ديار بكر ـ وكان قد انفذه محمد بن اسحاق بن كنداج والياً على الموصل ، فطرده اهلها ، فانهزمت بنو شيبان ، وتبعهم حمدان والخوارج ، وملكوا بيوتهم ، واشتغلوا بالنهب ، فكر عليهم بنو شيبان واوقعوا بهم ، وقتل كثير من اهل الموصل .

وكتب هارون بن سيما الى محمد بن اسحاق بن كنداج ، يعرفه بحال البلد ، وانه خارج عن يده ، فخاف اهل الموصل من ابن كنداج ، وانحدر بعضهم الى بغداد ، يطلبون ازالة ابن كنداج ، وارسال غيره فاجتازوا في طريقهم بالحديثة (وبها محمد بن يحيى المجروح) قد ولاه المعتضد الموصل ، فحثوه على تعجيل السير ، وان يسبق ابن كنداج اليها ، ففعل ، فندم ابن كنداج على التباطؤ .

فكتب ابن كنداج الى خمارويه بن طولون يعلمه بالامر ، فأرسل ابن طولون ابا عبد الله بن الجصاص بهدايا الى الخليفة المعتضد كثيرة يطلب منه اموراً منها امرة الموصل ، فلم يجبه ، وبقي المجروح فيها الى ان استعمل المعتضد بعده علي بن داود بن هزار الكردي (١).

وفي سنة ٢٨٠ هـ خرج (ابو جوزة الشاري) ـ محمد بن عبادة من بني زهير من اهل (قبراثا(٢)) من البقعاء على هارون الشاري ، واجتمع اليه الاعراب ، وصار يجبي الزكاة ، ويأخذ عشر الغلات ، وبنى له حصناً قرب سنجار ، جمع فيه الاموال والعتاد ، وجعل فيه ابنه (ابا ملال) .

---

(١) الكامل ، ٧ ، ١٥١ ـ ١٥٣ ، ١٦٢ ، ١٦٣ .

(٢) قرية تابعة لبقعاء الموصل (معجم البلدان ، ٧ ، ٢٤) .

فسار هارون الشاري بأصحابه الى الحصن ، واستولى عليه ، ثم سار الى (قبراثا) وحاصر ابو جوزة واستولى على اصحابه ، فهرب ابو جوزة الى (امد) ، فأخذه صاحبها (احمد بن عيسى بن الشيخ) اسيراً ، وسيره الى الخليفة المعتضد[1]

وكان الخليفة المعتضد مهيباً شهماً ، شجاعاً مقداماً ، سار بنفسه الى لقاء من خرج عليه ، سنة ٢٨١ هـ (٨٩٤ م) ، وقضى على الكثير منهم. قصد الموصل مرتين في تأديب الخوارج [2] والاعراب الذين يعيثون في اعمال البلد ، وخلف فيها (نصر القشوري) يجبي الاموال ، ويعين العمال على جبايتها سنة ٢٨٢ هـ .

وحدث نزاع بين عامل (معلثايا) [×] وبعض الخوارج من اضحاب هارون ، ادى الى قتل (جعفر) احد اعيان اضحاب هارون ، فعادت الحرب بين الطرفين ، وارسل نصر كتاباً الى هارون يتهدده ، ويذكره بقوة الخليفة ، وينصحه ان يلزم الهدوء ، فأجابه هارون بكتاب شديد ، يتوعده به .[3].

فرفع نصر هذا الكتاب الى الخليفة المعتضد ، فولى الخليفة (الحسن بن علي) كورة الموصل ، فجمع هذا الجموع ، وقصد هارون ، فالتقى معه قريباً من (المغلة) ودارت بينهما حروب انهزم في نهايتها اضحاب هارون ، واخذ هارون يتنقل في البرية .

وفي سنة ٢٨٣ هـ (٨٩٦ م) توجه المعتضد الى الموصل ليقضي على حركة هارون ، ولما كان بتكريت احضر (الحسين بن حمدان بن حمدون التغلبي) وسيره في طلب هارون . وقال له الحسين : « ان انا جئت به فلي ثلاث حوائج عند امير المؤمنين ، احداهن اطلاق ابي ، وحاجتان اذكرهما بعد مجيئي به ». فقال له الخليفة : لك ذلك .

فبذل الحسين بن حمدان المتوفى سنة ٣٠٦ هـ جهده في مطاردة هارون ، والتضييق عليه ، وما زال يحاربه حتى القى نفسه عليه ، فأخذه اسيراً ، وجاء به الى الخليفة المعتضد ، فخلع عليه واطلق اباه .

ولما صلب هارون نادى بأعلى صوته : لا حكم الا لله ولو كره المشركون[4].

---

(١) الكامل ، ٧ : ١٦٥ ــ ١٦٦ .

(٢) سنة ٢٨٠ هـ ، سنة ٢٨١ هـ (الكامل ، ٧ : ١٦٥ ، ١٦٦) .

(٣) انظر الكتاب في الكامل ، ٧ : ١٦٨ .

(٤) الكامل ، ٧ : ١٦٩ ، ١٧٠ ، العيون ، ٤ : ١٠ ، ٨٠ ــ ٨١ .

(×) بليدة من نواحي الموصل ـ قرب جزيرة ابن عمر (معجم البلدان ، ٨ : ٩٩)

هذه نبذة عما كانت عليه الخوارج في الموصل وما حولها . كانوا يقلقون راحة الناس والدولة . ولم يحصلوا على نتيجة .

ولو ان الخوارج ثبتوا على تعاليم معينة ، وركزوا دعوتهم في مراكز ، وتعهدوا نشرها بين الناس ، ولم تتقاسمهم الاهواء ، واحسنوا تدريب اتباعهم ، وتمويلهم بالذخائر والعدد ، لكان لهم شأن في التنازع ، وحصلوا على نتائج مرضية ، ولكنهم كانوا سريعي الانقسام ، تسودهم عقلية بدوية ، وربما حارب بعضهم بعضاً ، ولم يستفيدوا من حركاتهم الا القتل والتشريد ، واقلاق الدولة . ولم نجد لمذهبهم اثراً في هذه البلاد .

ـ النزاع بين القبائل العربية

وفي الوقت الذي كانت الخوارج تقلق راحة الدولة العباسية ، كان النزاع بين القبائل العربية ـ في الموصل ـ يزيد في ارتباك الحالة فيها ، ومن ذلك :

في سنة ١٨٣ هـ ولى الرشيد الموصل (احمد بن يزيد الموصلي) فرأى اليمانية اظهر في البلد من النزارية ، فتعصب على اليمانية ، وعزم على أن يأخذ رؤساءهم ظاهر البلد ويفتك بهم ، فيقتلهم . فلما كان قرب الحديثة اعلم النزارية بما عزم عليه . فنمى الخبر الى (المعافى بن شريح الخولاني) . فاعلم اصحابه بما عزم عليه أحمد بن يزيد الموصلي ، ففر اليمانية ليلاً ـ قبل ان يبيتهم ـ ودخلوا الموصل ومنعوا الوالي من دخولها ، فالتجأ الى (حبتون)[1] ، واظهر من العصبية فيها امراً قبيحاً ، ثم دخل السلق[2] فتغطرس وقتل واحرق ، فوجه اليه (حاتم بن صالح بن عبادة الهمداني) ، وكان متجنباً له ، ينصحه ويعلمه ان السلطان لا يرضى بفعله ، فلم ينته ، فزحف اليه حاتم وهزمه ، وولى مكانه الرشيد ابن عم له يكنى (ابا قدامة) فهزمه حاتم ايضاً .

وفي سنة ١٨٤ هـ (٨٠٠ م) قلد الرشيد الموصل (يزيد بن مزيد الشيباني) فاستقبله اليمانية بـ (شهرزور) بقيادة حاتم ، فهزمهم يزيد ، ثم مال حاتم الى الصلح ، وقدم بنفسه على يزيد ، وسافر الى الرشيد بـ (الرقة) واعتذر اليه عما كان بين الطرفين ، فرضي عنه ووهبه مالاً[3] .

---

(١) حبتون ، جبل بنواحي الموصل (معجم البلدان ، ٣ ، ٢٠٧) .

(٢) السلق ، جبل عال مشرف على الزاب من اعمال الموصل ، متصل باعمال شهرزور ، يعرف ، بسلق بني الحسن بن الصباح بن عباد الهمداني (معجم البلدان ، ٥ ، ١٠٩)

(٣) ابو زكريا ، ٢٩٨ ـ ٢٩٩ .

وفي سنة ١٩٣ هـ (٨٠٨ م) كان (الحسن بن صالح الهمداني) والياً على الموصل، فلما كان بحزة(١) قتلته عنزة ودفنوه. ولما علم ابنه (علي بن الحسن) بالامر، ثار لهذا الحادث وترك تنسكه، وخرج يطلب ثأر ابيه. وانضمت اليه الازد وبنو الحارث بن كعب.

واما عنزة فانهم انضموا الى شيبان. وكثرت جموع الطرفين على الزاب الصغير، فكانت اليمانية في الجانب الشرقي منه، والنزارية في الجانب الغربي، فعبرت اليمانية اليهم وشتتوا شملهم، وقتلوا منهم. وكان هذا سبب رياسة علي بن الحسن الهمداني. فكان بنو الحسن هم الغالبون في الموصل(٢).

وفي سنة ١٩٥ هـ (٨١٠ م) ارتبك الامر في الموصل لضعف أمر السلطان فيها، فاجتمع اهل الموصل الى علي بن الحسن الهمداني ليتولى أمر البلد، ويحفظ اطرافه، ذلك لان الهمدانيين هم الغالبون على البلد. فكانوا اذا رضوا عن الوالي ادخلوه البلد، والا منعوه(٣).

وفي سنة ١٩٧ هـ (٨١٢ م) ولى الأمين (الحسن بن عمر بن الخطاب العدوي) على الموصل. فأبى بنو الحسن ان يدخل البلد، وقال اهل الموصل: «لا يلينا ربعي». وما زال الحسن يكاتبهم ويتقرب اليهم حتى اجابوه الى الدخول في المدينة.

ولما استقر الحسن بن عمر بن الخطاب العدوى في الموصل، عزم على حرب (بني تليد) - وهم من الأزد - ولكنه لما عرف قوتهم وبأسهم توقف عن حربهم(٤).

وفي سنة ١٩٨ هـ (٨١٣ م) كانت وقعة الميدان بين اليمانية والنزارية، وسبب هذا أن بني الحسن هم المتغلبون على المدينة، فاستاء النزارية من ذلك، فخرج (عثمان بن نعيم البرجمي) الى ديار مضر، وشكا لقومه أن اليمانية يهضمونهم حقوقهم، واستنصرهم عليهم، فقدموا الى الموصل بعشرين ألفا، فنصحهم علي بن الحسن الهمداني بالكف عن القتال، وأن ما ذكره البرجمي كان كذبا، فلم يكفوا،

(١) حزة: بليدة قرب أربل من أرض الموصل (معجم البلدان، ٣: ٢٧٢).

(٢) ابو زكريا: ٣١٣ - ٣١٤.

(٣) ابو زكريا: ٣٢٤.

(٤) أبو زكريا، ٣٢٦ - ٣٢٨.

فخرج اليهم علي بن الحسن الهمداني بجموع كبيرة، وفرقهم، وقتل منهم ستة آلاف، وهذا مما زاد في النزاع بين الطرفين(١).

وفي سنة ١٩٩ هـ (٨١٤) عادت الفتنة بينهما، وذلك لخلاف كان بين بني ثعلبة ـ من اليمانية ـ وبني سامة ـ من النزارية ـ فاستجار بنو ثعلبة بمحمد بن الحسن الهمداني ـ وهو اخو علي بن الحسن الهمداني امير البلد ـ فحصر بنو سامة بني ثعلبة في قصر عريب في (العوجاء) فخرج أليهم بنو الحسن، وشردوهم، واسروا عدداً القوهم في سجن الموصل، ثم تقدم احمد بن عمر بن الخطاب العدوى التغلبي وكلم علي بن الحسن الهمداني في امرهم، فعفا عنهم واكرمهم(٢).

ولما تمكن بنو الحسن في البلد، ولم يكن فيها من يخالفهم فان بعضهم لم يسلك مع غيرهم من القبائل مسلكا طيبا، فدخلهم العجب والغرور، وصاروا ينظرون الى غيرهم كأنهم تبع لهم، وحدث بين الهمدانيين وجماعة من الازد نفور أدى الى النزاع والحرب، وتزعم الازد (السيد بن أنس الازدي التليدي) وسار لحرب بني الحسن الهمدانيين، واستعان بنو الحسن بخارجي يقال له (مهدي بن علوان انسي الشاري) فدخل البلد، وخطب لنفسه في جامعها، وتفاقم الامر بين الطرفين، فظهر السيد بن أنس على الهمدانيين، فانحدروا الى الحديثة، فتبعهم السيد وقتل عليا وأخاه أحمد وجماعة من أهله، وصار الامر في البلد بيد السيد بن أنس، وزال نفوذ الهمدانيين فيها سنة ٢٠٢ هـ (٨١٧ م)(٣).

وفي سنة ٢٠٤ هـ (٨١٩ م) انحدر السيد بن أنس الازدي من الموصل الى المأمون، فتظلم منه محمد بن الحسن بن صالح الهمداني، وذكر أنه قتل أخوته وأهل بيته، فأحضره المأمون وسأله، أنت السيد؟ قال: انت السيد يأمير المؤمنين وأنا ابن أنس، فاستحسن منه ذلك المأمون، وسأله، أنت قتلت أخا هذا؟ قال: نعم، ولو كان معهم لقتلته، لأنهم أدخلوا الخارجي بلدك، وأعلوه على منبرك، وأبطلوا دعوتك، فعفا عنه المأمون واستعمله على الموصل(٤)، وبقي في ولاية الموصل الى سنة ٢١١ هـ (٨٢٦ م).

---

(١) أبو زكريا: ٣٣٢ ـ ٣٣٣، الكامل: ٦: ١١١.

(٢) أبو زكريا: ٣٣٦ ـ ٣٣٧، الكامل: ٦: ١١٧.

(٣) أبو زكريا: ٣٤٣ ـ ٣٥٠، الكامل: ٦: ١٢٩.

(٤) أبو زكريا: ٣٥٤ ـ ٣٥٥.

كان من خيرة الولاة ، عادلاً مترفعاً عن اموال الناس ، نشر الأمن والطمأنينة في البلد ، وقطع دابر المفسدين ونكل بهم ، فأحبه الناس ، واثنوا على سيرته[1].

كان زريق بن علي بن صدقة الازدي الموصلي قد تغلب على الجبال ما بين الموصل واذربيجان ، وجرى بينه وبين السيد بن أنس خروب ، منها ما كان في سنة ٢٠٩ هـ (٨٢٤ م) ، وصالحهما (احمد بن عمر العدوى الموصلي) ثم استأنفا القتال مرة اخرى سنة ٢١٠ هـ (٨٢٥ م) ، ووقف بينهما (يحيى بن القسم العبدي) فاصطلحا ، ولكن لم تهدأ الحالة بينهما .

وفي سنة ٢١١ هـ (٨٢٦ م) جمع زريق جموعاً كثيرة ، وسيرهم الى الموصل لحرب السيد بن انس ، فخرج اليه السيد في اربعة آلاف مقاتل ، والتقوا بسوق الأحد ، وحمل السيد بنفسه عليهم ، فقتل ، ولما أتي برأس السيد الى زريق بكى وقال : « كم احتملتك وكم استعطفتك ، فأبيت » .

وهذا من مظاهر النزاع على السيادة في قبيلة واحدة ـ الأزد ـ فكلاهما كان يريد ان يكون هو السيد المطاع ، ولما بلغ المأمون قتله غضب ، وأرسل (محمد بن حميد الطوسي) الى الموصل ، وحارب زريقاً وقضى على حركته سنة ٢١٢ هـ (٨٢٧ م)[2] .

ومن ذلك ايضاً ما كان في سنة ٢٥٣ هـ بين (سليمان بن عمران الازدي) وبين قبيلة (عنزة) ، وذلك ان سليمان اشترى ناحية من المرج ، فطلب منه (برهونة) ـ من عنزة ـ الشفعة ، فلم يجبه اليها ، فسار برهونة الى عنزة وهم بين الزابين ، فاستجار بهم وببني شيبان ، واجتمع معه جمع كبير فنهبوا الاعمال ، فخرج اليهم سليمان من الموصل ، والتقى معهم بباب شمعون ، وقتل منهم مقتلة عظيمة[3] .

ومنها ايضاً ما كان في نفس السنة بين قبيلة (تليد) فان (محمد بن عبد الله ابن السيد بن أنس التليدي الازدي) تخاصم مع (الحباب بن بكير التليدي) فقتل الحباب[4] .

---

(١) ابو زكريا ، ٣٦٧ ، الكامل ، ٦ ، ١٤٢ .

(٢) ابو زكريا ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٨ ، الكامل ، ٦ ، ١٤٨ ـ ١٤٩ .

وكتب المأمون الى محمد الطوسي يأمره ان يأخذ جميع مال زريق ، ولكنه ترفع عن هذا ، وجمع اولاد زريق واخوته ، واخبرهم بما أمر به أمير المؤمنين ، وقال ، « قد قبلت ما حباني به أمير المؤمنين ورددته عليكم » ، فشكروا له ذلك .

(٣) الكامل ، ٧ ، ٦٣ ـ ٦٤ .

(٤) الكامل ، ٧ ، ٦٤ .

ـ وعامل آخر كان له تأثير في الموصل ، هو قيام الدولة الطولونية في مصر ، واستيلاؤها على بلاد الشام . فان بعض ولاة الموصل كانوا يتقربون الى الطولونيين في سورية اذا ما ساءت العلاقات بينهم وبين بغداد ، وربما خطبوا للطولونيين في الموصل ، ومن ذلك :

كان (اسحق بن كنداج) يتولى الموصل والجزيرة ، فطمع سنة ٢٧٠ هـ (٨٨٣ م) على أن يسترجع بلاد الشام من الطولونيين ، فاتفق مع (ابن أبي الساج) ـ وكان يلي ديار مضر ـ وعرضا الامر على الخليفة العباسي الموفق بالله ـ فوافق ووعدهما بارسال الجيوش اليهما .

فتراجع من بالشام من نواب ابن طولون ، بأنطاكية وحلب وحمص ودمشق ، فسار أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون فاستعاد دمشق ، وتقدم الى شيزر ، ثم أرسل الخليفة جيشا بقيادة (أبو العباس أحمد بن الموفق) ـ المعتضد فيما بعد ـ واستعاد دمشق .

ثم كانت وقعة الطواحين بين أحمد بن الموفق وخمارويه سنة ٢٧١ هـ (٨٨٤ م) فانكسر خمارويه وهرب الى مصر ، ثم ان جيشه هجم على جيش العباسيين ، وفتكوا بهم مما اضطر أحمد بن الموفق أن يهرب الى طرسوس . وفي سنة ٢٧٣ هـ اختلف الامرين ابن ابي الساج وابن كنداج ، فان ابن أبي الساج أراد أن يستأثر بالسلطة ، فامتنع ابن كنداج ، فراسل ابن أبي الساج خمارويه بن أحمد بن طولون ـ صاحب مصر ـ وأطاعه وصار معه ، وخطب له بأعماله ، فمده بمال كبير ، واستولى ابن ابي الساج على ما كان لابن كنداج وطارده ، حتى استولى على الجزيرة والموصل ، وخطب لخمارويه فيهما ثم لنفسه بعده .

وصار ابن أبي الساج يطمع في الملك بعد هذا ، لذا حاول أن يستولي على الشام وينتزعها من خمارويه ، وجرت بينهما حروب سنة ٢٧٥ هـ (٨٨٨ م) أدت الى اندحار ابن أبي الساج ، وانهزم الى الحديثة تاركا أمواله وأثقاله .

ثم جرت حروب بين اسحق بن كنداج وابن أبي الساج ، كانت نهايتها اندحار ابن أبي الساج ، والتجأ الى الموصل ، ثم اندحر منها الى بغداد ، وصفا الجو لاسحق في ديار ربيعة ومضر من أرض الجزيرة ، وكان هذا بمعاونة خمارويه ، وبذا صارت هذه الديار تابعة للدولة الطولونية[1] .

---

(١) الكامل ، ٧ ، ١٥٠ ـ ١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ـ مروج الذهب ، ٢ ، ٤٤٨ ، المختصر ، ٢ ، ٥٤ ، ابن العبري ، ٢٥٧ .

ولما قامت الدولة الفاطمية في مصر واستولت على بلاد الشام ، وحاولوا الاستيلاء على بلاد الجزيرة والموصل فاتصلوا بالعقيليين ـ وهؤلاء من الشيعة المغالين ـ ومدوهم بالأموال والعتاد ، وحرضوهم على الدولة العباسية ، فكان لهم ما أرادوا ، وخطب (قرواش بن المقلد العقيلي) سنة ٤٠١ هـ (١٠١٠ م) للفاطميين في بلاده ـ ومنها الموصل[١].

---

(١) الكامل ، ٩ ، ٧٦ ، المختصر ، ٢ ، ١٣٩ ـ ١٤٠ ، وفي النجوم الزاهرة ، ٤ ، ٢٢٤ ـ ٢٢٦ نص الخطبة التي ألقيت في الموصل ، رابع محرم من السنة المذكورة (منهل الاولياء ، ١ ، ٩٢)

ولاة الموصل في العهد العباسي

١٣٢ ـ ٢٩٢

سنة / هـ		سنة / هـ	
١٣٢	محمد بن صول (منعوه من دخول المدينة)	١٣٢ ـ ١٣٦	السفاح
١٣٣ ـ ١٣٤	يحيى بن محمد بن علي بن العباس		السفاح
١٣٤ ـ ١٤٢	اسماعيل بن علي بن عبد الله بن العباس		السفاح
١٤٢ ـ ١٤٥	مالك بن الهيثم الخزاعي	١٣٦ ـ ١٥٧	أبو جعفر المنصور
١٤٥ ـ ١٤٨	جعفر بن أبي جعفر المنصور		أبو جعفر المنصور
١٤٨ ـ ١٥١	خالد بن برمك		أبو جعفر المنصور
١٥١ ـ ١٥٤	اسماعيل بن عبد الله القسري البجلي		أبو جعفر المنصور
١٥٤ ـ ١٥٥	موسى بن مصعب الخثعمي		أبو جعفر المنصور
١٥٥ ـ ١٥٦	خالد بن برمك أو موسى بن مصعب		أبو جعفر المنصور
١٥٧	موسى بن مصعب الخثعمي		أبو جعفر المنصور
١٦٠	اسحاق بن سليمان . أو حسان السروي	١٥٨ ـ ١٦٨	المهدي
١٦١	حسان السروي		المهدي
١٦٢	عبد الصمد علي بن عبد الله بن العباس		المهدي
١٦٤	محمد بن الفضل		المهدي
١٦٥ ـ ١٦٦	أحمد بن اسماعيل بن علي العباسي . أو موسى بن مصعب الخثعمي		المهدي
ـ ١٦٧	موسى بن مصعب الخثعمي (وهو الذي جدد الجامع) وبعده ، عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس		المهدي
١٦٨	هرثمة بن أعين	١٦٨ ـ ١٦٩	الهادي
١٦٩	هاشم بن سعيد بن منصور بن خالد		
١٧٠	عبد الملك بن صالح الهاشمي	١٧٠ ـ ١٩٤	الرشيد
١٧١	اسحاق بن محمد		الرشيد
١٧٢	سعيد بن سلم الباهلي		الرشيد
١٧٣	عبد الله بن مالك الخزاعي		الرشيد
١٧٥	الحكم (الحاكم) بن سليمان		الرشيد
١٧٦	محمد بن عباس الهاشمي ـ وعلى الخراج منجاب .		الرشيد
١٨٠	يحيى بن سعيد الحرشي		الرشيد

سنة / هـ		سنة / هـ	
١٨٢	هرثمة بن أعين		الرشيد
١٨٣	عمرو بن الهيثم ـ نائباً عن هرثمة		الرشيد
١٨٤	يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني ـ		الرشيد
	نائباً عن هرثمة		الرشيد
	عمرو بن الهيثم ـ نائباً عن هرثمة		الرشيد
١٨٥ ـ ١٨٦	علي بن شريك ـ نائباً عن هرثمة		الرشيد
١٨٨ ـ ١٨٩	ندال بن رفاعة المعنى بن معن بن مالك		الرشيد
١٩٠	خالد بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب		الرشيد
	محمد بن الفضل بن سليمان		الرشيد
١٩١	علي بن صدقة بن دينار الازدي ـ مات فرحاً بولاية الموصل		الرشيد
	سعيد بن عتاب التميمي		الرشيد
١٩٢	محمد بن الفضل بن سليمان		الرشيد
١٩٤	ابراهيم بن العباس	١٩٤ ـ ١٩٧	الأمين
١٩٥	خالد بن يزيد . . . ابراهيم بن العباس		الأمين
	علي بن الحسن الهمداني (ولاه أهل الموصل)		الأمين
١٩٦	الغالب على الموصل بنو الحسن الهمدانيون		
	المطلب بن عبد الله الخزاعي ـ اخذ البيعة للمأمون		
١٩٧ ـ ١٩٨	علي بن الحسن الهمداني		
١٩٨ ـ ٢٠٠	طاهر بن الحسين	١٩٨ ـ ٢١٧	المأمون
٢٠٢ ـ ٢٠٤	أبو يزيد الخراساني		
	محمد بن سعيد بن مالك		
	السيد بن أنس اليحمدي الأزدي		
٢٠٤ ـ ٢١١	السيد بن انس الازدي		المأمون
٢١١	محمد بن حميد الطوسي . وأناب عنه محمد بن السيد بن انس		المأمون
٢١٢	هارون بن أبي خالد		المأمون
٢١٣	أحمد بن علي بن اسماعيل أبو المثنى التليدي		المأمون
	محمد بن السيد بن انس		المأمون

سنة / هـ		سنة / هـ	
٢١٤ _ ٢١٦	مالك بن طوق بن عتاب بن شريح	٢٢٧ _ ٢٨٨	المعتصم
٢١٩	منصور بن بسام (الحرب والخراج)		المعتصم
	سليمان بن زامل		المعتصم
٢٢٤	عبد الله بن السيد بن أنس الموصلي		المعتصم
٢٢٤ _ ٢٣٥	غانم بن حميد الطوسي	٢٢٧ _ ٢٣٢	الواثق
٢٣٥ _ ٢٣٨	محمد بن الخليفة المنتصر (حاكم فخري)	٢٣٢ _ ٢٤٧	المتوكل
٢٣٨	بغا الكبير		المتوكل
٢٤١ _ ٢٤٤	محمد بن عبد الله بن السيد بن أنس		المتوكل
٢٤٤ _ ٢٥٠	ثابت بن اسحق	٢٣٢ _ ٢٤٧	المنتصر
٢٥٠ _ ٢٥١	محمد بن عبد الله بن السيد بن أنس	٢٤٨ _ ٢٥١	المستعين
٢٥١ _ ٢٥٢	عقبة بن نافع	٢٤٨ _ ٢٥١	المعتز
٢٥٢	عقبة بن محمد بن جعفر بن محمد بن الاشعث الخزاعي		المعتز
٢٥٣	مساور الخارجي (متغلب)		
٢٥٤	أيوب بن عمر بن الخطاب العدوى التغلبي	٢٥١ _ ٢٥٥	المهتدي
٢٥٥ _ ٢٥٩	عبد الله بن سليمان	٢٥٥ _ ٢٥٦	المعتمد
		٢٥٦ _ ٢٧٩	المعتضد
٢٥٩	أساتكين (وينوب عنه أبنه اذ وتكين)		المعتضد
٢٦٠	يحيى بن سليمان		المعتضد
٢٦١	الخضر بن أحمد بن عمر بن الخطاب العدوى التغلبي		المعتضد
٢٦٢	القطان (صاحب مفلح على الخراج)		المعتضد
٢٦٦ _ ٢٧٨	اسحق بن كنداج		المعتضد
٢٧٨	محمد بن اسحاق بن كنداج		المعتضد
٢٧٩	هارون بن سيما (نيابة عن محمد بن اسحق بن كنداج)		المعتضد
٢٧٩	محمد بن يحيى بن المجروح		المعتضد
	علي بن داؤد بن رهزاد الكردي		المعتضد
٢٨٠	نصر القشوري		المعتضد
٢٨٢	الحسن بن علي		المعتضد
٢٨٣	أيوب بن عمر بن الخطاب العدوى التغلبي		المعتضد
٢٨٥	عبد الله بن الهيثم	٢٨٩ _ ٢٩٥ هـ	المكتفي
٢٩٣	أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبي	٢٩٥ _ ٣٢٠	المقتدر

الدولة الحمدانية

٢٩٢ ـ ٣٨١ هـ

سنة / هـ		سنة / هـ	الخليفة
٢٩٣	أبو الهيجاء عبد الله الحمداني	٢٨٩ ـ ٢٩٥	المكتفي
٢٩٣ ـ ٣٥٦	ناصر الدولة	٢٩٥ ـ ٣٢٠	المقتدر
٣٥٦ ـ ٣٦٩	أبو تغلب بن ناصر الدولة ـ وضعف الدولة العباسية	٣٢٠	القاهر [1]
		٣٢٢	الراضي
		٣٢٩	المتقي
		٣٣٣	المطيع
	انقسام البيت الحمداني وتسلط البويهيين	٣٦٣	الطائع
٣٧٩ ـ ٣٨٠	أبو طاهر بن ناصر الدولة وأخوه أبو عبد الله الحسن	٣٨١	القادر
			البويهيون
		٣٢٠	معز الدولة
		٣٥٦	بختيار
		٣٧٩	بهاء الدولة

(١) تسلط البويهيون على الخلافة ، وكان منهم في بغداد

الدولة الحمدانية

ينتسب الحمدانيون الى جدهم (حمدان بن حمدون التغلبي) ، وتغلب بن وائل ابن ربيعة من القبائل العدنانية ، وكان لها شأن في الدور الجاهلي ، حدث بينها وبين بكر بن وائل حرب البسوس في القرن الخامس للميلاد .

وانتشرت تغلب ـ قبيل الاسلام ـ في بلاد الجزيرة ، وكانت فيها اكبر القبائل عدداً وعدداً ، وامتدت الى اذربيجان ، واعتنقت النصرانية لاتصالها بالروم ، وشاركت المسلمين في فتح تكريت والموصل ، وخضعت للحكم الاسلامي بعد فتح بلاد الجزيرة ، وبقي اكثرهم على النصرانية ، وانفوا ان تفرض عليهم الجزية ـ كما كانت تؤخذ من العلوج ـ وعزموا على الالتحاق بالروم ، فابقاهم الفاروق وضاعف الجزية عليهم ، وسماها (صدقة) وشرط عليهم : « الا يصبغوا صبياً ـ يعمدوه ـ ولا يكرهوه على دينهم[1] » . وعلى مر السنين تسرب اليهم الاسلام ونسوا نصرانيتهم ، وصار لهم شأن في بلاد الجزيرة .

واشتهر من تغلب في الاسلام ثلاثة بيوت كبيرة في القرن الثالث للهجرة ، وهم : آل عمر بن الخطاب العدوى التغلبي ، وآل هارون المغمر ، وآل حمدان بن حمدون .

وانجب حمدان بن حمدون ثمانية أولاد[2] ، اشهرهم : ابو الهيجاء الذي انجب ولدين هما الحسن الذي لقب فيما بعد (ناصر الدولة) وهو مؤسس الدولة الحمدانية في الموصل ، وعلي الذي لقب فيما بعد (سيف الدولة) ، وهو الذي يتفرع منه الحمدانيون في حلب .

كان حمدان بن حمدون المتوفى حوالى سنة ٢٥٠ هـ من ذوي الاطماع ، رأى ضعف الدولة العباسية ، واستبداد امراء الاطراف وقواد الجيش ، ومنهم من استقل فيما تولاه ، ولم يبق للخليفة الا الدعاء على المنابر ، وضرب اسمه على النقود ، وان بعضهم ترك الدعاء للخليفة . .

طمع حمدان ان يستأثر بأحد الاقطار ويكون له ما لغيره من الولاة ، وخير هذه الاقطار هي بلاد الجزيرة ، لكثرة قبيلة تغلب ونفوذها فيها ، وكان شجاعاً مقداماً طموحاً ، يميل الى القوي ، عله يحقق ما كان يسعى اليه .

---

(١) الخراج لابي يوسف ، ١٤٨ ، الخراج ليحيى ، ٦٦ ـ ٦٧ ، الاموال ، ٢٨ ، فتوح البلدان ، ٨٥ ـ ٨٧ .

(٢) هم : ابو اسحاق ابراهيم ، ابو علي الحسن ، ابو السرايا نصر ، ابو الهيجاء عبد الله ، ابو العلاء سعيد ، ابو سليمان داود ، ابو الوليد سليمان ، علي .

ففي سنة ٢٥٤ هـ = ٨٦٨ م) انضم الى جيش أمير الموصل الحسن بن ايوب التغلبي ، وحارب معه مساور الخارجي ، وكانت بينهما وقعة في (وادي الرايات) ، انهزم جيش الموصل ، وفتك بهم مساور ، ونجا الحسن وحمدان .

كان حمدان لا يثبت مع طرف معين ، وهو كغيره من الساسة والقادة ، لا يقيم للتحالف وزناً مع جهة معينة ، وانما كان مع كل جهة قوية يؤمل نجاح مصالحه واطماعه . فبينما نراه يساعد جيوش الولاة العباسيين في القضاء على ثورات الخوارج وغيرهم ، نجده يحالف الخوارج ويخوض معهم غمار الحروب ، اذا ما شعر بقوتهم وتفوق أمرهم ، كما انه استمال الاكراد ، استعان بهم في حروبه ـ لان الاكراد كانوا اخواله ـ ولما قصده الخليفة المعتضد كان الاكراد قد تحالفوا معه على ان يقاتلوا على دم واحد .

ادرك حمدان قوة الخوارج في بلاد الجزيرة ، ولهم شأن في بعض الاطراف منها ، فمال اليهم وتحالف معهم ، وحارب في صفوفهم ، عله ينال ما نال المتغلبون على بعض اطراف الدولة العباسية .

حارب مع هارون الشاري ، هو وقبيلته تغلب ، وايده في ثورته على الدولة العباسية ، ثم نجده بعد هذا في جيش الخليفة مع علي بن داود ، واسحاق بن ايوب التغلبي (سنة ٢٦٠ هـ = ٨٧٣ م) في اخماد ثورة الموصل ، ولكنهم فشلوا امام ثورة اهل البلد .

وبقي مع اسحاق بن ايوب التغلبي الى سنة (٢٦٦ هـ = ٨٧٩ م) ، وساعده هو وعيسى بن الشيخ وابو المغراء ابن موسى بن زرارة ، ومعهم من قبائل ربيعة وتغلب وبكر واليمن في محاربة (ابن كنداج) ، وكان نصيبهم الخذلان .[1]

على ان علاقته مع الخوارج لم تكن منقطعة خلال هذه السنين ، وفي سنة (٢٧٢هـ = ٨٨٥م) كان ممن دخل الموصل مع هارون الشاري الذي صلى في جامع الموصل ، وخطب على منبره ، وساعد حمدان الشاري ايضاً في حربه مع بني شيبان في سنتي (٢٧٢ هـ ، ٢٧٩ هـ) وهكذا نجده يتحول من معسكر الى آخر ، يميل الى القوي ويحارب في صفه سعياً للمنفعة وتحقيقاً لما يصبو اليه .

---

(١) الطبري ، ١١ ، ٢٥٨ ، الكامل ، ٧ ، ١١٩ .

اخذ نجم حمدان بالصعود ، وحصل على ثروة طائلة ، وذاعت شهرته ، واتخذ له مقراً قرب ماردين قلعة (دير الزعفران) ، جمع فيها أمواله وعتاده ، واتخذه ملجأ اذا ما ضاقت عليه الارض .

وفي خلافة المعتمد على الله .(٢٥٦ ـ ٢٧٩ هـ) زاد الارتباك في البلاد ، ففي الجنوب تعاظم أمر الزنج ، وفي الشرق كانت دولة بني الصفار ، وفي مصر الدولة الطولونية ، وامتد نفوذها الى سوريا وفي بلاد الجزيرة الخوارج وبنو تغلب وبنو شيبان وغيرهم من المتنفذين .

وفي سنة ٢٧٩ هـ تولى المعتضد بالله الخلافة ، وكان حازماً مقداماً ، يقود الجيوش بنفسه ، وجد ما كانت عليه الحالة في بلاد الجزيرة ، وان الخوارج قد اشتدت قوتهم ، وتسلطوا على الاطراف ، يساعدهم حمدان بن حمدون التغلبي ، وقد تمكن في ماردين وما حولها ، وصار له شأن في البلد ، وحوله تغلب ومن حالفه . فقرر ان يسير بنفسه الى بلاد الجزيرة ، ويقضي على الثوار ، ويعيد سلطة الخلافة العباسية . ففي سنة (٢٨١ هـ = ٨٩٤ م) قضى على بني شيبان الذين افسدوا حول الموصل ، وشتت شملهم ، ثم توجه الى الموصل ودبر شؤونها .(١)

ورأى ان يقضي على حمدان قبل ان يسير الى حرب الخوارج ، فيضعف قوتهم . فتوجه الى ماردين ولما علم حمدان بجموع الخليفة لجأ الى الفرار ، وترك ابنه الحسن في حصن دير الزعفران ، ليدافع عنه . فحاصره الخليفة المعتضد وقاتل من فيه يوماً كاملاً ، وقتل منهم خلقاً كثيراً . فلما كان من الغد ، توجه الخليفة الى باب القلعة ، وصاح بالحسن بن حمدان ان يفتح له الباب ، وكان هذا قد يئس من المساعدة ، ففتح الحصن وسلم نفسه للخليفة ، فأمر الخليفة بنقل ما في القلعة وهدمها ، وارسل جيشاً في مطاردة حمدان وصادر امواله .(٢)

رجع الخليفة المعتضد الى الموصل سنة (٢٨٢ هـ = ٨٩٥ م) وكتب الى حمدان بن حمدون واسحاق بن ايوب التغلبي يأمرهما بالمسير اليه وتقديم الطاعة .

اما اسحاق بن ايوب التغلبي فان قوته كانت دون قوة حمدان ، ورأى ان لا قدرة له على منازلة الخليفة . فقدم الى الموصل ، وسلم نفسه ، وصار يحارب في صفوف الخليفة .

---

(١) الطبري ، ١١ ، ٣٤٢ ، الكامل

(٢) الطبري ، ١١ ، ٢٥٨ ، الكامل ، ٧ ، ١١٩ .

اما حمدان بن حمدون التغلبي فانه كان يعتمد على القبائل البدوية ، كما ان الاكراد ـ اخواله ـ كانوا من اكبر انصاره ، فلجأ اليهم ، وتحصن بقلاعهم ، وجمع ما امكنه ليدافع عن نفسه .

أرسل الخليفة اليه جيشين ، بقيادة (وصيف بن موشكير) و (نصر القشورى) وامدهما بالجيوش ، وكان حمدان متحصناً (بباسورين) ، فاصطدم معه وصيف ، وقتل من اصحابه عدداً كبيراً ، ففر حمدان في زورق كان قد اعده في دجلة ، وأخذ ما يحتاجه من المال ، وعبر الى الجانب الغربي من دجلة ، وتوغل في ديار ربيعة ، فشعر به الجند ، واخذوا يقتفون أثره ، ونزل بدير ليستريح ، فكبسوه ، فترك ماله ونجا بنفسه ، وبقي لا يستقر بأرض ، ولا يهدأ له بال ، ولما أعيا في الهرب ، قرر ان يسلم نفسه للخليفة ، فقصد خيمة اسحاق بن ايوب التغلبي واستجار به ـ وكان هذا من المقدمين عند الخليفة ـ فاجاره واحضره عند الخليفة ، فأمر ان يحتفظ به ، واخذه واعتقله في بغداد .

كان ابنه الحسين في خدمة الخليفة ، يحارب في جيشه ويعهد اليه بمهام الامور الحربية ، ففي سنة (٢٨٣ هـ = ٨٩٦ م) تعاظم أمر هارون الشاري ، فسار الخليفة بطلبه ، ولما كان في تكريت استدعى الخليفة الحسن بن حمدان وسيره في طلب هارون في جماعة من الفرسان ، فقال له الحسين : « ان انا جئت به فلي ثلاث حوائج اذكرها لامير المؤمنين ، احداهن اطلاق ابي » فاعترف له الخليفة بهذا ، فما زال الحسين يشدد على هارون حتى قبض عليه ، فاطلق الخليفة والده وخلع على اولاده .(١)

الحسين بن حمدان

بعد ان قبض الحسين بن حمدان على هارون الشاري ، صار من المقربين عند الخليفة ، وممن يعتمد عليهم في توطيد الامور ، وسكن بغداد ليكون قريباً من الخليفة وارباب الحكم ، وليطلع على ما يجري فيها من حوادث الدولة ، لعله يجد له ما يحقق طموحه في الاستقلال ببعض البلاد .

وكان الخليفة المعتمد يعتمد عليه في اخماد الثورات ، لما وجده من بسالته واقدامه وكثرة اتباعه ، ففي سنة (٢٨٣ هـ) تمرد بنو دلف في بلاد الجبل على

(١) الطبري ، ١١ ، ٣٤٤ ـ ٣٤٧ ، العيون ، ٤ ، ٧٩ ـ ٨٠ ، الكامل ، ٧ ، ١٦٦ ـ ١٦٨ ، ابن العبري ، ٢٦١

الدولة العباسية ـ وهم من بكر بن وائل ابناء عمومة الحمدانيين ـ فشارك الحسين في القضاء على الثورة ، فزادت منزلته عند الخليفة المعتضد .(١)

وكان الحسن ممن شاركوا في محاربة القرامطة سنة (٢٩٠ ـ ٢٩١ هـ = ٩٠٢ ـ ٩٠٣ م) في خلافة المكتفي ، وكان زعيم القرامطة صاحب الشامة الذي خلف الشيخ ابا القاسم بعد قتله ، وعاضد الحسن بنو شيبان ، فهجم على صاحب الشامة واسره ، وادخله بغداد .(٢)

وكانت الدولة الطولونية قد استقلت في مصر ، وامتد نفوذها الى بلاد الشام ، ونازعت الخلافة العباسية فاستعان الخليفة المكتفي سنة (٢٩٢ هـ = ٩٥٤ م) ببني حمدان ان ينضموا الى محمد بن سليمان قائد جيش الخليفة في محاربة الطولونيين ، فانضم اليه الحسين بن حمدان ، وابو سليمان داود بن حمدان (المزرفن) ، وابو الوليد سليمان بن حمدان (الحرون) وابو جعفر محمد بن الغمر بن حمدون بن حمدان ، فأبلوا بلاءاً حسناً في القتال ، وهجم الحسن على قائد الجيش الطولوني وقتله ودخل مصر .(٣)

نجد في هذه الحرب اربعة من ابناء حمدان ، يشتركون في جيش الخليفة ، ويدافعون عن الدولة العباسية ، ونالوا اعجاب الخليفة المكتفي ، وخاصة الحسين بن حمدان ، فكافأه الخليفة على عمله هذا بولاية « مصر » ، واعتذر عن قبولها . وتولى الصعيد الاعلى ابو جعفر محمد بن الغمر بن حمدون ، وانصرف اليها في الف بغل وجمل ، تحمل اثقاله . وهي تدل على ما كان عليه بنو حمدان من غنى واسع .

كان الحسين يطمح ان يحصل على ولاية يستأثر بها ؛ وبلاد مصر من اغنى البلاد العباسية . فلماذا اعتذر عن قبول ولايتها ؟ ؟(٤)

كان الحسين يعتمد على قومه بني تغلب في بلاد الجزيرة ، وهم من اقوى القبائل واكثرها عدداً ، وسكن قسم منهم المدن ، واتخذوا المزارع والمستغلات ، والفوا الحضارة ، ونعموا في العيش ، ويصعب عليهم ان يتركوا هذه البلاد الطيبة ، وهم متمكنون . الى بلد بعيد عن الاهل والوطن ، ولا يعلمون ما سيكون من امرهم

(١) الطبري ، ١١ ، ٣٤٨ ، العيون ، ٤ ، ٨٠ ـ ٨١ ، مروج الذهب ، ٢ ، ٢٧٧ ، الكامل ، ٧ ، ١٧ ، المنتظم ، ٥ ، ١٦١

(٢) الشامر ، ١ ، ٨٩ ـ ٩٠ .

(٣) الطبري ١١ ، ٣٨٠ ـ ٣٩١ ، العيون ، ٤ ، ١١٦ ، ١١٧ ، الكامل ، ٧ ، ١٨٦ ـ ١٨٩ .

(٤) الشامر ، ١ ، ٩٩ ـ ١٠٠ .

فيها ، ولهذا اعتذر الحسين عن قبولها ، لعله يحظى بولاية في بلاد الجزيرة بين اهله وانصاره ـ وقد كان هذا له وللحمدانيين فيما بعد ـ

ونجده بعد هذا يتعقب بقايا القرامطة في سنتي (٩٠٥ ـ ٩٠٦ م) ٢٩٣ ـ ٢٩٤ هـ في الشام ، فيقتل بعضهم ويرسل بعضهم الى الخليفة المكتفي في بغداد ، ثم بعد هذا يحارب القبائل البدوية التي كانت تعكر صفو بلاد الشام .(١)

ويذكر ابن العديم ان الخليفة المكتفي ولى حلب الحسين بن حمدان بن حمدون ـ عم سيف الدولة ـ فعاف عليه العرب من كلب واليمن وأسد وغيرهم ، فخرج للقائهم سنة ٢٩٤ هـ فهزموه حتى بلغ حلب ، فولى الخليفة مكانه عيسى ـ غلام النوشرى ـ(٢)

كان الحسين بن حمدان في طليعة القواد الذين يعتمد عليهم المعتضد والمكتفي ، وذكر ابن خالويه انه كان في خزائنه نيف وعشرون طوقاً لنيف وعشرين فتحاً بالمشرق والمغرب(٣). ومهما كانت نظرتنا الى ما ذكره ابن خالويه فانها ـ وان كان فيها من مدح كبير ـ تدل على بسالة الحسين ، واقدامه في الحروب ، وانه رجل ضرب وطعن اكثر مما هو رجل سياسة وتدبير ، وهذا ما جعله يخسر حياته في زمن المقتدر ، كان هذا بسبب اقدامه واندفاعه وعدم تفكيره في نتائج الامور بعكس اخيه ابي الهيجاء .

ـ ٣ ـ

وفي سنة ٢٩٣ هـ = ٩٠٥ م ولى الخليفة المكتفي ابا الهيجاء عبد الله بن حمدان على الموصل ، وهو ما كان يطمح اليه الحمدانيون ، ان تكون لهم ولاية في قاعدة بلاد الجزيرة .

دخل ابو الهيجاء الموصل في اول محرم ، والبلاد مضطربة والاعراب والاكراد يشنون الغارات على الاطراف ، فوجه عنايته الى الجيش ليستعين به عليهم .

وبينما كان يستعرض الرجال الذين قدموا معه والذين بالموصل ، ليطلع على ما هم عليه من القوة ، استغاث به اهل نينوى من الاكراد الهذبانية ، الذين اغاروا عليهم بقيادة محمد بن بلال ، ونهبوا اموالهم واستاقوا انعامهم ، فسار من وقته اليهم

---

(١) ـ (٢) الكامل : ٧ : ١٩١ ـ ١٩٢ ، الطبري ، ١٢ ، ١٥ ، العيون ، ١ ، ١٣٢ ـ ١٣٥

وعبر الجسر وطاردهم ، واصطدم بهم في قرية « المعروبة » على الخازر ، وقتل رجل من اصحابه المخلصين (سيما بن الهمداني) . فعاد ابو الهيجاء الى الموصل ، وكتب الى الخليفة يشرح له الامر ، ويطلب منه النجدة والمدد ، فتباطأ الخليفة في الامر ، وارسل اليه المدد بعد انصرام الحول .(١)

وفي سنة ٢٩٤ هـ = ٩٠٦ م سار ابو الهيجاء بمن معه الى الاكراد الهذبانية ، ولما علموا بمقدمه وانه جاد في طلبهم ساروا الى البادية ، التي في جبل السلق ، وهو مضيق في جبل عال مشرف على شهرزور ، واعتصموا به ، فحاصره ابو الهيجاء وضيق عليهم .

واراد محمد بن بلال ان يخدع ابا الهيجاء عن طلبهم حتى يتأهب ويترك هذا المكان ، فراسله مظهراً اطاعته ، وانه سيحضر اليه مع اولاده ، ويترك اولاده رهائن عنده ، فقبل ابو الهيجاء هذا ، اما محمد بن بلال فانه حث اصحابه على السير بما معهم الى اذربيجان .

علم ابن حمدان بحيلته فجهز جيشاً قوياً فيه اخوته ، داود وسليمان وسعيد ، وضم اليهم من الابطال الذين يثق بهم ، اما الجيش الذي ارسله الخليفة نجدة له فانهم تباطأوا عن اللحاق به .

عقب ابو الهيجاء محمد بن بلال ، واصطدم بهم في جبل قنديل ، فقتل منهم جماعة ، وصعد الاكراد الى ذروة الجبل ، فانصرف عنهم ابو الهيجاء ، ولحق الاكراد باذربيجان .

رجع ابو الهيجاء الى الموصل ، وكتب الى الخليفة يعلمه ان النجدة التي ارسلها تخلفت عن الحرب ، فانجده الخليفة بجماعة صالحة . ضمهم ابو الهيجاء الى جيشه وسار الى محمد بن بلال ، وكان ابو الهيجاء متحذراً ، يسير الجواسيس امامه وبين يديه ، خوفاً من كمين يأخذهم على حين غرة .

اما محمد بن بلال فكان قد صعد الجبل ، واعتصم به ، فشدد عليه ابو الهيجاء الحصار ومنع عنه الاقوات ، وادركهم الشتاء ، وسقط الثلج ، وارتفعت قيمة المأكولات . ولما رأى محمد بن بلال ثبات ابي الهيجاء وجده لجأ الى المسالمة وقدم

---

(١) الطبري ، ١٢ ، ١٤ ــ ١٦ . الوزراء للصابي ، ٥ ، ١٠٠ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٣٠٧ ، مسكويه ، ١ ، ٥ ، ٩ . العيون ، ١ ، ١٣٢ ــ ١٣٥ ، مروج الذهب ، ٢ ، ٥٠١ . الكامل ، ٨ ، ٥ ــ ٦ . الفخري ، ٢٥٩ .

خضوعه هو واهله اليه . فقبل ولاءه . وردهم الى بلد « حزة » . ثم حضر محمد بن بلال الى الموصل واتخذها موطناً له . فأقام بها . وتتابع الاكراد الحميدية وأهل جبل داسن الى ابي الهيجاء بالامان فأمنهم .(١)

المقتدر والحمدانيون

كانت خلافة المقتدر (٢٩٥ هـ = ٣٢٠ هـ) تبدلاً في حياة الحسين بن حمدان ، فانه لم يرض خلافة غلام صغير . لا يتجاوز عمره ثلاث عشرة سنة . قد تربى بين النساء والخدم . فكان الوزير العباس بن الحسين ذا دهاء ومكر ، وأدب وافر ، اتفق مع علي بن محمد بن الفرات على مبايعة المقتدر . واستأثر بالحكم . وصار صاحب الكلمة في الدولة . يتصرف بها كيفما يشاء . والخليفة مشغول في قصره .

وصار الحسين بن حمدان يشنع على الخليفة ، ويتهمه بأمور لا يحسن ان تصدر عن خليفة لكي ينفر الناس منه .

ولاربعة اشهر من خلافة المقتدر اجمع جماعة من الكتاب والقواد والاجناد فيهم الحسين بن حمدان ، ووصيف بن سوارتكين الخزري ، ومحمد بن داود الجراح ، وعلي بن عيسى بالاتفاق مع ابن المعتز الذي كان يحركهم ضد المقتدر . واتفقوا على خلع المقتدر ومبايعة ابن المعتز .

فتوجه الحسين بن حمدان واعترض الوزير بينما كان ذاهباً الى بستانه ، وقتله ، وصاح به « فاتك بن المعتضدي الذي كان مع الوزير ، فانثنى عليه الحسين وقتله . ثم اسرع الى الحلبة ـ وقد بلغه ان المقتدر يلعب بالكرة والصولجان ـ أملاً ان يجده ليقتله . ولما سمع المقتدر بالضجة اسرع الى قصره واغلقوا الابواب .

ذهب الحسين بن حمدان الى دار سليمان بن وهب بالمخرم ، وقد حضره القواد واصحاب الدواوين والقضاة ـ وهم من انصار ابن المعتز ـ ، وقرروا خلع المقتدر ، وبايعوا عبد الله بن المعتز ولقبوه ، المرتضى بالله .

وبعد يوم من هذا ، توجه الحسين الى دار الخلافة ومعه فرقة من الجيش ، واحرقوا بعض ابوابها ، وحاصرها طول النهار . فتصدى له حرس المقتدر بقيادة مؤنس الخادم ، ودافعوا دفاعاً مجيداً . فلما جن الليل ـ وقد رجحت كفة المقتدر ـ جمع الحسين اهله واثقاله ، وسار الى الموصل . فنجا من انصار المقتدر الذين قضوا على

---

(٢) مسكويه ، ١ ، ٦ .

المتآمرين، ولو ظفروا به لكان نصيبه القتل او السجن، كما فعلوا بانصار ابن المعتز.[1]

وبعد ان استتب الامر للمقتدر، وجه جيشاً لمطاردة الحسين في الموصل، ففر الى بلد، فلم يظفروا به، وعاد الجيش الى بغداد. فكتب الخليفة الى اخيه ابي الهيجاء يأمره ان يساعد الجيش الذي ارسله لمطاردة الحسين بقيادة القاسم بن سيما، فساروا حتى بلغوا قرقيسيا والرحبة فلم يظفروا به. فانضم اليه ابو الهيجاء بجيشه، والتقوا معه عند تكريت، فانهزم الحسين ولم يثبت، وضاقت عليه الارض، فارسل اخاه ابراهيم الى الوزير ابن الفرات، ليدبر له امر العفو عند الخليفة المقتدر، فتلطف ابن الفرات به عند الخليفة، فعفا عنه، ودخل الحسين بغداد، وعرض خضوعه وولاءه للخليفة[2]، فخلع عليه الخليفة لان الخليفة لا يستغني عن ابناء حمدان لما لهم من قوة في الجزيرة، كما كان لا يأمن شرهم. فولى الحسين قم وقاشان سنة (٢٩٦ هـ = ٩٠٨ م) فابعده عن بغداد[3]. وفي ولايته شارك في حرب بني الصفار وسبكرى ونال رضا الخليفة، وعاد الى بغداد سنة (٢٩٨ هـ = ٩١٠ م). وبما ان الخليفة كان يحذر منه، لذا ولاه ديار ربيعة، وامره ان يغزو بلاد الروم، لكي يشغله عن التدخل في امور الدولة، ويبعده عن بغداد.

فتوجه الى ديار ربيعة، وقاد الصائفة الى بلاد الروم سنة (٣٠٢ هـ = ٩١٤م)[4] وتوغل في بلادهم وفتح عدة حصون وعاد مظفراً.

وفي هذه الفترة نجد ابني حمدان يتوليان ديار ربيعة والموصل، فكان الحسين في ديار ربيعة، وابو الهيجاء في الموصل، وصار مركزهما قوياً. يتوليان ماكانا يهدفان اليه. بلاداً خصبة، كثيرة الخيرات، غنية وهم بين اهليهم وعشيرتهم، فتطلعا الى الاستقلال كما فعل امراء الاتراك.

كان الخليفة المقتدر ورجال دولته ينظرون الى ابناء حمدان بعين الحذر والتحفظ. فعزل الخليفة ابا الهيجاء عن الموصل سنة (٣٠١ هـ= ٩١٣ م) وولى مكانه يمن الطولوني، ثم صرف هذا عنها بهذه السنة، واستعمل عليها نحرير الخادم الصغير[1].

---

(١) الطبري، ١٢، ١٤ ـ ١٦، الوزراء للصابي ١٠٠، ٢٥٦، ٢٥٧، ٣٠٧

(٢) مسكوية ١، ٦

(٣) مسكويه ١: ٢، الطبري، ١١، ٤٠٥ ـ ٤٠٨، الكامل: ٨، ٥ ـ ١٩

(٤) مسكويه ١: ١٤

ان ابا الهيجاء خالف الخليفة ، فسير اليه الخليفة مؤنس المظفر ، وعلى مقدمته بني ابن نفيس ومعه جماعة من القواد ، فلما علم ابو الهيجاء بقوة الجيش استعمل الحكمة بدل الحرب ، فقصد مؤنس المظفر مستأمناً من تلقاء نفسه ، وتوجه معه الى بغداد وعرض خضوعه للخليفة[٢] .

ضعف الدولة العباسية

كانت ايام المقتدر ايام شغب وتذمر وثورات داخل بغداد وفي الاطراف ، والخليفة مشغول بين النساء والخدم والدولة في ايديهم ، فاختلت الدولة ، وخلت بيوت الاموال ، واختلفت الكلمة ومن الوزراء العقلاء الذين كانوا ينصحون المقتدر ويسعون في اصلاح ما آلت عليه الدولة من الضعف والارتباك هو علي بن عيسى الجراح ، كان بارعا في الادارة ، محسنا عفيفا عن أموال الدولة ، يسعى بخير الناس ، عمر الثغور والبيمارستانات والجوامع ، وأدر الارزاق لمن ينظر فيها ، وأزاح المظالم وكتب بهذا الى العمال .

وجد الخزانة فارغة ، والبلاد تسير من سيء الى أسوأ ، فعزم على اصلاح طرق الجباية ، والحد من نفقات دار الخلافة ورجال الدولة ، فعزل ثلاث مرات من الوزارة ، وقد صرح الوزير للخليفة ما كانت عليه البلاد في عهد المعتضد والمكتفي ، وما آلت اليه في زمنه ، فقال له : « انما جمع المعتضد والمكتفي في بيت مال الخاصة لمثل هذه الحوادث ، والآن فلم يبق في بيت مال الخاصة كبير شيء فاتق الله يأمير المؤمنين[٣] . وهذا القول وغيره لم يتعد أذن الخليفة .

وفي سنة (٣٠٣ هـ = ٩١٥ م) طالب الوزير علي بن عيسى الحسين بن حمدان بمال عليه من ديار ربيعة ، فأبى الحسين دفعه ، معتمداً على قوته وقوة أخيه وضعف الدولة ، وكان مؤنس الخادم مشغولا بمحاربة الدولة الفاطمية ، فأرسل اليه الوزير يأمره بتسليم البلاد الى عمال السلطان فلم يمتثل أمره ، فوجه اليه الوزير جيشا بقيادة رائق الكبير .

---

(١) ـ (٢) الكامل ، ٨ ، ٢٧

(٣) مسكويه ، ١ ، ١٨٠ ـ ١٨١ ، الكامل ، ٨ ، ٧٦ ، الفخري ، ٢٦٧ ـ ٢٦٨ واخباره مستفيضة في كثير من المصادر منها ، الوزراء للصابي ، تجارب الامم ، والطبري والكامل والفخري وغيرها .

فجمع الحسين ما امكنه من الجيش ، فبلغ عشرين ألفا ، والتقى مع جيش رائق الكبير بالحبشة ، فانحدر رائق الكبير الى جهة دجلة ، فحاصرهم الحسين ، وضاقت عليهم الاقوات ، ففاوضوا الحسين ان يكف عن حصارهم ، وهم يحملون الخليفة على أن يوليه ما كان بيده ، فأبى وشدد في خناقهم ، وبينما هو في هذه الحال كان مؤنس قد فرغ من مهمته في الشام ، وتوجه من الطريق الذي أمره الوزير ان يقصد جيش الحسين ،ولما علم الحسين بهذا كتب اليه كتابا أرسله مع كاتبه هارون ، يعتذر فيه ، ويقول : « ان السبب في خروجه عما كان عليه من الثقة والطاعة عدول الوزير ـ ايده الله ـ عما كان عليه في أمره الى ما أوحشه وانه لم يف له بضمانات ضمنها له ، وانه قد اجتمع له من قبائل العرب ورجال العشيرة ثلاثون الف رجل . وسأل مؤنس ان يأذن له بالمقام في حران ، وان يكاتب الوزير في أمره يسأله صرفه عما كان يتقلده من الاعمال وتركه مقيما في منزله ، وتقليد أخيه ديار ربيعة .

فأعلمه مؤنس ان هذا غير ممكن ، وانه ينفذ أمر الوزير ، ولا يثنيه عن امره ، وانه مستعين بالله في لقائه ، وجد مؤنس في طلبه ، فرحل الحسين الى جزيرة ابن عمر ، فعقبه مؤنس ، فانسحب الحسين الى أرمينية مستصحباً معه امواله واولاده ، وكان عسكر الحسين قد ضجروا من كثرة تنقلهم وبعدهم عن اهليهم ، فاخذوا ينسلون الى جيش مؤنس ، فضعف امره ، وتتبعه جيش رائق الكبير الى تل فافان ، واشتبكوا معه ، فاسروه هو وابنه عبد الوهاب وجميع اهله ، وصودرت املاكه وامواله ، واملاك بني حمدان باسرهم .

عاد مؤنس الى بغداد عن طريق الموصل ، ولما قارب بغداد سير الحسين على جمل مصلوباً على نقنق وتحته كرسي ، ويدير النقنق رجل فيدور الحسين من موقفه يميناً وشمالاً ، وعليه دراعة ديباج سابغة قد غطت الرجل الذي يدير النقنق فلا يراه احد ، وابنه الذي كان هرب من مدينة السلام ابو الصقر قد حمل بين يديه على جمل ، وعليه قباء ديباج وبرنس ، وكان قد امتنع من وضع البرنس على رأسه ، فقال له ابوه الحسين : « البسه يابني فان اباك ألبس البرانس اكثر هؤلاء الذين تراهم »[1] .

---

(١) الطبري ، ١٢ ، ٢٩ ـ ٣٠ ، ٤٠ ، مسكويه ، ١ ، ٣٦ ـ ٣٨ ، العيون ، ١ ، ١٨ ، الكامل ، ٨ ، ٣٢ ، ٣٧ ـ ٣٨ ، النجوم الزاهرة ، ٣ ، ١٣٤ ـ ١٩٥ ، شذرات الذهب ، ٢ ، ٢٤٩

ولما صار الحسين بسوق يحيى قال له رجل من الهاشميين : الحمد لله الذي امكن منك . فقال له الحسين بن حمدان : والله لقد امتلأت صناديقي من الخلع والالوية ، وافنيت اعداء الدولة . ان ما اصابني الى هذا الخوف على نفسي . وما الذي نزل بي الا دون ما سينزل بالسلطان اذا فقد من اوليائه مثلي . فكان الحسين لا يعبأ بما آل اليه أمره ، فهو يعلم حق العلم ان الدولة مرتبكة . يتحكم بها أصحاب المطامع ، وان ما نزل به هو اقل بما سينزل بالخليفة – وكان ما قال ، فنزل بالخليفة المقتدر ما ادى الى قتله .

ولما مثل الحسين امام الخليفة المقتدر بالله ، أمر بتسليمه الى نذير الحرمي ، ثم حبسوه عند زيدان القهرمانة ؛ وامر الخليفة بحبس ابناء حمدان : ابي الهيجاء وعبيد الله وابراهيم في دار غريب الخال .

كان الحسين بن حمدان شجاعاً مقداماً ، رجل كر وضرب ، كثير الطموح ، يخوض المعارك والحروب ، ويلقي بنفسه على الموت ، ويكون النصر حليفه في اكثر حروبه التي خاضها ، فهو أجل امراء بني حمدان ، بأسا وشجاعة ، واول من ظهر امره منهم . كان يتحين الظروف المناسبة للخروج على الدولة ، مغتنماً الحالة المرتبكة التي كانت عليها ، محاولاً ان يجر مغنماً لنفسه ولقبيلته تغلب ، فلم يكن النجاح حليفه ، لانه كان قليل التدبير قصير النظر ، يندفع قبل ان يفكر في النتيجة ، ثم يندم على ما بدر منه .

وفي سنة (٣٠٦ هـ = ٩١٨ م) أمر الخليفة بذبح الحسين بن حمدان ، وسبب هذا ان الوزير ابن الفرات كان قد شرط عليه الخليفة ان يرضي الاجناد ، ويقوم بدفع جميع النفقات والرواتب على العادة ، فضاقت يد ابن الفرات ، وعجز عن الدفع ، لانه صرف الاموال في حرب ابن ابي الساج ، فشغب عليه الجيش ، واقترح على الخليفة ان يرسل الحسين لحرب ابن ابي الساج ، ونعلم ان ابن الفرات كان يدافع عن الحسين ، وهو الذي حمل المقتدر على ان يعفو عنه ، وبما ان الخليفة كان يحذر من الحسين – وقد سبق له التمرد كلما سنحت له الفرصة – وان اعداء الوزير ابن الفرات دسوا الى الخليفة ان الوزير يقصد من ارسال الحسين ان ينضم هذا الى ابن ابي الساج ، ليكونوا جميعاً ضد الخليفة ، فقتل الخليفة الحسين وصادر اموال ابن الفرات واعتقله .(١)

---

(١) الطبري ، ١٢ ، ٤٠ ، الكامل ، ٨ ، ٣٧ – ٣٨ .

كان الحسين بن حمدان واخوه ابو الهيجاء يسعيان نحو هدف واحد ، هو الاستقلال ببلاد الجزيرة . لما لهما ولقومهما من نفوذ فيها . وكان الحمدانيون قد حالفوا القبائل العربية والكردية التي تسكن هذه الديار وما يجاورها . واذا ما خالف احدهما أمر الخليفة فان اخاه لا يتظاهر بنصرته بل يكون مع الخليفة ، طمعاً في حفظ مركزه والسعي بالعفو عن اخيه اذا ما فشلت حركته . وقد مر بنا ما كان من أمر ابي الهيجاء عندما خالف اخوه الحسين ، وسعى في خلع الخليفة المقتدر . وعندما تمرد في ديار ربيعة سنة (٣٠٦ هـ = ٩١٨ م) فان ابا الهيجاء كان مع الذين لاحقوا اخاه . واخوه ابراهيم ممن سعى مع ابن الفرات في استرضاء الخليفة . والعفو عن اخيه الحسين . وهكذا نجد الحمدانيين مع تمكنهم في بلاد الجزيرة فانهم كانوا يسيرون بتحفظ واحتياط في الوصول الى ما يسعون اليه

ولم يكن الخليفة المقتدر ممن يستغني عن بني حمدان ، لانهم خير من يحفظ الامن في بلاد الجزيرة ، ولكنه لم يكد يستقر احدهما في ولايته حتى يستعيض عنه بغيره من بني حمدان او غيرهم ، خشية ان يتمكن في البلد ، ولكي يلقي الخلاف والمنافسة بينهم ، فلا يتفقون ضده .

وعندما اجتمع الاخوان الحسين وابو الهيجاء في بلاد الجزيرة والموصل ، فان الخليفة المقتدر لم يأمن جانبهما ، لذا نراه في سنة ٣٠١ هـ (٩١٣ م) يعزل ابا الهيجاء عن الموصل ، ويقلدها يمن الطولوني ، ثم صرف هذا واستعمل عليها نحرير الخادم . وهذا ما حمل ابا الهيجاء ان يخالف المقتدر . فسير اليه الخليفة مؤنسا المظفر ، مما حمل ابا الهيجاء ان يقصده مستأمناً . وسار معه الى بغداد وعرض خضوعه للخليفة المقتدر . فولاه الموصل سنة ٣٠٢ هـ (٩١٤ م) .(١)

وفي سنة ٣٠٧ هـ (٩١٩ م) قلد الخليفة المقتدر ابراهيم بن حمدان ديار ربيعة . وفي نفس السنة صرفه عنها وولاها العباس بن احمد بن اسحاق بن كنداج . وفي هذه السنة كانت فتنة في الموصل بين اصحاب الطعام وبين الاساكفة . واحترق سوق الاساكفة وما فيه . وكان ابن كنداج خارجاً عن البلد ، فرجع ليوقع بأهل الموصل ، فحصنوا البلد ، وسدوا الدروب ليقاتلوه . فلما علم بذلك . أمر الاعراب بتخريب الاعمال . فصاروا يقطعون الطريق على الجسر وفي الميدان ويقاسمونه . فبلغ الخبر الى

---

(١) الكامل ، ٨ ، ٣١ .

الخليفة فعزله سنة ٣٠٨ هـ ، واستعمل عبد الله بن محمد الفتّان ، وكان عفيفاً صارماً كف الاعراب عن البلد(١).

وفي سنة ٣٠٨ هـ (٩٢٠ م) خلع المقتدر على ابي الهيجاء ، وقلده طريق خراسان والدينور ، وخلع على اخويه ابي العلاء وابي السرايا .(٢)

وفي سنة ٣٠٩ هـ قلد الخليفة المقتدر داود بن حمدان ديار ربيعة(٣).

وفي سنة ٣١٢ استعمل المقتدر سعيد بن حمدان على المعاون والحرب بنهاوند(٤)

وفي سنة ٣١٤هـ(٩٢٦م) تولى ابو الهيجاء الموصل ايضاً ، وكان قد جعل نائبه فيها ابنه الحسن ـ ناصر الدولة فيما بعد ـ فأفسد العرب والأكراد بأرض الموصل وطريق خراسان ، فكتب الى ابنه يأمره بجمع الرجال والانحدار الى تكريت ففعل ، واجتمع بابيه واحضر العرب وطالبهم بما احدثوا بعمله بعد ان قتل منهم ، ونكل ببعضهم ، فردوا على الناس شيئاً كثيراً ، ورحل بهم الى شهرزور ، وحارب الاكراد الجلالية وانضافت اليهم غيرهم ، واشتدت شوكتهم ، فانقاد اليه الجلالية وكفوا عن الخلاف .(٥)

عظم أمر أبي الهيجاء عند الخليفة ، وضمن ايضا اعمال الخراج والضياع بالموصل ، وقردي وبازبدى وما يجري معها(٦).

وفي سنة ٣١٧ هـ (٩٢٩ م) عزل المقتدر ابا الهيجاء عن الدينور ، وولى مكانه نحرير الصغير ، وهذا ما أوغر صدره على الخليفة ، فكان أحد المتآمرين على خلعه هو وأخوه ابو السرايا نصر بن حمدان ، بينما كان قبل هذا من المقربين عند الخليفة ، ونصحه ان يحد من تدخل النساء والخدم في شؤون الحكم ، ومن اسراف رجال الدولة ، وحذره من عاقبة الامر ، فلم يستمع لقوله .

وكان للمنافسة بين القادة وأرباب الحكم ما أدى الى خلع المقتدر . (٧)كان مؤنس المظفر وهارون بن غريب من القواد البارزين ، وكان ابو الهيجاء يميل الى مؤنس لما له من الايادي البيضاء عند ابناء حمدان . ولما عاد مؤنس من الرقة بعد ان انتهى من حرب القرامطة ، لقيه ابو الهيجاء ونازوك الحاجب ، وأغرياه بأن المقتدر يريد عزله ، وتقديم هارون بن غريب مكانه . فاتفق مؤنس وابو الهيجاء

---

(١) ـ (٥) الكامل ، ٨ ، ٤١ ـ ٤٢ ، ٥٣ ، ٥٥

(٦) الكامل ، ٨ ، ٥٦

(٧) انظر عن خلع المقتدر ، الطبري ، ١٢ ، ٧٣ ـ ٧٥ ، مسكويه ، ١ ، ١٨٧ ـ ٢٠١ ، التنبيه والاشراف ، ٣٢٧ الكامل ، ٨ ، ٦٨ ـ ٧١ ، المنتظم ، ٦ ، ٢٢١ ـ ٢٢٢ ، النجوم الزاهرة ، ٣ ، ٢٢٣ ، المختصر ، ٢ ، ٧٤ ، السيوطي ، ٣٨٣ ، الذهبي ، ١ ، ١٤٠

وسائر القواد، واجتمعوا بالمصلى. والتحق بمؤنس أكثر الرجال الذين كانوا مع الخليفة.

راسل مؤنس الخليفة المقتدر: ان الجيش عاتب على ما يبذره الخدم والحرم من الاموال والضياع، وتصرفهم في أمور الدولة، ويطلبون الحد من هذا. واخراجهم من الدار بعد أخذ ما عندهم من أموال.

فكتب الخليفة اليهم يذكرهم ببيعته، وما له من مقام عندهم، وانه يعيد ابن حمدان الى الدينور، أو ان يعوض بما هو أعظم منه وغير ذلك(١).

فلما اطلعوا على هذا، طلبوا اليه اخراج هارون بن غريب من بغداد. فأجاب الى ذلك وولاه الثغور الشامية، وخرج هارون من يومه الى قطربل.

وفي ١٢ محرم: عاد مؤنس الى باب الشماسية ومعه ابو الهيجاء ونازوك وبني ابن النفيس، وجميع القواد والجيش، وزحفوا الى دار السلطان، ونقلوا المقتدر وأهله الى دار مؤنس المظفر. وولوا الاعمال، واضاف مؤنس الى ما كان الى أبي الهيجاء من أعمال طريق خراسان وحلوان والدينور وطريق سرّ من رأى وبزرج وماسبذان، ومهرجان وأرزن. ولو تم هذا لابي الهيجاء لكان أكبر ولاة الدولة، وحقق ما كان يهدف اليه من تأسيس دولة كبيرة.

واتفق نازوك وعبد الله بن حمدان على مبايعة محمد بن المعتضد، ولقبوه القاهر بالله. ولم يكن مؤنس راغبا في خلع المقتدر، لذا أخذه الى داره خوفا عليه، كما دخل هارون بن غريب الى بغداد سراً وهو من انصار المقتدر.

اما ابو الهيجاء فانه كان يلعب على الحبلين: يدخل على الخليفة المقتدر، ويظهر له الاسف على ما حدث ويذكره بما كان يحذره من وقوعه، كأنه أحد أهله ـ ليكون له يد عند الخليفة اذا ما فشلت الحركة ـ.

بعد مبايعة القاهر اضطرب الامن في بغداد، ودخل الناس والرعاع دار السلطان بمطاليب متنوعة، ووصلوا الى مجلس الخليفة القاهر، وارتبك الامر. فاستجار القاهر بأبي الهيجاء، فقال له ابو الهيجاء: والله لا أسلمتك، فوتربة حمدان لافارقتك أو أقتل دونك.

---

(١) انظر كتاب الخليفة المقتدر في: الطبري، ١٢، ٧٣ ـ ٧٥

أخذت الحمية ابا الهيجاء ، فنزع سواده ومنطقته ودفعهما الى غلام وقال له : « اعطني جبتك ـ وكانت جبة صوف مصري ـ فلبسها وركب دابة ، وقال للقاهر : يا مولاي قف بمكانك حتى أعود اليك ، فتهافت عليه خدم المقتدر ، ودخل عليه عشرة منهم بقسي ودبابيس ، فلما رآهم ابو الهيجاء صاح بهم وجرد سيفه ، ونزع الجبة الصوف التي كانت عليه ، فلفها على يده وأسرع نحوهم ، فانجفلوا من بين يديه ودهشوا ، وسقط بعضهم بالبركة ، ثم تهافت عليه الغلمان والخدم وقتلوه ، وقال : يا آل تغلب أأقتل بين الحيطان ؟ اين الكميت وأين الدهماء ؟ ثم قطعوا رأسه وساروا به الى المقتدر .

كان المقتدر قد أعيد الى بيته ، وجددت له البيعة ، وأول ما سأل عنه : ما فعل أبو الهيجاء ؟ ودعا بدواة ، فأبطأ بها الغلمان ، ولم يزل يطلبها حتى جاؤوه بها ، فكتب له أماناً بخطه ، ودفعها الى بعض الخدم وقال : ويلك بادر به لئلا يحدث عليه حادثة ، ثم أعلموه بقتله ، فقال : انا لله ، وأقبل يكررها ، وقال : ما كان يدخل الي في هذه الايام وانا في دار مؤنس من يسليني،ويظهر لي الغم حتى كأنه بعض أهلي سواه ، هذا الى ماله ولاهله من الحقوق ، وظهر فيه من الكآبة أمر عظيم

ان ابا الهيجاء هو الذي سعى في خلعه ، وبايع القاهر ، ولما استنجد به القاهر بعد خذلانه دفعته النخوة العربية وشجاعته الى الدفاع عنه ، حتى فقد حياته ، فهو من اشجع الابطال اذا ما شمر عن ساعده ، ويهجم على الاعداء مهما كانوا ـ ونجده بجانب هذا يذهب الى المقتدر بعد خلعه ويظهر له الاسف على ما حدث ، ويذكره بنصحه له الخ ..... ، ومما قاله للمقتدر بعد خلعه : يا سيدي ، يعز عليّ ان أراك على هذه الحال،وقد كنت أخافها عليك وأحذرها ، وأنصح لك وأحذرك عاقبة القبول من الخدم والنساء ، فتؤثر أقوالهم على قولي ، وكأني كنت أرى هذا ، وبعد فنحن عبيدك وخدمك ، فدمعت عينا المقتدر ، وكلامه هذا ـ وان كان فيه من المواساة ـ فانه لا يخلو من عتاب وتقريع .

فأبو الهيجاء يشبه أخاه الحسين في شجاعته واقدامه ، ولكنه يفوقه في تبصره ودهائه وتلونه .

ناصر الدولة الحمداني

بعد ان تمكن الحمدانيون في الدولة، سكن بعضهم الموصل. فكان فيها سنة (٣١٨ هـ) (٩٣٠ م) الحسن (ناصر الدولة) وسعيد ونصر وداود.

ان كان أبو الهيجاء قد وضع حجر الاساس في بناء الدولة الحمدانية. فان ناصر الدولة هو الذي أشاد بنيانها، ووطد أركانها. فهو رجل حرب وتدبير، تدرب على الحكم والحرب منذ صغره. ناب عن أبيه ابي الهيجاء في الموصل سنة (٣١٤ هـ) واشترك في قمع الثورات بنفسه. وبعد قتل والده خلفه بمكانته عند الخليفة.

ففي سنة (٣١٨ هـ) ولى المقتدر على الموصل سعيداً ونصراً ابني حمدان. وسعيد هذا كان من القواد الاكفاء. حارب القرامطة[١]. وقضى على الرجالة المصافية عندما تفاقم شرهم في بغداد سنة (٣١٨ هـ)[٢] وعزز مكانة ابناء حمدان عند الخليفة. فخلع عليه. وولي الحسن (ناصر الدولة) ديار ربيعة ونصيبين وسنجار والخابور ورأس عين وميافارقين وأرزن من ديار بكر. مقابل مال يدفعه للخليفة على سبيل الضمان. وشرط الخليفة عليهم القضاء على الخوارج ومحاربة الروم[٣].

اما الخوارج في بلاد الجزيرة فانهم كلما وجدوا فرصة سانحة ثاروا على الدولة. وأقلقوا راحة الناس:

وفي سنة ٣١٨ هـ ظهر منهم خارجيان:

صالح بن محمود من بجيلة من اهل البوازيج. واجتمع اليه الاعراب من بني مالك. فتوجه الى سنجار. واخذ من اهلها مالاً. وخطب بسنجار: فذكر بأمر الله وحذر واطال في هذا. ثم قال: نتولى الشيخين ونبرأ من الخبيثين. ولا نرى المسح على الخفين. وسار منها الى الشجاجية واعمال الفرج. وانحدر الى الحديثة. فطالب المسلمين بزكاة اموالهم. والنصارى بجزية رؤوسهم. وجرى بينهم حرب. قتل من اصحابه جماعة. ومنعوه من دخول المدينة. واحرق لهم ست « عروب »[٤]. وعبر

---

(١) مسكويه، ١، ١٨٠.

(٢) مسكويه، ١، ٢٠٢ ــ ٢٠٣. الطبري، ١٢، ٧٥ ــ ٧٦. الكامل، ٨، ٧٣ ــ ٧٤.

(٣) الكامل، ٨، ٧٤، ٨١.

(٤) العروب. تكلمنا عنها عند كلامنا عن صناعات الموصل

الى الجانب الغربي ، وأسر اهل الحديثة ابنه محمداً فأخذه نصر بن حمدان بن حمدون أمير الموصل ، وعقب الخوارج ، وفتك بهم قرب البوازيج ، وأسر صالحاً ومعه ابنان له ، وادخلوا الموصل ، وحملوا الى بغداد فادخلوا مشهورين .[1]

والخارجي الثاني هو الاغر بن مطر الثعلبي ، ظهر بنواحي رأس العين ، وقصد كفرتوثا فنهبها ثم احتل نصيبين ، فسير اليه الحسن بن حمدان ـ أمير ديار ربيعة ـ جيشاً ، فقاتله وأسره ، وسيره الى بغداد ، وهكذا قضوا على الخوارج[2] .

ـ (٥) ـ

اما حربهم مع الروم : ففي سنة (٣١٩ هـ) (٩٣١ م) غزا ثمل[3] والي طرسوس بلاد الروم ، وفتك بهم ، واعاد عليهم الكرة في الصائفة ، وتوغل في بلادهم حتى بلغ انقرة .

وعلى أثر هذا كاتب الارمن الروم ، وحرضوهم على قصد بلاد الاسلام ، ووعدوهم بالنصر ، فكر الروم على المسلمين ، ووصلوا الى سميساط ، فحصروها ، فاستنجد اهلها بسعيد بن حمدان ، فسار اليهم وفتح ملاطية ، وتوغل في بلاد الروم ، وقتل منهم خلقاً كثيراً ، وظهر امر ابناء حمدان في البلاد .[4]

كانت خلافة المقتدر ـ كما قدمنا ـ فتناً وقلاقل ودسائس بين رجال الحكم ، والخليفة ريشة في مهب هذه العواصف ، وكان مؤنس المظفر صاحب النفوذ في الدولة ، ينافسه الوزير الحسين بن قاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب ، ومعه جماعة من القواد ورجال الدولة ، وكان مؤنس مصاباً بالنقرس ، طاعناً في السن . وحاول الخليفة ان يقلص سلطاته التي كان يتمتع بها ، بتأثير وزيره .

علم مؤنس بما يدبره الوزير واصحابه ، ففاتح الخليفة ان يبعدهم ، ويؤكد صدقه واخلاصه لامير المؤمنين ، وانه يريد تخليصه من عناصر الفتنة .

اما الخليفة فقد استحوذ عليه الوزير وجماعته ، فلم يلب مطاليب مؤنس .

جمع مؤنس ما امكنه من الجيش والقواد ، وسار نحو الموصل قاصداً ابناء حمدان ، لما له عليهم من ايادي بيضاء ، فكتب الخليفة الى قواد البلاد وبني حمدان يأمرهم بسد الطرق على مؤنس ، ومحاربته ومنعه من دخول الموصل .

---

(١) (٢) الكامل ، ٨ ، ٧٥ .

(٣) توفي سنة ٣٢٦ هـ ، انظر عنه في العيون ، ص ، ٢١٨ .

(٤) الكامل ، ٨ ، ٧٩ ـ ٨٠ .

فاجتمع بنو حمدان على حربه الا داود بن حمدان، فانه امتنع من ذلك لاحسان مؤنس اليه في تربيته **وتنشئته** لأنه كان قد أخذه بعد ابيه ورباه في حجره، واحسن اليه كثيراً. اما اخوته فكانوا يميلون الى الخليفة الذي ولاهم الولايات الواسعة، كما انهم يريدون غسل ما فعله الحسين بن حمدان وابو الهيجاء مع المقتدر، وتجنبوا عملاً يذكر الخليفة بما مضى. فدخل معهم داوُد مكرهاً، وقال لهم: يا قوم بأي وجه القى مؤنساً مع احسانه العظيم اليّ. والله انكم لتحملوني على البغي وكفران الاحسان، والله ما آمن ان يجيئني سهم عائر فيقع في نحري فيقتلني - وكان كما قال -.

ولما بلغ مؤنساً ان بني حمدان قد استعدوا لمحاربته، قال عنهم: هؤلاء اولادي وانا اظهرتهم، وكان له وديعة عند الحسين بن سعيد بن حمدان، اراد ان يأخذها منه ويسير الى الرقة.

كتب مؤنس الى القبائل العربية يستميلهم اليه، واعلمهم ان الخليفة قد ولاه الموصل وديار ربيعة فمالت اليه بعض القبائل. وهو ما حمل الحمدانيين ان يستعدوا لحربه، حفظاً لمركزهم بالموصل وديار ربيعة، وكانوا يحذرون من قوة مؤنس، ويعترفون بفضله وما له من حق عليهم، وفاتحوه بموقفهم الحرج بين مناصرته او اطاعة اوامر الخليفة، والتمسوا منه ان يعدل عن الموصل وديار ربيعة، وارسلوا اليه كتاباً مع «بشرى النصراني» كاتب ابي سليمان داود بن حمدان، وفيه: «انهم على شكره، ومعرفة حق يده، ولكنهم لا يدرون كيف الخلاص مما وقعوا فيه. فان اطاعوا سلطانهم كانوا قد كفروا نعمة مؤنس اليهم، وان اطاعوا مؤنساً **وعصوا** سلطانهم نسبوا الى الخلعان» وسألوه ان يعدل عن بلدهم لئلا يلتقوا به ولا يمتحنوا بحربه.

فقال له مؤنس: قل لهم عني: قد كنت ظننت بكم غير هذا، وما أخذت نحوكم الا بثقتي بكم، وطمعي في شكركم. فان خالفتم الظن فليس الى العدول عنكم سبيل. ونحن سائرون نحوكم بالغد كائناً ما كان منكم، وارجو ان احساني اليكم سيكون من انصاري عليكم، وخذلانكم لي غير صارف لفضل الله عني.

بات مؤنس بقصور «مرج جهينة»، وبنو حمدان بحصباء الموصل، ووقف على المضيق[1] المؤدي الى الموصل المحسن زعفران، وفي الصباح اشتبك الجيشان ودخل مؤنس

(١) المضيق، هو الطريق الذي يحاذي نهر دجلة تحت تل الصيرمون، وقرية البوسيف، وكان الطريق الذي تسلكه القوافل لتوفر الماء فيه، ولم يزل يعرف الى اليوم بدرب المضيق.

الموصل في ٤ صفر سنة ٣٢٠ هـ وانهزم بنو حمدان . والتحق خلق من عسكرهم بمؤنس وفرق عليهم الجوائز .

اما ابناء حمدان ، فتوجه ابو العلاء بن حمدان وابو السرايا الى بغداد مستنجدين بالخليفة . فلم يفعل الخليفة شيئاً . واما الحسن بن عبد الله بن حمدان فالتجأ الى جبال معلثايا ، واجتمع به بعض غلمانه . فعقبه يلبق ، فانهزم الى الجانب الغربي .

خسر الحمدانيون نفوذهم في البلاد وقوي امر مؤنس . والتحق به كثير من القواد الذين في بلاد الروم وحلب وأرزن . وتتابعت عليه الجيوش من بغداد وغيرها . وولى العمال على البلاد .

كان الحسن بن عبد الله بن حمدان رجل سياسة وتدبير . فبعد ان فقد مكانته رأى من الحكمة ان يلجأ الى مؤنس ، خاصة وان الخليفة قد عجز عن نجدته . فتوجه الى مؤنس ، فقبله وفرح بقدومه ، وأحسن معاملته . ولما مثل بين يديه قال له : نحن في ضيافتك منذ سبعة أشهر على كره منك . فكظم الحسن غيظه وشكر مؤنسا على حسن استقباله . فكان يقف أمامه بدراعة وعمامة بلا سيف ، دلالة على الخضوع والاستسلام ، مدة بقاء مؤنس في الموصل .

بينما كان أمر مؤنس يزداد قوة وسمعة طيبة ، وكثر انصاره واتباعه ، فان الامر في بغداد كان بالضد من هذا ، ثار العامة على الخليفة لتهاونه بأمر المسلمين ، واهماله الثغور وتعطيل الجهات ، مما اطمع الروم والقرامطة وغيرهم ، والخليفة مشغول بالملذات يبذر الاموال وأفقر الدولة .

توجه مؤنس الى بغداد ، وأعلم الخليفة انه مطيع لأوامره ، لا يبغي حرباً ، ويلتمس منه ان لا يتصدى له ، ولكن رجال السوء الذين كانوا قد تسلطوا عليه حرضوه على قتاله خشية ان ينكل بهم مؤنس ، وكان عاقبة هذا قتل الخليفة .

كان مع الخليفة من الحمدانيين : ابو الوليد سليمان بن حمدان الذي اسره عسكر مؤنس ، وابو العلاء سعيد بن حمدان الذي حرض الخليفة على الاستمرار في الحرب . اما الحسن بن عبد الله فكان من اتباع مؤنس ، ونال رضاه وعاد الى ولاية الموصل .(١)

---

(١) انظر عن هذا ، الكا ٨ ، ٨٠ ـ ٨٣ ، مرآة الجنان ، ٢ ، ٢٧٨ ـ ٢٨٠ ، الطبري ، ١٢ : ٨٥ ـ ٩٥ ، مسكويه ، ٥ ، ٢٣ ، ٢ ، ٢٣٩

وفي سنة (٣٢٣ هـ) (٩٣٤ م) ضمن ابو العلاء سعيد بن حمدان الموصل ، اعمال ابن اخيه الحسن بن حمدان بمال يحمله الى الخليفة الراضي بالله . فولاه الراضي هذه الاعمال سراً ، فسار ابو العلاء بخمسين رجلاً الى الموصل ، ولما اقترب منها خرج الحسن بن عبد الله لتلقيه ، وعدل عن الطريق التي سلكها عمه ، ولما حل عمه بداره ارسل اليه الحسن من رجاله من عصر مذاكيره وقتله[٢]. فتأثر الراضي من هذا ، ومن انحياز الحسن الى مؤنس ، فأرسل جيشاً الى الموصل بقيادة الوزير ابن مقلة ، ولما قرب من الموصل رحل عنها الحسن وتبعه الوزير ، فرحل الحسن الى جبل التنين ، ودخل بلد الزوزان ، فعاد الوزير الى الموصل يستخرج مال البلد ، ويستلف من التجار المجهزين للدقيق مالاً على ان يطلق لهم غلات البلد ، واجتمع له من ذلك اربعمائة الف دينار .

ولما طال مقام الوزير بالموصل ، احتال سهل بن هاشم كاتب الحسن ، فبذل لابن الوزير عشرة الاف دينار على ان يكتب لابيه ان الأمور في بغداد قد اضطربت عليه ، وانه متى تأخر وروده لم يأمن حدوث حادث يبطل بها امرهم ، فقلد الوزير علي بن خلف بن طياب اعمال الخراج والضياع بالموصل وديار ربيعة ، وقلد اعمال المعاونة بها ماكرد الديلمي من الساجية ، ووفى التجار ما استلفه منهم ، وانحدر الى بغداد[٣].

فعاد الحسن الى الموصل ، ودحر من تصدى له ، وفي ذي الحجة سنة (٣٢٤ هـ) دخل الموصل وراسل الخليفة معتذراً اليه وانه يضمن ما كان في يده ، فأجيب الى الطلب ، وعاد الى الموصل وديار ربيعة[٤].

زاد اضطراب الامور على عهد الخليفة الراضي بالله ، وخرجت اكثر البلاد من يده ، وكثر المتغلبون على الاطراف ، وتمكنوا فيما يتولونه[٥]. وكان رجاله رجال سوء ، نالوا الحكم بالغدر والمخاتلة والرشوة ، فهل يتوقع منهم خيراً ؟ عجز الخليفة عن اصلاح الحالة ، فكتب الى محمد بن رائق سنة (٣٢٤ هـ) (٩٣٥ م) يستقدمه من البصرة الى بغداد ليستعين به في توطيد حكمه ، واسند اليه منصب (امير الامراء)، وفوض اليه حكم البلاد واقرار الامن ، وقيادة الجيوش ، وقد اخطأ في هذا ،

---

(٢) الكامل ، ٨ ، ١٠٧ ، ابو الفدا ، ٢ ، ٨٣

(٣) مسكويه ، ١ ، ٣٢٥ ـ ٣٢٦ ، الكامل ، ٨ ، ١٠٧

(٤) مسكويه ، ١ ، ٣٣٣ ، الكامل ، ٨ ، ١٠٧ ، ابو الفداء ، ٢ ، ٨٨

(٥) انظر عن المتغلبين ، العيون ، ١ ، ٢٩٨ ـ ٢٩٩ ، الكامل ، ٨ ، ١١٢ ـ ١١٣ ، الفخري ، ٢٨٠ ، ابن الوردي ، ١ ، ٣٧٢

لانه ابطل الدواوين وسلم امور الخلافة الى شخص صار يتحكم بالخليفة والبلاد ، وأمر بأن يخطب له على جميع المنابر ، وانفذ اليه الخلع ، فكان ابن رائق الحاكم المطلق ، ، ابطل الدواوين ، وابطل الوزارة ، وكان هو وكاتبه يصرفان امور الدولة والجيش ، تحمل الاموال الى خزائنه ، فيتصرف فيها كما يريد ، ويطلق منها للخليفة ما يريد ، فالبلاد كلها بيد أمير الامراء والخليفة ليس له من الامر شيء .

كان القواد والامراء يتنافسون على هذا المنصب الرفيع ، وجرت بينهم فتن وحروب زادت ارتباك الحالة في البلاد ، وممن كان يطمع بهذا الحسن بن عبد الله الحمداني .

كان الحسن أحد المتغلبين على ديار ربيعة والموصل ، ويسعى في توسيع سلطانه وبث الفوضى في الدولة ، وهو شيعي المذهب ، يرى الخلافة في ابناء الامام علي بن أبي طالب ـ ك ـ :

١) فكان يتقاعد بحمل المال في الاوقات التي يحتاج اليها الخليفة ، ليسد نفقات الحجرية اذا ما طالبوه ، ومتى علم ان الخليفة قد سد حاجتهم وأمن شرهم يحمل المال اليه(١) .

٢) أخر مال الضياع التي كانت بعمله ، والتي كانت بخدمة الخليفة الراضي ، والخليفة بأمس الحاجة الى المال ليرضي به القواد والاجناد .

٣) شغب الساجية على الدولة سنة (٣٢٥ هـ) (٩٣٦ م) ، ولما نكل بهم الخليفة لحق من بقي منهم بالموصل بأصحابهم ، فأحسن اليهم ابن حمدان وأرزقهم ، وصاروا يتتابعون اليه ، فيؤويهم ويكرمهم ، وكان من رؤسائهم في الموصل شفيع الخف ـ يبغي ابن حمدان بفعله هذا اضعاف جيش الخليفة وتقوية جيشه .

٤) وذكروا سببا آخر ان الحسن كان قد احتوى على املاك الناس بديار ربيعة .

وهذه الاسباب حملت الخليفة الراضي على التوجه الى الموصل ومعه بجكم ، فلما كان الخليفة بتكريت أرسل الى ابن حمدان من يطالبه بالمال سنة (٣٢٧ هـ) (٩٣٨ م) .

اما ابن حمدان فكان يظهر الطاعة للخليفة ، وحمل اليه زوارق فيها دقيق وشعير وحيوانات هدية للخليفة ، يظهر التقرب اليه ، ولما علم بها بجكم أخذ ما في الزوارق وفرقه على أصحابه ، وعبر بالزوارق الى الجانب الغربي .

وكتب الى الراضي يندد ببجكم وكاتبه ، ويؤكد طاعته للخليفة فيقول : « انا اعلم انه لم يكن خروج مولانا من مدينة السلام شهوة منه الى محاربتي ، وانما حمله على ذلك علي بن خلف بن طياب ـ كاتب بجكم ـ وبجكم ، وانا فحيث كنت عبد مولانا وصنيعته ، ولو أمنت على نفسي أعدائي لانحدرت الى حضرة مولانا حافياً لخدمته ، ولكني اخاف ممن اغرى مولانا ، ولو علمت ان مولاي يسير وحده الى اعمال الموصل لتنحيت من بين يديه الى حيث يأمر ، وأزحت العلة فيما يلتمسه ، وليس لي بد من دفع المكروه عن نفسي لمحاربة من يحاربني ، فلا يجد مولاي على عبده في نفسه(٢) » .

فابن حمدان كان يلقي اللوم على بجكم وكاتبه ، ويدعي انهما حملا الخليفة على الخروج اليه ، وانه عبد مطيع لامير المؤمنين اذا ما أعرض عن سماع ماقالاه له(٣) .

فلما اطلع الخليفة الراضي على كتابه عظم ذلك عليه وقال : هذا رجل كان ربما اجتاز به في عمله عامل من عمالنا ، فيستوحش منه ويخافه ، ويتنحى من بين يديه ، فلما خرجت انا الى عمله ، وضع نفسه في محاربتي ، ان هذا لمن العجائب(٤) .

وزاد حنقه على ابن حمدان لانه نصب نفسه لمحاربة الخليفة ، وهذا مالم يكن يتوقعه الخليفة ـ كما قال ـ وفي الحقيقة ان الخليفة بخروجه الى الموصل حمل ابن حمدان على محاربته .

كان ابن حمدان خلال هذا يراسل الخليفة وبجكم ، ويعرض عليهما المال ، يبغي بهذا تسويف الامر ، واشغالهما عن الزحف اليه ، ليظهر نفسه انه ليس عاصياً على الخليفة ، ويزيد التذمر بين صفوف جيش الخليفة لقلة اعطياتهم وحاجتهم الى المال ، والخليفة لا مال له،وجيشه متعب معوز ، فكان موقف ابن حمدان فيه شيء من الحيطة والحذر لنفسه ، وبث البلبلة والتذمر في جيش الخليفة .(٥)

اقام الخليفة في تكريت وهو غير مطمئن من بجكم ، ويخشى ان يخدعه ابن حمدان فيغريه في الاموال ويصرفه عن حربه ـ كما فعل مع ابن مقلة ـ ونراه يؤكد

---

(١) ـ (٢) مسكويه ، ١ ، ٤٠٤ ـ ٤٠٥ ، العيون ، ٣٢٠ ، أخبار الراضي : ٨٨ .

(٣) (٤) العيون ، ٣٢٠ ـ ٣٢٢ .

(٥) انظر عن هذا النزاع ، مسكويه ، ١ ، ٤٠٤ ـ ٤٠٨ ، اخبار الراضي ، حوادث سنة ٣٢٧ هـ العيون ، ١ ، ٣٢٠ ـ ٣٢٢ ، الكامل ، ٨ ، ١٢٤ ـ ١٢٥ .

على بجكم قبل ان يسير الى ابن حمدان بقوله : لم اخرج من بغداد لقصد ابن حمدان لما اريده منه ـ اي حمل المال ـ وانما غرضي طرده عن البلد ، وكف ظلمه عن الناس . وانه منذ عشرين سنة مالأحد معه ضيعة ولا ملك . فينبغي ان تخيره احدى ثلاث خصال ، أحدها ان يكون تانياً ، يقيم في ضيعة ، ويؤدي ما عليه من الخراج والمال ، واما ان يسير الى حضرتنا ويدوس البساط ، واما ان يختار عملاً يقلده ، او نقلده عمل اذربيجان وارمينية . فان لم يختر من هذه الخلال الثلاث شيئاً ، واختار محاربتنا فالقه . واحذر يابجكم ان تخالف ما رسمته لك . فاني اعلم انه سيبذل لك مالاً . فالله الله ان تشره نفسك الى شيء تأخذه منه ، وانظر الى كل ما بذله لك فعرفنيه ، فاني اعطيك اضعافه .

وذكره بما فعله ابن حمدان مع ابن مقلة فقال : قد كنت انفذت ابن مقلة ومعه الغلمان لطرده ، فخرج اليه وطرده ، واقام في البلد يستخرج المال ، فدس اليه ابن حمدان بمال الى رؤوساء الحجرية ليشغبوا على ابن مقلة ، فشرهت انفسهم الى اخذ المال ، فاحذر ان تكون انت مثلهم .

واما بجكم فانه اخذ يجادل الخليفة عن ابن حمدان فيما اذا حمل اليه المال ، ويعرض له بقبوله .

سار بجكم الى الموصل ، ولقيه ابن حمدان بموقع الكحيل في عشرين الفاً من العرب والعجم والاكراد ، فانهزم بجكم في اول الامر ، ثم حمل بنفسه على اصحاب ابن حمدان فدحرهم ، وانهزم ابن حمدان الى نصيبين ، فتبعه بجكم فسار منها الى آمد وتحصن بها ، وكتب بجكم الى الراضي يعلمه بالفتح .

كان موقف الراضي قلقاً ، ثار ابن رائق في بغداد ، وانضم اليه القرامطة الذين كانوا في جيش الخليفة ، فقوى امره واستولى على بغداد ، ولم يتعرض لدار الخلافة . وجيش الخليفة قليل القوت ، متعب متذمر مما هو عليه .

فاستشار الخليفة اصحابه في السفر الى الموصل او العودة الى بغداد ، وكان ممن يعتمد عليهم ، القاضي ابو الحسن عمر بن محمد ، وذكي الحاجب ، وابو بكر محمد بن يحيى الصولي ، فاشاروا عليه ان يعود الى بغداد ويقضي على ابن رائق قبل ان يعظم امره ، وذكروه بحسن سمعة ابن حمدان .

وقد حدثنا الصولي عما قال للخليفة ، ان الناس يتحدثون بأن العسكر الذي قد رحلت لتزيله اشبه بعساكر الاسلام من العسكر الذي تقصده به ، من قوم لا يرون

طاعتك، واشبه بعسكر ابائك، وقد تحدثوا بأن الحسن - اي ابن حمدان - قد بذل اكثر مما اريد منه، فإن رأى سيدنا ان يقبل هذا، ويرجع الى دار ملكه ويزول ما يخافه من وثوب ابن رائق، فانه غير مأمون.

وحذره الصولي ايضا من دهاء ابن حمدان، وبذله المال لبجكم - اذا ما يئس من رضا أمير المؤمنين - وان بجكم يهمه المال ليعزز مكانته عند جيشه المعوز، فيكسبه ابن حمدان، فقال له، اذا يئس الحسن من قبول الخليفة لما بذل، لم نأمن ان يصرف أمره الى غيره - يعرض ببجكم - ويلقي نفسه عليه، ويتقرب اليه، ويحظيه ببعض ما بذله، فيجعله صنيعة له ومادة لدهره، ويكلم من يلقي نفسه على الخليفة في أمره ويسأله له ما يريده، فيقبل قوله، ويهب له أمره، فيحظى بما اردنا ان نحظى به.

كما كان يطمع في املاك بني حمدان ليبعد بجكم في ديار ربيعة والموصل، ويشغله بخيراتها، فقال للصولي، نسير الى الموصل وهي الناحية العامرة، واكثرها ضياع آل حمدان، فاقبضها كلها، وانفرد بأولئك، واجعلها لبجكم واصحابه، وهي كفاية وفاضلة عنه، ويخلص لي مال ضياعي، فأوسع على الناس، وأعطي من حرمت، واجعل في بيت المال شيئاً يرجع الناس اليه.

فكان يريد ان يتخلص من بجكم ويبعده عن دار الخلافة، لكي يتصرف هو في أملاكه، ولكن الصولي أعلمه ان عمارة البلاد كانت بعناية بني حمدان فيها، واذا تولاها بجكم وأصحابه فسيؤول أمرها الى الخراب، لسوء ادارته، وعبث جيشه، وفتكهم في الناس، وقال له، انما عمرت هذه الناحية بعناية بني حمدان بها ونزولهم فيها، ولو قد صارت الى غيرهم لعادت خرابا، كما عادت فارس بعد عمرو بن الليث الخ . . . . .

كان بجكم قاسياً شرساً، وجيشه يعيث فساداً في البلاد، فكثر تذمر الناس منهم، وصاروا يترقبون زواله. اما ابن حمدان فقد كان محبوباً عند أهل بغداد، وكلهم ألسنة ثناء عليه، لانه كان يرسل اليهم الدقيق والاقوات كلما قلّت عندهم، وكان يبر ابناء الامام علي (ك) ويرسل الهبات الى أهل سامراء، وان اخاه على قد سد ثغور الروم، وأعمل فيهم القتل والاسر - فكانت قلوب الناس مع بني حمدان - وكرهوا خروج الخليفة لحربهم.

سار الخليفة الى الموصل ، وجيشه منهوك جائع متذمر ، قد هلكت دوابه ، ومات كثير ممن معه ، وقطع الطريق من سامراء الى الموصل في أربعة أيام ، ودخلها في حالة غير مرضية ، وتتابع أصحابه من بعده ، فوصلوا في عشرين يوماً ، وهم في حالة مزرية .

اما ابن رائق فقد قوى أمره بمن انضم اليه من جيش الخليفة والقرامطة واضحاب المطامع .

كتب الخليفة الى بجكم يستقدمه الى الموصل ليتدارك الامر ، فأسرع اليه ووقع بين أصحابه وبين أهل الموصل حرب ، وقتل جماعة من التجار ونهبوا ، فزاد تذمر الناس من بجكم وأصحابه ، حتى وجه الخليفة الراضي بأصحابه فكفهم عن ظلم الناس .

وطالب بجكم علي بن خلف بن طياب ـ كاتبه في الموصل ـ بالاموال التي ضمنها ، فما قدر الاعلى الشيء اليسير ، وأخذ جيش بجكم ينسل من الموصل الى بغداد لسوء حالته وضيق عيشه ، حتى اضطر بجكم ان يسد دروب الموصل ويمنعهم من الفرار الى بغداد والألتحاق بابن رائق .

رجع ابن حمدان الى نصيبين وديار ربيعة ، وتمكن فيهما ، والخليفة وبجكم في الموصل لم يبق معهما الا القليل ، وابن رائق متمكن في بغداد ، وأهل الموصل ناقمون على جيش بجكم ، حتى قال بجكم : « حصلنا على ان يكون في يد الخليفة وامير الامراء قصبة الموصل فقط » .

ولم يكن يعلم ابن حمدان ما عليه الخليفة وبجكم من الوهن والحاجة والتذمر ، وتمكن ابن رائق في بغداد ، ولو علم هذا لسهل عليه الاستيلاء على الحكم .

وجرى اتصال بين ابن حمدان وبجكم سراً من غير ان يعلم الخليفة ، فأرسل ابن حمدان الى بجكم القاضي ابي احمد الطالقاني ـ الذي كان اسره ـ الى بجكم يعرض عليه ان يقدم خمسمائة الف درهم معجلة ، ففرح بجكم واعلم الخليفة الراضي بهذا ، فأمتنع الخليفة عن قبوله ، ولكن بجكم أصر على تدارك الموقف . فقبل الخليفة الراضي وأنفذ معه في يومه الخلع واللواء ، والقاضي ابى الحسين ابن ابي الشوارب يستحلف ابن حمدان ، ورجع القاضي مع مال التعجيل .

واراد ابن حمدان ان يوطد علاقته مع بجكم بالمصاهرة ، فتزوج ابن حمدان بابنة صغيرة لبجكم ، ووقع الاملاك بين يدي الخليفة . وهكذا رجع ابن حمدان الى ما كان عليه .

المتقي وبنو حمدان

لم يكن الخليفة المتقي أحسن حالاً من الخليفة الراضي بالله . فبعد ان بويع بالخلافة سلم مقاليد الحكم الى بجكم . واقره اميراً للامراء ـ كما كان في عهد الراضي ـ وسير اليه الخلع واللواء .

كان بجكم في واسط . وقد أرسل توزون ليصد جيش أبي عبد الله بن البريدي الذي تقدم الى المذار . فلم يتقدم جيش توزون اول الامر . وكتب الى بجكم يستمده . فسار اليه . وكان توزون قد انتصر على اعدائه قبل وصول بجكم . وهم بجكم بالرجوع الى واسط . فأشار عليه بعض اصحابه ان يتصيد في « نهر جور » .

وفي خلال هذا علم ان هناك اكراداً لهم مال وثروة . فشرهت نفسه الى اخذها . فقصدهم وهرب الاكراد من بين يديه . وطعنه غلام من الاكراد في خاصرته فمات في ـ ٢٥ ـ رجب سنة ٣٢٩ هـ . فالتحق الديلم من جيشه بابن البريدي . فاكرمهم وقربهم . وعاد الاتراك الذين كانوا مع بجكم مع تكينك .

فطمع ابن البريدي وتوجه الى بغداد . وانضاف اليه بعض الاتراك البجكمية . وسار بعضهم الى ابن حمدان في الموصل . فلم يهتم بهم . فرحلوا الى ابن رائق في الشام .

دخل ابن البريدي بغداد في ١٢ رمضان . واستقبله الوزير ابو الحسين والقضاة والكتاب واعيان الناس . وكان معه من انواع السفن ما لا يحصى كثرة . فأنفذ اليه الخليفة المتقي يهنئه . وولاه الوزارة وانفذ اليه طعاماً وميرة وغيره عدة ليالٍ .[1]

كان ابن البريدي معجباً بنفسه . فانه لم يغتنم ضعف الخليفة ورجاله . فيمكن نفسه من الدولة . بل طلب من الخليفة ان يرسل اليه خمسمائة الف دينار ليفرقها على جيشه . وتهدده ان لم يفعل . وذكره بما جرى على الخلفاء الذين كانوا قبله . وكان يحرض جنده بطلب المال من الخليفة . فاضطر الخليفة ان يحمل اليه ما طلب . ولم يوزعه على جنده . فنفر جنده وتزعم الاتراك تكينك ـ غلام بجكم ـ وتزعم الديلم كورتكين وتآمروا عليه . ونهبوا دار اخيه . فانحدر ابن البريدي الى واسط في سلخ رمضان ـ وكانت مدة بقائه في بغداد اربعة وعشرين يوماً . واستولى كورتكين على الامر . فقلده الخليفة امارة الجيش وخلع عليه . وكان اصحابه

---

(١) العيون : ١ ، ٣٢٧ ـ ٣٢٨ ، ٣٤٢ . الكامل : ٨ : ١٣٠ ـ ١٣١ .

يظلمون الناس . فثار أهل بغداد وابطلوا الجمعة . واقتتلوا مع الديلم . وقتل من الفريقين جماعة . فاستعان الخليفة بابن رائق من الشام . وكان هذا قد قوى بمن انضم اليه من جيش بجكم . فحسنوا له السفر الى العراق . وتولى الحكم .(١)

ولما دخل ابن رائق الموصل تنحى عن طريقه ابن حمدان لعداوة بينهما . ثم تراسلا وتصالحا وحمل اليه ابن حمدان مائة الف دينار .

سار ابن رائق الى بغداد وحارب كورتكين وساعده اهل بغداد . ففتكوا بالديلم وخلص الناس من شرهم . فخلع عليه الخليفة المتقي وقلده امارة الامراء في ٢٥ ذي الحجة سنة ٣٢٩ هـ (٩٤٠ م) وطوق بطوق عظيم مكللاً بالجوهر . وسوّر بسوارين . وجعل يشكو ثقل الطوق . فكان ابن رائق بيده الحل والعقد . واليه امور الخلافة .

وكان الحسن ابن عبد الله الحمداني وابن البريدي ينافسانه . وفي سنة ٣٣٠ هـ أخر ابن البريدي حمل المال الى ابن رائق . فانحدر ابن رائق الى واسط قاصداً ابن البريدي . ثم اصطلحا على ان يؤدي اليه مائة وتسعين الف دينار . وانشق على ابن رائق بعض الاتراك البجكمية . وطالبوه بارزاقهم . فلم يتمكن ان يتلافاها . فمضوا الى ابن البريدي في واسط . وزينوا له التوجه الى بغداد .(٢)

اراد ابن رائق ان يخدع ابن البريدي . فكتب اليه يقلده الوزارة . ولكنه لم يلتفت اليه لما آنس من قوته . فوجه اخاه ابا الحسين الى بغداد . واستعد ابن رائق لمقاتلته في تحصين دار الخلافة . واستنهض الناس لحربه . ولكن هذا لم يفده . لكثرة الديلم والاتراك الذين كانوا مع ابن البريدي فدخل هذا بغداد . واستولى على دار الخلافة . وكان الخليفة قد خرج هو وابن رائق ظاهر بغداد . فأرسل اليه ابن البريدي يحلف له انه لا يريد الا خدمته والانتهاء الى ما يريده . فلم يلتفت الخليفة الى ذلك ورحل الى سامراء . ولحقه الحسين بن سعيد بن حمدان . فنهب ابن البريدي دور الحرم وقتلوا من فيها . وكثر السلب والنهب في بغداد.وكبسوا الدور . واخرجوا اهلها منها . وصادروا الدواب والحبوب فغلت الاسعار وعظم الخطب .

كتب الخليفة الى ابن حمدان يستمده على البريدي . فأرسل اخاه عليا في جيش . فادرك الخليفة وابن رائق بتكريت قد انهزموا من ابن البريدي واخذوا طريق

---

(١) الوزراء للصولي ، ٣٨٦ ،العيون ٣٤٨ ، الكامل ، ٨ ، ١٣٢ ــ ١٣٥ ، ابن العبري ، ٢٨٦ .

(٢) الاوراق ، ٢٠٩ ، الكامل ، ٨ ، ١٣٥ ، ابن العبري ، ٢٨٦ ، ابو الفداء ، ٢ ، ٩٤ ، العيون ، ١ ، ٣٤٨

الموصل . فاقام علي بن حمدان للخليفة ومن معه كل ما يحتاجون اليه من الميرة والثياب والفرش والدراهم وساروا جميعاً الى الموصل .(١)

ولما اقترب الخليفة وابن رائق من الموصل خاف الحسن بن حمدان عاقبة الامر ، ففارق الموصل الى الجانب الشرقي ، وتوجه الى معلثايا ، وذلك لما كان بينه وبين ابن رائق من العداوة ، وان كل منهما كان يصمم الفتك بالثاني .

كان ابن رائق يدل على الحمدانيين ويزري بهم اذا لعب الشراب برأسه ، يقول لعلي بن عبد الله الحمداني ، أي شيء انتم تسوون ؟ وأي يوم كان لكم ؟ وهل انتم الا أعراب ؟ يريد انتقاصهم أمام الناس ، ويصف نفسه بالرجولة والشهامة ، فكان علي يكظم غيظه ويعلم أخاه بما يقول .

فعزم الحسن على الفتك بابن رائق ، ليخلص من شخص ينافسه ، ولربما كان الخليفة يرغب بهذا ، ليضرب واحداً بآخر،ويتخلص من أحدهما .

واخذ الحمدانيون يخططون لقتل ابن رائق ، ولما كان الخليفة في الموصل ، نزل « علي » الحمداني في ظاهر الموصل قرب الدير الاعلى ، وكان أخوه الحسن ـ كما قدمنا ـ في ملعثايا ، وترددت الرسل بين ابن رائق وابن حمدان وتعاهدا ، فاقترب الحسن من دجلة أمام الموصل ـ وكان متحذراً من خصمه ـ فلم يعبر الى الخليفة ويسلم عليه ، وأراد الخليفة المتقي ان يستميل ابن حمدان ، فأرسل ابنه أبو منصور ليسلم عليه ومعه ابن رائق(٢) ، وكان ابن رائق شهماً مقداماً عظيم الكبر ، مستبداً برأيه ، كثير الغرور والاعتداد بنفسه ، منزوعاً من التوفيق والعصمة والتسديد ، لا يعبأ بخصمه ، مع ان الخليفة حذره من ابن حمدان ، ولربما أراد الخليفة بهذا ان يستفزه فيحمله على الذهاب اليه ، لأنه كان يرى نفسه أقوى من بني حمدان(٣) .

أمر الحسن أخاه عليا ان ينقل معسكره من غربي دجلة الى شرقيه ، قرب جيشه ، ليكون قوة له اذا ما حدث حادث عند قتل ابن رائق

---

(١) الاوراق ، ٢٢٢ ـ ٢٢٣ ، مسكويه ، ٢ ، ٢٣ ، الكامل ، ٨ ، ١٣٤ ـ ١٣٥ ، النجوم الزاهرة ، ٣ : ٢٧٤ ـ ٢٧٥ . الفخري ، ٢٨٤ ـ ٢٨٥

(٢) مسكويه ٢ ، ٢٣ ، الكامل ، ٨ ، ١٣٤ ـ ١٣٥ ، الدكتور السامر ، ٢٣٨ ، اخبار الراضي ، ٢٢٤

(٣) زبدة الحلب ، ١ ، ١٠٢ ، الذهبي ، ١ ، ١٤٩ ، ابن الوردي ، ١ ، ٣٧٩ .

ولما وصل ابن الخليفة معسكر ابن حمدان، وجد علياً وابناء حمدان في استقباله، ولم يخرج الحسن بنفسه. وقد حدثنا «ذكا» الذي يرافق ابن الخليفة عن هذا الاستقبال فقال: «سار ابن المتقي ونحن بين يديه. استقبلنا أبو عبد الله بن أبي العلاء، وجماعة من بني حمدان، وجاء علي بن عبد الله وسلموا على ابن المتقي، وسارت الجماعة بين يديه حتى وافينا المضرب، وابن رائق ينكر تأخر ابي محمد الحسن عن استقبال ابن الخليفة المتقي، ويقول لاولاد عمه ـ يعني أولاد الحسن ناصر الدولة ـ: يا قوم يترفع عن أن يستقبل ابن الخليفة؟ هذا قبيح، حتى وافينا باب المضرب، فنزل سائر القواد الا القرامطة فأنهم أقاموا على دوابهم خارج المضرب. ودخلنا المضرب واذا الحسن بن حمدان قائم في الدهليز الذي في المضرب. فلما دخل ابن الخليفة قبل يده وأخذ بعنان فرسه عند البساط. ونزل وجلس في وسط الدست، ثم رجع الى خلف حتى استقبل ابن رائق.

ان هذا الموقف من ابن حمدان يدل على تدبير لقتل ابن رائق، وكان الامر قد شاع في الموصل، وأبلغ ابن رائق أحد غلمان ابن حمدان بهذا، ولكن غروره واعتداده بنفسه ساقه الى القتل، ونصحه الخليفة الا يعبر الى ابن حمدان، فقال للخليفة: يامولاي أي شيء نفكر بابن حمدان في الناس، والله لو كنت ميتاً في قبر لما استجرأ ان يمر بشفير القبر». وموقفه هذا لا يدل على حزم وتدبير، خاصة وانه امر من معه من الجيش ان لا يجيء أحد معه بسلاح.

ولما هموا بالعودة وقدموا دابة ابن رائق، ووضع رجله بالركاب، قال له الحسن: «تجلس عندي حتى نتجارى ما نحتاج اليه». فقال له ابن رائق: «ليس هذا اليوم يوم ذاك، ونحن اليوم مشاغيل بالخدمة وبعد هذا نلتقي». فألح عليه ابن حمدان، فجذب ابن رائق نفسه ليركب، فجذبه ابن حمدان حتى تخرق كمه، فغضب ابن رائق وقال: «أي شيء هذا؟»فضربه من خلفه غلام لابن حمدان بدبوس مدور على وسط رأسه، فنزلت العمامة على وجهه، واخذته السيوف.[1]

وبعد ان قضى الحسن على خصمه، أرسل الى الخليفة المتقي بالله: «انه وقف على ان ابن رائق اراد ان يغتاله، ويوقع به، فجرى في امره ما جرى». فرد عليه المتقي يعلمه انه الموثوق به، ومن لا شك فيه، ويأمره بالمصير اليه، فعبر اليه

(١) انظر عن هذا: العيون: ٢: ٣٦٦ ـ ٣٧٥ تجد تفصيل الحادث في، مسكويه: ٢، ٢٨، النجوم الزاهرة، ٣: ٢٧٤ ـ ٢٧٥.

ولقيه ، وهكذا قضى ابن حمدان على خصم عنيد له ، كان ينقصه ويستخف به ويزاحمه عند الخليفة .

ناصر الدولة امير الامراء

وخلع الخليفة في مستهل شهر شعبان سنة ٣٣٠ هـ (٩٤١ م) على ابي محمد الحسن بن عبدالله ، وعقد له لواء ، ولقبه ناصر الدولة ، واتخذه امير الامراء وطوقه بطوقين ، وسوره باربعة اسورة ذهباً . كما خلع على اخيه ابي الحسن علي مثل ذلك ، وعلى ابي عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان ، وطوقه بطوق واحد وسوارين ذهباً ، وهكذا صار ناصر الدولة أمير الامراء ، وبيده مقاليد الدولة العباسية .(١)

تسلم ناصر الدولة اعباء الدولة العباسية ، وتوجه الى بغداد مع الخليفة ليقضي على ابن البريدي الذي عاث جنده في بغداد ، والناس معه في ضيق ، كما ان قسماً من جيشه نقموا من معاملته ، فسار الاتراك منهم الى ناصر الدولة بقيادة توزون وخجخج ومن معهما ، فقوي أمر ناصر الدولة ، واستعمل على اعمال الخراج والضياع بديار مضر ـ الرها وحران والرقة ـ ابا الحسن بن طياب ، وسيره لقتال ابي الحسين احمد بن علي بن مقاتل ـ خليفة ابن رائق في الشام ـ فقتله واستولى عليها ، وبما ان الاخشيديين زحفوا على الشام بعد قتل ابن رائق ، فكان ناصر الدولة يرسل الهدايا الكثيرة لابن طغج الاخشيدي ، ليكسب وده ويأمن جانبه .(٢)

ولما اقترب ناصر الدولة من بغداد هرب ابن البريدي الى واسط ، ودخل الخليفة وناصر الدولة بغداد فاستبشر اهلها بعودة الخليفة ، واستقبلوهم بحفاوة وعملت لهم القباب ومعالم الزينة ، لانهم خلصوهم من ظلم ابن البريدي .

واخذ ناصر الدولة يعقب البريديين الى واسط قبل ان يسترجعوا امرهم ، فسَير اخاه سيف الدولة وابن عمه ابا عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان في جيش الى قتاله ، فالتقوا تحت المدائن ، وانهزم سيف الدولة الى المدائن ، وكان بها ناصر الدولة ، فردهم بمن عنده من الجيش ، وفرقهم ، وأسر جماعة من اعيان اصحابه ، وقتل جماعة اخرى ، وعاد ناصر الدولة الى بغداد وبين يديه الاسرى على الجمال ، وبقي سيف الدولة في واسط ، اما البريديون فانحدروا الى البصرة واقاموا بها .(٣)

---

(١) الصولي ، ٢٢٨ ، مسكويه ، ٢ ، ٢٩ ، الكامل ، ٨ ، ١٣٥ ، ابو الفدا ، ٢ ، ٩٤ ، ابن خلكان ، ١ ، ١٤٠ .

(٢) الكامل ، ٨ ، ١٣٦ ، زبدة الحلب ، ١ ، ١٠٢ .

(٣) مسكويه ، ٢ ، ٣٠ ، الكامل ، ٨ ، ١٣٦ .

أخذ ناصر الدولة باصلاح الوضع الاقتصادي في بغداد، فالأمن مفقود، والصيارفة يتلاعبون في عيار الدنانير، والقيمة الشرائية للنقود في تدهور، وأسعار الحاجيات في ازدياد، والتذمر كثير.

فوجه عنايته الى اصلاح العملة بضرب نقود ثابتة العيار تحل محل النقود التي كان يتلاعب الصيارفة فيها، فضرب نقوداً جديدة بعيار ثابت، لم يضرب قط مثلها الا السندي بن علي، وسماها «الابريزية» فكان الدينار بعشرة دراهم، وبيع الدينار الابريزي بثلاثة عشر درهماً، وزاد في نقش السكة بعد «محمد رسول الله»، «صلى الله عليه». ولما بلغه أن الصيارفة يتلاعبون بعيار هذه العملة ويأخذون ربا ظاهراً، أحضرهم وحذرهم من التلاعب، وامرهم بتصفية الذهب والفضة، وحلفهم على هذا(١).

أما الأمن، فكان الدعار والشطار قد كثر فسادهم، وتسلطوا على الناس بالاذى، فعقبهم وظفر بهم، ونكل بهم شر تنكيل، قتل بعضهم وكحل آخرين، فهدأت الاحوال، وأمن الناس شرهم، وخشية من التلاعب في اقامة الحدود على المفسدين، فانه أمر أن تقام أمامه. وذكر مسكويه: أن ناصر الدولة صار ينظر بنفسه في قصاص أصحاب الجنايات، وفيما ينظر صاحب الشرطة، وكانت تقام الحدود الواجبة عليهم من ضرب وقطع يد ورجل بحضرته، وتعرض عليه الايدي والارجل اذا قطعت، وتعد بحضرته، ويستوفى العدد عليهم لئلا يرتفقوا أصحاب الشرطة من الجناة ويطلق من غير علمه، فهدأت الاحوال وأمن الناس(٢).

ثم التفت الى الادارة، ونظر في توطيد الأمر في بغداد، بأن يكون مطلعاً على ما يجري في دار الخلافة، فولى من يثق بهم، ويطلعه على ما يكون عند الخليفة، فعزل الحاجب بدر الخرشني، وولى مكانه أبا بكر بن خاقان. وفي رجب من سنة ٣٣١ هـ قبض على الوزير أبا اسحق القراريطي، وجعل اسم الوزارة على أبي العباس أحمد بن عبد الله الاصفهاني، وأيده الخليفة في ذلك، فخلع عليه خلع الوزارة في دار السلطان، وانصرف بها الى دار ناصر الدولة، وصادر ناصر الدولة القراريطي والكتاب والمتصرفين(٣).

---

(١) الأوراق، ٢٢٩ ــ ٢٣١، مسكويه، ٢، ٣١، الكامل، ٨، ١٣٦.

(٢) مسكويه، ٢، ٣٨، الكامل، ٨، ١٤٣.

(٣) مسكويه، ٢، ٣٧ ــ ٣٨، الاوراق، ٢٢٩.

ولم يكتف ناصر الدولة بهذا، فصار يتدخل في أمور الخليفة، فيقطعه، ومن ذلك، لما صادر ابن جعفر الخياط ضياعه، استبشع الناس أن يكون هو المقطع للخليفة، وان يدون الكتب بذلك ـ والخليفة ساكت على مضض ـ.(١)

وتقدم ناصر الدولة الى الخليفة المتقي أن يزوج ابنته «علوية» بنت ناصر الدولة «بأبي منصور بن الخليفة المتقي»، ليوثق علاقته بالخليفة، وبابنه ولي العهد اذا ما صار الامر اليه. وكان الخليفة نفسه يرغب بهذا الزواج ليأمن جانب بني حمدان، ويتخذهم سنداً له تجاه الاتراك والديلم. وكان الزواج في شهر ربيع الاول من سنة ٣٣١ هـ، ووقع الاملاك يوم السبت، ووكل ناصر الدولة ابا عبد الله محمد بن أبي موسى الهاشمي وكان الصداق خمسمائة ألف درهم، والنحلة مائة ألف دينار. وصعد ابن الخليفة ـ بعد الاملاك ـ الى ناصر الدولة الى داره بباب خراسان، فنثرت عليه بدرتي دنانير التقطها من كان معه واصحاب ناصر الدولة(٢).

والذي يعنينا من امر هذا الزواج، هل ان ناصر الدولة كان يفكر في نقل الخلافة الى بني حمدان؟ حتى جعل اسمه يخطب له على المنابر يوم الجمعة مع اسم الخليفة، ويذكر مع هذا مؤازرته للسلطان ومدافعته عنه، ثم وصل الدعاء باسمه ولقبه واسم ابيه، ولم يكن ذلك بعلم الخليفة، ولا بأمر خرج من الخليفة. والذي نراه ان ناصر الدولة اوعز الى الخطباء بهذا ليظهر مكانته في الدولة، وما له من يد في نصرة الخليفة، وارجاعه الى دار الخلافة. والخليفة ساكت ارضاءاً لناصر الدولة.(٣)

وهل ان ناصر الدولة كان يفكر في نقل الخلافة الى ابناء الامام علي ـ ك ـ؟ فهو شيعي المذهب، وممن يرون حقهم في الخلافة دون غيرهم، وكان يؤازر الشيعة في بغداد، وممن يعنى هو وجماعته «بابن المطلب» المتهم بالرفض، وضرب سكة فيها «ناصر الدولة عبد آل محمد».(٤)

ويذكر الصولي، ان الناس تذمروا من ناصر الدولة، وشكوا انه قد ساعد على اعلان أمر الرفض في بغداد، فنادى مناد في جانبي بغداد عن السلطان ببراءة الذمة ممن سمع يذكر أحداً من الصحابة بسوء.

---

(١) العيون، ٢، ٣٧٩ ـ ٣٨١

(٢) مسكويه، ٢، ٣٧، الاوراق، ٢٣٤، الكامل، ٨، ١٤٨، المنتظم، ٦، ٣٣٠.

(٣) رسوم دار الخلافة، ١٣٣ ـ ١٣٤.

(٤) الاوراق، ٢٤٩، ابن كثير، ١١، ٢٠٥. الاوراق، ٢٣٦.

سيف الدولة وناصر الدولة

كان سيف الدولة قد أقام بواسط ليستريح جيشه ، ويقوى أمره في الهجوم على البريديين في البصرة ، وكان اخوه ناصر الدولة يرسل اليه نصف مليون دينار في كل شهرين يفرقها على جيشه ، ويظهر ان ناصر الدولة سئم ارسال المال اليه ، وهذا ما حمل توزون وخجخج ان يسيئا الكلام مع سيف الدولة ، فكان موقفه حرجاً تجاه الاتراك الذين تجمعوا ضده ، كما ان علاقته بالديلم لم تكن حسنة ، وهموا باغتياله قبل هذا لولا انه وقف على الامر ، وارسلهم الى اخيه ناصر الدولة ففتك بهم(١).

وكان الخليفة يزيد في استياء الاتراك من سيف الدولة ، فهو الذي كاتب توزون على مخالفته واخراجه من واسط ليضعف مكانة أخيه ناصر الدولة في بغداد(٢).

أرسل ناصر الدولة الى اخيه سيف الدولة اربعمائة ألف(٣) درهم ، ولما علم توزون وخجخج بالمال طالبوه بتوزيعه على الجيش ، ولكنه لم يفعل ، وحاول ان يضعف قوة الاتراك في جيشه ، فيفرقهم ويخلص منهم ، فأمر توزون أن يتوجه الى « الجامدة » ويأخذها وينفرد بحاصلها ، كما أمر خجخج ان يسير الى « المذار » ويحفظها ويأخذ حاصلها له .(٤)

اعاد سيف الدولة المال الى اخيه ، ولربما كان يريد ان يؤلب الجيش على اخيه ناصر الدولة ، لانه كان خلال اقامته بواسط يقع في اخيه ، ويحسن للقواد الاتراك في قصد الشام ومصر معه ، والاستيلاء عليهما ، فكان الاتراك يصدقونه بما يقوله عن اخيه ، ولا يوافقونه في المسير الى الشام معه .

وسبب رغبته في الشام ، ان ناصر الدولة هو الاخ الكبير ، وبيده الحكم ، ولم يكن لسيف الدولة الا اطاعته وتنفيذ اوامره ، فأراد سيف الدولة ان ينفصل عنه في بلاد الشام ويكون هو صاحب الكلمة فيها .

زاد استياء الاتراك من سيف الدولة لانه لم يوزع عليهم المال ، وفي سلخ شعبان سنة ٣٣١ هـ ثاروا عليه ليلا ، فهرب الى بغداد ، فنهبوا معسكره ، وقتلوا جماعة من اصحابه(٥).

---

(١) الاوراق ، ٢٣٦ .

(٢) مسكويه ، ٢ ، ٣٩ .

(٣) الاوراق ، ٢٤٧ ، العيون ، ٣٨١ ـ ٣٨٢ ، مسكويه ، ٢ ، ٣٩ .

(٤) ويذكر مسكويه ، ٢ ، ٣٩ ، أنها ، ألفا الف درهم وخمسين الف دينار .

(٥) مسكويه ، ٢ ، ٣٩ ـ ٤١

صار موقف ناصر الدولة في بغداد قلقا . فالاصلاحات التي قام فيها في بغداد لم تؤد الى نتيجة حاسمة . لان جذور الفساد كانت عميقة متشعبة . يغذيها عدة عوامل فعالة . فالحكام متناحرون على السلطة . وهمهم نهب أموال الدولة والناس بشتى الطرق . وتفشي الرشوة والمصادرات . وكثرة الدعار والسراق . ومن يلي أمور الدولة يعلم أنه جاء بطرق ملتوية . فهو لا يفكر في اصلاح جذري في البلد . بل يجعل الامر مغنما له . وأن غيره يتحينون الفرص للوقوع به ـ وهذا ما كان عليه ناصر الدولة ـ فانه وان أصلح بعض الامور التي أدت الى هدوء في وقت محدود . فهي لم تكن اصلاحات جذرية . استأصلت عروق الفساد وقضت عليه . فصار يجمع المال ويدعي أنه يصرفه على حرب ابن البريدي . وكان يظهر الضجر مما يرسله لاخيه سيف الدولة . لكي يبرر جمع المال(١).

كما أنه ضيق على الخليفة في نفقاته وعلى أهل داره . واستولى على ضياعه وضياع والدته . وصادر الدواوين وجمع الاموال . فصار يحاسب وكيل الخليفة على اليسير من الصرف . وحذره من صرف ما لا يحتاجه الخليفة وأهله . وأسقط ارزاق المولدين من المرتزقة(٢).

وكان الوزير ابن مقلة ممن زاد في الاستياء . فانه ضمن لناصر الدولة مالا عظيما اذا استوزره . وعلى أن يطلق يده على الناس . فأجابه على ما طلب وعظم الاستياء في بغداد من وضعه هذا . وصار الناس يتحدثون عما قام به ناصر الدولة من اعمال لا يرتضونها . ما صنعه مع الخليفة . وما وضعه من الضرائب . وما صادره ابن مقلة . وما نالهم من الضر والغلاء والنكبات وابتزاز الاموال . كما كان يساعد الشيعة. فارتفع شأنهم في بغداد(٣).

وفي جمادى الآخرة من هذه السنة غلت الاسعار غلاءاً عظيما ومات الناس جوعا . ووقع فيهم الوباء . فكانوا يبقون على الطريق أياما فلا يدفنون(٤).

وهرب جماعة من رؤساء الديلم والبربر الى ابن البريدي.فلم يتبعهم ناصر الدولة وقال لهم : من اختار المقام عندنا والا فليمض مضاءا ظاهراً فما أحد يتبعه. ومما زاد في الطين بلة أن « عدل » صاحب بجكم دخل نصيبين واستولى على الرحبة واعمالها . وهو ما أشغل ناصر الدولة اذا خرجت بعض بلاده من يده(٥).

---

(٢) الاوراق ، ٢٣٨ .

(٣) الاوراق ، ٢٣٥ ، النجوم الزاهرة ، ٣ ، ٢٧٨ .

(٤) الاوراق ، ٢٢٤ ـ ٢٢٥ ، ٢٣٥ ـ ٢٣٦ .

فارتبك الامر عليه خاصة لما علم بانهزام أخيه من واسط وما قام به الاتراك . فانسحب ظاهر بغداد ، وضرب له مضربا بباب الشماسية . واستمال « عيسى بن جال الديلمي » فزاد في رزقه الف دينار ، ووصله بألفي دينار . وزاد الفارس من رجاله عشرة دنانير ، والراجل دينارا واحدا لكي يؤمن مكانته في بغداد .

كان الخليفة يحذر عاقبة انسحاب ناصر الدولة من بغداد الى الموصل . فصعد اليه في يوم الخميس وطلب اليه ان يتوقف يوما او يومين ، لكي يتهيأ للالتحاق به ، أو يدبر من يقوم بضبط الامن في بغداد .

وفي صباح يوم الجمعة سنة ٣٣١ هـ لايام خلت من رمضان توجه ناصر الدولة الى الموصل ، ومعه أصحابه الذين كانوا معه ، وشاع عند الناس ، أن الخليفة راسل ابن الترجمان في القبض على ناصر الدولة ، والمجيء به اليه ، فلم يتمكن لانه جاهل جبان[1] .

ترك ناصر الدولة بغداد يتلاعب بها الاتراك والديلم ، فنهبوا داره ، وفتكوا في الناس ، ودبر الامر في بغداد أبو اسحق القراريطي . أما ناصر الدولة فانسحب الى الموصل وفقد منصبه الخطير « أمير الامراء » ، لجشعه في جمع المال ، ولم يفكر في اصلاح جذري يؤدي الى استقرار الحكم في البلاد ، وانعاش الناس وبث الآمان والراحة .

توجه سيف الدولة الى المدائن ، وحل في بغداد ليكون في محل أخيه ، وكان قد اصابه وجيشه ضر شديد ، ونزل عند باب قطربل ، فاستبشر الخليفة بقدومه ، لعله يقضي على الفوضى ، ووجه اليه بثياب وطيب ونفقة لجيشه ، وانضم اليه من كان مستخفيا من جيشه في بغداد .

وطالب سيف الدولة الخليفة ان يحمل اليه مالاً يستعين به في قتال توزون اذا ما قصد بغداد ، كما طالب ابن مقلة ان يحمل اليه المال ، فجمع هذا ما أمكنه وحمله اليه . وتذمر الخليفة لمطالبته بالاموال ولم يفعل شيئا ، ولما بلغ سيف الدولة أن أخاه ناصر الدولة وصل الموصل ، ترك بغداد تحت رحمة الاتراك والتحق بأخيه[2] .

---

(١) مسكويه ، ٢ : ٤١ ، الاوراق : ٢٣٦ ـ ٢٣٨ ـ ٢٤١

(٢) العيون ، ٢ : ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، الكامل ، ٨ : ١٤٨ .

بعد رحيل سيف الدولة من واسط . كان الخلاف بين توزون وخجخج على امارة الجيش ، ثم استقر الامر بينهما أن يكون توزون أميرا ، وخجخج صاحب الجيش ، وكان كل منهما يحذر من صاحبه . ولما توجه خجخج لمحاربة ابن البريدي حاول هذا استمالته اليه.ولكن توزون باغته وكبسه في واسط وسمل عينه وخلص منه . ثم توجه توزون الى بغداد ودخلها في ٢٥ رمضان سنة ٣٣١ هـ دخول الظافر المتسلط . فخلع الخليفة المتقي عليه وجعله «أمير الامراء » . فكان الحاكم المطلق في الدولة العباسية ونال الناس اذى بعودة الاتراك الى بغداد(١) .

كان « الخليفة المتقي » مغلوبا على امره ، يتلاعب به الطامعون بالحكم والمال ، فكانوا يضحون بالخليفة وأهله في ارضاء مطامعهم .

بعد ان تمكن توزون في بغداد ترك نائبه فيها « محمد بن ينال الترجمان » . وكان الوزير ابن مقلة قد ضمن قرى توزون بمائة وثلاثين ألف دينار في السنة ، فخسر بها ، فخاف من مطالبة توزون ، وكان نائبه قد نفر من توزون لسعاية بينهما ، فاتفق مع ابن مقلة على ان يعلما الخليفة المتقي ، بأن توزون والبريدي قد اتفقا ضده ، وعرضا عليه ان يكاتب ناصر الدولة ليرسل جيشا يكون معه الى الموصل(٢) .

ومما زاد في شك الخليفة أن ابن شيرزاد الذي أرسله توزون ليتولى الامر في بغداد لم يتصل بالخليفة ، وكان يأمر وينهى من غير موافقته . فكتب الخليفة الى ناصر الدولة بما اشارا عليه(٣) .

أرسل ناصر الدولة ابن عمه « أبا عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان » ليصحب الخليفة الى الموصل . ولما هم الخليفة بالصعود معه ، اشار عليه المخلصون من رجاله أن لا يخرج عن بغداد الى ابن حمدان ، لان الأمر يغيظ توزون وقالوا له : « ان خروجك الى ابن حمدان أشد على توزون من ضرب عنقه وفي خروجك انحلال أمره » لان توزون كان يعزز سلطانه في بغداد بالخليفة ، وأن توزون نفسه ـ على ما ذكر الصولي ـ : ما خالف الخليفة في شيء أراده ، وما زال ساعياً في مراده ومحبوبه ، وأنه صالح البريدي لأمر الخليفة بذلك ، وهو الذي أخرج سيف الدولة من واسط بناءاً على رغبة الخليفة فما الذي أوجب أن يستوحش الخليفة منه ؟

(١) ابن كثير ، ١١ ، ٢٠٥ .

(٢) مسكويه ، ٢ ، ٤٥ ـ ٤٧ ، العيون ، ٢ ، ٣٨٤ ، النجوم الزاهرة ، ٣ ، ٢٨٠ .

(٣) مسكويه ، ٢ ، ٤٨ ، الاوراق ، ٢٤٧ .

وأكدوا عليه ان من الخير ان يبقى في بغداد، وان التجار والمياسير كانوا يحذرون من خروج الخليفة، تسود الفوضى، ويتسلط الشطار والدعار، وما يفعله جيش توزون اذا ما جاء الى بغداد من مصادرات ونهب وغصب حقوق. وقد وقع ما كانوا يحذرونه عندما صعد الخليفة الى تكريت. فالاتراك ظلموا التجار والاغنياء، مما اضطر جماعة منهم ان ينزحوا الى الشام(١).

انحدر ناصر الدولة وسيف الدولة الى تكريت، واجتمعا بالخليفة، وأعطى ناصر الدولة الناس أرزاقهم، وتقدم بهم سيف الدولة الى «الاسحاقي» وعسكر وانفذ ناصر الدولة أبا منصور عبد الواحد بن الخليفة المتقي الى الموصل هو وحرمه، وبقي الخليفة معه(٢).

وفي ٢٥ ربيع الاول سنة ٣٣٢ هـ اشتبك سيف الدولة مع توزون، وغدر الاعراب من نمير وقشير بسيف الدولة، ونهبوا عسكره، فأنثنى عليهم وفتك بهم، واشتغل معهم، فاغتنم توزون الفرصة وانتصر عليه. انسحب سيف الدولة الى أعلى تكريت وتقدم توزون الى تكريت ونهب أصحابه الناس وما فيها من زوارق وقوت(٣).

أما ناصر الدولة فانسحب الى الموصل مع الخليفة، وعزز مكانته بما وهبه للجيش من أموال. ولجأ اليه من عسكر توزون فقبلهم وخلع عليهم.

رجع توزون الى بغداد خشية من شغب جيشه، وتفاوض بالصلح مع سيف الدولة، على ان يعود الخليفة الى بغداد، وأن يحمل ناصر الدولة الى الخليفة كل سنة أكثر مما كان يحمله من قبل، وأن يكون أمير الامراء عبد الواحد بن الخليفة المتقي. فقبل ناصر الدولة هذا، ولكن سيف الدولة وأصحابه لم يوافقوا، وأيدهم الخليفة بذلك.

كان ناصر الدولة يحذر من قوة توزون ومن ضعف أصحاب أخيه الذين لم يقبلوا الصلح، فقال لهم: انتم تهربون ولا تقفون، وما لكم عندي رزق ان عزمتم على القتال الا بعد ان أعرف أمركم، والا فانصرفوا الى حيث شئتم. وأراد بهذا أن يتأكد من صدقهم وثباتهم في القتال. وأكد عليهم: ان انهزمتم فلا يريني أحد منكم وجهه. فحلفوا له انهم يجتهدون ولا يقصرون.

---

(١)، (٢) الاوراق ٢٥١ ـ ٢٥٢.

(٣) الاوراق، ٢٥٣ ـ ٢٥٤، مسكويه، ٢: ٤٧ ـ ٤٨.

سار سيف الدولة الى تكريت ، وزحف اليه توزون ، وانضم أرتمش التركي ــ وهو من أجل قواد توزون ــ الى سيف الدولة في جماعة من الأتراك ــ وكان هذا غلام سيف الدولة ــ فاضطرب عسكر توزون ، وخاف عاقبة الامر ، فحمل بنفسه مع ثلاثمائة من أصحابه ، وأوغلوا في جيش سيف الدولة ، فأزالوهم وهزموهم ، وانسحب سيف الدولة الى الموصل(١) .

كاتب توزون الخليفة ، وبين له : انه عبده ، ولا خوف عليه منه ، ويرغبه في العودة الى بغداد ، فلم يقبل الخليفة ، فرحل توزون الى الموصل ، واحتل المدينة ، وحوى ما فيها من الاطعمة ، وعسكر ظاهرها ، واستخرج ابن شيرزاد من الموصل نحو مائة ألف دينار . أما ناصر الدولة فانسحب مع الخليفة الى نصيبين .

شعر الخليفة ــ بعدما وصل الى نصيبين ــ ما بدا من ضجر بني حمدان منه ، فوقف على خطئه في الخروج من بغداد . كما أن ناصر الدولة لم يكن يتوقع ما أصابه من التقهقر والاستيلاء على بعض أملاكه ، ولماذا يفقد بعض بلاده في الدفاع عن خليفه عباسي لا يرى حقه في الخلافة ؟ . فكان يفضل رجوع الخليفة الى بغداد والصلح مع توزون .

كتب الخليفة المتقي الى توزون : اني استوحشت منك لاجل البريديين ، لقبح ما يفعلونه دفعة بعد دفعة ، وابلغت انكما اجتمعتما وصرتما يدأ واحدة فخرجت من الحضرة ، والآن قد مضى ما مضى فان آثرت رضائي فصالح ناصر الدولة وارجع الى الحضرة ، فاني اذا رأيتك مطيعاً لي عدت واستقامت لك الامور بي وبرضائي ، وكان الله في عونك(٢) .

رضي توزون بالصلح واجاب الخليفة الى ما طلب ، وعلى ان يبقى ناصر الدولة على ما كان بيده من البلاد ، وان يحمل مدة ثلاث سنين ، كل سنة ثلاثة الآف الف وستمائة الف درهم ، ولكن حاشية الخليفة لم تكن ترغب بعودته(٣) .

وان ناصر الدولة اغتنم هذا الارتباك ، ففي ربيع الاول سنة ٣٣٢ هـ اتفق مع توزون على ان تكون الاعمال من مدينة الموصل الى آخر اعمال الشام لناصر الدولة ، واعمال السن الى البصرة الى توزون .

---

(١) الاوراق ، ٢٥٦ ــ ٢٥٧ .

(٢) (٣) مسكويه ، ٢ ، ٤٩ ــ ٥٠

كتب الخليفة الى الاخشيد وهو بالرقة يعلمه بالامر . وفي ١٣ محرم سنة ٣٣٣ هـ وصل الاخشيد الى الخليفة المتقي،واعظمه المتقي نهاية الاعظام . ووقف الاخشيد بين يديه وقوف الغلمان . وفي وسطه سلاح . ولما ركب المتقي مشى الاخشيد بين يديه . فأمره الخليفة ان يركب فلم يفعل . ولم يزل على تلك الحال مختلطاً بالغلمان الى ان نزل الخليفة من ركوبه . وحمل اليه والي حاشيته هدايا كثيرة(١).

تبدل مجرى الامور عما كان عليه . فالاخشيد يسير امام الخليفة مع الغلمان . ويكون طوع اوامره . ويعرض عليه ان يسير الى مصر . ويخلص من تحكم الاتراك . ويسلم الامر اليه في البلاد . ولكن رجال السوء الذين كانوا معه لم يوافقوه . كما ان الخليفة يصعب عليه ان يترك دار السلام فقال للاخشيد : كيف أقيم في زاوية من الدنيا واترك العراق متوسطة الدنيا وسرتها ومستقر الخلافة وينبوعها(٢).

كان الاخشيد يريد ان يعزز مكانته في نقل الخلافة الى مصر . ولا يخفى ما لهذا من تأثير كبير على مركز الاخشيد عند المسلمين . فهو الذي ارضى الخليفة ودافع عنه وخضع لاوامره . كما ان توزون نفسه كان يسعى الى ارضاء الخليفة ويعرض عليه العودة الى بغداد ؛ خوفاً من ان يذهب الى مصر . ويعزز سلطان الاخشيد فيها . وان بقاء الخليفة عند بني حمدان يعزز مكانتهم . وان بني حمدان لم يكونوا مرتاحين من الخليفة الذي افقدهم بعض بلادهم . وانهم لا يرون حقه في الخلافة .

ترددت الرسل بين الخليفة وتوزون . وكتب اليه الخليفة في الصلح . على ان يخرج توزون الى واسط لكي يدخل الخليفة بغداد مع ابن طغج الاخشيدي . فلم يوافق توزون على هذا . وقال : اذا قرب ابن طغج من بغداد خرجت وتلقيته وازلت كل ما في نفسه . فاذا صار الخليفة في داره أمرني بما شاء حتى افعله . وان خرجت ولم أره كنت عند الناس عاصياً . وامتنع توزون من لبس الخلع التي ارسلها اليه الخليفة وقال : لا ألبسها الا بحضرة الخليفة اذا رأيته .(٣)

وكان ما قاله توزون حقاً . فانه لا يحسن به ان يخرج من بغداد . ويدخل الخليفة مع الاخشيدي؛ كمن خرج هارباً من غيره . كما ان خلع الخليفة يكون لبسها امام الخليفة نفسه فيزيد من تشريفه .

---

(١) ـ (٢) ، مسكويه ، ٢ ، ٦٧ ـ ٦٨ . الاوراق ، ٢٧٩
(٣) فوات الوفيات ، ١ ، ٤ .

يظهر لنا مما تقدم ان توزون لم يكن منحرفاً عن الخليفة ، وأنه تقدم اليه غير مرة ان يعود الى بغداد ، مظهراً له الطاعة والولاء . ولكن رجال السوء كانوا يحولون بين الخليفة وتوزون .

ولما علم توزون بعزم الخليفة على العودة الى بغداد ، أمر بعمارة دار الخلافة وبناء ما استهدم منها ، فكان يركب بنفسه حتى يشاهد ذلك ويعاينه ، مما يؤيد لنا ان توزون يريد الخليفة ، لولا بطانة السوء ابن الترجمان واعوانه الذين حفوا بالخليفة وحرضوه على الخروج من بغداد والالتجاء الى ناصر الدولة ، وما جرى بينهما من حروب ، ثم رحيل الخليفة الى الرقة ، ومفاتحة الاخشيديين ، كان هذا لمطامعهم التي أودت بحياة الخليفة .

وهناك عامل آخر خفي ، كان يسعى الى الايقاع بالخليفة ومبايعة عبد الله بن المكتفي ، والمدبر للامر هي حسن الشيرازية ، ولها ابنة متزوجة بابن احمد الشيرازي ، وكانت هي وابنتها مشهورتين بشرب الخمر والفاحشة ، ومتصلة بعبد الله بن المكتفي ، ودبرت معه الامر ، تمضي الى جماعة من العجم والديلم ، واتصلت بابن مالك الديلمي ـ وكان ممن له عند توزون محل وموضع ـ وكان عبد الله بن سليمان يكتب للديلمى هذا ، فاتفقت معهما اذا ما سعيا في ازالة المتقي ومبايعة عبد الله بن المكتفي ـ وذكرت له ما عليه من فهم وعقل ودين ، وما فيه من ميل للتشيع ـ فانه يتعهد لهما بستمائة الف دينار ، ولتوزون بمائتي الف دينار على ان يسلم المتقي وحاشيته لهما .

اتصلا بـ (دكلا) وكان ممن يقبل توزون مشورته ، ويأخذ برأيه ، ولما عرض الامر على توزون اكبره وقال ، « كيف يجوز ان افعل هذا وقد عاقدنا ، واشهدت على نفسي سائر الناس ، واشتهر هذا عني في البلدان ؟ » ، ولكنهم حذروه من غدر المتقي به ، وما زالوا يخوفونه ويرغبونه بالمال حتى قبل[1] . أجتمع توزون بعبد الله بن المكتفي بدار ابن طاهر ، وتعاهدا على ذلك ، وبايعه توزون قبل خلع المتقي .

انحدر الخليفة من الرقة الى بغداد على ما اتفق عليه مع توزون ، ومعه غلامان من غلمان الاخشيد ، ولما وصل الى هيت ، أنفذ القاضي الخرقي وابن شيرزاد ، حتى جددا على توزون الايمان والعهود والمواثيق ، وأكرم الخليفة المتقي توزون ولقبه المظفر ، وعاد القاضي الى الخليفة ، وعرفه ان قد أحكم الامر مع توزون .

(١) مسكويه ، ٢ ، ٦٧ ـ ٧٦ ، الكامل ، ٨ ، ١٤٩ .

ولما وصل الخليفة ظاهر بغداد خرج الناس مبتهجين للقائه ، ونصبوا القباب بباب الطاق ، فاستقبله توزون ، وقبل الارض بين يديه ، ووكل به ، فحف جند توزون بمعكسر الخليفة ، ونهبوا معسكره ، وقبضوا على الخليفة المتقي ، واشرفت على تكحيله حسن الشيرازية ، كحله لها غلام سندي ، وارسلوا الى دار ابن طاهر ، واحضروا ابا القاسم عبد الله بن المكتفي ، وبايعوه بالخلافة ، وذلك يوم السبت ١٨ صفر سنة ٣٣٣ هـ .

فخلع الخليفة المستكفي بالله على توزون ، وطوقه ، ووضع على رأسه تاجاً مرصعاً بالجوهر ، وجلس بين يدي المستكفي بالله على كرسي ، وانصرف بالخلع والتاج والطوق والسوار الى منزله[١] .

وفي خلال هذا النزاع ، اغتنم ناصر الدولة فرصة توسيع بلاده ؛ فكانت الموصل وديار ربيعة وديار بكر وقردى وبازبدى ، وبهذرا ، وامتد نفوذه الى العواصم وبلاد الشام ، فأناب عنه فيها ابن عمه ابي عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان[٢] .

وفي سنة ٣٣٤ هـ توفي توزون ـ بعد أن تقلد امارة الامراء سنتين وأربعة أشهر وسبعة عشر يوما ـ وكان هو الحاكم المتسلط في الدولة العباسية . كان كاتبه « أبو جعفر زيرك بن شيرزاد » في هيت لتخليص أموالها ، فلما بلغه خبر موت توزون عزم على عقد الامارة لناصر الدولة ، فاضطربت أجناده الاتراك ولم يرضوا بهذا ، وعقدوا الرياسة عليهم لابن شيرزاد .

رجع ابن شيرزاد الى بغداد ونزل بباب حرب ، وأخذ المواثيق من الجيش والخليفة المستكفي بالله ، ووزع المبالغ على الجيش ، فضاقت بيده الاموال ، فكتب مع أبي عبد الله موسى بن أبي موسى الهاشمي يطالب ناصر الدولة بحمل المال ، ويعده برد الرياسة اليه ، فأنفذ اليه ناصر الدولة خمسمائة ألف درهم وطعاماً كثيراً ، ففرقها في عسكره ، فلم يؤثر ، وأخذ في المصادرات وقسم الاموال على العمال والكتاب والتجار وغيرهم لارزاق الجند،وضيق عليهم مما اضطر بعض الناس أن يهاجروا من بغداد . واستعمل على تكريت الفتح اللشكري ، فسار هذا الى ناصر الدولة وانضم اليه ، فأقره على تكريت .[٣]

---

(١) مسكويه : ٢ : ٧٨ ، الكامل : ٨ : ١٥٠ .

(٢) اخبار الراضي ، ٢٨٤ ، زبدة الحلب ، ١ ، ١٠٤ ـ ١٠٥ ، ، النجوم الزاهرة ، ٢ ، ٢٨٠ .

(٣) مسكويه ، ٢ ، ٨١ ـ ٨٤ ، الكامل ، ٨ ، ١٦٠ ، النجوم الزاهرة ، ٣ ، ٢٨٤ ـ ٢٨٥ .

زادت الحالة سوءاً في بغداد وعجز ابن شيرزاد عن سد نفقات الجيش، فزاد شر الاتراك، وتسلطوا على الدولة والناس. فاضطر ابن شيرزاد ـ بموافقة الخليفة المستكفي ـ أن يكاتب أحمد بن بويه، الذي كان في الاهواز ـ الاحواز ـ يستدعيه الى بغداد ليدبر الامور فيها.

توجه أحمد بن بويه الى بغداد ودخلها دخول الظافر المنتصر، وأحسن الخليفة استقباله، وأنعم عليه ولقبه « بمعز الدولة » وعلى أخيه ابو الحسن علي « عماد الدولة » وعلى أخيه أبو علي الحسن « ركن الدولة » وأمر ان تضرب القابهم وكناهم على النقود، ونزل أتباعه في دور الناس، ولحقهم أذى وشدة عظيمة، وصارت رسماً عليهم[1].

البويهيون وناصر الدولة

استولى البويهيون على أمور الخلافة (٣٣٤ - ٤٤٧ هـ = ٩٤٥ - ١٠٥٥ م) وجردوا الخليفة من كل سلطة، ومنعوه من الخطبة، وعينوا له كاتباً يدير أملاكه واقطاعه، وليس له من الامر شيء سوى ان يذكر اسمه على المنابر ويضرب اسمه على النقود. وان معز الدولة خلع المستكفي في أقبح صورة، أمر اصحابه ان يضعوا عمامته في عنقه، وجروه من دار الخلافة الى دار « معز الدولة » وبايع المطيع لله[2].

ولم يكتف البويهيون بهذا، فانهم عزموا على نقل الخلافة الى ابناء الامام علي ـ ك ـ فاستشار معز الدولة بنقل الخلافة الى المعز لدين الله الفاطمي او لغيره من العلويين، فحذره بعض خواصه من ذلك وقالوا له، ليس هذا برأي فانك اليوم مع خليفة تعتقد أنت واصحابك انه ليس من أهل الخلافة، ولو أمرتهم بقتله لقتلوه مستحلين دمه، ومتى أجلست بعض العلويين خليفة، كان معك من تعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته، فلو أمرهم بقتلكِ فعلوه ـ فاعرض عن هذا[3].

وذهب البويهيون الى أبعد من هذا، فدبر عضد الدولة سنة ٣٦٩ هـ، أن زوج الخليفة الطائع بالله بابنته الكبرى، مؤملاً أن يرزق منها ولدا ذكرا، فيولى العهد وتصير الخلافة في بيت أولاد بويه، ويصير الملك والخلافة مشتملين بأيديهم[4].

---

(١) مسكويه، ٢، ٨٥.

(٢) (٣) مسكويه، ٢، ٨٦ ـ ٨٧. الكامل، ٨، ١٦٢. وزفت اليه سنة ٣٧٠ هـ

(٤) الكامل، ٨، ٢٥٧، ٩، ٤. ابن العبري، ٢٩٩.

وصار في البلاد قوتان تتنافسان السيطرة على الدولة ، بنو بويه ، والحمدانيون ومعهم الاتراك التوزونية .

اما اهل بغداد فكانوا متذمرين من جيش الديلم ، لظلمهم ومصادراتهم ، وقلة الارزاق وارتفاع الاسعار ، ولما طالب معز الدولة ناصر الدولة ان يحمل ما عليه من مال الضمان ، امتنع عن حمله ، فأرسل اليه جيشين ، احدهما بقيادة « موسى فيادة » والثاني بقيادة « ينال كوشه » ، وفي عكبرا اوقع ينال بموسى ، ونهب جيشه والتحق بناصر الدولة ، وانحدر ناصر الدولة الى سامراء في شعبان سنة ٣٣٤ هـ ليقاتل معز الدولة والخليفة .

وبينما كانت الحرب بين الطرفين ، اغتنم ناصر الدولة خلو بغداد من جيش الديلم ، فأرسل اخاه ابا العطاف عبد الله بن حمدان بجيش اليها ، وانضم اليه ابن شيرزاد ، فاحتل بغداد ، وحكمها ابن شيرزاد بأسم ناصر الدولة ، فكان الديلم بين قوتين حمدانيتين .

رأى ناصر الدولة ان يسرع في تعزيز قوته ببغداد ، فانحدر اليها ، واحتل القسم الشرقي منها ، وحكم بغداد بنفسه وقوي امره ، يؤازره الرأي العام في بغداد والعيارون ، وتأتيه المؤونة والميرة بطريق النهر من بلاد الجزيرة والموصل ، فزاد تعلق اهل بغداد به لما قدمه لهم من القوت والارزاق .

اما معز الدولة فانه بعد ان نهب تكريت ـ وهي من املاك ناصر الدولة ـ انحدر بجيشه الى الجانب الغربي من بغداد ، وقلت عنده الميرة والذخيرة والعلف ، لان ناصر الدولة قطعها عنه ، فكثر تذمر الناس منه ، ومن تصرف جيشه وندرة القوت ، وغلاء الاسعار ، وكلهم ألسنة دعاء عليه .

لم يكتف ناصر الدولة بهذا ، فانه خلع طاعة الخليفة ـ المطيع ـ الذي كان يظهر معز الدولة انه يدافع عنه ، ومنع من ذكر اسم الخليفة والقابه على المنابر ، كما منع تداول النقود التي ضربت في عهده ، وضرب نقوداً عليها اسم الخليفة المتقي سنة ٣٣١ هـ (٩٤٢ م) واسم ناصر الدولة وسيف الدولة ، واخذ يولي العمال على البلاد النائية عن حدود دولته ، فكتب الى « ابراهيم بن احمد الساماني » ان يحتل بلاد خراسان التي كانت بيد ابن اخيه « نوح بن نصر الساماني » وأنفذ اليه خلعاً سلطانية ولواء[1] ، وصار ناصر الدولة بهذا صاحب الكلمة في الدولة العباسية ، اما معز الدولة ففي ضعف وتأخر حتى فكر في الانسحاب من بغداد الى الاهواز .

---

(١) مسكويه ٢ ، ٨٧ ـ ٩٦

كانت فرصة ثمينة لناصر الدولة ان يوطد مكانته في الدولة العباسية، ولكنه لم ينظر بعيداً، ويستفد من الظروف التي تؤاتيه، فكان في وسعه ان يقضي على منافسيه.

ضاق الامر بالديلم وعزم معز الدولة بالرحيل عن بغداد، ولكن الديلم لم يرضوا بهذا، فدبر الوزير «الصميري» مع احد قواد الديلم ان يخدعوا جيش ناصر الدولة بالعبور الى الجانب الشرقي، فتصدى لهم ينال كوشه في جماعة من اصحاب ناصر الدولة فهزموه، وارتبك جيش ناصر الدولة وانهزم ناصر الدولة من بغداد، وملك الديلم الجانب الشرقي، وأعادوا الخليفة الى داره في المحرم سنة ٣٣٥هـ (٩٤٦ م)، ونهب الديلم أهل الجانب الشرقي، وفتكوا بالناس وقتلوهم. حتى أمر معز الدولة الصميري ان يركب بنفسه ويكف الجند عن الناس ففعل وقتل وصلب منهم حتى كفوا.

اقام ناصر الدولة بعكبرا وارسل في الصلح مع معز الدولة بغير مشورة الاتراك التوزونيين الذين كانوا موالين له في كل المواقع فأستاءوا من وضعه هذا، وهموا بقتله، وتم الصلح بينه وبين معز الدولة على الشروط التالية:

١ ـ ان يكون في يد ناصر الدولة من تكريت وما يليها شمالاً الى اعمال الشام ومصر، على الا يحمل عن الموصل وديار ربيعة شيئاً من المال.

٢ ـ ان يحمل ناصر الدولة عن مصر والشام ماكان يحمله «محمد بن طغج الاخشيد» عنهما.

٣ ـ ان يرسل ناصر الدولة الميرة والاقوات الى بغداد لتلافي الغلاء والمجاعة على الا يؤخذ عنها ضريبة.

وحلف معز الدولة بحضرة الخليفة والقضاة على ذلك والوفاء به، وأنفذ معز الدولة ابن قرابة وهو الذي أرسله ناصر الدولة في شأن الصلح ومعه القضاة وحلفوا ناصر الدولة بما اتفقوا عليه.

كانت الشروط من صالح ناصر الدولة، فان معز الدولة منحه سوريا ومصر ـ ولم تكن تابعة له ـ ولو أن ناصر الدولة أحسن سياسة هذه البلاد الخصبة الغنية بخيراتها، لكان أعظم الحكام في الدولة العباسية، خاصة والدولة الاخشيدية كانت في أواخر أيامها، يسودها الضعف والانحلال، وكان بأمكانه ان يكون الوارث لها ـ في سوريا ومصر ـ ولكن طمعه وحبه للمال حمله على ان يسعى في شتى الطرق لجمع

أكبر مقدار من المال ، ولم يدر أنه ان وطد الامن ونشر العدل واستقامت الامور فانه كان يجني أضعاف ما جناه من مال كان يقدم أكثره ضريبة ضمان ، أو يصرفه على حروبه[1]

استمر النزاع بين ناصر الدولة وأبناء بويه الديالمة ، فكلما ضاق به الامر لجأ الى المسالمة وقدم اليهم الاموال ، واذا آنس من نفسه قوة او ارتباكا في بغداد يعود الى الحرب معهم ، فقضى الكثير من حياته في النزاع والحروب مع أصحاب السلطة ، فاتعب نفسه والبلاد التي كانت تحت حكمه ، ومن ذلك ، في سنة ٣٥٢ هـ حاول ان ينقض شروط الصلح مع معز الدولة وأخر حمل المال اليه وترددت بينهما الرسل . واقترح ناصر الدولة شروطا جديدة ارسلها مع أبي الحسين الباهري الى معز الدولة :

١ ـ ان يحمل ناصر الدولة عن سنة ٣٥٢ الف الف درهم يقدم منها ثلاثمائة الف درهم .

٢ ـ وعن سنتي ٣٥٣ هـ ، ٣٥٤ الف الف درهم يقدم منها مائتي الف درهم والباقي في نجوم .

٣ ـ وبذل ناصر الدولة زيادة عشرة آلاف دينار على ان يعقد لابنه أبي تغلب فضل الله الغضنفر[2] .

وكان يريد بهذا ان يكون ولده معه في حمل المال ، فيكون اليمين لولده أبي تغلب أيضا معه ، وان يحلف لهما معز الدولة . فكان يريد بهذا ان يتخلص من حمل المال ، ويحمل ولده شطراً منه،مع انه يعلم ان ولده يعجز عن تسديد المال اذا لم يوافق أبوه عليه . وهذه الحيلة لم تخف على معز الدولة ، وهو يعلم ما عليه ناصر الدولة من نقض العهود كلما وجد فرصة ، فلم يوافق معز الدولة على هذا ، ورأى من المصلحة ان يزيحه ويخلص منه ، فتوجه معز الدولة الى الموصل سنة ٣٥٣ هـ (٩٦٤ م) . وراسل أبو تغلب معز الدولة في الصلح،واتفق الطرفان على ان يكون ابو تغلب هو الضامن لا أبوه :

١ ـ ضمن أبو تغلب ما كان في يد أبيه ناصر الدولة من الموصل وديار ربيعة والرحبة على ان يحمل عن بقايا سنة ٣٥٣ هـ ستمائة الف درهم .

---

(١) مسكويه ، ٢ ، ١٠٨ ، الكامل ٨ ، ١٦٢ ـ ١٦٣ ، ابو الفدا ، ٢ ، ١٠٠ .

٢ ـ وعن اربع سنين مستأنفة ـ آخرها سنة ٣٥٧ هـ (٩٦٧ م) لكل سنة ستة آلاف الف ومائتي الف درهم .

٣ ـ ان يعجل حمل الستمائة الف مع الاسارى الذين في يده الى الحديثة اذا حصل معز الدولة بها .

٤ ـ وضمن ان يرد من جملة ما حصل في ايديهم من المال والامتعة التي أخذت وقت الايقاع بيكتوزن وأشهد معز الدولة على نفسه القواد والعدول وقاضي البلد ـ فكان أبو تغلب هو صاحب الأمر في ديار أبيه ناصر الدولة(٢).

انقسام الحمدانيين

وفي سنة ٣٥٦ هـ توفي سيف الدولة الحمداني ـ شقيق ناصر الدولة ومؤسس الدولة الحمدانية في حلب ـ وكان ناصر الدولة يحبه كثيراً ويركن اليه لما كان عليه من الشجاعة وحسن التدبير، وما له من مواقف مشرفة مع الروم ، وعلى جانب من العلم والادب ، فجزع عليه وأثر في صحته وعقله . فساء خلقه وصار يعاكس فيما يريدونه . ويقتر عليهم في النفقة . وهذا ما حمل اولاده على النفور منه .

كان له عدة اولاد اشهرهم ابو تغلب فضل الله الغضنفر ، واخوه ابو البركات ، واخته جميلة(٣)، وهم من زوجته فاطمة بنت احمد الكردية ، وهي امرأة عاقلة مدبرة مالكة لامر زوجها ناصر الدولة ، ولما وجدت ما آل اليه أمره اوعزت الى اولادها في اعتقاله ، لكي يخلو لهم الامر ويستأثروا بالبلاد(٤).

ومن مخالفته لهم ، ان ابا تغلب اراد ان يغتنم فرصة وفاة معز الدولة البويهي ، وتولي ابنه بختيار ، فعزم على ان يغزو العراق وينتزعه من الديلم ، قبل ان يتمكن امر بختيار فيه ، ولكن اباه منعه من هذا ، وقال لهم : ان معز الدولة قد خلف مالاً يستظهر به ابنه عليكم ، فاصبروا حتى يتفرق ما عنده من المال ثم اقصدوه ، وفرقوا الاموال فانكم تظفرون به لا محالة .

لم يقنع ابو تغلب واخوته بهذا ، وكان يخشى من بختيار اذا ما تمكن امره ان يتوجه اليهم ، فعزموا على حربه ، ولما علم ناصر الدولة بما عزم عليه اولاده كتب الى ولده حمدان ان يعلمه بالامر ، وكان حمدان ـ ومعه اخوه ابراهيم واخوه

(٢) ، (٣) مسكويه ، ٢ ، ٢٠٣ ـ ٢٠٦

(٤) انظر الملحق رقم ـ ٣ ـ عنها .

الحسين ـ من اشجع ابنائه الذين يعتمد عليهم ، وقد ولاه الرقة ونصيبين والرحبة بعد وفاة سيف الدولة ، واطلق يده في هذه البلاد ، لما كان عليه من حسن الادارة .

ظفر ابو تغلب بالكتاب الذي ارسله ابوه ، وخاف هو واخوته عاقبة الامر ، فاسرعوا في اعتقاله بقلعة كواشي ـ اردمشت ـ معززاً مكرماً في ٢٤ جمادى الاولى سنة ٣٥٦ هـ (٩٦٦ م) . واسرع ابو تغلب الى مداراة عز الدولة بختيار ، ليعضده ضد اخوته ، فضمن البلاد منه بالف الف ومائتي الف[١] .

اما حمدان فلم يسكت عن هذا ، فجمع جيشاً من نصيبين ، وممن اطاعه ، وهدد اخوته بالحرب ان لم يفرجوا عن والده ، ويعيدوه الى ما كان عليه . فقصده ابو تغلب وانهزم حمدان قبل ان يلتقيا ، واحتفظ كل منهما بما لديه من املاك .

وفي ربيع الاول من سنة ٣٥٨ هـ (٩٦٨ م) توفي ناصر الدولة واراد ابو تغلب ان يستأثر في الملك ، فلم يرض حمدان بهذا ، وهدد اخاه بانه سيستعين عليه بالديلم ، والا فبالقرامطة ، الى ان يبلغ غرضه ، ولو احوجه الامر فانه سيستعين بالروم عليه[٢] .

وفي سنة ٣٥٨ هـ طرد ابو تغلب وكلاء أخيه حمدان من املاكه وضياعه ، واستعمل معه كل قبيح ، وسير اليه اخاه ابا البركات ، ولما اقترب من الرحبة انضم اليه اكثر جيش حمدان ، بعد ان استأمنوه ، ولم يجد حمدان له ناصراً ، فانهزم باهله وغلمانه الى هيت ، وكتب الى بختيار يستأذنه في الدخول اليه ـ وكان بختيار يطمع باملاك الحمدانيين ، وحاول ان يلقي بينهم العداوة والبغضاء فوجد الفرصة سانحة ، فكتب الى حمدان يستقدمه اليه مرحباً به ، فتوجه اليه في رمضان سنة٣٥٨هـ وخرج فتلقاه ومعه سبكتكين الحاجب وجماعة من جيشه ، وانزله في دار جميلة ، وبالغ في اكرامه ، وحمل اليه هدايا كثيرة من مال وافر ، وثياب فاخرة ، وطيب وفرش وبغال ودواب بمراكب ذهب وفضة وغير ذلك . ووعده بالتوسط بينه وبين اخيه ابي تغلب . وانفذ الى ابي تغلب « ابا احمد الحسين بن موسى الموسوي نقيب الطالبيين » ـ والد الشريف الرضي ـ برسالة في الصلح مع اخيه حمدان ، وكان يريد من هذا ان يقوي حمدان ويضعف أمر ابي تغلب ، فتم الصلح بينهما ، ورجع

---

(١) مسكويه ، ٢ ، ٢٥٤ ـ ٢٥٥ .

(٢) مسكويه ، ٢ ، ٢٣٩ ، ابو الفدا ، ٢ ، ١٠٦ .

(٣) مسكويه ، ٢ ، ٢٥٢ ، ابن خلكان ، ١ ، ١٤٠ ، ابو الفداء ، ٢ ، ١١٠ .

حمدان الى الرحبة في جمادى الاولى سنة ٣٥٩ هـ (٩٦٩ م) . فحمل اليه عز الدين بختيار هدية مثل الاولى وزيادة . فرحل حمدان وشيعه بختيار مع جيشه .

كان ابو تغلب يسعى في توطيد علاقته مع بختيار، لذا لم ير بدأ من مصالحة أخيه حمدان . والتقرب الى بختيار لانه لم يكن له قدرة في مقاومته . لانقسام اخوته ابناء ناصر الدولة

أراد ابو تغلب ان يحتال على حمدان في الاجتماع معه ليتفقوا على الصلح . ولكن حمدان كان حذراً منه فلم يأمن جانبه . وامتنع عن الاجتماع معه . فأرسل ابو تغلب اخاه ابا البركات واستولى على الرحبة . وترك بها حامية من الجيش . ثم سار الى الرقة . واحتل « عربان » . ففر حمدان في برية تدمر ثم قصد الرحبة مستتراً ، ووصلها ليلاً . وباغت اهلها ففتح غلمانه باب البلد . ونكل بجيش اخيه فأسر بعضهم وقتل الذين خالفوه .

رجع ابو البركات الى قرقيسيا . واجتمع مع اخيه حمدان . وتداولا شروط الصلح بينهما . ولم يتفقا على شيء حتى يعرض ابو البركات على اخيه ابي تغلب . ولما هم ابو البركات ان يسير الى عربان ليكتب لاخيه بذلك . باغته حمدان وقتله في ثالث رمضان . ودفن بتل توبة بجانب ابيه .

غضب ابو تغلب من هذا . وجهز جيشاً لينتقم من حمدان . وقدم بين يديه اخاه ابا الفوارس محمد الى نصيبين . فخان هذا أبا تغلب . وكاتب حمدان ليتفقا على ابي تغلب . اما ابو تغلب فانه عمد الى الحيلة . فاستدعى اخاه ابا الفوارس محمد ليزيد في اقطاعه . فلما حضر عنده قبض عليه واعتقله في قلعة كواشي . وصادر امواله . وبقى مثقلاً بالحديد حتى اطلقه عضد الدولة(١) .

دب الخوف في نفوس اخوته . وصاروا يحذرون من ابي تغلب لانه كان يستأثر منهم واحداً بعد الآخر . فلجأ الحسين وابو طاهر ابراهيم ابنا ناصر الدولة الى اخيهما حمدان . واجتمعوا في سنجار . فقصدهم ابو تغلب سنة ٣٦٠ هـ . ولم يكن لهم طاقة بلقائه . فراسله اخواه ابراهيم والحسين في الصلح والعودة اليه . وكانا ينويان خديعته والفتك به . فاجابهما الى هذا . وتبعهما كثير من اصحاب حمدان .

اعلمه حاجب حمدان بما اتفقا عليه . كما ان « نما » غلام حمدان ونائبه في الرحبة أخذ اموال حمدان والتحق بأبي تغلب . واخذ ابو تغلب يطارد حمدان

ويستولي على أملاكه فاضطر حمدان ان يلجأ الى بختيار ومعه اخوه ابراهيم . فانحدرا اليه الى واسط في صفر سنة ٣٦١ هـ (٩٧١ م) وتلقاهما واكرمهما وردهما الى بغداد مع هدايا كثيرة من الورق والطيب والدواب والمراكب .

ورأى ابو تغلب ان يوطد علاقته مع بختيار بالمصاهرة . فأرسل حاجبه عدة الدولة ابو الحسن على بن عمرو بن ميمون على ان يعقد لابي تغلب على بنت بختيار . على صداق قدره مائة الف دينار ـ وكان عمرها ثلاث سنوات ـ ويبغي بهذا تقوية اواصر الصداقة بينهما كي يضعف أمر اخيه حمدان ومن معه . وتم هذا سنة ٣٦٠ هـ (٩٧٠ م) . وجدد بختيار بعد هذا ضمان اعمال ابي تغلب لاربع سنين على ان يدفع كل سنة ستة الآف الف درهم ومائتي الف درهم وانفذ اليه الخلع(١) .

رأى إبو تغلب ان يوطد علاقته مع القرامطة بهجر . ليستعين بهم عند الحاجة . وهم من اشد الناس في الحروب واشجعهم . وكان الخليفة وامراء الاطراف يستعينون بهم في الحروب . فأرسل اليهم ابو تغلب هدايا جميلة قيمتها خمسون الف درهم .(٢)

وفي سنة ٣٦١ هـ ملك ابو تغلب قلعة ماردين . سلمها اليه نائب اخيه حمدان . فأخذ ابو تغلب كل ما كان فيها من مال وسلاح .(٣)

اغتنم الروم ما كان عليه اولاد ناصر الدولة من حروب . ففي سنة ٣٦١ هـ (٩٧١ م) قصدوا الرها ونواحيها وعاثوا في الجزيرة . حتى بلغوا نصيبين . فملكوها واحرقوها وقتلوا الرجال والنساء . وكان ابو تغلب عاجزاً عن صدهم لانشغاله مع اخوته . فذهب خلق من ديار ربيعة وديار بكر الى بغداد واستنفروا المسلمين في المساجد الجامعة والاسواق . وهددوهم ان استمر الامر على هذا . فان الروم سيصلون بغداد . ولاموا اولي الامر على عجزهم وتقاعسهم ـ وكان بختيار بالكوفة مظهراً زيارة المشهد وغرضه التصيد . فخرج اليه وجوه بغداد متذمرين . مما آلت اليه حالة البلاد . واشتغاله بما صرفه عن مصالح المسلمين . فعاد الى واسط . وكتب الى ابي تغلب . يعلمه انه عامل على الغزو . ويلزمه ان يعد له من الزاد والعلوفة مايسعه وجنده في الطريق . فوعده ابو تغلب خيراً . وبختيار يعلم ان ابا تغلب لا يفي بوعد . فهو يقول ولا يفعل .(٤)

---

(١) (١) مسكويه ، ٢ ، ٢٨٩ ـ ٢٩٢ ، ٢٨٣ ، الكامل ، ٨ ، ٢١٣ ـ ٢١٤ ، ٢٢١ .

(٢) ، الكامل ، ٨ ، ٢١٦ :

(٣) الكامل ، ٨ ، ٢٢٥.

زاد طمع الروم في البلاد . ففي سنة ٣٦٢ هـ تقدم الدمستق الى ميارفارقين بجيش عظيم . ولما قرب من آمد ــ وعليها « هزار مرد » غلام ابي الهيجاء بن حمدان ــ كتب الى ابي تغلب يستصرخه ويعلمه بالحال . فأرسل اخاه ابا القاسم هبة الله بن ناصر الدولة . وحصر جيش الدمستق في مضيق . وفتكوا به واسروا الدمستق ــ وهو جريح ــ ولم يزل محبوساً حتى توفي سنة ٣٦٣ هـ . (٩٧٣ م)

كتب ابو تغلب بهذا الى الخليفة . وارسل الى بغداد رؤوس القتلى والايدي ــ وكانت كثيرة ــ وعرضت امام الناس . فكان لهذا وقع حسن في تعزيز مركز ابي تغلب عند المسلمين . لانه تصدى لكسر شوكة الروم في الوقت الذي كان بختيار مشغولاً بلهوه وصيده .(١)

ظل ابو المظفر حمدان واخوه ابو طاهر ابراهيم . يطمعان بختيار في الموصل ، ويصغران امر اخيهما ابي تغلب . ووعده حمدان اذا ما أعانه على اخيه ان يضاعف له الاموال . ويخطب باسمه في البلاد . اما بختيار فكان يسوف في الامر . وارسل سنة ٣٦٢ هـ (٩٧٢ م) ابا احمد الموسوي الى ابي تغلب . يفاتحه في الصلح . فلم يحصل منه على جواب . واخذ يسوف في الامر . وعاد الموسوي الى بغداد في المحرم سنة ٣٦٣ هـ .

سئم ابراهيم من وضعه في بغداد . وعلم ما عليه اخوته الذين مع ابي تغلب من حال مستقيمة . فكتب الى اخيه ابي تغلب يعلمه برغبته في القدوم اليه . وطلب منه ان يرسل اليه من يصحبه من الفرسان والاعراب . ففعل اخوه . فهرب ابراهيم سراً ومعه اخوه ابو المطاع وجيه الدولة ذو القرنين ــ وكان رهينة عند معز الدولة ثم عند بختيار ــ فالتحقا بمن ارسلهم اخوهما وساروا الى الموصل .

علم بختيار ان ابا تغلب يرغب اخوته ويجمعهم اليه لكي يضعف امر حمدان ، فرأى ان يخرج الى الموصل لحرب ابي تغلب . وقبل ان يخرج اراد ان يتأكد من صدق حمدان . فاستحلفه بغموس الايمان على الثبات معه والنصيحة له .

(١ ــ ٤) مسكويه ، ٢ ، ٣٠٣ ــ ٣٠٤ . الكامل ، ٨ ، ٢٢٢ . النجوم الزاهرة ، ٤ ، ٦٥ ٣٦٢

خرج بختيار ومعه الوزير ابن بقية وسبكتكين الحاجب ، في ربيع الاول من سنة ٣٦٣ هـ ، ووصل الموصل في ١٩ ربيع الاول ، ونزل قرب الدير الاعلى ظاهر المدينة .

اما ابو تغلب فانه اتبع طريقة والده اذا ما قصده احد في حرب ، كسر العروب التي في البلد ليعرقل طحن الحبوب ، واخلى المدينة من الميرة والعلف ، وأخذ معه كتابه ودواوينه وتوجه الى سنجار .

بقي بختيار في الموصل ، وظلم اهلها بالمصادرات . وكان في بغداد جيش قليل ، ورأى ابو تغلب ان الفرصة مناسبة ان يزحف الى بغداد ، سالكاً الجانب الغربي من دجلة . ولما علم بختيار بالامر كتب الى سبكتكين – وهو بالحديثة – ان يعقب هو وحمدان ابا تغلب ، وارسل ابن بقية الوزير في الطيارات والزبازب الى بغداد . وكان ابو تغلب قد سبق ابن بقية في هذا ، وتوقف في قرية القادسية على نهر الدجيل بينها وبين بغداد ثلاثة فراسخ ، وعسكر بها ، وعامل من اجتاز به من اهل السواد بالجميل ، ولم يأخذ منه شيئاً الا بالثمن الوافر ، وأظهر العدل والانصاف ، وكانت طلائعه ترد الى بغداد ، وخرج اليه الناس مستقبلين له ، مظهرين السرور مما لاقوه من حسن معاملته ، وعنت الديلم وظلمهم(٢) .

تقدم ابو تغلب الى بغداد ، ونزل « حربى » ، وأخذ يستميل سبكتكين سراً ، ويمنيه في الوعود ، واتفق معه على ان يظهرا الخلاف بينهما الى ان يتمكن سبكتكين من القبض على الخليفة والوزير ووالدة بختيار واهله ، ويستولي على بغداد ، ثم يعود ابو تغلب الى الموصل ، ويتمكن من بختيار ، ويستولي على دولته ، ولكن سبكتكين لم يثبت ، وخاف عاقبة الامر ، وذهب الى الوزير ابن بقية ، واتفقا على مفاوضة ابي تغلب في الصلح وتم بينهما على الشروط التالية :

١ – على ابي تغلب ان يضمن البلاد على ما كانت عليه معه .

٢ – ان يطلق لبختيار ثلاثة آلاف كر غلة عوضاً عن مؤونة سفره .

٣ – ان يرد لأخيه حمدان املاكه واقطاعه الا ماردين .

توجه ابو تغلب الى الموصل ليتسلمها ، وكان بختيار يحذر منه ان يأخذه على غرة ، لأن أكثر جيشه كان مع سبكتكين ، فجمع قواته واحتاط للأمر ، حتى ينحدر الى بغداد ، وبقي قرب الدير الاعلى .

---

(٢) ، (٣) ، مسكوية ، ٢ ، ٣١٥ – ٣١٨ .

نزل ابو تغلب بالحصباء تحت الموصل ، وبينهما عرض البلد ، وكان هوى أهل الموصل مع ابي تغلب ، كما ان جيشه كان اكثر عدداً واتم قوة من جيش بختيار ، وكاد ان يقع بينهما حرب ، فسعى اهل البلد في الصلح بينهما ، وكان موقف بختيار حرجاً ، ويرغب بالصلح ، فان اهل الموصل كانوا يتبعونه باللعن والدعاء عليه ، ويتتبعون اصحابه ، ويتوثبون عليهم ، لأن محمد بن احمد الجرجائي الذي ولاه ابن بقية على الموصل ظلمهم وعسفهم ، وجيش بختيار ضعيف ، فاستغل ابو تغلب هذا الموقف على الشروط التالية :(٢)

١ ـ ان يلقب لقباً سلطانياً .

٢ ـ ان يسلم اليه زوجته ابنة بختيار .

٣ ـ ان يحط عنه من شروط الصلح السابق .

ان ابا تغلب لم يغتنم ما تهيأ له من فرص عندما زحف الى بغداد ، فلو انه وثق سبكتكين لاستولى على بغداد وقضى على سلطة الديلم . كما انه لما عاد الى الموصل وما له من القوة ، وما كان عليه بختيار من الضعف والخوف ، فانه كان من السهل عليه ان يقضي على بختيار ، ولكنه لم يفعل .

دخل ابو تغلب الموصل ، وفتك بالذين كانوا موالين لبختيار ، فسمل اعين بعضهم ، وضرب رقاب الآخرين ، ولما كان في الكحيل جمع بختيار ما امكنه من جيش وعاد الى الموصل ، لينتقم من ابي تغلب ومن اهلها الذين اساؤا اليه ، ونزل في الدير الاعلى ظاهر البلد ، فهرب ابو تغلب الى تلعفر ، وارسل كاتبه ابا الحسن علي بن عمرو بن ميمون الى بختيار ، يعاتبه على النقض ، ويذكر له ان ما جرى من القتل والسمل لم يكن بأمره ، فاجابه بختيار على ان يفرج عن ضياع حمدان ، وان يسلم القوم الذين قتلوا وسملوا العمال لينفذ فيهم بختيار حكمه ، فانفذهم ابو تغلب اليه ، على ان لا يسيء اليهم ، فعفا بختيار عنهم ، واصطلحوا على الشروط السابقة ، وانحدر كاتب ابي تغلب الى بختيار في بغداد في ١٠ رجب ٣٦٣ هـ لانجاز المواعيد ، وسأل الخليفة المطيع بالله ان يلقبه ، فلقبه عدة الدولة وانفذ اليه الخلع السلطانية ، كما نقلت اليه زوجته ابنة بختيار ، وتجدد الصلح بينهما .(١)

(١) المختار من رسائل الصابي ، ٨٦ .

ان انقسام اولاد ناصر الدولة واختلافهم اضعف سلطتهم، فكانوا ادوات خفيفة بايدي الطامعين. كان حمدان اكثرهم نشاطاً في هذا النزاع، وقد القى بنفسه في احضان الديالمة الذين لا يهمهم من الامر سوى الحصول على اكبر مغنم، وكانوا ينظرون الى الدولة الحمدانية نظر الحانق، ويسعون في القضاء عليها والاستفادة من خيرات بلادهم.

بعد ان استولى عضد الدولة على ابن عمه بختيار. اخرجه الى الشام سنة ٣٦٧ هـ (٩٧٧ م)، وشرط عليه ان لا يتعرض لابي تغلب بحرب او سوء. وخرج مع بختيار حمدان، فاجتمع اليه بعكبرا، وبين له اهمية الموصل وما خلفه ناصر الدولة من اموال، وحرضه على ان يسير اليها، وينتزعها من ابي تغلب الذي لا يقوى على حربهم.

علم ابو تغلب بالامر، وارسل هدايا ثمينة الى بختيار مع ابي الحسن علي بن عمرو - كاتبه - فانحدر اليه في تكريت، وعرض على بختيار ان يقبض على حمدان ويسلمه الى ابي تغلب، وان ابا تغلب سيساعده على حرب عضد الدولة، فسلم بختيار حمدان الى اخيه، فحبسه في قلعة ثم قتله، ففر ابنه ابو السرايا ابن حمدان الى عضد الدولة في بغداد - وهكذا خلص ابو تغلب من عدو عنيد فتاك، كان حانقاً عليه هو واخته جليلة لأنه قتل اخاهما ابا البركات - كما تقدم -.(١).

بر ابو تغلب بوعده مع بختيار، فانحدر في ٢٥ الف مقاتل، والتقى هو وبختيار بجيش عضد الدولة في «قصر الجص»(×)، ١٨ شوال ٣٦٧ هـ، فهزمهم عضد الدولة شر هزيمة، وقتل بختيار، وحز رأسه، وخلص منه، وعزم على ان يعقب ابا تغلب حتى يقبض عليه.

اما ابو تغلب فانه اتبع ما كان عليه في اخلاء البلد من الميرة والرجال وكل ما ينتفع منه، ولجأ مع اخته جميلة الى ميافارقين.

كان عضد الدولة وقد وقف على ما يفعله الحمدانيون اذا ما انسحبوا من بلد، فاحتاط للامر ونقل من الميرة والعلوفة والازواد ما تمكن منه، وحمل معه من رجال الموصل وكتابها الموجودين ببغداد وتكريت وسائر الاطراف من يرشده ويطلعه على الامور، ولما وصل الموصل اقام مستجماً بها، غير محتاج الى شيء.(٢).

---

(١) مسكويه، ٢، ٣٢٠ - ٣٢١، الكامل، ٨، ٢٢٧ - ٢٢٨، البستاني، ٥، ٢٣٢.

(١) مسكويه، ٢، ٣٧٨، الكامل، ٨، ٢٥٠.

(٢) مسكويه، ٢، ٣٨٢

(×) قرب سامراء فوق الهاروني بناه المعتصم للنزهة (معجم البلدان، ٧، ١٠٠).

علم ابو تغلب ان عضد الدولة مرتاح في الموصل ، فبادر الى مراسلته في الصلح ، مظهراً الندم على ما صدر منه ، وعضد الدولة يعلم ما عليه ابو تغلب من نكث العهود والجرأة والاقدام ، فأجابه ، انه يفضل البقاء في الموصل على بغداد ، وهي احب اليه من بغداد . يريد ان يقطع امله في العودة الى الموصل .

وبعد ان استراح عضد الدولة توجه الى ابي تغلب ، فانسحب هذا الى حصن « بتليس » واودع به اهله ، وقصد هو الحسينية ، واخذ من كواشي ماامكنه من مال وجوهر ونفائس ، فتبعه عضد الدولة ، فلجأ ابو تغلب الى اهله في حصن بتليس ، فتبعه عسكر عضد الدولة وسدوا الطرق بوجهه ، فاضطر ان يلجأ الى حليفه ملك الروم « بردس سقلاروس » المعروف في كتب العرب بـ (ورد)الرومي » ، وكان ابو تغلب قد ساعده سنة ٣٦٥ هـ عندما استنجد به وصاهره . اما ورد الرومي فكان قد ضعف امره وهو مشغول بنفسه ، فلم يحظ منه بمساعدة . فرجع ابو تغلب الى « آمد » يترقب الفرص .(١)

كان عضد الدولة قد ارسل ابا الوفاء طاهر بن محمد بجيش الى بلاد ابي تغلب ، ففتح المدن والقلاع التابعة له ، وحاصر « ميافارقين » فسلمها اهلها صلحاً سنة ٣٦٨ هـ ، وارسل قسماً من جيشه في تعقيب ابي تغلب في آمد ، فانسحب ابو تغلب هو واخته جميلة الى الرحبة ، فصارت اكثر بلاده تابعة لعضد الدولة ـ وهو مقيم في الموصل ـ وبعد ان نظم ابو الوفاء ادارة البلاد والقلاع التي افتتحها عاد الى عضد الدولة .

لجأ ابو تغلب الى استعطاف عضد الدولة مرة ثانية ، فأرسل اليه وفداً معه اخوه أبو عبد الله الحسين ، وسلامة البرقعيدي ـ وهو من غلمان الحمدانيين الذين كانوا يعتمدون عليهم ـ ولم يكن عضد الدولة بالرجل الذي يخدع ، فاستطاع ان يمني اخاه الحسين بالوعود وجعله يتخلى عن اخيه ابي تغلب ، وانضم الى عضد الدولة . كما ان ابن عمه سعد الدولة بن سيف الدولة ادرك قوة عضد الدولة ودهاءه وضعف ابي تغلب ، فحالف عضد الدولة وانتزع ديار مضر من سلامة البرقعيدي وسلمها الى عضد الدولة ، وهكذا قص عضد الدولة اجنحة ابي تغلب واضعف امره .

---
(١) الكامل ، ٨ ، ٢٤١ ، ٢٥١ ـ ٢٥٢ .

ارسل عضد الدولة عدة جيوش لفتح قلاع ابي تغلب ، اردمشت ـ كواشي ـ والشعباني وهرور ومليصي وبرقي . وكانت اردمشت من امنع القلاع وقد اودع فيها ابو تغلب امواله وعدده وولى امرها رجلاً من الاكراد يعرف « بابن بابويه » بينهما قرابة من جهة والدته فاطمة بنت احمد الكردية ، وضم اليه احد مماليك ابيه ممن يعتمد عليه يسمى « طاشتم » . ولما علم ابن بابويه ما آل اليه امر ابي تغلب دبر الامر مع الديالمة وقبض على طاشتم وسلم القلعة اليهم . ومما كان فيها عشرون الف الف درهم من النقود(١) . وامر عضد الدولة ان يحمل طاشتم الى القلاع التي لم تسلم لكي يعتبروا ويسلموا ما بأيديهم . فطافوا به حول القلاع . ولما رأى محافظو القلاع ان طاشتم ـ وكان اشدهم بأساً، واكثرهم اخلاصاً لابي تغلب ، قد سلم اردمشت . سلموا القلاع لجيش عضد الدولة .

لجأ ابو تغلب الى الشام لعله يجد من يساعده ، ولكن عضد الدولة كتب الى سعد الدولة بن سيف الدولة ان يقاومه ، فسار ابو تغلب الى دمشق ، وتصادم مع قسام التراب ، وكان يدعو للعزيز الخليفة الفاطمي ، وطلب اليه الشخوص الى مصر ليفاوضه . فلم يفعل ابو تغلب ، وزاد ضعفه بانضمام اخيه ابي طاهر وابن عمه ابي الغطريف الى عضد الدولة .

اراد عضد الدولة ان يظهر ضعف ابي تغلب وتخاذله امام جيوشه وانه يحاول خديعة الخليفة الفاطمي ، ويمنيه بما في قلاعه من عتاد وذخائر واموال ، علّه يحظى بمساعدته . فأرسل عضد الدولة طاشتم الى سوريا ليعلم اهلها ان اكبر محافظ لقلاعه قد سلم الى عضد الدولة ، فيبطل عمله . ولما علم ابو تغلب بهذا دبر من قتل طاشتم في الطريق .

استقر الامر بعضد الدولة في بلاد ابي تغلب وترك فيها قائده ابا الوفاء ، يدبر امورها ويعين العمال ويرتب الدواوين . وعاد الى بغداد في ذي القعدة سنة ٣٦٨ هـ .

وهكذا صار ابو تغلب بين عدوين لا يأمن شرهما ، عضد الدولة في الشرق ، والعزيز الفاطمي في الغرب ، وقد تخلى عنه اهله واعوانه ، ولم يبق من يؤازره سوى اخته جميلة ، فرحل الى الرملة سنة ٣٦٩ هـ وانضم اليه بنو عقيل ، مؤملاً ان ينتزعها

---

(٢) يذكر ابن حوقل (ص ، ١٠٧) ان اغنى ملوك زمانه (٣٥٠ هـ) هما عبد الرحمن بن محمد صاحب الاندلس وابو تغلب ، وقدر ثروته بخمسين مليون دينار .

من « دغفل المفرج بن جراح » وهذا ممن يصانع الفاطميين ويرى رأيهم ، فتصدى له دغفل وأسره وطاف به على جمل مشهوراً ، ثم قتله وانفذ رأسه الى العزيز الفاطمي في صفر سنة ٣٦٩ هـ فانتهت حياة آخر رجل قوى من آل حمدان ، ولم يبق منهم من يعتز به ، او يؤمل منه خيراً . وترك ولدين ، ابا الهيجاء احمد وأبا النصر نصر الله .(١)

كان ابو تغلب طموحاً ، يفوق والده ناصر الدولة في تدبير الامور والشجاعة والاقدام ولكن الاقدار لم تساعده ، فانه :

(١) عزم على احتلال بغداد في حياة ابيه مغتنماً وفاة معز الدولة ، ولو وافقه ابوه على هذا لربما كان يلقى نجاحاً ، ويقضي على شوكة الديالمة ـ اعداء الحمدانيين الذين قاوموهم حتى قضوا عليهم ـ كما حاول احتلال بغداد مرة ثانية عندما خرج بختيار الى الموصل، ولو وافقه سبكتكين على هذا لتم له الامر .

(٢) كسر شوكة الروم وردهم وفتك بهم،وصار له ذكر حسن ومحبة في البلاد/وخاصة في بغداد مركز الخلافة العباسية . وساعد ورد الرومي سبع سنين ووطد علاقته معه بالمصاهرة .

(٣) كانت علاقته مع الاكراد حسنة ، وكانوا عوناً له في حروبه ، فان أمه فاطمة بنت احمد كردية ، وهي امرأة عاقلة مدبرة شجعته على اعتقال والده والاستئثار بالحكم .

(٤) حاول ان يوطد علاقته مع الديلم ، وصاهر بختيار ، وتمكن في الامر ، بقوته ودهائه حتى املى شروط الصلح على بختيار فقبل بها هذا ـ كما تقدم .

والذي نراه ، ان اسباب القوة كانت مهيأة له ، وانه كان من اشجع الحمدانيين، واحسنهم تدبيراً ، لولا مخالفة اخوته ، وانقسامهم فيما بينهم ، ومنازعتهم له ، وتخليهم عنه . كان هذا من اهم الاسباب التي اضعفت قوته وقضت على البيت الحمداني ـ ولو ان اخوته التفوا حوله وجمعوا قوتهم الى قوته وقاوموا الديالمة ، ولم ينضموا الى اعدائهم لكان لهم شأن في القضاء على الديالمة ـ ولكن الامر كان بالضد من هذا .

---

(١) ابن القلانسي ، ٢١ ـ ٢٣ .

بعد قتل ابي تغلب انتهى دور الحمدانيين في الحكم ، وتفرقوا في البلاد . وآخر محاولة فاشلة كانت لهم في اعادة مكانتهم هي ما قام به : ابو طاهر ابراهيم ، وابو عبد الله الحسين ابنا ناصر الدولة الحمداني ، وذلك على اثر انتصار « باذ » . فرأى « ابو نصر خوا شاذة » ان يقطع العرب بلاد الجزيرة ـ وهم اهل البلاد ـ ليحاربوا باذ ، فاذا انتصروا عليه سهل على البويهيين انتزاع البلاد منهم . فاقطع الموصل ابراهيم والحسين ابني حمدان سنة ٣٧٨ هـ (٩٨٨ م) . فسارا اليها باهلهما اجمعين سنة ٣٧٩ هـ (٩٨٩ م) ، وان بعض رجال الدولة لم يرتاحوا باعادة بني حمدان الى الموصل ، بعد ان قضوا على نفوذهم فيها ، وتبين لهم وجه الخطأ في هذا ، فكوتب ابو نصر خوا شاذة بردهما عن الموصل ، فراسلهما الى الحديثة بالرجوع . ولم يريا داعياً في مخالفته ظاهراً ، وتلطفا في اجابته بالطاعة، وقبول ماامر به، واعادا الرسول مكرماً ، وجدا على اثره ونزلا بالدير الاعلى ظاهر الموصل .

ولما علم اهل البلد بعودة ابني حمدان، ثاروا على الديلم والاتراك ، ونهبوا رحالهم واموالهم ، وخرجوا الى الحمدانيين واظهروا لهم مؤازرتهم ومحاربة الديلم . فقاومهم ابو نصر وحاربهم، وانهزم اصحابه بعد ان قتل عدداً منهم وهلك آخرون غرقاً ، واعتصم من سلم منهم مع ابي نصر بدار الامارة ، واحاط بها اهل الموصل وبنو حمدان وحاصروها الى الليل .

علم ابنا حمدان ان قتلت العامة الديالمة فان العاقبة تكون وخيمة عليهم ، ورأيا من الحكمة ان يعرضا على ابي نصر انهما لم يخرجا عن امر السلطان، وان ما فعله العامة كان بغير علمهم ، وان امر العامة قد اشتد لحنقهم على ما فعله الديلم في البلد ، ومن الصعب ضبطهم، وانهم قد عزموا على ان يحرقوا الدار ويقتلوا من فيها ، ومن الرأي ان تصير الينا ونحن نبلغك مأمنك ، والا فأنت هالك ومن معك .

تاكد ابو نصر منهما ، وخرج اليهما ليلاً فأكرماه ، واجتمع ابناء حمدان بشيوخ اهل البلد وقالا لهم : ان كنتم تؤثرون مقامنا بين ظهرانيكم فولونا اموركم ، وان تكفوا الرعاع عن قتل الديالمة اصحاب السلطان، فان فعلوا هذا فان السلطان لا يسكت عنه ، وربما لقي اهل البلد ما لا تحمد عقباه ، وان صرفناهم بالتي هي احسن فان هذا سيساعدنا على تثبيت امرنا عندكم ، وهو ما ترغبون به .

وفي الصباح تعاون ابنا حمدان مع شيوخ اهل الموصل بكف الناس عن قتل الديالمة، واكتفوا بنهب الدار، وانحدر ابو نصر مع اصحابه بالزوارق الى بغداد . واقام بنو حمدان في الموصل يدبرون امر البلد ، وانضم اليهم بنو عقيل واهل المدينة .

لما علم «باذ» بعودة بني حمدان الى الموصل طمع في البلد ، وزحف اليها سنة ٣٨٠ هـ ، وكاتب بعض اهل البلد يريد استمالتهم اليه .

اما بنو حمدان فانهم استمالوا ابا الذواد محمد بن المسيب العقيلي ليعاضدهم على باذ ، فطلب منهم الجزيرة ونصيبين وبلد ومواضع اخرى فأجاباه الى هذا .

دبروا خطة محكمة لحصار جيش باذ ، يحارب ابو طاهر باذ ظاهر الموصل ويشغل جيشه ، بينما سار ابو عبد الله في الفي فارس الى بلد ، وعبر الى الجانب الشرقي مقابل باذ ومعه العقيليون ، فباغتوا باذ باحاطة جيشه ، كما ان اهل الموصل الذين كانوا قد اجابوا باذ لم ينظموا اليه .(١)

ولما وجد باذ موقفه حرجاً ، حاول اللجوء الى الجبال ، والاعتصام بها فلم يتمكن ، فاضطرب اصحابه وقتل في المعركة ، وانسحب بعضهم بقيادة ابي علي الحسين بن مروان » ـ ابن اخت باذ ـ واعتصموا بقلعة « حصن كيفا » فعقبهم الحمدانيون وبنو عقيل الى ديار بكر ، فصدهم ابو علي وحمل عليهم فكانت الدائرة على الحمدانيين ، واسروا ابا عبد الله بن حمدان ، فأكرمه ابو علي واعاده الى اخيه ابي طاهر ، وكان ابو طاهر يحاصر « آمد » ، فأشار عليه اخوه ابو عبد الله بمهادنة ابن مروان ومصالحته فأبى الا حربه ، وكانت الدائرة على بني حمدان ، واسر ابن مروان ابا عبد الله فأساء معاملته ، وبقي عنده محبوساً حتى كاتبه الخليفة الفاطمي ، فأطلقه ومضى الى مصر وتقلد ولاية حلب وتوفي فيها .

اما ابو طاهر فدخل نصيبين وقصده ابو الذواد محمد بن المسيب العقيلي فأسره هو وابنه علياً ومعهما المزعفر امير بني نمير ، فقتلهم صبراً ، وملك ابو الذواد الموصل واعمالها ، وكاتب السلطان ان يرسل اليه من يقيم عنده من الحضرة ، وهكذا انقضى امر بني حمدان من الموصل وتفرقوا في البلاد ، فبعضهم لجأ الى الفاطميين ، وبعضهم الى ابناء عمهم في الشام ، وغيرهم الى البويهيين ، واستأثر بالحكم العقيليون فملكوا الموصل وغيرها .(٢)

(١) ـ (٢) الروذراوري ، ١٤٤ ـ ١٤٥ ، ١٧٤ ـ ١٧٨

١ – المسجد الجامع
٢ – دار الامارة
٣ – القلعة
٤ – مقبرة قرش
٥ – مسجد الشيخ برهيه الجرجي
٦ – تل الكناسة
٧ – تل عدادة – ومسجده
٨ – مقبرة الفتح تونسي
٩ – حي الفالة
١٠ – ١١ – حي العمرية والعلويين
١٢ – مسجد ابي حاضر
١٣ – حي خروج ومسجده
١٤ – شمعون العبد
١٥ – الجسر
١٦ – حي ثقيف ومسجده
١٧ – مقبرة العذر – وتربة عيس
١٨ – سوق باب الجسر
١٩ – مقبرة عمرو بن الحمق الخزاعي
٢٠ – شهرسوك – جهار سوق
٢١ – سوق الحشيش
٢٢ – سوق الاربعاء
٢٣ – سوق الفحم
٢٤ – مارتوما
٢٥ – دورة السبعة
٢٦ – دورة المشلل
٢٧ – جسر تيبوق وكدمر
٢٨ – درب بصفوة
٢٩ – درب فرج
٣٠ – سور العبيني

مخطط الموصل في القرنين الرابع والخامس للهجرة

ملحق رقم ـ ٢ ـ

من تولى امرة الامراء

أمير الأمراء	الخليفة العباسي
١) محمد بن رائق ٢٣ ذو الحجة (٣٢٤ ـ ٣٢٦ هـ)	الراضي ٣٢٢ هـ
٢) بجكم ٢١ ذو القعدة (٣٢٦ ـ ٢٠ رجب ٣٢٩ هـ)	الراضي
٣)كورتكين الديلمي ٣ شوال ٣٢٩ هـ (وبقي مدة شهر واحد)	الراضي
٤) محمد بن رائق ٢٥ ذو الحجة ٣٢٩ ـ ٣٣٠ هـ	الراضي
٥) ناصر الدولة الحمداني اول شعبان ٣٣٠ ـ ٣٣١ هـ	المتقي ٣٢٩ هـ
٦) توزون ٢٥ رمضان ٣٣١ ـ محرم ٣٣٤ هـ	المتقي
٧) ابن شيرزاد . صفر ٣٣٤ هـ وبقي في الأمارة ثلاثة أشهر وعشرين يوماً	المستكفي

وصل معز الدولة البويهي بغداد في ١١ جمادى الأولى ٣٣٤ هـ

---

(١) الأوراق ، ٨٦ . الكامل ، ٨ ، ١١٢ .

(٢) الأوراق ، ١٠٦ . الصولي ، ١ ، ٣٩٣ .

(٣) الصولي ، ٢ ، ١٨ . الكامل ، ٨ ، ١٣٢ . ابن العبري ، ٢٨٦ .

(٤) مسكويه ، ٢ ، ٢٢ . الكامل ، ٨ ، ١٣٣ .

(٥) مسكويه ، ٢ ، ٢٩ . الكامل ، ٨ ، ١٣٤ .

(٦) مسكويه ، ٢ ، ٤٤ . الكامل ، ٨ ، ١٤١ ، ١٦٠

(٧) الكامل ، ٨ ، ١٦٠ ـ ١٦١ . المختصر ، ٢ ، ٢٨٤ ـ ٢٨٥ .

ملحق رقم (٢)

جميلة الحمدانية [1]

تزوج « ناصر الدولة » بعدة نساء منهن « فاطمة بنت احمد الكردية » ، كانت عاقلة مدبرة ، يستشيرها زوجها ويعمل برأيها . وانجبت منه ولدين ، ابا تغلب وجميلة .

وكانت « جميلة » ذكية الفؤاد نشيطة ، عكفت امها على تربيتها وتوجيهها ، فنشأت عاقلة مدبرة ، سديدة الرأي ، شجاعة مقدامة . وهي مثال المرأة المسلمة التي لم تفسدها مظاهر الترف ، ولم يبطرها غنى اهلها ومكانتهم ، مطبوعة على الدين ، ملتزمة حدود الله ، تساعد الفقراء والمعوزين ، وتعطف على الضعفاء واهل الحاجات ، فانفقت مبالغ كثيرة في سبيل الله ، ولها اعمال جليلة ، منها :

في سنة ٣٦٦ هـ توجهت الى بيت الله الحرام ، واستصحبت في موكبها الكثير من الفقراء الذين لم يتمكنوا من اداء فريضة الحج ، وذكروا انه لم يتوجه مثل موكبها الى البيت العتيق ، وذلك لما اقامته من المروءة ، وفرقت من الاموال على الفقراء والمحتاجين ، واظهرت من المحاسن والمكارم ، ما لا يوصف بعضه عن الخلفاء والملوك ، وصار عام حجها مثلاً يضربونه وتاريخاً يؤرخون به ، ومما فعلته :

اعدت خمسمائة راحلة للمنقطعين من رجالة الحاج ، واعتقت ثلاثمائة عبد ومائتي جارية ، وخلعت على المحتاجين خمسين الف ثوب ، وفرقت المبالغ الكبيرة على المجاورين واهل الحرمين ، وفي موكبها اربعمائة عمارية* فيها من حج معها ، وكانت في احدها لكي تساوي نفسها مع غيرها ، وسقت اهل الموسم السويق بالسكر الطبرزد ـ السكر الابيض الصلب ـ واستصبحت في الكعبة بالشموع العنبر مدة اقامتها ، ولما وصلت الكعبة المعظمة نثرت عليها عشرة آلاف دينار ، وغير ذلك .

وهي التي وسعت مسجد « النبي يونس » ـ فوق تل توبة ـ وانشأت بجانبه دوراً للمجاورين ، واوقفت له اوقافاً جليلة وغير ذلك من الاعمال الخيرية .

كان والدها يعتمد عليها في اواخر ايامه ، كما شاركت اخاها ابا تغلب في الادارة ، فكان لا يخرج عن رأيها وتدبيرها ، خاصة بعد نزاعه مع أخوته ، فكانت له الساعد الايمن ، ساعدته في الحرب والسلم ، ولازمته حتى قتل .

---

(١) انظر عنها ، ثمار القلوب ، ١٦٢ ـ ١٦٣ ، لطائف المعارف ، ٨٢ ـ ٨٣ ، مجلة الجزيرة ، ١ ، ٤ ـ ٢٧ نشوار المحاضرة ، ١ ، ١٩٣

* العمارية ، ما يقام ويشد من البيوت كالهودج .

وكانت تمثل الانفه والعزة العربية ، تحقد على الديالمة الذين حاربوا اهلها ، وقضوا على نفوذهم . وكان عضد الدولة البويهي يطمع في الزواج منها ، ولكنها انفت وترفعت ان تتزوج بعدو اهلها ، فزاد حقده عليها .

وبعد قتل أخيها ، حملوها أسيرة الى الموصل ، وسلموها الى « أبي الوفاء » ـ قائد جيش عضد الدولة ـ فدخلت أسيرة كسيرة ، وهي التي دخلتها قبل ثلاث سنوات يوم عادت من حجها ، يحف بها الناس ، ويستقبلها الفقراء والمحتاجون ، ويردد اخبارها المسلمون الذين شاهدوا ما فعلته من الخير والاحسان .

نقلوها الى بغداد ، فاعتقلها عضد الدولة في احدى غرف داره ، واستولى على حصونها واموالها ، وشهرها في بغداد على جمل ، والمنادى ينادي ، هذه قبيحة أخت أبي مغلوب ، وفعل ما يحجم القلم عن ذكره ، ولما ضاقت بها الارض ألقت بنفسها في دجلة ، وكان هذا وصمة عار في صحيفة عضد الدولة ، فلم يعاملها بالحسنى ، بل انه استأسد حين غاب اسود الجزيرة ، ولم يعلم ان العفو عند المقدرة من شيمة الرجال .

الدولة العقيلية

٣٨١ ـ ٤٨٩ هـ

العقيليون		الخلفاء العباسيون	
أبو الذواد	٣٨٠	القادر	٣٨١ هـ
المقلد بن المسيب	٣٨٦ هـ	القادر	
قرواش بن المقلد	٣٩١ هـ	القائم	٤٢٢ هـ
بركة بن المقلد	٤٤٢ هـ		
قريش بن بدران	٤٤٣ هـ		
مسلم بن قريش	٤٥٣ هـ		
ابراهيم بن قريش	٤٧٨ هـ	المستظهر	٤٧٨ هـ
محمد بن مسلم بن قريش	٤٨٦ هـ		٤٨٩ هـ





دينار من ضرب الدولة الحمدانية سنة ٣٣١ هـ

أ ـ الوجه ، مكتوب على الوجه :

لا اله الا الله
وحدة لا شريك له
ابو منصور بن
امير المؤمنين
سيف الدولة
ابو الحسن

النطاق

بسم الله ضرب هذا الدينار
بمدينة السلام سنة احدى وثلثين
وثلثمائة

الطوق

لله الامر من قبل ومن
بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله

الظهر

لله
محمد رسول الله
صلى الله عليه
المتقى لله
ناصر الدولة
ابو محمد
ابريز

الطوق

محمد رسول الله ارسله
بالهدى ودين الحق ليظهر على
الدين كله ولو كره المشركون

من القبائل العدنانية « بنو عقيل » نسبة الى عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر. نزحوا قبل الاسلام من جزيرة العرب،وسكنوا البحرين مع بني تغلب وبني سليم ، ونزح بعضهم الى اطراف الشام . ورحل قسم منهم الى العراق وبلاد الجزيرة، وكانوا من اتباع بني حمدان . ثم انقلبوا عليهم وقضوا على دولتهم . واستولوا على الموصل وما يتبعها . فكان اول نشوء الدولة العقيلية .

بعد ان قضى « ابو الذؤاد محمد بن المسيب العقيلي » على ابناء حمدان ، اراد ان يأمن جانب البويهيين، فصار يتقرب اليهم مظهراً طاعتهم . كتب الى بهاء الدولة ان يرسل الى الموصل من يقيم عنده من اصحابه . فأرسل « أبا جعفر الحجاج بن هرمز » مع عسكر ليحكم البلد بأسم بهاء الدولة، ويكف أبا الذؤاد عن تصرفه . وتمكن من الموصل سنة ٣٨١ هـ . واصطدم مع العقيليين ودحرهم . فاجمعوا على حربه بقيادة ابي الذؤاد . وجرت بينهما وقائع .

وفي سنة ٣٨٢ هـ طلب ابو جعفر من بهاء الدولة مدداً . فأرسل اليه عسكراً بقيادة وزيره ابي القاسم علي بن احمد . ولما وصل الموصل ، كتب بهاء الدولة الى ابي جعفر ان يقبض على وزيره بوشاية من ابي الحسن المعلم ، وكان هذا من شرار الناس، يسعى بالوشاية والفتن بين رجال الدولة ـ اما ابو جعفر فلم يمتثل امر بهاء الدولة خوفاً من اختلاف الجيش وانقسامه ، فتضعف قوتهم امام ابي الذؤاد .

ولما علم الوزير بالامر ، اشار عليه بعض اتباعه ان يلتحق بأبي الذؤاد ، فلم يفعل أنفة منه وحسن عهد ، فصالح أبا الذؤاد ، وأخذ منه رهائن اصطحبهم معه الى بغداد . ولما وصل دار السلام وجد بهاء الدولة قد قبض على المعلم بعد ما علم ما يفسده ـ وسلمه الى الجيش فقتلوه .

توفي أبو الذؤاد سنة ٣٨٦هـ وكان الممهد لقيام دولة بني عقيل ، فهو الذي جعل لقومه شأناً وسلطاناً في البلاد،خاصة بعد ان قضى على الحمدانيين ، وحاول ان يوطد علاقته بالمصاهرة مع البويهيين ، فزوج ابنته من بهاء الدولة ابن عضد الدولة ليأمن جانبهم ، ثم قاومهم وحاربهم ، ولم يحصل على نتيجة .(١)

---

(١) الكامل ، ٩ ، ٣٤ ـ ٣٥ ، أبو الفدا ، ٢ ، ١٣٩ ، ابن خلكان ، ٢ ، ١١٤ .

حسام الدولة أبو حسان المقلد بن المسيب بن رافع العقيلي

٣٨٦ ـ ٣٩١ هـ ـ ٩٩٦ ـ ١٠٠٠ م

بعد وفاة ابي الذؤاد ، استولى أخوه المقلد على الموصل ، ولم يرض بنو عقيل به ، فكانوا يميلون الى أخيه علي ، لكبر سنه .

كان المقلد عاقلاً ، ذا سياسة وحسن تدبير ، تمكن بما أوتيه من حنكة وشجاعة ان يقضي على منافسيه في الحكم ، فأسرع بالكتابة الى بهاء الدولة ، يضمن منه البلد بألفي الف درهم كل سنة ، فأمن جانبه ، ثم سعى سراً في استمالة الديلم الذين كانوا مع القائد « أبي جعفر » . ثم سار الى أخيه علي واعلمه ، ان بهاء الدولة ولاه حكم الموصل ، وان نائبه فيها ابا جعفر منعه منها ، وطلب اليه مساعدته وحذره عاقبة الاختلاف فيما بينهم .[1]

فسار معه أخوه علي الى الموصل ، ولما اقتربوا منها انضم اليهما الديالمة الذين كان قد استمالهم، وحاصروا أبا جعفر ومن معه في دار الامارة ، وكان هنا عاجزاً عن مقاومتهم ، فطلب الامان منهم ، فأمنوه ، وانحدر باموال واهله الى بغداد . ودخل المقلد وعلي الموصل ، وأشار ابو الفضل « ظاهر بن منصور » ـ كاتب علي ـ ان يكون علي شريكاً لاخيه المقلد في حكم البلد وذلك :[2]

(١) ان يخطب لهما في الموصل ، ويقدم علي لكبر سنه .

(٢) يشتركان في الولاية والبلدة .

(٣) يكون لعلي نائب عند المقلد يجبي المال .

ان المقلد وان رضي بهذه الشروط ، فانه لم يراع أخاه ، واستبد في البلاد . ولم يلتفت الى ما طلب منه ، وأخذ يوسع نفوذه في الكوفة والقصر والحلة والجامعين ، وامتد نفوذه الى الانبار والمدائن، وصار يتولى حماية غربي الفرات من أرض العراق ، وعين له نائباً في بغداد يمثله عند الخليفة والبويهيين . وكان نائبه فيه تهور واقدام ، سيء التدبير فاصطدم مع ابن المرزبان وغالمه ، واراد هذا ان يقبض عليه فكتب الى المقلد يعلمه بالامر ، وكان المقلد يريد توسيع حكمه، لان بهاء الدولة كان مشغولاً

---

(١) ابن خلكان ، ٢ ، ١١٤ . النجوم الزاهرة ، ٤ ، ٢٠٣ .

(٢) النجوم الزاهرة ، ٤ ، ٢٠٣ . ابن خلكان ، ٢ ، ١١٤ .

بمحاربة أخيه صمصام الدولة . فاغتنم الفرصة وانحدر الى بغداد وحارب ابن المرزبان واسره ثم امر بقتله . وكتب الى بهاء الدولة باعذار مختلفة ملفقة وطلب اليه ان يرسل من يعقد عليه البلاد بمبلغ من المال يؤديه اليه كل سنة . وبما ان بهاء الدولة مشغول بحرب اخيه ، رأى من الحكمة ان يداري المقلد . فأنفذ اليه ابا الحسن علي بن طاهر . فاتفق معه على شروط حملها الى بهاء الدولة .(١)

أما المقلد فأخذ يوسع نفوذه في الاعمال وجمع الاموال واصطدم مع اصحاب بهاء الدولة . وجرى له معهم منازعات ومناوشات . ولما علم بهاء الدولة بالأمر أراد ان يوقف توسعه . فأرسل أبا جعفر الحجاج الى المقلد في ذي الحجة سنة ٣٨٦ هـ (٩٩٦م

واتفق مع المقلد على :

(أ) يقدم المقلد الى بهاء الدولة عشرة آلاف دينار، يحملها الى الخزانة بواسط، ويقود معها خيلاً .

(٢) يرفع المقلد يده عن الاقطاعات . ويقنع بما يقرر له من رسوم الحماية عنها . ويمكن العمال من المحلول . ويساعدهم في استيفاء الحقوق السلطانية .

(٣) يفرج عن الديلم المأسورين .

(٤) يخطب لابي جعفر – في الموصل – بعد بهاء الدولة .

(٥) يحمل كل سنة ألف الف درهم .

(٦) وشرط المقلد ان يخلع عليه الخلع السلطانية من دار الخلافة . ويكنى ويلقب « بحسام الدولة » ويحمل له اللواء . ويعقد له بهاء الدولة على الموصل والكوفة والقصر والجامعين .

فأجيب الى ما التمسه . وجلس القادر بالله لذلك، وخلع عليه وأنفذ اليه باللواء والخلع فلبسها في الانبار .

ان المقلد لم يف الا بحمل المال المعجل، واطلاق سراح المأسورين من الديلم . وصار يستولي على البلاد . وتمكن بها . وقصده الكتاب والمتصرفون وخدموه فقوى أمره فكان المقلد هو المؤسس الحقيقي للدولة العقيلية .(٢)

وفي سنة ٣٨٧ عاد المقلد الى الموصل متمكناً في حكمه . ودبر ان يقبض على أخيه « علي » الذي كان ينازعه في الحكم . وقد جمع حوله بني عقيل واخاه الحسن .

---

(١) – (٢) الروة راوري ٢٨١ – ٢٨٣ . الكامل ، ٩ ، ٤٦ . ابن خلكان ، ٢ ، ١١٤ – ١١٥ . شذرات الذهب ، ٣ ، ١٣٨ .

أظهر المقلد لجيشه انه يريد قصد « دقوقا » . وبعد ان وثق من اخلاصهم ومؤازرتهم له ، نقب الغرفة التي فيها أخوه ـ وكانت داره بجانب دار اخيه ـ ولم يكن مع علي سوى مائة نفر ، فحمله وهو سكران ، واعتقله في داره . وكان يخشى من اخيه الحسن ان يقبض على ولديه « بدران وقرواش » وهما في الحلة على اربعة فراسخ من تكريت ، فكتب الى زوجته يعلمها بما دبره ، ويحذرها من اخيه الحسن ، ويأمرها بأخذ ولديه الى « احمد بن حماد » بتكريت . فاسرعت الى تكريت بولديها واثقالها . وأخذ المقلد يستميل وجوه بني عقيل في الموصل ويخلع عليهم ويقطعهم ، فاجتمع اليه الفا فارس منهم .

أما الحسن فانه صار يقصد حلل العرب ـ ومعه اولاد علي وحرمه ـ يستغيث بهم ويستنفرهم ، ان المقلد قطع الرحم ، وعادى العشيرة ، وقبض على اميرها علي ، وانحاز الى السلطان ، فاجتمع اليه عشرة الآف فارس .

خرج اليهم المقلد وسار الى قرب « العلث » ومعه أخوه علي في عمارية مكرماً ، وكادت الحرب ان تقع بينهم ، واختلف من معهم في أمر الصلح او الحرب ، وبينما هم في هذا الحال جاءت أختهم « رهيلة بنت المسيب » وكانت عاقلة مدبرة ، ينقادون اليها ، ويستمعون الى ما تقوله ـ وهي زوجة جعفر بن علي بن مقن ـ فخف المقلد الى استقبالها ، فعاتبته وقالت له ، قد ركبت مركباً وضيعاً ، وقطعت رحمك ، وعققت ابن ابيك ، فراجع **الأولى** بك ، وخل عن الرجل ، وأكفف هذه الفتنة ، ولا تكن سبباً لهلاك العشيرة ، ومع هذا فاني أختك ، ونصيحتي لاحقة بك ، ومتى لم تقبل قولي ، فضحتك وفضحت نفسي بين هذا الخلق من العرب . فلان لما قالته ووعدها باطلاق علي ، فاطلقه ورد عليه جميع ما كان أخذه منه ، واضاف اليه مثله ، ورتب له مخيماً جميلاً ، ونقله اليه ، واستكتب له أبا الحسن ابن ابي الوزير ، وجعله عينا عليه يتصرف على امره بين يديه .

على ان هذا التدبير لم يحسم النزاع بين الاخوة ، فكانت الاحقاد كامنة في الصدور ، ولما علم اضحاب علي بمسير المقلد الى حرب أبي الحسن علي بن مزيد ـ الذي اعان عليا عليه ـ حملوه على حرب المقلد ، فأبى وقال لهم ، ان كان قد اساء فانه قد أحسن من بعد . فما زالوا به حتى اصعدوه الى الموصل وحاصر اضحاب المقلد في قلعة الموصل واستولى عليها . فأسرع المقلد بالعودة الى الموصل ، ومر بطريقه في حلة أخيه الحسن . ولما رأى هذا قوة جيش المقلد ، خاف على اخيه علي وحاول ان

كان المقلد قد عاقب بعض جنده من الاتراك . وعفا عن بعضهم وجعلهم في خدمته ، وبدر منه كلمات غير مناسبة عن اجل الصحابة . فقال لرجل جاء يسلم عليه ـ وقد عزم على الحج ـ : « اذا جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقف عنده ، وقل له عني : يارسول الله لولا صاحباك لزرتك » وهذا ما حمل رجال الدولة ان يحرضوا عليه الاتراك الذين كان قد عفا عنهم ـ وكان احدهم يخدمه . فذبحه وهو سكران في الانبار .(٤)

كان المقلد من رجال بني عقيل في الحنك والدهاء وحسن السياسة . قضى على منازعيه . وصانع البويهيين . ثم غدر بهم . واقتطع الكثير من البلاد . ثم طمع الى ابعد من هذا . فحاول الاستيلاء على المملكة . لولا ما دبروه من قتله . وكان فصيحاً . ينظم الشعر ويجيز الادباء والشعراء .

معتمد الدولة أبو المنيع قرواش
(٣٩١ ـ ٤٤٢ هـ ـ ١٠٠٠ ـ ١٠٣١ م)

لما قتل المقلد كان ابنه قرواش غائباً عن الانبار ـ وهو الابن الاكبر ـ وكانت خزائنه وامواله بسقي الفرات فخاف نائبه ـ ابو الحسين عبد الله بن ابراهيم بن شهرويه ـ بادرة الجند، ويحذر من عمه الحسن ان يقصده ويستأثر بالأمر، وهو الذي نازع أباه المقلد قبل هذا.

فلجأ الى ابي منصور قراد بن اللديد، وكتب اليه: «انا اجعل قرواش ولداً لك، وازوجه ببعض بناتك، واقرر معه مقاسمتك على ما خلفه ابوه في خزائنه، على ان تكون عوناً له على عمه الحسن وعمه ابي مرخ مصعب اذا ما طمعا في الامر» فرضي ابو منصور بهذا ورحل الى الانبار، ونزل في دار الامارة، وحرس الخزائن وحسم الاطماع. ثم كتب ابو الحسن الى قرواش يستحثه في القدوم، فأسرع وقدم الأنبار، ووفى بما اتفق عليه ابو الحسن، وتعاضدا على التعضيد.

أما الحسن فانه لم يسكت عن هذا، وشكا الى جماعته واهل بيته، وقال لهم: «ياقوم يرث قراد بن اللديد مال بني المسيب وهم احياء؟ فاجابوه: هذا من عملك، ولخوف ابن اخيك منك» ثم بين لهم اخلاصه، وصدقه لابن اخيه، وعاهدهم انه لا يحمل سوءاً له، وترددت الرسل بينهما، واتفقا: على ان يسير الحسن الى الانبار مظهراً الحرب مع قرواش، فاذا ما اجتمعا انقلبا على قراد وقتلاه، واستعادا الأموال منه، ولما اقترب الفريقان اسرع بعض اتباع قراد، وأسر اليه بما عزما عليه، فركب قراد فرسه زهرب، فجدوا في طلبه ولم يدركوه. واجتمع الحسن وقرواش وتعانقا، وأكد الحسن لقرواش اخلاصه ومعاضدته له، ثم ذهبا الى حلة قراد واسترجعا الأموال التي كان قد اخذها، وعادا الى الانبار، واحسن قرواش معاملة عمه، وحمل اليه ثياباً وسلاحاً وفرساً[1].

واتفقا على ان تكون الموصل مناصفة بين الحسن وينوب عنه فيها ابو عبد الله بن الحيري، وبين قرواش وينوب عنه فيها ابو الحسن بن شهرويه.

(١) الروذ راوري، ٣٩١ ـ ٣٩٢، الكامل، ٩، ٦٢ ـ ٦٣.

كان ابن الحيري شرس الطباع . سعى في قتل ابن شهرويه ، وابي عبد الله المستخرج، وابنه في داره بحيلة دبرها لهم . كما انه دس السم في طعام ابي عامر الحسن بن المسيب وقتله . فتولى مكانه أبو المرخ مصعب فقبض على ابن الحيري وسمل عينيه وقتله ، ثم نبش أهل الموصل قبره واخرجوا جثته ، واحرقوها لسوء معاملته لهم ، وما فعله من قبيح معهم[1].

وبموت الحسن ارتاح قرواش ، فان أبا المرخ مصعب لم يكن من الدهاء والحنكة والشجاعة ما كان لاخيه الحسن ، فقنع بما اعطاه ابن اخيه ، وبقي فيها الى ان توفي سنة ٣٩٧ هـ (١٠٠٦ م)[2].

كان قرواش يتبع سياسة أبيه المقلد في العلاقات بين الفاطميين والعباسيين ، فكان العباسيون يحاولون اصطناعه ، ففي سنة ٣٩٦ هـ جلس له الخليفة القادر ، ولقبه معتمد الدولة ، وتفرد بالأمارة ، ولكنه كان يميل الى الفاطميين ايضاً ، فالفاطميون قد استولوا على اكثر بلاد الشام ، وكانوا يطمعون في الاستيلاء على بلاد الجزيرة والعراق ، والقضاء على الدولة العباسية ، لضعفها وتسلط الاعاجم على الخليفة ، لذا كان قرواش يتقرب اليهم ، ولكنه لا يساعدهم في التغلغل بالبلاد التي تحت حكم العقيليين ـ بلاد الجزيرة ـ مع انه كان شيعي المذهب ، ولكنه يرى سلامة ملكه بوجود الدولة العباسية لضعفها[3].

وقد سبق ما كان عليه الحمدانيون من التقلب بين الفاطميين والعباسيين ، ولكنهم كانوا أكثر ميلاً الى العباسيين لضعف الخلافة العباسية وقوة الدولة الفاطمية ، فكان الخلفاء العباسيون يلجأو ن اليهم كلما دهمهم أمر ، فيلاقون منهم تعضيداً ، وصاهروهم لكي يوطدوا الصلات معهم ، واستمر الحال على هذا في الدولة العقيلية التي خلفت الدولة الحمدانية في السياسة والموقع ، فالعقيليون لم ينحازوا كلياً الى احد الجانبين ، بل كانوا ينتهزون الفرص لتثبيت دولتهم وتوسيعها ، فكانوا يميلون مع الكفة الراجحة ، وكانوا يطمعون في الاستيلاء على بغداد والتسلط على الدولة العباسية واقامة دولة عربية يتولون امرها ، كما كان يرغب في هذا ابو تغلب الحمداني .

---

(١) الروذ راوري ، ٤٤٤ ـ ٤٤٦ .

(٢) ابن خلكان ، ٢ ، ١١٥ .

(٣) المنتظم ، ٨ ، ١٤٧ ، النجوم الزاهرة ، ٤ ، ٢١٤ .

كانت الدعاوة الفاطمية قوية في العراق والجزيرة وبلاد فارس ، وخاصة على عهد الخليفة الحاكم بأمر الله . فان الداعية (هبة الله الشهرستاني) كان من انشط الدعاة في بلاد فارس ، ثم انتقل الى الموصل ، وحل ضيفاً على المقلد العقيلي ، وقدم له الخلع والهدايا التي ارسلها اليه الفاطميون . ولم تؤثر دعوته على اهل الموصل .
اما قرواش فكان شديد الميل للفاطميين ، وكان شديد الفتك باهل المدينة ويروي انه قال « ما في رقبتي غير ستة او سبعة من البادية قتلتهم ، واما الحاضرة فلا يعبأ الله بهم »[١].

وكان حسن التدبير ، شجاعاً ، طموحاً ، يسعى الى توسيع دولته ، ويميل الى القوي ليعزز مكانته ، فاغتنم فرصة تقرب الفاطميين اليه ، وصار الحاكم يهاديه ويمنيه ويحرضه على ان يقطع الخطبة العباسية في بلاده .
وفي سنة ٤٠١ هـ أرسل اليه الحاكم بأمر الله الخلع والعلم الفاطمي ، ليخطب له في بلاده .
جمع قرواش أهل الموصل ، واظهر لهم طاعة الحاكم بأمر الله ، فاجابوه وفي القلوب ما فيها ، واسروا الأباء والكراهية ، فاحضر الخطيب يوم الجمعة (رابع محرم) وخلع عليه قباء ديبقيا ، وعمامة صفراء ، وسراويل ديباج أحمر ، وخفين أحمرين ، وقلده سيفاً ، واعطاه نسخة ما يخطب بها[٢] . فيظهر لنا ان الخطبة ارسلها الحاكم الى قرواش .

وانحدر قرواش الى الانبار ، فاقام الخطبة فيها ، وفي الكوفة ، والقصر والمدائن[٣] . وهكذا خطب له في بلاده .
ولما علم الخليفة القادر بالله العباسي هذا ، أرسل القاضي ابا بكر الباقلاني الى بهاء الدولة البويهي يعلمه بالامر ، فسير هذا عميد الجيوش الى قرواش ، فتدارك قرواش الأمر ، واعتذر لعميد الجيوش ، وقطع الخطبة للحاكم في بلاده ، فكان قرواش يستفيد من الطرفين ، يميل الى احدهما كلما آنس ضعفاً من الطرف الآخر .

---

(١) ـ (٣) المنتظم ، ٧ ، ٢٤٨ ـ ٢٥١ ، ٨ ، ١٤٧ ، ٨ ، ٢٠١ ـ ٢١١ ، وفي النجوم الزاهرة ، ٤ ، ٢٢٤ والمنتظم ، ٧ ، ٢٤٩ نص الخطبة التي القيت في الموصل ، شذرات الذهب ، ٣ ، ١٦٠ .

وفي سنة ٤٣٠ هـ هدد (انوشتكين الدربزي) ـ نائب الفاطميين في الشام ـ نصر الدولة بن مروان ، يريد قصد بلاده ، فراسل نصر الدولة قرواشاً ـ صاحب الموصل ـ وطلب منه عسكراً لما بينهما من قرابة(١)، كما راسل شبيب بن وثاب النميري ـ صاحب حران والرقة واورفة ـ يدعوه الى موافقته ، ويحذره من الفاطميين ، فأجابه هذا وقطع الخطبة الفاطمية ، واقام الخطبة العباسية ، ونجد قرواشاً يميل الى الجانب الذي يؤمن فيه مصلحته ، ولما علم بعزم الدربزي على قصد ابن مروان، خاف ان يعقب هذا فيقصد بلاده ، فانضم الى ابن مروان ، وايده في قطع الخطبة الفاطمية(٢) .

وان قريش بن بدران العقيلي ـ الذي خلف قرواشاً ـ سار على هذا في الميل الى الجانب القوي ليعزز حكمه ، وانه اغتنم خروج طغرلبك السلجوقي لحرب اخيه ابراهيم ينال الذي نازعه في الحكم ، طمع في الاستيلاء على بغداد ، فدخلها سنة ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م) ، هو وابو الفتح البساسيري ، واقام الخطبة فيها للمستنصر بالله العبيدي ، فخطب له على منابر بغداد في ١٣ ذي القعدة ، ونزعوا الثياب السود ولبسوا الثياب البيض ، وضربوا القاب المستنصر على الدنانير ، وبقيت الفتنة الى شوال سنة ٤٥١ هـ (١٠٥٩ م) واضطر الخليفة القائم بأمر الله ان يطلب الأمان من قريش ، فأمنه وسيره الى حديثة عانة ، معززاً مكرماً ، عند ابن عمه محيي الدين مهارش المجلي العقيلي ، واضطره البساسيري على كتابة عهد يعترف فيه بان لاحق لبني العباس في الخلافة، مع وجود ابناء فاطمة الزهراء عليها السلام ، وأرسل البساسيري هذا العهد الى الخليفة المستنصر بالله الفاطمي ، في القاهرة ، مع ثوب الخليفة القائم بامر الله العباسي وعمامته ، وشباكه الذي كان يجلس فيه(٣) .

وبعد ان قضى طغرلبك على اخيه، طلب اعادة الخليفة العباسي الى بغداد ، فاعاده مهارش العقيلي سنة ٤٥١ هـ معززاً مكرماً ، بعد ان خطب للخليفة الفاطمي مدة سنة في بغداد .

---

(١) الكامل ، ٩ ، ١٣٨ ، النجوم الزاهرة ، ٤ ، ٢٧١ . كان قرواش قد تزوج بنت ابي نصر

(٢) الكامل ، ٩ ، ١٧٣ ، اخبار الدولة السلجوقية ، ١٩ ـ ٢١

(٣) ظل الكتاب محفوظاً عند الفاطميين الى ان استولى صلاح الدين الايوبي على مصر سنة ٥٦٧ هـ فارسله الى الخليفة المستضيء بالله العباسي . انظر تفصيل الحادثة في (المنتظم ، ٨ ، ١٩٠ ـ ١٩٧) .

وهكذا نجد الذين يملكون بلاد الجزيرة ـ الحمدانيين والعقيلين ـ كانوا يصانعون الفاطميين تارة والعباسيين أخرى . لكي يأمنوا جانب القوي . ويحافظوا على سلطانهم . واما المذهب الشيعي الذي كانوا عليه . فلم يكن له تأثير على البلاد . فهم طلاب دنيا .

وبينما نجد قرواش يحارب بهاء الدولة البويهي سنة ٣٩٢ هـ (١٠٠١ م) . ويستولي على المدائن ويدحض جيشه ثم ينخذل امام ابي الحجاج جعفر . فيستولي على أمواله . نراه في سنة ٣٩٧ هـ (١٠٠٦ م) يحاول الاستيلاء على الكوفة فلم يتمكن . ثم نجده يتقرب الى بهاء الدولة . ويزوج ابنته من بهاء الدولة . ليوطد أواصر الصداقة بينهما ويأمن جانبه .

ويتضح لنا ان قرواش كان يتحين الفرص للاستيلاء على بغداد . وتثبيت حكمه فيها ـ كما كان يريد أبوه ـ وان رجال الدولة في بغداد ـ وهم من غير العرب ـ كانوا يوجسون خيفة منه،فاخذوا يؤلبون عليه القبائل . وخاصة قبيلة خفاجة ـ وكان قد جرى له معهم ما أجلاهم الى بلاد الشام سنة ٣٩١ هـ ـ وانضم اليهم عسكر بغداد . وزحفوا اليه في الكوفة سنة ٤١٧ هـ (١٠٢٦ م) . ولما علم بكثرة جمعهم وقوتهم . فر الى الأنبار مع ثلة من جيشه . فتبعته أسد وخفاجة الى الانبار . ففارقها الى حلله ـ وفيها عدته وعدده ـ فلم يمكنهم الاقدام عليه . واستولوا على الانبار .

وفي هذه السنة حدث انقسام في البيت العقيلي . فان بدران بن المقلد ـ اخا قرواش ـ سار الى قرواش مع جماعة من بني عقيل . والتقوا في بلد . ولكن العقلاء منهم سعوا في الصلح بينهما . فاعاد قرواش أخاه بدران الى ولاية نصيبين .

واغتنمت خفاجة هذا . فسارت الى الكوفة بقيادة أميرها (منيع بن حسان) ففتكوا في الانبار ونهبوها وحرقوا اسواقها . ولم يتمكن قرواش من دفعهم لمرضه . وان منيع هذا كان متفقاً مع ابي كاليجار . فولاه الكوفة . وخطب له فيها[١] .

ومن النكبات التي حلت في الموصل سنة ٤٣٣ هـ (١٠٤١ م) هجوم قبائل (الغز) على البلد . والغز من القبائل التركية التي كانت تسكن صحراء بخارى . وعليهم ارسلان شاه بن سلجوق التركي . فسارت نحو الغرب . وكانت تفسد في البلاد .

---

(١) الكامل : ٩ : ١٣١ ـ ١٣٣ .

وتقدم بعضهم الى جهينة واعمال الفرج . ونهبوها . وكان قرواش قد تصدى لهم مع الاكراد البشنوية ـ اصحاب فنك ـ وعسكر نصر الدولة . فقاتلوهم وتغلبوا عليهم . ثم كر الغز وغلبوا قرواش ومن معه . وتقدموا الى الموصل . ولما اقتربوا منها . أخذ قرواش يستعطفهم . وبذل لهم ثلاثة آلاف دينار . فلم يقبلوا . وطلبوا خمسة عشر ألف دينار . فالتزمها . وبينما كان يجمع المال وصل الغز الموصل . ونزلوا بالحصباء . فخرج اليهم قرواش بجنده وأهل الموصل . وقاتلوهم عامة نهارهم . وفي اليوم الثاني انهزم العرب ودخل الغز البلد . وهرب قرواش في سفينة نزلها من داره الى السن . فنهبوا مال قرواش . وأخذوا من داره ما يزيد على مائة ألف دينار . ونهبوا البلد . وفتكوا باهلها ـ ما عدا سكة ابي نجيح والجصاصة وجارسوك وشاطيء النهر وباب القصابين على مال ضمنوه . فكفوا عنهم . ثم اخذوا يفرضون المبالغ على أهل البلد . وجرت مشاجرات مع اهل الموصل . فثاروا عليهم . ففر الغز سنة ٤٣٥ هـ واعملوا السيف والنهب في البلد .

استنفر قرواش القبائل العربية على حربهم . وفي مقدمتهم عقيل ودبيس بن صدقة . وسار الى تلعفر وابي مارية . واجتمع الغز برأس الايل من الفرج . وتقدم قرواش الى العجاج . وبينهما نحو فرسخين . واشتبكوا في القتال . فاستظهرت الغز أول النهار . ثم كر عليهم العرب فدحروهم وقتلوا منهم . وغنموا حللهم وخركاهاتهم واموالهم . فانهزم الباقون الى اذربيجان[١].

وفي سنة ٤٢٥ هـ (١٠٣٣ م) تفاقم أمر العيارين . فكان البرجمي قد استفحل أمره فيها . فصار يكبس البيوت وينهب المخازن . ويفرض الاتاوة على الناس على علم من ارباب الدولة . حتى ضج الناس وثاروا على الخطيب يوم الجمعة،وقالوا اما ان تخطب للبرجمي . والا فلا تخطب للسلطان ولا غيره . فقبض قرواش على البرجمي وغرقه في دجلة . وخلص الناس من شر العيارين . وكان لهذا وقع حسن عند الناس فقوى أمر قرواش في بغداد[٢].

كان قرواش طموحاً . يسعى الى الاستئثار بالحكم في بغداد . وازاحة الاعاجم عنها . فكان يسعى الى احتلال المدينة . فصار يراسل بطانة جلال الدولة الديلمي ويفسدهم عليه . كما كان يكتب الى الجند الاتراك الذين في بغداد يحرضهم على الشغب واثارة الفتنة ضد السلطان . وكان نائبه يدبر له هنا فيها .

---

(١) الكامل ، ٩ ، ١٤٣ ـ ١٤٧ . . المنتظم ، ٨ ، ١٤٧ .

(٢) الكامل ، ٩ ، ١٦٤ . المنتظم ، ٨ ، ٧٧ ـ ٧٩ .

وفي سنة ٤٣١ هـ (١٠٣٩ م) انفذ جيشاً وحاصر خميس بن تغلب في تكريت ، فاستنجد هذا بجلال الدولة . فأرسل جلال الدولة الى قرواش يأمره بالكف ، فلم يستمع لقوله ، بل سار بنفسه الى تكريت وحاصرها ، ليفتح الطريق امامه الى بغداد . فأرسل جلال الدولة البساسيري ليقبض على نائب قرواش في السندية ، فحاربه العرب ، ثم زحف جلال الدولة الى الانبار – وهي لقرواش – وانحدر قرواش اليه ولم ينل احدهما من الآخر ، لان بني عقيل اختلفت مع قرواش ، فاصطلحا .[1]

ولو ان بني عقيل ثبتوا مع قرواش لكانت الغلبة له ، لان جيش قرواش كان اكثر عدداً واحسن قوة من جيش جلال الدولة ، كما ان الاتراك في بغداد كانوا ضد جلال الدولة .

انقسام العقيليين

ان الطموح الى الحكم والمنافسة بين ابناء الاسرة الحاكمة كان من الاسباب التي قضت على الحمدانيين والعقيليين والبويهيين وغيرهم .

ففي سنة ٤٤٠ هـ كانت الوحشة بين قرواش وبين اخيه زعيم الدولة ابي كامل بن المقلد . ذلك ان قريش بن بدران كان يطمع في الحكم ، وكان يغري عمه قرواشاً بزعيم الدولة ، ليستفيد من هذا الخلاف ، فجمع قريش جمعاً وقاتل عمه وهزمه – واستمر يحرض عمه قرواش عليه ويسعى في توسيع الخلاف بينهما ، حتى حمله على حربه سنة ٤٤١ هـ (١٠٤٩ م) . وانضم الى قرواش سليمان بن نصر الدولة بن مروان ، وابو الحسن عيسكان الحميدي وغيرهما من الاكراد ، واستولوا على معلثايا ونهبوها ، وتقدم زعيم الدولة الى (مرج بابنيثا) وبينهما فرسخ واحد ، واقتتلوا يومين ، ولم يشترك الاكراد في القتال ، بل اكتفوا بما نهبوه من (معلثايا) وساروا عن قرواش ، ولحق بهم العرب ، وانضموا الى اخيه زعيم الدولة ، وحاولوا نهب حلل قرواش ، فمنعهم زعيم الدولة .

وبلغ قرواشاً ان بعض المتمردين فتحوا الانبار ، وفتكوا بأصحابه بعد ان استولوا عليها باسم اخيه زعيم الدولة ، فارتبك عليه الامر ، وضعف شأنه .

كما ان موقف زعيم الدولة لم يكن مرضياً ، فان آل المسيب والعرب الذين ساعدوه تقدموا اليه بمطاليب يعجز عنها ، واشتطوا في الامر ، وحاولوا نهب اخيه

---

(١) الكامل ، ٩ ، ١٨٢ – ١٨٣ ، النجوم الزاهرة ، ٥ ، ٣١ .

قرواش. فأوقفهم زعيم الدولة، وتدارك الموقف ليحافظ على ما كان بيدهم من الامر. فسار الى اخيه قرواش، وقبل يده وقال له: «انني وان كنت اخاك، فانني عبدك. وما جرى هذا الا بسبب من افسد رأيك، واشعرك الوحشة مني. والآن فأنت الامير وانا الطائع لأمرك والتابع لك.» فأجابه قرواش: «بل انت الاخ والامر لك مسلم، وانت اقوم به مني». وصلح الحال بينهما. وعاد قرواش الى ما كان عليه من التصرف بدولته.(١)

على ان هذا الصلح كان على دخن. فان زعيم الدولة لو كان يعلم ان الامر يستقيم له لما اقدم على الصلح. ولكن انشقاق جيشه وانصاره الذين كانوا يحاربون على المغنم حيثما وجدوه، فكان يخشى ان يميلوا الى اخيه قرواش فيخسر كل شيء.

كان زعيم الدولة هو القوي في المعركة، وصاحب الفضل في حقن الدماء، والمحافظة على ما بأيديهم فقوى امره. وصار يتحكم في البلاد غير هياب من قرواش. ولم يبق له كلمة مسموعة في الدولة.

عزم قرواش على ان يستعين بالسلاجقة. وبأنصاره الذين هم في العراق على حرب اخيه. فانحدر الى بغداد. ولما علم اخوه بالأمر ارسل اليه جماعة من اعيان اصحابه يشيرون عليه بالعودة، واجتماع الكلمة، ويحذرونه من الفرقة والاختلاف. ولكنه اصر على الانحدار الى بغداد. فأعلموه بعد هذا انه ممنوع عن مواصلة السفر. والرأي أن ترجع معنا ـ ولم يكن معه من يدفع عنه وينصره ـ فاضطر الى العودة، على ان يسكن دار الامارة في الموصل. فاستقبله اخوه زعيم الدولة، وانزله حلته، وخدمه بنفسه، وعفا عن اصحابه الذين كانوا معه. وجعل على اخيه قرواش من يمنعه من التصرف على اختياره. فكان قرواش في الموصل وليس له من الامر شيء. والحل والعقد بيد اخيه زعيم الدولة(٢). فتفرد زعيم الدولة في امور الدولة. ولكن حكمه لم يدم. ففي سنة ٤٤٣ هـ سار الى بغداد قاصداً العراق لينازع نواب الملك الرحيم. فلما كان في تكريت، انتقض عليه جرح كان اصابه من الغز لما ملكوا الموصل. فتوفي في رمضان من هذه السنة. ودفن في مشهد الخضر في تكريت.(٣)

---

(١) الكامل، ٩، ٢٠٥ ـ ٢١٠

(٢) الكامل، ٩، ٢١٠

(٣) الكامل، ٩، ٢١٦.

علم الدين ابو المعالي قريش بن بدران

(٤٣٣ ـ ٤٥٣ هـ ـ ١٠٤١ ـ ١٠٦١ م)

بعد وفاة زعيم الدولة، اجتمع العرب على ابي المعالي قريش بن بدران . فعاد بالحلل والعرب الى الموصل . ولم يرض قرواش بهذا . وكانت كفة قريش هي الراجحة . فاعتقل عمه في قلعة (الجراحية) ووكل به . فنازعه اخوه المقلد بن بدران . مظهراً استياءه مما عامل به عمه قرواش . واستعان (بنور الدولة دبيس بن مزيد) وارتبك الامر على قريش . فاغتنم نواب الملك الرحيم هذا . واستولوا على ما كان له في العراق . فكر قريش على حلة اخيه المقلد ونهبها . ثم غدر بعمه قرواش فذبحه في مجلسه ٤٤٤ هـ فأذعن له العرب . واستمالهم اليه . ثم انحدر الى العراق ليستعيد ما أخذ منه . واوقع بـ (كامل بن المسيب) صاحب الحظيرة . وفتك به . وقوى امره بمن معه من العرب والاكراد .

ورأى من المصلحة ان يفاوض الملك الرحيم ويتقرب اليه . ليأمن جانبه . وكان الملك الرحيم بخوزستان وليس لنوابه في العراق من القوة على مقاومة قريش . فأجابه الملك الرحيم على كره منه . فاستقر امره وقوى شأنه .[1]

كانت الدولة البويهية قد تداعت . ولم يبق لها من القوة ما يخشاه امراء الاطراف . والدولة السلجوقية في توسع وتقدم . وقد كاتبهم الخليفة يطلب استقدامهم الى بغداد ليخلص من نفوذ البويهيين لما كانوا يفعلونه في البلاد .

وكان قريش بن بدران يراقب هذا . ورأى من المصلحة ان يكسب جانب طغرلبك . ففتح الانبار سنة ٤٤٦ هـ ـ وكانت للبساسيري من مماليك البويهيين ـ ونهب ما فيها . وخطب فيها وفي كافة اعماله لطغرلبك السلجوقي . فنال رضا الخليفة . ولما دخل طغرلبك بغداد سنة ٤٤٧ هـ . انحدر اليه قريش والتزم جانبه . وعدل عن البويهيين . وهكذا كان يميل الى القوى ويستفيد منه[2]

---

(١) الكامل : ٩ ، ٢١٦ ـ ٢١٩ . ودفن قرواش في تل توبة . ويذكر ابن الاثير ٩ ، ٢١٩ انه توفي في قلعة الجراحية . ومهما يكن من امر موته فان لقريش يد فيه

(٢) الكامل ، ٩ ، ٢٢٤

وفي سنة ٤٤٧ هـ (١٠٥٥ م) اشتد النزاع بين البساسيري ورئيس الرؤساء ـ وزير الخليفة ـ وكان البساسيري يكاتب الدولة الفاطمية ، فآزروه . ورئيس الرؤساء معه الاتراك الذين في بغداد ـ وهم يؤيدون الخليفة العباسي ـ ، فنهبوا دار البساسيري واحرقوها . فكتب الخليفة الى طغرلبك يستحثه في القدوم ، وخطبوا له في بغداد قبل ان يدخلها . ولما دخل طغرلبك بغداد انحدر اليه قريش بن بدران وايده ، وكان قد اتصل به قبل هذا ـ كما تقدم ـ .

واراد البساسيري ان يستفيد من النزاع بين طغرلبك واخيه ابراهيم ينال ، فأستمال ابراهيم الى جانب الفاطميين ، واطمعه في الملك . وتقدم البساسيري الى بغداد ، وفتك بأعدائه . وخطب للفاطميين .

اتفق البساسيري مع بعض رؤساء الجيش واصحاب النفوذ ، وسار الى قريش بن بدران في الموصل ، ومع قريش قتلمش ابن عم السلطان طغرلبك ، وحاربه قرب سنجار ، فانكسر جيشه وجرح قريش ، فلجأ الى نور الدولة دبيس بن مزيد ، فأكرمه واعطاه خلعة كانت انفذها اليه خليفة مصر ، فلبسها ، وساروا الى الموصل وخطبوا للخليفة المستنصر بالله الفاطمي ، وهم : البساسيري ، ونور الدين دبيس بن مزيد ، ومقبل بن بدران ـ اخو قريش ـ فانضاف اليهم قريش ليأمن جانبهم ، ويسلم على بلاده .

غضب طغرلبك ، وارسل اليهم جيشاً ، واحتل اكثر بلاد قريش ، فاضطر قريش ان يعود الى مصالحة طغرلبك ، فأقره على ما بيده من الاعمال سنة ٤٤٩ هـ (١٠٥٧ م) ، وهي : نهر الملك وبادوريا ، والانبار وهيت ودجيل ، ونهر بيطر وعكبرا واوانا وتكريت والموصل ونصيبين[١] . وهكذا نجد قريشاً لم يثبت مع جهة معينة ، بل كان يميل الى الجهة التي يخشى جانبها .

وكانت الموصل خلال هذه المنازعات يتولاها المتغلب ، فهي بين قريش بن بدران والبساسيري وطغرلبك وابراهيم ينال ، ولاقت مصاعب وشدائد ، وهدم البساسيري قلعتها سنة ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م)

---

(١) الكامل ، ٩ ، ٢٣٤ ـ ٢٣٥ .

ابو المكارم شرف الدولة
مسلم بن قريش
(٤٥٣ ـ ٤٧٨ هـ ـ ١٠٦١ ـ ١٠٨٥ م)

توفي قريش بن بدران سنة ٤٥٣ هـ من اثر جروح اصابته . فحمله ابنه شرف الدولة مسلم بن قريش الى نصيبين . واستولى على خزائن ابيه . وآزره في هذا فخر الدولة أبو نصر محمد بن محمد بن جهير . فانه جمع بني عقيل، وحثهم على ان يؤمروا مسلم بن قريش على ما كان عليه ابوه (١) .

وفي سنة ٤٥٥ هـ (١٠٦٣ م) توفي السلطان طغرلبك . وارتبك امر الدولة العباسية . وزاد نزاع امراء الاطراف . ولما تمكن امر السلطان الب ارسلان سار اليه شرف الدولة وتقرب اليه . فأقطعه الانبار وهيت وحربى والسن والبوازيج وتكريت . ولما توجه الى بغداد خرج الوزير فخر الدولة بن جهير في الموكب ، فلقيه . ونزل شرف الدولة بالحريم الطاهري . وخلع عليه الخليفة(٢) .

كان الخليفة المستنصر بالله الفاطمي مشغولاً باللهو والشرب والطرب . واضطربت الدولة على عهده . فاغتنم شرف الدولة هذا . واراد ان يوسع بلاده . فسار الى بني كلاب في سورية سنة ٤٦٠ هـ (١٠٦٧ م) . واحتل الرحبة . وغنم اسلابهم واموالهم . وارسل اعلاماً كانت معهم عليها سمات الدولة الفاطمية الى بغداد . وكسرت وطيف بها في البلد . فزادت منزلته في الدولة العباسية . وارسلوا اليه الخلع (٣) .

وفي سنة ٤٦٢ هـ توفي تاج الملوك هزار رسب بن بنكير بن عياض بأصبهان ـ وكان هذا يحرض السلطان الب ارسلان على نور الدولة دبيس بن مزيد . واغراه ليأخذ امواله وبلاده . وبعد وفاته سار دبيس الى السلطان بهمدان . ومعه شرف الدولة . فخرج نظام الملك فلقيهما . واصلحا امر مزيد . وتزوج شرف الدولة بأخت السلطان التي كانت امرأة هزار رسب . وعادا الى بلادهما مكرمين(٤) .

---

(١) الكامل ، ٩ ، ٢٣٤ ـ ٢٤٤ ، ١٠ ، ٦ ، ٩ ـ ١١ .

(٢) الكامل ، ١٠ ، ١٩ . ابو الفدا ، ٢ ، ١٨٥ .

(٣) الكامل ، ١٠ ، ٢١ . النجوم الزاهرة ، ٥ ، ٨٣ .

(٤) الكامل ، ١٠ ، ٢٣ .

وفي سنة ٤٦٥ هـ (١٠٧٢ م) توفي الب ارسلان . فنازع ملكشاه عمه قاروت بيك . وكان الجيش يميل الى قاروت . ولكن دهاء نظام الملك وتدبيره مما ادى الى استيلاء ملكشاه على الملك . وآزره في هذا شرف الدولة العقيلي . وذلك ان جفوة حدثت بين الب ارسلان وشرف الدولة . وتوسط في الصلح بينهما الخليفة القائم بأمر الله . فأرسل نقيب النقباء طراد بن محمد الزيني مع شرف الدولة الى الب ارسلان . ليزيل ما حدث بينهما . فتوفي الب ارسلان . واراد شرف الدولة ان يؤكد لابنه ملكشاه صدقه واخلاصه . فسار بمن معه من العرب والاكراد . وحارب بجانب ملكشاه . فقضى على عمه . واقطع العرب والاكراد اقطاعات كثيرة لما ابلوه وحسنت الحالة بين شرف الدولة وملكشاه وتوسعت بلاده(١).

وفي سنة ٤٧٢ هـ (١٠٧٩ م) اخذ شرف الدولة يوسع سلطانه في بلاد الشام . وكان تاج الدولة تتش بن الب ارسلان قد حاصر حلب . ودافع اهلها دفاعاً مجيداً . ثم رحل عنها . وهم في قلة من الطعام . وكان مع شرف الدولة غلة كثيرة وقوة كبيرة . فكان يمد اهل حلب بالطعام فراسلوه يطلبون اليه ان يتسلم البلد ويخلصهم مما هم عليه من الضنك والخوف . فتسلم حلب . وعصت عليه قلعتها . فحاصرها وفتحها . وارسل ولده ابن صفية خاتون اخت السلطان الب ارسلان الى السلطان ملكشاه يعلمه بملك البلد . فأقره عليها . ونقل شرف الدولة الغلال الكثيرة الى المدينة . وكان رفيقاً بالناس . حسن التدبير . رفع عنهم الضرائب التي كان قد اثقلهم بها بنو مرداس . فرخصت الاسعار . وعاش الناس بأمن واطمئنان . وخضعت له جميع اعمال حلب . فتسلم حصن عزاز من واليها عيسى . وحصن الأثارب . وكافة الحصون التي هي من اعمال حلب(٢).

واراد ان يستولي على الشام . فحاصرها سنة ٤٧٤ هـ (١٠٨١ م) . وراسل خليفة مصر يطلب منه نجدة . فلم يوف له . لأنه يعلم ان العقيليين اذا احتاجوا الى الفاطميين استعانوا بهم . واذا استغنوا عنهم قلبوا لهم ظهر المجن . وقد تكرر هذا عدة مرات . فهم اصحاب مصالح يميلون مع من يؤملون النفع منه . فتوجه الى حمص وقبض على الاتراك الذين ببلاد الشام واخذ حصونهم . وحبس الاتراك في الرحبة ليأمن جانبهم . وبقوا فيها الى ان قتل سنة ٤٧٨ هـ (١٠٨٥ م)

---

(٣) الكامل : ١٠ : ٢٩ .

(٤) الكامل : ١٠ : ٤٢ . زبدة الحلب : ٢ : ٦٧ ـ ٧٥ . ذيل تاريخ دمشق : ١١٣ .

كان شرف الدولة جواداً . ذا همة وعزم . احتاج اليه الخلفاء والملوك والوزراء . وخطب له على المنابر من بغداد الى العواصم . فهو من اعظم رجال العقيليين . كان بعيد النظر . سياسياً محنكاً . وسع بلاده . فاستولى من السندية التي على نهر عيسى الى منبج في بلاد الشام وما والاها . وله ديار ربيعة ومضر من ارض الجزيرة والموصل وحلب . وما كان لابيه وعمه قرواش . واخذ الاتاوة من بلاد الروم . فاتسعت الدولة العقيلية على عهده . وكانت من الدول التي يحسب لها السلاجقة والفاطميون . وقضى على كثير من الامارات التي كانت في بلاد الشام . وحاول الاستيلاء على بغداد . وكان يريد ان يؤسس دولة عربية كبيرة تقاوم الاعاجم الذين تسلطوا على الخلافة العباسية .

نشر العدل والأمن في البلاد التي دانت لحكمه . فعم فيها الرخاء . وبذل فيها الطعام . ورفع كثيراً من الضرائب . وضرب على ايدي المفسدين . وكان له في كل بلدة عامل وقاض وصاحب خبر . يرفع اليه خبر البلاد يومياً . فأمنت الطرق وساد الهدوء .

تقرب الى السلاجقة وناسبهم . وزوجه السلطان الب ارسلان اخته . واهداهم . فكانوا يدارونه ويحسنون اليه، كما كان الخليفة العباسي يعتمد عليه . وشرفه بما انعم عليه .

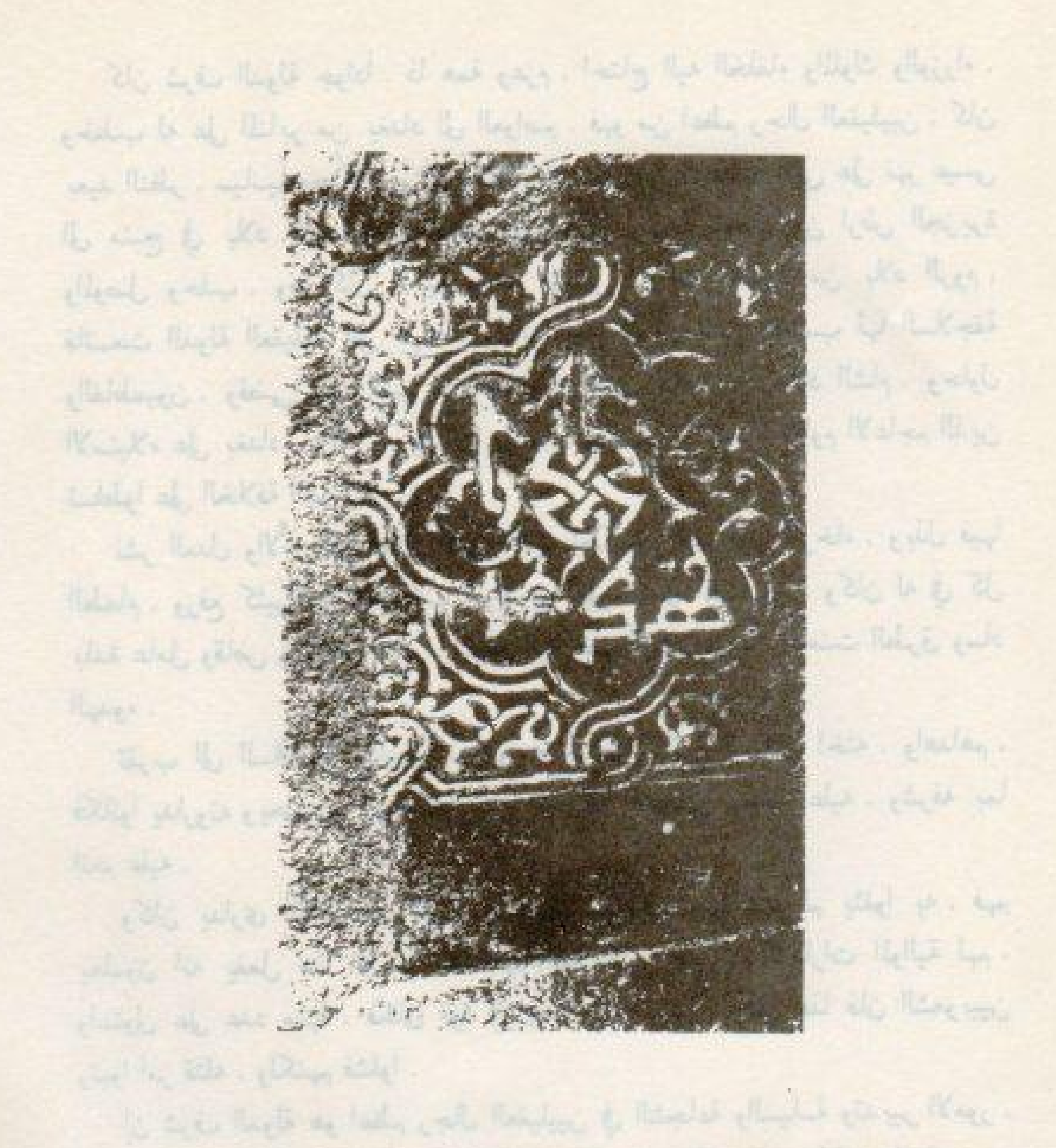
وكان يدارى الفاطميين تارة .يكاتبهم ويمنيهم . ولكنهم لم يثقوا به . فهم يعلمون انه يفعل هذا اذا ما احتاجهم، كما كان يحارب الامارات الموالية لهم . واستولى على عدد منها . فكان قوة في وجه الفاطميين . وعلى هذا فان الشعوبيين رتبوا امر قتله . ولكنهم فشلوا .

ان شرف الدولة هو اعظم رجال العقيليين في الشجاعة والسياسة وتدبير الامور . ونال من سعة الملك وقوة البأس والمنزلة الرفيعة بين رجال عصره ما لم ينله احد من اهل بيته . فهو نهاية عزهم ومجدهم . وبعد قتله رتب السلطان ملكشاه السلجوقي سنة ٤٧٩ هـ ولده ابا عبد الله محمد في الرحبة وحران وسروج وبلد الخابور لكي يكون سداً تجاه الفاطميين ـ كما كان ابوه في حياته ـ وزوجه السلطان اخته زليخة بنت السلطان الب ارسلان لكي يوطد العلاقة معه بالمصاهرة .

اما العقيليون فانهم اقتسموا البلاد التي كانت تحت حكم شرف الدولة . وصار لهم عدة امارات مستضعفة سقطت الواحدة بعد الاخرى . وفقدوا عزهم ومجدهم .

---

(١) الكامل ، ١٠ ، ٤٩ ـ ٥١ ، ٥٢ . ، ابن خلكان ، ٢ ، ١٧٧ . ابو الفدا ، ٢ ، ١٩٦ . النجوم الزاهرة ، ٥ ، ١١٩ .



من القطع الرخامية المطعمة كانت من بنايات الاتابكة عثر عليها قرب كنيسة الطاهرة للارثدوكس

خطط الموصل

اهمية الموصل

قصورها

القلعة

السور

الجسر - نهر زبيدة

الاسواق

دروبها

المساجد والمراقد

اتخذ مروان بن محمد الموصل قاعدة لبلاد الجزيرة . فكثرت فيها العمارة . وامتدت الى ظاهر المدينة وعمروا الدور والقصور . وغرسوا الحدائق والبساتين . فكانت من حواضر بلاد الاسلام .

ثم نكبها العباسيون سنة ١٣٢ هـ (٧٥٠ م) . ولكنها استعادت نشاطها ونهضتها . واستمرت في تقدم . ثم اتخذها الحمدانيون قاعدة لدولتهم . وعمروا فيها قصورهم وثكناتهم . وزادوا في حدائقها وبساتينها . فأقبل الناس عليها . وازدهرت فيها العمارة والفن والعلم . وأجمع الذين كتبوا عنها انها كانت في القرن الرابع للهجرة من أكابر البلدان،كبيرة . غناء . شريفة عظيمة . وصارت من آهل بلاد الدنيا في النفوس[١] .

ووصفها البشار المقدسي فقال عنها : « هو مصر هذا الاقليم ـ بلاد الجزيرة ـ بلد جليل . حسن البناء . طيب الهواء . كثير الملوك والمشايخ . لا يخلو من اسناد عال . وفقيه مذكور . منها ميرة بغداد . واليها قوافل الرحاب . ولها مناره وخصائص . وثمار حسنة . وحمامات سرية . ودور بهية . ولحوم جيدة . وأمور جامعة[٢] .

ويقول عنها ابن حوقل : « وبها مسكن سلطان الجزيرة ودواوينها . ومجتبى أموالها وارتفاعها . ان للموصل أضعاف أعمال نصيبين في فسحة الأعمال . وكثرة الضياع . وعظم المحل . وغزر السكان . وأهل الأسواق . وهي مدينة أبنيتها بالجص والحجارة . كبيرة غناء وأهلها عرب . ولهم بها خطط . وأكبرهم ناقلة الكوفة والبصرة . وكانت من عظيم الشأن بصورة أكابر البلدان . بها لكل جنس من الأسواق الاثنان والأربعة والثلاثة مما يكون في السوق المائة حانوت وزائد . وفيها من الفنادق والمحال والحمامات والرحاب والساحات والعمارات ما دعت اليها سكان البلاد النائية . فقطنوها . وجذبتهم اليها برخصها وميرها وصلاح أسعار فسكنوها . غزيرة الأهل والقرى والقصور والمواشي الى غير ذلك من أسباب النتاج والسائمة[٣] »

(١) الاصطخري ، ٥٣ . نهاية الارب ، ١ ، ٢٩٦ . أكام المرجان ، ١٤ .

(٢) أحسن التقاسيم ، ١٣٨ .

(٣) صورة الأرض ، ١٩٥ ـ ١٩٦ .

وازدحمت المدينة بالسكان ، وزادت ثروتها ، وعني المواصلة بمدينتهم ، فشيدوا الأبنية الفخمة ، وزينوها بزخارف جميلة ، وغرسوا في دورهم وقصورهم الرياحين والأزهار ، والأشجار المثمرة ، ينساب الماء في جداول الى برك وأحواض ، يخرج منها نافورات ، وبين أشجارها الحيوانات الجميلة ، وعلى أشجارها الطيور المغردة ، واتخذوا تماثيل للحيوانات بين الأشجار ، وعلى الجداول ، تصور الحيوانات وكأنها قد ألفت بعضها بعضا ، الى غير ذلك من مظاهر الفن الذي أبدعته قريحة الفنان الموصلي في تنسيق وتزيين ام الربيعين .

ووصف السري الرفاء المتوفي سنة ٣٦٠ مدينته بقصائد تصور لنا ما كانت عليه من جمال التنسيق ودقة الفن ، ومن ذلك يصف داراً لصديق له فيها من مظاهر الجمال فقال : [١]

منزل كالربيع حلت عليه ... حاليات السحاب عقد النطاق
يمتع الطرف[٢] من طرائف حسن ... تتجافى بها[٣] عن الاطراق
فكأن الطلع النضيد جفون ... يتصدعن عن سيوف رقاق
صنعت فوقها التماثيل أيد ... عاجزات عن صنعة الخلاق
من وجوه مثل البدور صباح ... وقدود مثل الغصون رشاق
البستها محاسن الخلق لما ... عجزت عن محاسن الخلاق
فاذا ما الرياح حركن منها ... خيلت ان خيلها في استباق
وتراءت اسودها واثبات ... مبديات خناجر الاشداق
يغتدى بينها الفهود على الغز ... لان خزر العيون سود المآق
حيوان بلا حياة فمنه ... حائد عن منية وملاق
وقيان منعن اسماعنا الحـ ... ـظ ووفرنه على الاحداق
ورياض لم ينش زهرتها التر ... ب ولم يسقها من الغيث ساقي

(١) انظر القصيدة في ديوانه : ٣٠٠ ـ ٣٠١ .

(٢)(٣) في نهاية الارب ١ : ٤٠٧ : العين ، تتحامى

ومن قصورها الجميلة دور الأمارة ، وكانت تقع في أرض واسعة شمال المدينة ـ الميدان ـ وتطل على ساحل دجلة . فشيد الحمدانيون قصورهم فيها لسعة أرضها وجمال موقعها ، وأنها تقع ظاهر المدينة ، تتسع لجيوشهم وخيولهم . وكانوا يوسعون الدور على ممر السنين ، وعنوا بزخرفتها وفخامة بنائها ، وحفوها بجنائن وحدائق فيها الأثمار والرياحين ، وجعلوها تناسب ما كانوا عليه من القوة والثروة .

وممن جددها وعني بزخرفتها وحدائقها وزينها بأنواع الطيور والحيوانات هو أبو تغلب ، وقد وصفها السري الرفاء فقال :

انشأته منزلاً في قلب دجلة لا ... تمتاح جنتـه الغدران والقلبا
صـفا الهـواء به والماء فاشتبها ... كأن بينهما من رقـة نسبا
فمن جنـان تريك النور مبتسماً ... في غير إبّانه والماء منسكبا
ومن سواق على خضراء تحسبها ... مخضرة البسط سلوا فوقها القضبا
كأن دولابها اذ حن مغترب ... ناء فحن الى أوطانه طـربا
فالنخل من باسق فيه وباسقة ... يضاحك الطلع في قنوانه الرطبا
والكرم مشتبك الافنان توسعنا ... أجناسه في تساوى شربه عجبـا
والماء مطرد فيه ومنعـرج ... كأنمـا ملئت جنبانه رعبـا
وبركة ليس يخفي المـوج لجتها ... من القذى،ما طفا فيها وما رسبا
ترى الاوز سـروباً في ملاعبها ... كما تأملت في ديباجة لعبا
مسلم وسباع الطير حائمة ... يخطفن ما طا ف في الآفاق او سربا
كأنما الجارح المرهوب يحذره ... فليس يوفى عليه جارح ذهبـا
وسهم فوارة ما ارتد رائده ... حتى اصاب من العيوق ما طلبا
كأن بركـتـه درع مـضاعـفة ... تقل رمح لجين منه منتصبا
والقصر يبسم في وجه الضحى فترى ... وجه الضحى عندما ابدى لنا شحبا
يبيت اعلاه بالجوزاء منتطقا ... ويغتدى برداء الغيم محتجبا
تطامن نحوه الايـوان حين سما ... ذلاً ، فكيف تضاهي فارس العربا ؟
اذا القصور الى اربابها انتسبت ... اضحى الى القمة العلياء منتسبا
وكل ناحية منـه زبـرجدة ... اجرى اللجين عليها جدولا سربا(١)

(١) انظر القصيدة في ديوان السري : ٣٤ ـ ٣٦ .

وخلف العقيليون الحمدانيين في حكم البلاد . فسكنوا نفس المكان . لانهم لم يجدوا مكاناً أجمل منها يتسع لهم ولجيوشهم(١) . ولكنهم لم يعنوا بها عناية الحمدانيين .

وكان الميدان الذي أمام دار الامارة خالياً من العمارة . وفيه يكون اعداد الجيوش وعرضها .

القلعة :

وشمال دار الامارة تقع القلعة . وفيها العدد والعُدد والخيول ولوازم الحرب . فهي في موقع يشرف على دار الامارة والميدان والبلد . وعلى دجلة . والذي نراه ان الحمدانيين هم الذين شيدوا هذه القلعة قريبة من دورهم . فكانوا قد اتخذوا عدة قلاع حفظوا بها اموالهم وذخائرهم . مثل قلعة كواشي(×) والشعباني وهرور وغيرها من القلاع . واقدم ذكر لها ما وقفنا عليه سنة ٣٨٧ هـ .

ولما حارب البساسيرى ابراهيم ينال سنة ٤٥٠ هـ . وانتصر عليه هدم قلعة الموصل . ولربما اعاد عمارتها شرف الدولة العقيلي عندما عمر سور الموصل ٤٧٤ هـ (١٠٨١ م) .

ومن القصور الجميلة التي كانت في الموصل . قصر جعفر بن ابي جعفر المنصور . بناه سنة ١٤٥ هـ على التل المشرف على الربض الأسفل من الموصل . وسكنه مع زوجته سلسل أخت الخيزران زوجة أخيه الهادي . والقصر يشرف على المروج والأحراش التي تحف بنهر دجلة . وعلى السهول الخصبة الخضراء التي في الربض الأسفل من الموصل . وبقيت أثار القصر الى القرن السابع للهجرة . ذكر عز الدين بن الأثير أنهم شيدوا رباطاً قرب هذا القصر . وجمع كتابه الكامل فيه . وأثر القصر باق الى زمنه(٢) .

وقصر الخليفة المعتضد الذي كان فوق تل توبة . ذكر المقدسي عند كلامه عن الموصل ، « وقصر الخليفة على نصف فرسخ من الجانب الآخر عند نينوى القديمة »(٣) .

---

(١) الكامل ، ٩ ، ١٤٥ ــ ١٤٦ .

(٢) الموصل في العهد الأتابكي ، ١٧٥ .

(٣) أحسن التقاسيم ، ١٣٨ . وجاء ذكر القصر في حوادث سنة ٣٣٠ هـ (العيون : ٣٧٣)

(×) قلعة حصينة شرقي الموصل . ليس لها الا طريق لرجل واحد . وتسمى ايضا اردمشت وهي قد خربت في ايامنا هذه . وقريب منها قرية تسمى باسمها . فوق الجبل الابيض على يمين الداخل الى مضيق زاخو من الموصل .

وذكره ابن الفقيه عند كلامه عن مسجد التوبة،انه بازاء القصر الذي بناه المعتضد بالله العباسي .

ومر بنا ان الخليفة المعتضد توجه الى الموصل سنة ٢٨١ هـ (٨٩٤ م) . وقضى على بني شيبان ، ثم توجه الى حمدان بن حمدون ، وبقي الى سنة ٢٨٣ هـ في ديار الموصل ، وانه رأى جمال الموصل فبنى القصر .

وفي اواخر القرن الرابع للهجرة تداعى القصر ، واقفرت الملاعب ، وصار الناس يشكون الظمأ وسوء الحال . ومن ذلك ما قاله السرى الرفاء يذكر حالة قصر الخليفة أحمد المعتضد وقصر جعفر ونهر زبيدة :

اقول لحنان العشي المغرد ... يهز صفيح البارق المتوقد
على الشرف المعمور بالعمر فالربا ... فتلك الثنايا فالطريق المعبد
فسود الليالي من بنية جعفر ... فدمنة آثار الخليفة احمد(×)
محل الهوى العذري في غير حلة ... وعهد الشباب الغض في غير معهد
أرى بلداً يشكو من الماء مثل ما ... شكا الغمد من حد الحسام المهند
تحيف غربي القصور كأنما ... رمين على الأيام منه بمبرد
مكفرة الجدران للمد لاتني ... تخر عليه من ركوع وسجد
وعهد بها مثل الفراقد تنتضي ... ذوائبها ما بين نسر وفرقد
بقية آثار البناء كأنما ... تصوغ لها الآصال تيجان عسجد
فيا سطوة الأيام عودى لسلمها ... كما كنت قبل اليوم مغلولة اليد[1]

السور

كان الرشيد قد هدم سور الموصل سنة ١٨٠ هـ ، (٧٩٦ م) ولما تولى شرف الدولة العقيلي ، أحاط المدينة في رجب ٤٧٤ هـ (١٠٨١ م) بسور قليل الارتفاع ، ولم يعمل له فصيلاً ولا[2] أحاطه بخندق ، وفرغ من عمارته بعد ستة اشهر وكان السور العقيلي يحف بالمدينة من قرب مقام عيس ذدة الواقع على نهر دجلة[3] ويمتد غرباً الى باب سنجار ، وكان الميدان ظاهر السور ، ثم يستمر السور الى جنوب المدينة حتى النهر .

(×) المعتضد ، هو احمد بن طلحه الموفق توفي سنة ٢٨٩ هـ .

(١) انظر القصيدة في ديوانه ، ٩٧ ـ ٩٨

(٢) حائط قصير يكون امام القلعة ، ودون السور .

(٣) انشئ على انقاض رباط سيف الدين غازي على باب المشرعة (منية الادباء ، ١٣١)

ومن أبواب المدينة التي وقفنا على ذكرها الى القرن الخامس للهجرة، باب سنجار، باب القصابين، باب الجصاصة، باب العراق، باب الجسر. وقد بسطنا القول عن سور الموصل في مجلة سومر.(١)

الجسر

وكان للموصل جسر واحد. وهو الجسر الذي مده مروان بن محمد عندما كان والياً على الموصل. وله باب واحد يغلق بوجه من لم يسمح له بدخول البلد. ويقع الجسر في محل الجسر القديم الذي كانت تتمه القناطر الحجرية في الجانب الشرقي من دجلة(٢) واذا ارادوا قطع المواصلات بين الجانبين احرقوا الجسر. كما فعل ابو تغلب الحمداني سنة ٣٦٣ هـ ـ (٩٧٣ م)

نهر زبيدة

بعد أن استولى العباسيون على الموصل، حاولوا أن يطمسوا كل أثر للأمويين، وسموا النهر الذي حفره الحر نهر زبيدة، لأن زبيدة بنت جعفر الأكبر ولدت في الموصل. وكان شربهم منه ومن نهر دجلة ايضاً، وكان ساحل النهر ـ كما قدمنا ـ من متنزهات المدينة. يحف به أزهار وأشجار. وبعد استيلاء الديالمة وارتباك الأمر في الموصل، طمست أخبار نهر زبيدة. فكان لدجلة فرعان: دجلة الموصل ودجلة نينوى فهل أن دجلة الموصل كان يجري في مجرى نهر زبيدة؟

أسواق الموصل

يحدثنا ابن حوقل أنه كان في الموصل عشرات الأسواق الكبيرة، لكل جنس من الأسواق الاثنان والاربعة والثلاثة. مما يكون في السوق الواحد مائة حانوت وزائد. وكانت اسواقها مسقوفة مغطاة.

كانت الأسواق في القرن الأول الهجري قريبة من دار الامارة، حول المسجد الجامع. فحولها اسماعيل بن علي الى مقبرة أهل الموصل، وبنى بها مسجد أبي حاضر ـ قرب مكان الجامع النوري ـ وبقيت أكثر الأسواق حول الجامع النوري الى القرن السابع الهجري. على أن بعض الاسواق بقيت في مكانها. مثل سوق الشعارين، الأربعاء، القتابين، سوق الجسر ... الخ.

---

(١) سومر، ٣، ١١٧ ـ ١٣٩

(٢) انظر سومر، ١٢، ١٠٨ ـ ١٢٤، الأعشى، ٦، ٤٨٧)

وذكروا عن الجامع النوري : انه كان في وسط اسواق الموصل خربة واسعة ، لم يجسر أحد على عمارتها . . . . فركب نور الدين بنفسه الى محل الخربة ، وصعد منارة مسجد ابي حاضر ، فأشرف على الخربة[1].

ولم نقف على نصوص تفحص لنا عن أسماء أسواق الموصل ، ومكان كل منها ، ومما وقفنا عليه من اسمائها ، أنه كان لكل صنف منها سوق خاصة ، مثل ، سوق البزازين ، سوق السراجين ، سوق الاساكفة ، سوق القصابين ، سوق السقط ، سوق الطعام ، وغيرها من الاسواق .

ومن اسواق الموصل : جهار سوق « والذي يعرف اليوم باسم « شهر سوق » وسميت المحلة باسمه ، قال الجاحظ : « اهل البصرة اذا التقت اربع طرق يسمونها المربعة ، ويسميها اهل الكوفة شهار سوق ، أي الاربعة طرق »[2].

-سوق الأربعاء وقد تقدم الكلام عنه ، ويقول المقدسي عنه عند كلامهِ عَن الموصل : « في ثلثه شبه حصن ، يسمى المربعة على نهر زبيدة ، ويعرف بسوق الاربعاء ، داخله فضاء واسع ، يجتمع به الاكرة والحواصيد ، على كُل ركن فندق »[3].

فسوق الأربعاء هنا المربعة هو غير جهار سوق ، فهو يقع على نهر زبيدة ، جاء عنه في حوادث سنة ٢٣٢ هـ . : « فركب الماء الربض الأسفل ، وشاطيء نهر سوق الاربعاء ، وهلك من اهلها نحو مائة الف نسمة »[4].

وجهار سوق في وسط مدينة الموصل بعيد عن النهر .

ويتضح لنا مما ذكره المقدسي ان سوق الاربعاء كان يجتمع به الفلاحون والحواصيد اذا ارادوا عملاً ، ويمتارون منه ، فهو من الاسواق المزدحمة ، كما كان عليه سوق باب الطوب في الموصل قبل نصف قرن .

ومن دروب الموصل :

١ . درب الدير الاعلى ، يؤدي الى الدير المذكور الواقع في الربض الاعلى ، شمال المدينة على دجلة .

---

(١) الكامل ، ١١ ، ١٤٧ ، الروضتين ، ١ ، ١٨٩ .

(٢) البيان والتبين ، ٢ ، ١٠

(٣) احسن التقاسيم ، ١٣٨.

(٤) الكامل ، ٧ ، ١٣ .

٢ . درب بيت صلوثا : يؤدي الى بيت صلوثا الواقعة ظاهر سور الموصل ، على يسار الناهب من شارع نينوى الى موصل الجديدة ، قبل اجتياز سكة الحديد ، ويسمى اليوم (بسطوطات)(١).

٣ . درب الجصّاصين : يؤدي الى غربي المدينة ، حيث تكثر اكوار الجص .

٤ . درب الجصّاصة : ولربما كان نفس طريق درب الجصاصين ، او أنه فرع منه يؤدي الى اكوار الجص غربي المدينة .

٥ . درب رحى أمير المؤمنين : يؤدي الى شرقي المدينة ـ الى ساحل النهر ـ حيث تكثر الغروب والارحية، وفي لحف التل الذي تقع عليه المدرسة الكمالية يسمى (شط الرحى) ، ولربما كانت هي بقايا رحى أمير المؤمنين .

٦ . درب بني ميدة : من دروب الموصل القديمة ، ذكر الازدي في حوادث سنة ١٩٠ هـ : « تولى الموصل خالد بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ، ودخلها من درب بني ميدة ، فانكسر لواؤه فانشد ابو الشيص :

ما كـان منكسـر اللواء لطيرة	تخشى ولا أمـر يكـون مزيـلاً
لكن هذا الرمح أضعف ركنـه	صغـر الولاية فاستقل الموصلا(٢)

وكان يؤدي الى الربض الأسفل من جهة باب العراق ، وبقي الدرب يعرف ببني ميدة الى القرن السابع للهجرة(٣).

٧ . **درب الدباغين** : والدباغون يتخذون مدابغهم على دجلة جنوب المدينة ، وكان الدرب يؤدي اليها ، وأدركنا المدابغ على دجلة جنوب المدينة ، ثم أبعدتها بلدية الموصل الى موقعها الحالي جنوب الموصل على دجلة أيضا .

٨ . **درب جميل** : لم نقف على نص نستدل منه على تحديد موقعه .

٩ . **درب ايليا الطبيب** : جاء ذكره في حوادث سنة ١٦٦ هـ : « ان أصحاب البيعة المعروفة بمارتوما المجاورة للمسجد المعروف ببني أسباط الصيرفي المقابل لدرب ايليا الطبيب » .

---

(١) وجاء ذكره في القرن السادس للهجرة باسم « باصلوثات » (خريدة العصر ، ٢ ، ٢٥٣) .

(٢) وفي غرر الخصائص الواضحة للوطواط ، ١٢٣ ، أن الشاعر هو أبو الشمقمق ، والوالي خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني ، وكتب صاحب البريد الى المأمون بذلك ، فزاد خالدا ديار ربيعة ، فأعطى خالد أبا الشمقمق عشرة آلاف درهم .

(٣) أنباه الرواة ، ٢ ، ٣٤٤ .

فمسجد بني أسباط هو مسجد خزرج ، والشارع الذي أمامه يمتد الى مسجد العراكدة ـ العراقدة ـ وهو درب ايليا الطبيب ، وبقي الشارع بهذا الاسم الى القرن السادس للهجرة[1].

١٠ ـ **درب درّاج** : في وسط مدينة الموصل كان يسكنه الخالديان ـ كما قدمنا ـ وبقي يعرف بهذا الاسم الى القرن السابع للهجرة ، وكانت دار أبي السعادات بن الأثير فيه ، وبعد موته دفن في الدار واتخذوه رباطاً[2].

درب بني هذيل : ولم نتوفق لتحقيق موقعه .

ومن محلات الموصل التي وقفنا عليها :

محلة حضر موت ، ذكرها البشاري المقدسي فقال : « حضر موت مدينة بالأحقاف ، ومحلة بالموصل »[3]

محلة الطبالين ، تقع قرب الجامع الأموي ، يصنعون فيها الطبول ، ولم تزل هذه المحلة يتخذ فيها الدفوف والغرابيل .

محلة ثقيف ، في محلة باب المسجد اليوم حضيرة تسمى « حضيرة الشكيف » ـ ثقيف ـ وفي المحلة مسجدهم مسجد ثقيف ، وهو الذي عرفت محلة باب المسجد به[4]

محلة التغالبة : قرب باب العراق

محلة التكارتة ، وهم الذين نزحوا من تكريت الى الموصل في القرن الرابع للهجرة ، وسكنوا قرب « بيعة مار حوذيمي »

المساجد

واهل الموصل معروفون بتمسكهم بشعائر دينهم ، وحبهم لعمارة المساجد والمراقد ، فكانت مساجد الموصل تزداد كلما توسعت المدينة وزاد عدد سكانها ، فصار فيها عشرات المساجد ـ عدا التي ذكرناها في العهد الاموي ـ منها :

المسجد الجامع :الذي كان قد وسعه مروان بن محمد ، ثم ضاق بالمصلين ، فوسعه الخليفة المهدي سنة ١٦٧ هـ . جاء في تاريخ الموصل : « وفيها زاد المهدي في المسجد الجامع بالموصل الصفاف الدائرة بالصحن ، وبلغني ان موضع الصفاف كانت حوانيت

---

(١) الموصل في العهد الأتابكي ، ١٢٦ ـ ١٢٧ .

(٢) ابن خلكان ، ١ ، ٤٤١ .

(٣) أحسن التقاسيم ، ٢٧ .

(٤) جوامع الموصل ، ١٦٥ ـ ١٦٦

وسوقاً لأهل المدينة . فما كان يلي سوق الداخل للبزازين ، وما يلي باب جابر للسراجين ، وما يلي دير القبلة للسقط ، وموضع المطابخ التي كان يطبخ للناس فيها في شهر رمضان . فأمر المهدي بهدم جميع ذلك ، وادخله الى المسجد ، واجرى ذلك على يد موسى بن مصعب عامله على الموصل ، وكتب في ذلك حجراً مقابل الداخل من باب المسجد الذي يلي سوق الداخل (بركة من الله لعبد الله الامام محمد المهدي ، فأجرى على يد عامله موسى بن مصعب)[١].

فاذا كان ـ قبل توسيعه ـ يتسع لأكثر من أحد عشر الفاً ، فقد صار يتسع لأكثر من هذا العدد .

مسجد يونس :شيده المسلمون فوق تل توبة الذي وقف عليه قوم يونس لما انذرهم بالعذاب ، وتابوا الى الله ، وكان يقصده المسلمون لزيارته والمبيت به ، كما كان يأوى اليه النساك والزهاد . قال المسعودي عند كلامه عن نينوى سنة ٣٣٢ هـ : « وظاهر المدينة تل ـ تل توبة ـ عليه مسجد ، وهناك عين تعرف بعين يونس عليه السلام ، ويأوى الى هذا المسجد النساك والزهاد والعباد » . وكان يسمى مسجد التوبة لانه يقع على تل توبة .

وان المحسنة جميلة بنت ناصر الدولة الحمداني وسعت هذا المسجد ، وجددت عمارته ، وشيدت الى جانبه دوراً للمجاورين ، واوقفت عليه اوقافاً جليلة ، وسمي المسجد (مسجد يونس) يقصده الناس ليلة الجمعة ويبيتون فيه ، ويقضون ليلهم بالتهجد والعبادة ، كما كانوا يذهبون الى عين يونس ـ الدملماجة ـ ويغتسلون بها للتبرك[٢] . ولم يزل اهل الموصل يقصدونه للزيارة ، ، وبعضهم يبات فيه .

ومن التسامح الذي كان بين المسلمين والنصارى ان المسلمين انشأوا لهم مساجد في بعض الاديرة منها :

مسجد الدير الاعلى :بناه الحسين بن سعيد بن حمدان في الدير الاعلى سنة ٣٣٨ هـ (٩٤٩ م) ، ودفن في هذا المسجد[٣] .

مسجد في دير ميخائيل :جاء في حوادث سنة ٣٦٠ هـ (٩٧٠ م) : « قتل رجلان بمسجد مار ميخائيل بظاهر الموصل،فصادر ابو تغلب جماعة من النصارى »[٤] .

---

(١) أنظر ، جوامع الموصل ، ٣ ـ ١٧ .

(٢) جوامع الموصل ، ٧٣ ـ ١٠٧ . سومر ، ٢٢ ، ٧٥ ـ ٧٨

(٣) ابن خلكان ، ١ ، ٣٦٦

(٤) الكامل ، ٨ ، ٢٢١ ، ، و ابن خلكان ، ١ ، ٣٦٤ .

ومن المساجد التي وقفنا على اسمائها :

مسجد ابي حاضر الذي بناه اسماعيل بن علي سنة ١٦٦ هـ (٧٨٢ م) . مسجد بني اسباط ، وهو مسجد خزرج اليوم ، مسجد علي بن الحسن الهمداني ، مسجد موسى بن مصعب ، مسجد المعافى بن عمران ، مسجد بسام ، يصلي فيه بنو الوضاح العبيديون ، مسجد ابي الحسن بن فرغان وغيرها .

اما مسجد سعيد بن عبد الملك ـ تقدم الكلام عنه .

ومن المشاهد والمراقد :

قبر عمرو بن الحمق الخزاعي ، من الصحابة الذين ثبتوا على محبة الامام علي كرم الله وجهه ، وانتقل الى الموصل وتوفي فيها . وأنشأ الحمدانيون عليه قبة ومسجدا سنة ٣٣٦ هـ ، وقبره في مقبرة آل النقيب المعروفة اليوم باسم مقبرة الست فاطمة[١]، **وهي داخل جامع الامام محسن ، اسد الغابة في (٤ ، ١٠٠) وقبره مشهور بظاهر** الموصل ، يزار ، وعليه مشهد كبير .

مرقد الخثعمي :ويعرف في الموصل باسم الشيخ عامر ، يقع بين مرقد الامام الباهر وتل الكناسة ـ تل كناس ـ ولعل المدفون فيه عبد الرحمن الخثعمي المتوفي سنة ٥١ هـ ، وهو من أنصار الامام علي كرم الله وجهه ، أو قبر كريم بن عفيف الخثعمي ، وكان قد نزل الموصل بعد أن عفا عنه معاوية بن أبي سفيان[٢].

مشهد حمزة بن السرى الخولاني :المتوفي سنة ١٨٣ هـ ، مدفون في سور نينوى ، ذكر عنه الأزدي : « كان قد احتفر بيتا في سور نينوى يأوى اليه ، وبعد وفاته كان الناس يقصدونه للزيارة »[٣].

مرقد الفتح الموصلي :يقع في مقبرة باب الميدان ، والمدفون فيه الفتح بن وشاح الموصلي المتوفي سنة ١٧٠ ، وسميت المحلة القريبة منه (محلة الشيخ فتحي) ، ولم يزل قبره في مسجد يقصده الناس للزيارة ، وحوله مقابر كثيرة ، وفيها قبر الفتح بن سعيد الموصلي المتوفي سنة ٢٢٠ هـ (٤)

---

(١) الموصل في العهد الاتابكي ، ١٦٦ ـ ١٦٧ . تاريخ خليفة بن خياط ، ١ ، ١٩٧ ، الشابشتي ، ١١٤

(٢) الموصل في العهد الأتابكي ، ١٥٨ ـ ١٥٩ .

(٣) تاريخ الأزدي ، حوادث سنة ١٨٣ ، جوامع الموصل ، ٧٧ ؛

(٤) الموصل في العهدالأتابكي، ١٦٠ ـ ١٦١ .

مرقد العناز: العناز بن حماد الثابي المدني، موقف هذه الجبانة، توفي سنة ١٩٧ هـ، يقع بجنوب الموصل، وكان حول المرقد مقابر كثيرة، رفعتها بلدية الموصل سنة ١٩٦٨ ما عدا قبر العناز، وقبر العلامة الشيخ محمد الرضواني، شيخ الموصل علما وورعا.

ويذكر العمري أن العناز كان عبدا أسود يسكن في مسجد الشالجي ـ مسجد أبي حاضر ـ الذي هو من مساجد الموصل القديمة. وفي الموصل سبعة مساجد يسمونها مساجد الصوفية، ويقولون عنها أنها أقدم مساجد الموصل، ومنها مسجد الشالجي (١).

مشهد العباس: ويسميه أهل الموصل (العباس بن مرداس السلمي) وهذا لم يدفن في الموصل، ولعله قبر العباس بن فضل الأنصاري الذي تقدم ذكره (٢).

مرقد المعافى بن عمران الموصلي: المتوفى سنة ١٨٤ هـ. يقع قرب قضيب البان الموصلي، وعرفت المقبرة به: مقبرة المعافى بن عمران، ولم يبق له اثر بعد رفع القبور (٣).

الكنائس

وأخبار الكنائس قليلة في كتب التاريخ وغيرها، ولم نقف على مصادر تبحث عن تأسيسها، ووصف عمارتها وما طرأ عليها في اختلاف العصور ـ اللهم الا نتفا مبعثرة في كتب التاريخ والأدب والسير، ذكرت عرضا في حادث تاريخي، أو في سيرة شخص أو قديس أو غير ذلك.

أما الأديرة فأخبارها متوفرة بفضل من كتب عنها من الأدباء والشعراء الذين كانوا يرتادونها. فوصفوا ما كانت عليه من جمال الموقع، وحسن المنتزه، وجودة البناء، وما كان فيها من شراب معتق. يسعى اليها أهل الفتوة والبطالة وأهل الأدب. يقضون أياما فيها، وقد بسطنا القول عنها في كلامنا عن الحالة الاجتماعية.

وأهم الكنائس التي وقفنا عليها في هذه الفترة:

(١) منية الأدباء، ١١٤. منهل الأولياء، ٢، ١٠٤ ـ ١٠٦. الموصل في العهد الأتابكي، ١٦١ ـ ١٦٢

(٢) منية الأدباء، ١٠٠. جوامع الموصل، ٢٤٧ ـ ٢٥٠.

(٣) الموصل في العهد الاتابكي، ١٧٦ ـ ١٧٧

١ ـ **دير برقوسري** : شيد ديراً في السفح الشمالي من تل قليعات ، حوالي سنة ٥٧٠ م ، ويرجح بعضهم أن كنيسة مار اشيعيا التي في محلة الشهوان مبنية في محل الدير المذكور ، وكانت مقراً لمطران الموصل(١).

٢ ـ **كنيسة الطاهرة القديمة** : تقع في محلة حوش الخان ، جاء ذكرها في رسائل البطريرك يشوعياب في القرن الثامن للميلاد ـ القرن الثاني للهجرة ـ أنها كانت محاذية لسور المدينة(٢).

٣ ـ **كنيسة مار توما** : أقدم ذكر لها يرجع الى سنة ٧٧٥ م = ١٥٩ هـ . وفي سنة ١٦٦ هـ = ٧٨٢ م جدد بناءها النصارى(٣).

٤ ـ **كنيسة مار حوديمي** : وهي التي بناها التكارتة عندما نزحوا الى الموصل في القرن الرابع للهجرة ، وأقدم ذكر لها كان في سنة ٩١٩ م = ٣٠٧ هـ وجددت عمارتها فيما بعد ، وفيها آثار جليلة ترجع الى القرن السادس للهجرة(٤).

وكان لليهود كنيسة واحدة في المحلة التي كانوا يسكنونها قبل هجرتهم الى فلسطين ـ المحلة الاحمدية اليوم ـ ولم يزل بناءها باقياً وفيها البئر التي كانوا يتطهرون فيه ـ بئر الطبله .

---

(١) الديورة ، ٥٠ .

(٢) الموصل المسيحية ، جون فييي ، ١٣٦

(٣) ـ (٤) الموصل في العهد الأتابكي ، ١٧٠ ـ ١٧١ . ويسميه المواصلة مار حويدين

نعمت الموصل بحياة طيبة ، كثرت خيراتها،وتوسعت تجارتها ، وزادت ثروة اهلها . فأنشأوا الدور الجميلة وزينوها بالمرمر المطعم ، ونقشوا سقوفها وجدرانها ، وكان النقاش الموصلي المفسر من الذين ينقشون السقوف والجدران في اول حياته(×) .
وعنوا بالحدائق والازهار ، والحمامات السرية ، وبلطوا ارضها بالرخام ، فكانت حمامات الموصل كثيرة ،عرفت بنظافتها وتنسيقها ، فهي مما يحتاجه التجار واصحاب القوافل الذين يرتادون الموصل ، يزيلون شعثهم وينظفون اجسادهم ، واثنى البلدانيون على ما فيها من حمامات كثيرة(١) .
وغرسوا في حدائقهم المنثور والنرجس والورد ، واختلاف الازهار ، ولهم من مناخ الموصل خير مساعد،وخاصة في فصل الربيع ، فتكثر الازهار في الدور ، وفي اصص تكون في مداخل دورهم .
وكان الشعراء والادباء يتحف بعضهم بعضاً بتحايا من المنثور او الورد ، ويكتبون معها ابياتاً تناسبها ، ومن ذلك :
اهدى الخالديان الى ابي الفوارس سلامة بن فهد منثوراً من بستان دارهم ـ وقد تقدم وقته ـ وكتبا معه :

يابن فهد وانت من ما ترانا ... في المعالي نرى له من ضريب
زعم الزهر انه كسجايا ... ك شبيه في حسن حال وطيب
فأريناه انه يكذب الدعوى ... فلم يلتفت الى التكذيب
فبعثنا به اليك لتلقاه ... بتصديق قولنا من قريب(٢)

ولم يزل اهل الموصل يتبارون في تجميل حدائق دورهم ، واقاموا عدة معارض للازهار،عرضوا فيها اجمل ما عندهم من ازهار وورود واشجار زينة .
واستعملوا المراوح اليدوية في الصيف ، تنسج من الخوص او القصل ، كما استعملوا الخيش في تبريد دورهم تكون مبلولة بالماء ، ويحركونها فيأتي منها هواء بارد .
واستعملوا الثلج ولهم من الجبال القريبة من ام الربيعين خير مصدر لهم ، فان اهل الجبال يخزنونه في حفر كبيرة في الشتاء ، ويغطونه بالقش ، وفي الصيف

---

(١) احسن التقاسيم : ١٣٨ ، مدورة الارض : ١٩٥
(٢) ديوان الخالديين : ١٥٦ ـ ١٥٧
(×) انظر عنه (ص :)

يحملونه داخل التبن والقش ، ويبيعونه في الموصل وغيرها من البلاد. فكان الثلج متوفراً عندهم وقت القيظ . وقال السري الرفاء يستسقي من صديق ثلجاً :

رأيت الناس ذا جود ومنع	فذا يثنى عليه، وذا يهجى
وفقد الثلج في ابان قيظ	تذوب له الصخور الصم وهجا
فجد بالقوت منه تحز ثناء	اراك بفضله اولى وأحجى
ولا تتعجبن من برد شعري	فاني طالب بالثلج ثلجا[1]

واقبل الناس على لعب الشطرنج والنرد ، وكانوا يرون من لوازم الدار ان يكون فيها ، خزانة الكتب والحمام والنرد والشطرنج والبستان . ولم تخل دواوين الشعراء من وصف النرد والشطرنج بين محبذ ومتذمر منهما[2] .

وكان للغناء شأن في البلد ، جاء في اخبار ابراهيم الموصلي ، ١٢٥-١٨٨هـ. أنه أخذ الغناء عن فتيان في الموصل ، كانوا يصيبون الطريق ويصيبه معهم ، ويجمعون ما يفيدونه ، فيقصفون ويشربون ويغنون ، وتعلم منهم شيئاً من الغناء ، وشذا فكان اطيبهم واحذقهم ، ولما عاد الى الكوفة قال له اصحابه الفتيان مرحباً بالفتى الموصلي ، فعرف بها[3] . وان يحيى بن ابي منصور الموصلي كان بارعاً في الغناء وآلاته ، والف في هذا ، كتاب الاغاني ، وله كتاب العود والملاهي - كما قدمنا -[4] .

وفي الموصل محلة تعرف بمحلة الطبالين ، تصنع فيها الطبول والدفوف ، والدف الموصلي مضرب المثل في الجودة والجمال .

يقصدون حمام العليل في الربيع والصيف ، يتمتعون بمناظرها الجميلة ، ويستحمون بمياهها المعدنية الحارة ، بعضهم يقيم في عرائش تكون على ساحل دجلة ، وبعضهم يسكن في دور ، وفي الاماسي تكون حلقات مختلفة على شاطيء نهر دجلة وفي غاباتها ومتنزهاتها ، تتردد فيها الاغاني وآلات الطرب - فهم يقصدون حمام العليل للراحة والاستجمام وللاستشفاء بمياهها .[5]

---

(١) ديوان السري ، ٦٩ ، وانظر ايضاً ، ٦٠ ، ١٣٤ ، ١٣٥ .

(٢) عين السياسة لابن هذيل على حاشية الخصائص الواضحة

(٣) الاغاني ، ٥ ، ٢ - ٣

(٤) الفهرست ، ١٢٣ .

(٥) معجم البلدان ، على دجلة جنوب الموصل ، ويسميها اهل الموصل « حمام علي » معجم البلدان ، ٣ ، ٣٣٤

من المنابع الكبريتية التي تقع شمال مدينة الموصل عين كبريت على ساحل دجلة في لحف التل الذي عليه قلعة الموصل ـ باشطابية ـ عدة عيون كبريتية، يتدفق منها ماء صافي اللون، ذكر ياقوت انها ظهرت سنة ٣٠١ هـ. يقصدها الناس[١] للاستشفاء بمياهها من الامراض الجلدية، وللتنزه على ساحل دجلة، وما في النهر من عروب. ولم يزل اهل الموصل يقصدونها لمثل هذا. وتسمى «عين كبريت». اكبرها واحدة للرجال واخرى للنساء.

عين الدير: تقع قرب دير سعيد. يرتادها اهل الموصل، يستشفون بمائها من الامراض الجلدية. ويسمونها «العين البيضاء» لان ماءها يغدو ابيض في فصل الربيع، ويزدان الوادي[٢] الذي تقع فيه بالازهار في الربيع، فهو من متنزهات الموصل، يقصدونه للنزهة والاستشفاء بالعين.

زيارة مشهد النبي يونس:

يقع على تل التوبة، وكان يقصده الناس للصلاة والتبرك، ولما وسعته جميلة الحمدانية واضافت اليه بيوتاً وسقايات، صار الناس يقصدونه ليالي الجمع، ويباتون فيه، يقضون ليلهم في الصلاة والتهجد والدعاء، ثم يذهبون الى عين يونس، وهي العين التي اغتسل بها النبي يونس عليه السلام بعد ان قذفه الحوت، وانبت الله عليه شجرة اليقطين، ويغتسلون بمائها للتبرك، ويتمتعون بما يحف بها من ازهار وشقائق، ولم يزل اهل الموصل يقصدون زيارة جامع النبي يونس ليالي الجمع، وبعضهم يبات فيه[٣].

الفروسية

عرفت بلاد الجزيرة بعنايتها في تربية الخيل، ومعاناة الفروسية، وللفروسية شأن يذكر في الموصل، وكانت جيوشها في مقدمة الجيوش في الحروب، فهم اشجع فرسان، واقتل للأقران كما يقول عنهم ابن القرية[٢].

يقول المقدسي: «هي واسطة بين العراق والشام، ومنازل العرب في الاسلام، ومعدن الخيل العتاق»[٢].

---

(١) معجم البلدان، ٤، ١٢٣.

(٢) وكان «وادي الدير» من متنزهات المدينة في الربيع، الى ان دخل في حدود المعسكر «معسكر الغزلاني» انظر دير سعيد.

(٣) جوامع الموصل ٧٧ ـ ٧٨، ١٠٥

ويقول ابن حوقل عنها : « فالموصل قاعدة الجزيرة ، والجزيرة معدن الابطال وينبوع الخيل والعدة،وينبوت الحيل والشدة »[١].

وسئل محمد بن حميد الطائي عن رجال الموصل ، فقال : « ان فيهم الف فارس لو لقيت بهم الروم لانست بهم ، وفيهم الف فارس ما للعرب مثلهم »[٢].

فأهل الموصل عرب ، والعربي يعني بخيله ، ويحافظ على ما ورثه منها بعزة وفخر ، والفروسية مما يفتخر بها العرب ، فهو فارس القوم وحامي ذمارها ، والمدافع عنها .

وكانت حلبات السباق مما يتباهى به المواصلة ـ خاصة في موسمي الربيع والخريف ، وفي ايام الاعياد والمناسبات ، فتقام بها الحلبات ، ويتبارز الابطال ، وتكون من المشاهد التي يبتهج بها اهل البلد .

وممن حافظ على هذه السجية العربية في بلاد الجزيرة والموصل هم الذين تولوا ادارتها من العرب ، : الأمويون وبنو حمدان وبنو عقيل ، عرفوا بفروسيتهم ، وكثرة حروبهم ووقائعهم القوية مع الروم ، مما حمل القوم ان يزيدوا عنايتهم بالخيل ومعاناة الفروسية والحرب والضرب ، ويحق لها ان تكون معدن الابطال .

وكان الحمدانيون يقيمون حلبات السباق ، ويتبارى فيها الفرسان ، ويجزلون العطاء للفائزين ، ونجد في دواوين الشعراء قصائد في وصف الخيل وحلباتها .

واهتمام الحمدانيين بالخيل،حمل بديع الزمان الهمداني على وضع (المقامة الحمدانية) بيّن بها كلف سيف الدولة بالخيل ، وانه قدم اليه فرساً جميلاً ، وقال لجلسائه : « أيكم أحسن صفته جعلته صلته » فذكروا له أبا الفتح الاسكندري ، فاحسن صفته واعطاه الفرس [٣].

الصيد

بلاد الجزيرة كثيرة البوادي والسهول ، وتكثر فيها الصيود ، من غزلان وارانب وثعالب وذئاب وخنازير ، كما تكثر فيها الطيور ، وفي جبالها تكون الفهود والدببة والوعول والنمور وغيرها .

يخرج الناس الى الصيد في بوادي الجزيرة ووديانها في فصلي الخريف والربيع، لاعتدال المناخ فيهما ، والى الجهة الشرقية في الصيف والربيع ، حيث تكثر الحيوانات

---

(١) ـ (٢) احسن التقاسيم ، ١٣٦ ، صورة الارض ، ١٩٠ ، تاريخ الازدي ، ٣٩١ ، ابن خلكان ، ١ ، ٨٣ .

(٣) مقامات بديع الزمان الهمداني ، ١٩٦ ـ ٢٠٦ .

والطيور . واستعانوا بالجوارح في صيدهم . وعنوا بالبزاة والصقور وكلاب الصيد والنمور والفهود وغيرها . ومر بنا ان يحيى بن الحر بن يوسف كان يخرج الى المرج ومعه الفهود والنمور والصقور وكلاب الصيد يصطاد بها .

وفي دواوين الشعراء قصائد في مصائد القوم ومطاردهم ـ الطرديات ـ ووصف الحيوانات والجوارح التي يصطادون بها . وآلات الصيد المختلفة . ومطاردة الحيوانات . ما حمل بعض الادباء ان يؤلفوا كتباً في (المصائد والمطارد) ومنها كتاب كشاجم الذي ألفه لسيف الدولة الحمداني . وصف به حيوانات الصيد وطيورها . وكيفية تدريبها . والامراض التي تنتابها . وطرق معالجتها وغير ذلك(×) .

وانتشرت العاب الفتوة في الموصل . ومنها : صيد طيور الواجب ـ الطير الجليل ـ بالبندق (جلاهق) . وهي كرات تتخذ من الطين . وترمى بواسطة القوس . او بالسبطانة : وهي خشبة مستطيلة مجوفة الداخل . يقذفون منها البندق(٢) .

تربية الحمام .

وعني المواصلة بتربية الحمام . وكانوا يتخذون لها (الشخميات)(٤) لتأوى اليها في الليل . ويقدمون لها الحب والماء . وقلما تخلو دار من شخيم أو أكثر . والحمام من العاب الفتيان . كما استعملوه في نقل الرسائل . وهو (الحمام الزاجل) ويباع بأثمان غالية .

ومن الموصل نقل الحمام الى كثير من البلاد الاسلامية . وممن استفاد منه نور الدين محمود . فنقل كثيراً من الحمام الزاجل من الموصل الى بلاده . واستعملها في نقل الرسائل . وفي كتب التأريخ والأدب فصول عن الحمام وتربيته وتدريبه . . . . . الخ .(٤) .

(×) كتاب المصايد والمطارد لكشاجم ، نسخة منه في خزانة مدرسة حسن باشا الجليلي . كنت قد عرفت بها في مجلة الرسالة المصرية ، العدد ٥٨٣ من السنة ، ١٢ .

(١) انظر ديوان ، السرى الرفاء ، الخالديان ، كشاجم ، ابو فراس الحمداني وغيرهم .

(٢) (٣) الفتوة في الاسلام ، ٦٨ ـ ٧٨ . الحيوان للجاحظ ، ٣ ، ٤٥ ـ ٧٩ . صبح الاعشى ، ١٤ : ٣٦٠ ـ ٣٩١

(٤) الشخيم ، فراغ يكون بين سقفي غرفتين متجاورتين ، او بين سقف غرفة وايوان . ويتخذون له مدخلاً من المرمر تحته قطعة رخام بارزة محفور في مقدمتها يسمونها راس كبش . تكون على احدى جهتيه . يثبت بها الحبل من يريد الصعود الى الشخيم . لتنظيفه والاستفادة من ذرق الطيور في تسميد المزارع .

نصب الخيام في الربيع

الموصل ام الربيعين، يمتاز فصل الربيع فيها بجمال ازهاره وتنوعها، وروائع نباتاته،وما يتخلل هذا من غدران ومياه تنساب بينها، وطيور تغرد في حقولها. واهل الموصل يخرجون الى ظاهر المدينة في الأماسي، ويقضون وقتاً جميلاً يتمتعون بالمناظر الخلابة التي كست السهول والروابي. وكانوا يضربون لهم خياماً ظاهر المدينة، ويباتون فيها. واكثر ما كانت تقام في ارض الميدان ظاهر المدينة. ويعرف بالميدان الاخضر ـ قبل ان تمتد اليه العمارة ـ فكانت ارضه مزارع ومباقل. وفي الربض الاعلى من المدينة ـ الذي عليه المستشفى الجمهوري اليوم ـ يشرف على دجلة وما كان فيه من عروب، وما في الجانب الشرقي من غابات. وكذا في غربي المدينة وجنوبها ـ الربض الأسفل ـ يقضون اكثر الليل في التواشيح والغناء.

يزرعون الشعير في السهول. ومتى استوى على سوقه وصار ـ قصيلاً ـ اخرجوا خيولهم ودوابهم الى القصيل قرب خيامهم. فهي خيام نزهة وراحة ومربع لخيولهم. واستمر نصب الخيام في الموصل الى القرن العشرين. وقد بقي منها القليل في ايامنا هذه.

الاديرة

وفي الموصل وجوارها عدة أديرة، كانت معروفة بموقعها الجميل، وما يحف بها من بساتين ورياحين وفيها الخمر المعتق، يقصدها الشعراء والادباء والفتيان وأرباب البطالة. يتمتعون بما يحف بها من مناظر خلابة، وما فيها من خمر وشراب، فيقضون أياماً فيها. وألفت في هذه الفترة عدة كتب عن الديارات وحاناتها وخمورها،وأخبار الشعراء والادباء الذين يرتادونها، فكانت مجالس أنس وطرب ومدام، ومجمع الشعراء والأدباء وأرباب الفضل والطرب.

وكان الخلفاء وأرباب الحكم يرتادونها ويقضون فيها أياماً للراحة والأنس. ومن ذلك:

لما مر المأمون بالموصل ـ في خروجه الى الشام ـ نزل في «الدير الاعلى» لطيبه ونزهته، وصادف عيد الشعانين، فجلس المأمون في موضع جميل يشرف على دجلة وما حوله من بساتين، وعلى من يرتاد الدير. وزين الدير في ذلك اليوم بأحسن زينة، وخرج رهبانه وقسانه الى المذبح، وحولهم فتيانهم بأيديهم المجامر، قد تقلدوا الصلبان، وتوشحوا بالمناديل المنقوشة، فاستحسن المأمون ذلك، وعطف الى

المأمون من كان معهم من الجواري والغلمان . بيد كل واحد منهم تحفة من رياحين وقتهم . وبأيدي جماعة منهم كؤوس فيها أنواع الشراب . فأدناهم . وجعل يأخذ من هذا ومن هذه تحية . وقد شغف بمن رآه منهم . وهو خلال هذا يشرب والغناء يعمل . ثم أمر من معه من وصائفه المزنرات . فأخرج اليه عشرون وصيفة . كأنهن البدور . عليهن الديباج . وفي أعناقهن صلبان الذهب . وبأيديهن الخوص والزيتون . فقال لأحمد بن صدقة أن يقول في هذا أبياتاً ويغنيه بها . فقال أحمد :

ضبـــاء كالدنانــير	ملاح في المقاصـير
جلاهن الشعانــين	علينـا في الزنانـير
وقد زرفنَ أصداغـاً	كأذناب الزرازيـــر
وأقبلــن بأوســاط	كأوساط الزنابــير

فطرب وشرب واستعاد الصوت دفعات[1].

ولما انحدر سيف الدولة الحمداني الى العراق نزل (دير باعربا) وضرب مضربه على شاطيء دجلة . فلما كان وقت العصر دخل الدير . وصعد سطحه . فرأى منظراً من بره وبحره وعلو مشترفه . فاستدعى شراباً . ودعا « سقارة العوّاد » . فغناه . وأمر الشيظمي أن يعمل في هذا شعراً . فقال :

شرفا يا دير عربـا ومجـدا	بهمـا تُغنى مدى الدهر وتُعمرْ
سترى مـاءك هـذا مـاء ورد	وترى صحنك ذا مسكاً وعنبرْ
اذ على سطحك سيف الدولة القـ	ـرم الذي فات الورى عزاً ومفخرْ
والذي ان سار في العسكر فردا	فهو في اقدامه ألف عسكرْ[2]

وذكر الخالدي عن « دير الزعفران » : كان الأمير أبو البركات يخرج اليه . وأخرج معه . فيقيم به على شرب وسرور . وأمرني أن أعمل به شعراً فقلت :

عطلت دارسة المغـانـي	وعمرت عمر « عمر الزعفران »
وأقمت في غرف لـديـــ	ـه كأنهـا غرف الجنـان
وترى قنانينـا مُفَـدْ	مـةً بآس خسروانـــي
ومعـانقي ظبـي وبـد	ر دجنـة وقضيـب بـان

---

(١) الشابشتي : ١١٣ ـ ١١٤ .

(٢) مسالك الأبصار : ١ : ٣٠١ .

والـــراح أحــــصن جنـــــة	لك في مقارعة الزمـان
لا تـأمنــن صــروفــــه	فالدهر ليس بذى أمــاني[1]

ومن هذه الأديرة :

الدير الأعلى : يقع ظاهر مدينة الموصل ، يشرف على دجلة والعروب ، وما يحف بهما من حقول وغابات ، يضرب به المثل في رقة الهواء وحسن المستشرف ، والجزائر تتفرق خلجانها وغدرانها بأزائه ، ويقال : ليس للنصارى دير مثله ، وكان يرتاده الشعراء والأدباء **وفيه** يقول الحسين بن أبي البغل : ، وقد اجتاز به يريد الشام ، وتمتع بما يحف به من مناظر خلابة :

أنـظر اليّ بأعلـى الدير مشترفاً	لا يبلـغ الطرف من أرجـائه طرفا
كأنما غربت غر السحاب بــه	فجـاء مختلفـا يلقـاك مؤتلفـا
فليس تبـصر الا جـدولاً ســربـا	أو جنـة سـدفا ، أو روضـة أنفـا

وكان الخالدي الشاعر يكثر التردد اليه ، ويقول فيه :

قمـر بديـر الموصل الأعــلى	أنـا عبده وهـواه لـي مــولى
لثم الصليب فقلـت مـن حسـد	قبل الحبيب فمـي بهـا أولــى
جـد لي باحداهـن تحـو بهـا	قلـبي محبتـه علـى المقلـى
فاحمـر مـن خجـل وكـم قطعـت	عيني شقائـق وجنـة خجــلى
وثكلـت صبـري عنـد فرقتـه	فعرفـت كيـف مصيبة الثكلـى

والشعانين في هذا الدير حسن ، يخرج اليه الناس فيقيمون فيه الأيام يشربون ويطربون[2]

دير الشياطين : وهو في موقع حسن ، هواؤه رقيق لطيف ، وقلاليه عامرة كثيرة الأشجار ، وأرضه كثيرة الرياض ، يقول عنه الشابشتي : « وهو من مطارح أهل البطالة ، ومواطن ذوي الخلاعة » وممن قصده ووصفه الخباز البلدي ، فقال :

(١) ديوان الخالديين ، ١٠٠ ـ ١٠١ ، مسالك الأبصار ، ١ ، ٣٠٥ ـ ٣٠٦ .

(٢) ديوان الخالديين ، ٢٩ ، ٧٧ ، الشابشتي ، ١١٣ ، معجم البلدان ، ٤ ، ١٢٣ ـ ١٢٤ المسالك والممالك ، ١ ، ٢٩٣ ـ ٢٩٤ .

رهبان دير سقوني الخمر صافية | مثل الشياطين في دير الشياطين
مشوا سراعاً كأمثال السهام بدت | من القسي وراحوا كالعراجين

وكان السري الرفاء يتردد اليه ويشرب فيه . وفيه يقول :

ما حن شيطانه الآتي الى بلد | الا ليقرب من دير الشياطين
وفتية زهر الآداب بينهم | أبهى وأنظر من زهر البساتين
مشوا الى الراح مشي الرخ وانصرفوا | والراح تمشي بهم مشي الفرازين
تفرغوا بين أعطان الهياكل في | تلك الجنان وأقمار الدواوين

دير سعيد : بناه ايليا الحيري العبادي العربي ، وجدد بناءه سعيد بن عبد الملك ، ويعرف اليوم بدير مار ايليا ، وبدير الخربان ، لأنه مهجور يقع جنوب معسكر الغزلاني في واد جميل ، تنساب فيه المياه في فصل الربيع ، يسمى وادي الدير ، وكان حوله قلالي كثيرة ، حسنة العمارة ، ظاهرة النضارة ، في كل قلاية جنينات للرهبان ، فيها طرائف الرياحين وغرائب الشجر ، وهو يقارب تل باذع ، وتراه في الربيع كالوشي الملمع والحلى المرصع ، يقصده الشعراء والأدباء والفتيان ، وله ذكر كثير في أشعارهم ، وفيه يقول الخالدي يصف ما شاهده من جميل المنظر :

يا حسن دير سعيد اذ حللت به | والارض والروض في وشي وديباج
فما ترى غصناً الا وزهرته | تجلوه في جبة منها ودواج
وللحمائم الحان تذكرنا | احبابنا بين ارمال واهزاج
وللنسيم على الغدران رفرفة | يزورها فتلقاه بأمواج

والخمر تجلى على خطابها فترى | عرائس الكرم قد زفت لأزواج
وكلنا من أكاليل البهار على | رؤوسنا « كأنو شروان » في التاج
وقولتي والتفاتي عند منصرف | والشوق يزعج قلبي اي ازعاج
يا دير ياليت داري في فنائك او | ياليت انك لي في درب دراج(١)

(١) الشابشتي ، ١١٧ ـ ١١٨ ، معجم البلدان ، ٤ ، ١٥٠ ـ ١٥١ ، مسالك الابصار ، ١ ، ٣٠٣

ويقول ايضاً :

سعدت صحبتي بدير سعيد	يوم عيد في حسنه الف عيد
وحططنـا رحـالنا بفنـاء الهيكـل	المونـق البديع المشـيد
والـروابي مشهرات كغلمـا	ن لـنـا في محبرات البـرود
فخـدود مثـل الشقائق في اللـو	ن : تليها شـقائق كالخـدود
واذا ما الهـزار غرد في الغصـن	حكتـه الاوتـار في التغـريد
من رآنا ـ ونحـن في الارض صرعى ـ قـال :	قوم موتـى بغيـر لحـود[1]

دير ميخائيل : يقع شمال مدينة الموصل . يشرف على دجلة وحاوي الكنيسة وما فيه من كروم وشجر كثير . وقلاليه في غاية الظرف . محفوفة بأنواع الشجر وأصناف الزهر . وله عيد كبير يكون قبل الشعانين بأسبوع . تخرج اليه النصارى بصبيانهم ونسائهم . ويمر لهم فيه يوم وليلة . تتجاوب فيه ألحان الأغاني وقراء الرهابين . وكان أبو بكر الخالدي معجباً برهبان هذا الدير . وما كانوا عليه من خفة الروح . وجميل السجايا . واطلاع في الآداب والحكمة والفلسفة . فصار يكثر التردد اليه . يأنس برهبانه ويستفيد من علمهم وفضلهم . ثم يميل الى حاناته . فيشرب ويطرب . وقال يصف ذلك :

محاسن الدير تسبيحي ومسباحي	وخمرة في الدجى صبحي ومصباحي
اقمت فيه الى ان صار هيكله	بيتي ومفتاحه للأنس مفتاحي
منـادمـاً في قلاليـه رهـابـنة	راحت خلائقهم اصفى من الراح

وللسرى الرفاء قصيدة يتشوق بها الى الموصل . ودير سعيد . وما كان له فيه من انس وطرب[2]

دير متي :

يقع على جبل مقلوب شرقي الموصل . يشرف على السهول والمرج . ويذكر ياقوت أن بيوته كانت منقورة في الصخر . يقصده الشعراء والفتيان وأهل الهوى . وممن قال فيه . أبو بكر محمد الخالدي :

---

(١) (٢) ديوان الخالديين : ٤١ . ٤٨ . ٥٠ . ٥٤ . ٥٥ . ٦٢ . ٨٤ . ٨٥ . ١١٥ ـ ١١٦ . مسالك الأبصار : ١ . ٢٩٠ ـ ٢٩٢ .

ودرب دراج محلة في وسط الموصل كان يسكنها الخالديان

(٣) ديوان السري الرفاء : ١٨٦ ـ ١٨٧

العلم والادب

سكن العرب بلاد الجزيرة قبل الاسلام بقرون ، فأنشأوا المدن وعمروا الارض وزرعوها ، واستمرت هجرتهم الى الفتح الاسلامي ، ولم تكن صلتهم منقطعة عن اخوانهم العرب في الجزيرة العربية ، فكانوا يحضرون اسواقهم التجارية والادبية ، ويشاركونهم في حياتهم ومعتقداتهم ، وساعدوا العرب في فتح البلاد . فكانت اللغة العربية في ديار ربيعة ومضر وبلاد الجزيرة اللغة السائدة في البلد ـ لقدم العرب فيها ـ وان اهل البلاد من غير العرب تذوقوا اللغة العربية ـ لغة العلم والدين ـ فكانوا يكتبون ويؤلفون بها . ويذكر الأستاذ طرازي : ان اقدم مخطوط عربي نصراني يرجع نسخه الى سنة ١٥٥ هـ (٧٧١ م) ، وهو في مكتبه دير سينا[١] .

وكانت اللغة العربية في بلاد الجزيرة ـ وخاصة الموصل ـ اصح مما هي في البلاد الاخرى . قال المقدسي عند كلامه عن بلاد الجزيرة : « وهي اصح لغة ، ولغتهم أصح من لغة الشام ، لانهم عرب احسنها الموصلية »[٢] .

ونجد للعرب قوة ومناعة في هذه البلاد ، في الوقت الذي كان يتحكم في الدولة العباسية الاعاجم والاتراك ، وقام من العرب رجال حرب وادارة ، كانوا ملجأ العرب والخلفاء ، كلما ضاق بهم الأمر .

وازداد تجمعهم بازدياد تحكم الاعاجم في الدولة العباسية . فقد حاول الفرس بسط نفوذهم في الدولة منذ العصر العباسي الأول ، ولكن قوة الخلفاء العباسيين في هذا الدور لم يفسحوا لهم المجال ، فحدوا من نفوذهم وكبتوا عصبيتهم[×] . فأبو جعفر المنصور قتل أبا مسلم الخراساني الذي كان الساعد الأيمن في قيام الدولة العباسية ، وهارون الرشيد نكل بالبرامكة لما وجد منهم عصبية فارسية . فكانت عصبيتهم في هذا الدور تعمل في الخفاء خشية من بطش الخلفاء .

ثم جاء المعتصم ، واسقط الجيوش العربية ، وادخل العنصر التركي ، فزاحم هذا العنصر الفارسي وغلبه ، خاصة بعد مقتل الخليفة المتوكل على يد الاتراك ، فتسلطوا على الحكم ، وانكشفت العصبيات الثلاثة التركية والفارسية والعربية ، وصارت تعمل جهاراً .

---

(١) خزائن الكتب في الخافقين ، ٥ ، ٦٤ .

(٢) أحسن التقاسيم ، ١٤٦ .

(×) كان السفاح يقول ، لست بخليفة ما دام ابو مسلم حياً (الاخبار الطوال ، ٣٥٦) وكان اكثر عماله من العرب يعتمد عليهم ويثق بهم (اليعقوبي ، ٣ ، ١١٨) ولما تحول المنصور الى بغداد فرق جنده من اهل خراسان في الكور والثغور الا القليل منهم وخلف على بابه من قبائل العرب (لطف التدبير ، ٦٥) .

ولما رأى العرب ضعف الخلافة، وتسلط الاعاجم على أمور الدولة، زاد تجمع قبائلهم في بلاد الجزيرة والشام، واستولوا على المدن والقلاع، فكان لهم نفوذ عربي قوي. فقامت الدولة الحمدانية في الجزيرة والشام، ثم خلفتها الدولة العقيلية. وكان للدولتين فضل كبير في حفظ مكانة العرب في الدولة، ومقاومة الشعوبيين، وتخليص البلاد من الدخلاء، كما كانوا يخفون الى نجدة الخليفة. وتتجلى فيهم الاخلاق العربية من كرم ومروءة ونجدة وشهامة وحب للحرب وعصبية للعرب واقبال على الادب.

فضعف الخلافة العباسية، وتسلط الامراء على الدولة واستقلال المتنفذين في البلاد، أدى الى تفكك الدولة، وتعددت مراكز الحكم، وكان هذا عاملاً في تنشيط الحركة العلمية والأدبية، فصارت كثير من المدن الاسلامية مراكز للعلم والأدب والفن. فالحاكم مهما كانت لغته، نشأ في بلاد عربية اسلامية تكلم لغة القوم واعتنق الدين الاسلامي، وصار يسعى لانهاض اللغة واعزاز الدين، ويفخر بما يقدمه من خدمات للتراث العربي الاسلامي، فساد البلاد حضارة واحدة هي الحضارة الاسلامية العربية، وكلهم يأخذون منها ويضيفون اليها.

وكانت الموصل قاعدة الدولة الحمدانية، والحمدانيون كما يقول عنهم الثعالبي: «هم بقية العرب، والمشغوفون بالأدب، والمشهورون بالمجد والكرم، والجمع بين ادوات السيف والقلم، وما منهم الا أديب جواد يحب الشعر ويتفقده، ويثيب على الجيد منه، فيجزل ويفصل... أوجههم للصباحة، وايديهم للسماحة، وعقولهم للرجاحة، فكانوا حماة اللغة والأدب في الجزيرة والشام»[1].

وعوتب المتنبي في آخر أيامه على تراجع شعره، قال: «قد تجوزت في قولي، واعفيت طبعي، واغتنمت الراحة مذ فارقت بني حمدان».

وعني الحمدانيون بتنشئة اولادهم على الفصاحة والشعر والأدب، واختاروا لهم أجل العلماء والفصحاء لتأديبهم. فكان ابن خالويه المتوفي سنة ٣٧٠ هـ يعلم سيف الدولة الحمداني، وبقي عنده في حلب يأخذ عنه ابناء حمدان الفصاحة والأدب[2]. وكان ابو الحسن علي بن محمد الشمشاطي يعلم ابا تغلب بن ناصر الدولة الحمداني. وهو شاعر ومصنف. ـ[3].

---

(١) يتيمة الدهر، ١، ٢٤ ـ ٢٥، ٢٧، ١٠٤.

(٢) الفهرست، ١٣٤.

(٣) معجم الأدباء، ١٤، ٢٤٠، ٢٤٤، يتيمة الدهر، ١، ١٣٥ ـ ١٣٦.

وكان محمد بن الليث الزجاج معلماً لاولاد ناصر الدولة(١).

فنشأ ابناؤهم على الفصاحة والبلاغة، نظموا الشعر وقربوا الشعراء وأهل الفضل، واجزلوا لهم العطاء.

كان سيف الدولة محط الرحال وموسم الأدباء وحلبة الشعراء أديباً شاعراً، محباً لجيد الشعر نقاداً له، فأقبل اليه أهل العلم والأدب، مثل المتنبي والسري الرفاء وكشاجم والببغاء والخالديين والشمشاطي والنامي والفارابي وغيرهم كثير، حتى قالوا، انه لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء، ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ونجوم الدهر، وكثرت فيه المدائح لما كان يبذله لأهل الفضل، وكان قد ضرب دنانير الصلات، في كل دينار عشرة مثاقيل وعليه صورته.

وقد اختار له ابو محمد عبد الله بن محمد الفياض الشمشاطي عشرة آلاف بيت من محاسن المدائح التي قيلت فيه، وأخباره كثيرة في هذا(٢).

وكان ابو فراس الحمداني ٣٢٠ هـ - ٣٥٧ هـ في طليعة شعراء عصره وفرسانهم، وامتاز شعره بالسهولة والرقة، وعزة الملك، حتى قالوا، بدئ الشعر بملك - امرئ القيس - وختم بملك - أبي فراس، ويكفيه فخراً ان شهد له المتنبي بالتبريز والتقدم، وديوانه معين ثر بالغزل والاخوانيات والفخر والطرديات، والروميات، ومن جميل قوله،

فلا تصفن الحرب عندي فانها طعامي، مذ بعت الصبا وشرابي
وقد عرفت وقع المسامير مهجتي وشقق عن زرق النصول اهابي

وكان ابو تغلب مغرماً بالأدب والشعر، اشترى كتاب الاغاني لأبي الفرج الأصفهاني بعشرة آلاف درهم، وكان يعكف على مطالعته، وله شعر حسن وتقدير للشعراء.

ومنهم ابو العشائر، وهو الذي قصده المتنبي قبل ان يتصل بسيف الدولة، وابو زهير نصر بن حمدان، وابو وائل تغلب بن داود بن حمدان، وابو المطاع ذو القرنين بن ناصر الدولة، والحسين بن ناصر الدولة وغيرهم(٣).

---

(١) الفهرست، ١٢٧.

(٢) يتيمة الدهر، الجزء الاول

(٣) يتيمة الدهر، ١٠٤ - ١٠٨، ابن خلكان، ١، ١٨١ - ١٨٢ نشر الدكتور محسن ذياب ديوان ذي القرنين.

كانت دورهم مجمع الادباء والشعراء ، قصدوهم من اختلاف البلاد ، فأحيوا مآثر العرب ، وصارت الموصل على عهدهم من مراكز أهل الفضل والادب .

ومن المعاهد العلمية التي كانت في القرن الثالث للهجرة هي دور العلم ، وهي مؤسسات ثقافية لمن يقصدها ، فيجد فيها الكتب وأدوات الكتابة ، ويحظى بعلماء وأدباء يملون على الطلاب من سماعاتهم وتآليفهم .

وأول دار علم في الاسلام كانت في الموصل على عهد بني حمدان ، وهي التي أسسها أبو القاسم جعفر بن حمدان الموصلي (٢٤٠ ـ ٣٢٣ هـ) (٨٥٤ ـ ٩٣٤ م) احد فقهاء الشافعية ، وله تآليف جليلة في الفقه والأدب والحكمة والهندسة والشعر ، ناقداً بصيراً للشعر ، ومن تآليفه ، الباهر في أشعار المحدثين ، عارض فيه كتاب الروضة لصديقه المبرد ، وغيره من الكتب .

قال عنه ياقوت : « وكانت له ببلده ـ الموصل ـ دار علم ، قد جعل فيها خزانة كتب من جميع العلوم ، وقفاً على كل طالب للعلم ، لا يمنع أحد من دخولها ، اذا جاءها غريب يطلب الأدب ، وان كان معسراً أعطاه ورقاً وورقاً ، تفتح في كل يوم ، ويجلس فيها اذا عاد من ركوبه ، ويجتمع اليه الناس فيملي عليهم من شعره وشعر غيره ومصنفاته وشيئاً من النوادر المؤلفة ، وطرفاً من الفقه وما يتعلق به ، ثم يملي من حفظه الحكايات المستطابة[1] .

وكانت المساجد كثيرة في المدينة ، وفيها تعقد حلقات الفقه والحديث واللغة والأدب والتاريخ ، ومنها الحلقة التي كان يعقدها ابن جني في المسجد الجامع ، يدرس اللغة والنحو والناس يشتغلون عليه .

ثم جاء العقيليون ، ولم يكن الأدب على عهدهم كما كان عليه في عهد الحمدانيين لكثرة الحروب وارتباك الحالة في البلاد .

على ان العقيليين كانوا على السجايا العربية ، من حب للشعر والأدب والكرم والشجاعة ، فكان بعضهم يقرض الشعر ، ومنهم :

المقلد بن المسيب : كان ذا فضل وسياسة ، ومحبة للشعر والأدب ، وينظم الشعر[2] .

---

(١) بيت الحكمة ، ٦ ، ٧ ، ٧٣ ـ ٧٤ .

(٢) ابن خلكان ، ٢ ، ١١٥ .

وكان قرواش اديباً فصيحاً شاعراً ظريفاً كريماً شجاعاً . له اشعار سائرة . قرب بعض الشعراء ومدحوه[1].

وقريش بن بدران كان فصيحاً كريماً شاعراً شجاعاً[2].

ومسلم بن قريش : كان يحب الشعر ويقرب الشعراء . وعلى جانب من الأدب . وله مكاتبات ومجاوبات شعرية . وله قصيدة جميلة في آل البيت يعارض بها قصيدة دعبل . أولها :

سلام على اهل الكساء هداتي ومن طاب محياي بهم ومماتي

وله قصائد أخرى .

على أن انشغالهم بالحروب والمنازعات حد من حركة الأدب فركدت عما كانت عليه .

ومن شعراء هذا الدور :

أعشى بني تغلب : ربيعة (النعما) بن يحيى بن معاوية . من شعراء الدولة الأموية . وساكني الشام اذا حضر . واذا بدا نزل في بلاد قومه بنواحي الموصل وديار ربيعة . وكان نصرانياً وعلى ذلك مات . مدح الوليد بن عبد الملك . فأحسن اليه . وكان ينادم الحر بن يوسف في الموصل . فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة وفد اليه ومدحه . فلم يعطه شيئاً . وقال له : «ما ارى للشعراء في بيت المال حقا»

وتقدمت به السن فقال :

أصبحت اعشى كبيراً قد تخونني ريب الزمان وقدماً كان ريانا

وله ديوان وقصائد في حرب قيس وتغلب وهو القائل :

وفي الامر تشبيه اذا كان مقبلا ولكنما تبيانه في التدبر

ومن جميل قوله :

وكانوا أناساً ينفحون فأصبحوا واكثر ما يعطونك النظر الشزر .

---

(٣) ابن خلكان ، ٢ ، ١١٦ .

(٤) ابن خلكان ، ٢ ، ١١٧ ، منهل الأولياء ، ١ ، ٩٣ ـ ٩٦ .

(٥) خريدة القصر ، ٢ ، ٢٥٥ ـ ٢٦٥ .

سلمة بن الحر بن يوسف ، كان شاعراً فصيحا ، تبدى بنواحي الثعلبية ـ من طريق مكة ـ وعاشر الأعراب يأخذ عنهم ، وكان يعشق مولاة بالثعلبية لها زوج يقال له منصور ، فقال فيها أبياتا أولها :[1]

سأثوى بحر الثعلبية ما ثوت	حليلة منصور بها لا اريمها

قتله الضحاك الخارجي الحروري[2].

الصقر بن نجدة بن الحكم الأزدي الموصلي ، من رجال الموصل ، كان شاعراً فارساً ، شهد نكبة أم الربيعين على يد ابن صول سنة ١٣٣ هـ ، وله قصيدة يرثي بها الأبطال الذين قتلوا ، وهو من القواد الذين يعتمد عليهم المنصور ، ولاه حرب الموصل سنة ١٤٨ هـ . (٧٦٥ م) .[3].

مخلد بن بكار الموصلي ، من شعراء الموصل ، حلو الطباع ، سلس الشعر ، كان معاصراً لأبي تمام ، حبيب بن أوس الطائي عندما كان يتولى بريد الموصل ، وهجاه ، وكان يمدح السيد بن أنس الأزدي وقومه ورثاه بعد موته ، فقال :

ما ان رأيت ولا سمعت بمثله	من فارس لقي الكتيبة أوحدا
خانته اطراف الرماح فلم يرم	من معزل الازدي حتى قُدّدا
ما كان سيد قومه ، لكنه	قد كان فارسهم فسمي السيدا

وله مراثي في علي بن الحسن الهمداني ، ورثى القتلى الذين وقعوا في وقعة الميدان في الموصل سنة ١٩٨ هـ ، ويقول في بني تليد :

واذا ترعرع من تليد ناشئاً	جعل الحسام ضجيعه في المرقد[4]

---

(١) الأغاني ، ١٠ ، ٩٣ ـ ٩٤ ، معجم الشعراء للمرزباني ، ٣٠ ، نهاية الأرب ، ٢ ، ٥ .

(٢) تاريخ الأزدي ، ٢٩ ، نسب قريش للزبيري ، ١٧٠ ، معجم البلدان ، ٣ ، ١٤ ـ ١٥ ، جمهرة الانساب لابن حزم ، ١٠١ . (٣) تاريخ الأزدي ، ١٤٦ ـ ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٢ ، ١٥٣ . ٢١٧ (٤) تاريخ الأزدي ، ٢٤٣ ، اخبار ابي تمام ، ٤٩ ، ٢٣٤ ـ ٢٣٦ و ٢٤٠ ـ ٢٤١

محمد بن الحسن الهمداني ، من رجال همدان في الموصل ، وكان شاعراً فارساً ، وله مراثي في أهله ، الذين قتلوا في نزاعهم مع السيد بن أنس الأزدي سنة٢٠٢هـ(٨١٧م) ويعدد قتلاهم ، ويحرض أبناءهم على أخذ الثأر منها ؛

يقول بني لي ـ وانكر ما ارى ـ ازدني من غطى التراب على ابي
فقالت له ام عليه شفيقة عـدمتك ما اشجى كلامك من صبي
فقـال.فما لي لا ارى من يحبني وقد كنت عند الناس عين المحبب

فقال له ، غاب الذي كانت العدى تحاذر منه شر يوم عصبصب
وغالهم ما غـال عمـك حاتمـا وغال عليـا خير أبناء يعـرب
وغال خضيرا وابن حر محمـدا وغال أبا العباس لا لتطـرب
فأما الذي أنكرت من فيض عبرتي فلا تنكري اني لفي غير ملعب
سأطلب ثأراً أو يقـوم نوائح عليّ بليل في ثياب التسلـب
فان نلت ثأراً فهو مجـد بنيته لكم برواقٍ بالمعاني مطنب
وان عاقني من دون ذلك عائق فبالجد يسعى المرء لا بالتغلب(١)

أبو حمزة الخارجي :وكان في الخوارج عدة شعراء يرتجزون الشعر اذا اشتدت الحرب ، ومن فرسانهم أبو (٢) حمزة ، كان اذا هجم على الأعداء يقول ؛

يا نفس قد آليت ألا تبرحـي حتى تـوارى في الصعيـد الابطـح
أمـا تخـافي الله أن تزحزحـي لقـد خشيت اليـوم ألا تفلحـي

وكان لأبي حمزة امرأة شاعرة تدعى مريم ، تشارك في الطعن والضرب ، تحمل على القوم في السيف وهي تقول ؛

من سأل عن اسمي فاني مريم بعت لسواري بسيف مِخذم

---

(١) تاريخ الأزدي ، ٣٤٧ ـ ٣٤٨ . انظر بقية الابيات

(٢) تاريخ الأزدي ، ٧٩ .

أم محمد بن زريق بن علي :
من الشاعرات ، فصيحة اللسان ، جميلة الشعر ، ولما رد محمد بن حميد أموال زريق على أهل بيته وولده قالت له :

أحييتنا بعد أن ناخت حشاشتنا	وشتت الدهر منا ألفة البغم
رددت منا الحيا في أوجه نزفت	ماء الحياة فلم تبخل ولم تلم
من ذا يجود بما جادت يداك به	بعد الحيازم للانسان والنعم[١]

السري الرفاء
أبو الحسن السري بن أحمد الكندي ـ ٣٦٠ هـ (٨٧٣ م) ، كان في صباه يرفو ويطرز في دكان في الموصل، وولع بالشعر والادب ، فنشأ شاعرا مطبوعا ، عذب الالفاظ ، مليح المآخذ ، كثير الافتنان في التشبيهات والأوصاف ، وفي ديوانه قصائد وصف ما كانت عليه الموصل من جمال العمارة والفن، وما فيها من منتزهات وملاعب ، وما آلت اليه بعد ذلك ، وله مع الخالديين مهاجاة ومنافسة[٢] .
التعلفري : ابو الحسن علي بن احمد التلعفري
لم نقف على أخباره أكثر من أنه كان معاصرا للسري الرفاء ، وله شعر رقيق ، منه :

ما أطيب العيش على بائس	معاشه في طلب النحو
ليس له في بردها جبة	ولا قميص لا ، ولا فرو[٣]

ابو محمد الموصلي : ومن شعره قصيدة يرثي بها ام الامير ابي الحسن على بن عبد الله بن حمدان[٤]

همام بن غالب أبو الحسن السعدي الضرير الموصلي ـ ٣٧٠ هـ
كان مداحا للملوك والأمراء ، مدح عضد الدولة وابن بقية الأنباري الوزير وغيرهما ، وكان مجدورا جهوري الصوت ، يقوده أخوه[٥] .

(١) تاريخ الأزدي ، ٣٨٢ انظر بقية الابيات
(٢) يتيمة الدهر ، ١ ، ١١٧ ـ ١٨١ . . ابن خلكان ، ١ ، ٢٠١ ـ ٢٠٣ ، معجم الأدباء ، ١١ ، ١٨٢ ـ ١٨٩ .
(٣) يتيمة الدهر ، ١ ، ٣٣٠ ، ٣٠١ .
(٤) يتيمة الدهر ، ١ ، ٣٧٢
(٥) نكت الهميان ، ٣٠٥ ـ ٣٠٦ .

السلامي عبد الله بن موسى ابو الحسن الشاعر ـ ٣٣٦ ـ ٣٩٣ هـ ٩٤٧ ـ ١٠٠٢ م)

من شعراء الدولة الحمدانية ، كان أديبا محدثا ، جيد الشعر ، كثير الحفظ للحكايات والنوادر وُ الأشعار ـ اعترف له شعراء عصره بالتفوق ، وكان يهاجي التلعفري ، قربه عضد الدولة وكان يفخر به اذا كان في مجلسه(١).

الخباز البلدي أبو بكر محمد بن أحمد بن حمدان الشاعر ، رقيق الشعر ، شعره ملح وطرف ، وكان مجودا ، جمع الخالديان شعره(٢)

الخالديان

أبو بكر محمد بن هاشم ـ ٣٨٠ هـ (٩٩٠ م) ، وأخوه أبو عثمان سعيد ـ ٤٠٠ هـ (١٠٠٩ م) ، وهما من قرية الخالدية احدى قرى الموصل ، وامتاز شعرهما بالمدح والغزل والوصف والمجون ، رحلا الى سيف الدولة ومدحاه وجعلهما خازني كتبه ، جمعا حماسة شعر المحدثين ، وتسمى حماسة الخالديين ، وكان بينهما وبين السري الرفاء ما جرى من المسارقة والهجاء(٣).

أبو الفرج الببغاء

عبد الواحد بن نصر المخزومي ـ ٣٩٨ هـ (١٠٠٧ م) ، كان شاعرا فصيحا بليغا ظريفا أديبا ، اتصل بسيف الدولة وحظي عنده ، وبعد وفاته اتصل بأبي تغلب وحسنت حاله عنده ، وكان له صلة بأبي اسحاق الصابي ودارت بينهما مراسلات ، وله رسائل بليغة ونظم رائق ، وكاتبا مترسلاً ، مليح الألفاظ ، جيد المعاني ، حسن الشعر في المدح والغزل والتشبيه والأوصاف(٤).

ومن شعراء الدور العقيلي :

أبو الفضل محمد بن عطاف الموصلي الجزري ـ ٥٣٤ هـ (١١٣٩ م)(٥).

وأبو طالب جعفر بن محمد بن عطاف (٧).

ونباتة الأعور الابري ، رجل أمي من بني عم شرف الدولة بن قريش ، خبيث الهجو ، مزهوب الشباة ،(٨).

---

(١) ابن خلكان ، ١ ، ٥٢٤ ـ ٥٢٦ .

(٢) ابن النديم ، ٢٤٠ ، يتيمة الدهر ، ٢ ، ٢١١ ـ ٢١٣ .

(٣) يتيمة الدهر ، ٢ ، ١٨٣ ـ ٢٠٧ ، فوات الوفيات ، ١ ، ١٧٠ ، ٢ ، ٢٧١ .

(٤-٨)يتيمة الدهر ، ١ ، ٢٥٢ ـ ٢٨٦ ، تاريخ بغداد ، ١١ ، ١١ ـ ١٢ ، ابن خلكان ، ١ ، ٢٩٨ .

وأبو المجد الأعلم ، كان معاصرا لأسامة بن منقذ (٩).
المسكين بن الأقفاصي الأعمى ـ ٥٤٣ هـ (١١٤٨ م) (١٠).

ابو تمام حبيب بن اوس الطائي ـ ١٩٠ ـ ٢٣٢ هـ (٨٠٥ ـ ٨٤٦)

هو رأس الطبقة الثانية من المولدين ، جمع بين معاني المتقدمين والمتأخرين ، واستنبط طريقته التي آثر فيها تجويد المعنى على تسهيل اللفظ ، فكان في شعره معانٍ مبتكرة ، ضمنها الأمثال والحكم ما زاد في ثروة الأدب العربي ، فهو الذي مهد الطريق للمتنبي والمعري الى الحكم والامثال ، واخباره مستفيضة .

تولى ابو تمام بريد الموصل سنة ٢٣١ هـ (٨٤٥ م) وقد التبس الأمر على بعضهم ، فظن ان الخليفة المعتصم وهبه الموصل .

والصحيح ما رواه الصولي المتوفى سنة ٣٣٥ هـ أن أبا تمام أنشد احمد بن المعتصم قصيدته التي مدحه بها ، فلما وصل الى قوله :

اقدام عمرو في سماحة حاتم ... في حلم احنف في ذكاء اياس

قال له الكندي(١) ، ـ وكان حاضراً ـ واراد الطعن عليه : « الأمير فوق من وصفت » فاطرق قليلاً ثم زاد في القصيدة بيتين لم يكونا فيها :

لا تنكروا ضربي له من دونه ... مثلاً شروداً في الندى والبأس
فالله قد ضرب الأقل لنوره ... مثلاً من المشكاة والنبراس

فعجبوا من سرعة بديهته وفطنته ، فولاه الحسن بن وهب بريد الموصل . وكان الحسن بن وهب يعني بأبي تمام،ويكتب لمحمد بن عبد الملك الزيات .

ويقول الصولي ايضاً : « وقد روى هذا الخبر على خلاف هذا،وليس بشيء وهذا هو الصحيح »(٢) .

(٦ ـ ١٠) أنظر عنهم وعن أشعارهم ، خريدة القصر ، ٢ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٣٠٦ ـ ٣٠٧ ، ٣٤٧ ، ٣٥٩ .

(١) ابو يوسف يعقوب بن اسحاق بن الصباح الكندي المتوفى سنة ٢٦٠هـ، واخباره مستفيضة .
(٢) اخبار ابي تمام ، ٢٣٠ ـ ٢٣١ ، تاريخ بغداد ، ٨ ، ٢٥٢ ـ ٢٥٣ .

ويقول ابن خلكان : « ورأيت الناس يطبقون على انه مدح الخليفة بقصيدته السينية ، فلما انتهى الى قوله .... (وذكر القصة) . وقد تتبعتها وحققت صورة ولاية الموصل فلم أجد سوى ان الحسن بن وهب ولاه بريد الموصل ، فاقام بها اقل من سنتين ثم مات »(١) .

وعلى هذا فان ابا تمام تولى بريد الموصل وتوفي فيها ودفن في مقبرة المعافى بن عمران الموصلي . واقامت بلدية الموصل سنة ١٩٥١ م نصباً تذكارياً لأبي تمام قرب الارض التي كانت المقبرة التي دفن فيها .

بيت الشهرزوري :

من الأسر العلمية التي استوطنت الموصل في القرن الخامس للهجرة ، واول من قدم منهم :

ابو احمد القاسم بن المظفر بن علي الشيباني الشهرزوري ، كان من اهل العلم والأدب ، وانجب اولاداً فضلاء ، صاروا قضاة بالموصل والجزيرة والشام الى القرن السابع للهجرة ، وتوفي القاسم سنة ٤٩٨ هـ ، ودفن في التربة المعروفة به المجاورة لمسجد جده أبي الحسن بن فرغان ، ومن اولاده :(٢)

ابو محمد عبد الله بن القاسم المنعوت بالمرتضى ـ ٤٦٥ ـ ٥١١ هـ .(١٠٧٢ـ١١١٧ م)

كان مشهوراً بالفضل والدين ، مليح الوعظ مع الرشاقة والتجنيس ، تفقه في بغداد واشتغل بالحديث وتولى القضاء بالموصل وله شعر رائق ، فمن ذلك القصيدة الموصلية التي لاقت اقبالاً من رجال الأدب والمتصوفة اولها :

لمعت نارهم وقد عسعس الليـــــل ومل الحادي وحار الدليل(٣)

---

(١) وفيات الأعيان ، ١ ، ١٢٢ .

وبنى على قبره قبة ابو نهشل بن حميد الطوس . وبقيت القبة ظاهرة الى القرن السابع للهجرة . على ما ذكر ابن خلكان . لان ابا تمام كان قد رثى محمد بن حميد الطوسي بقصيدته التي مطلعها :

كذا فليجل الخطب وليفدح الامر فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

(٢) اللباب ، ٢ ، ٢١٦ . ابن خلكان ، ١ ، ٤٢١ ـ ٤٢٢

(٣) ابن خلكان ، ١ ، ٢٥٣ ـ ٢٥٤ .

ابو منصور المظفر بن القاسم . ولد سنة ٤٥٧ هـ (١٠٦٤ م) . درس في بغداد على الشيخ ابي اسحاق الشيرازي، ثم عاد الى الموصل وتولى قضاء سنجار على كبر سنه . وسكنها . وكان قد أضر في آخر عمره[١] .

قاضي الخافقين ابو بكر محمد بن القاسم . رحل الى العراق وخراسان والجبال وسمع الحديث . وأخذ في بغداد عن ابي اسحاق الشيرازي . وتولى القضاء في بلاد كثيرة . فسمي قاضي الخافقين[٢] .

ابناء جهير :

فخر الدولة ابو نصر محمد بن محمد بن جهير الثعلبي الموصلي . ـ ٣٩٨ ـ ٤٨٣ هـ (١٠٠٧ ـ ١٠٩٠ م) . من رجال الادارة والعلم . كان ذا رأي وعقل وحزم وتدبير . شجاعاً سخياً عارفاً . ذا شهامة وصرامة وفصاحة . وزر لنصر الدولة احمد بن مروان ـ صاحب ميا فارقين وديار بكر ـ ثم وزر لابنه نظام الدين، وكان مسموع الكلمة في الدولة . ثم راسل الخليفة القائم بالله العباسي وانحدر الى بغداد . فأمر الخليفة اصحابه بتلقيه . واكرمه وولاه الوزارة سنة ٤٥٤ هـ (١٠٦٢ م) . فاحسن سياسة الدولة . وكانت الاطراف المتاخمة للعراق عاصية على الخليفة . وملوكها اصدقاء ابن جهير . فكاتبهم وراسلهم واستمالهم . فدخلوا في طاعة الخليفة .

ولما استولى السلاجقة على املاك بني مروان . ولاه نظام الملك سنة ٤٨٢هـ (١٠٨٩ م) نصيبين والموصل وسنجار والخابور وديار ربيعة . وخطب له على منابرها نيابة عن السلطان . وبعد وفاته دفن في تل توبة . واخباره كثيرة[٣] .

ابو منصور عميد الدولة محمد بن محمد فخر الدولة بن جهير ـ ٤٩٢ هـ (١٠٩٨ م) كان ينوب عن ابيه في الوزارة . فنشأ رجل ادارة وحزم . خدم الخلفاء العباسيين . ووزر لهم . وكان القائم والمقتدي يعتمدان عليه ويرسلانه في رسائل الى السلاطين، لما كان عليه من حسن التدبير . وكان نظام الملك يعجب منه ويقول : « وددت اني ولدت مثله » وزوجه ابنته صفية سنة ٣٦٢ هـ (٩٧٢) . وكان شاعراً مترسلاً .

---

(١) ـ (٢) ابن خلكان ، ١ ، ٤٢٢ . نكت الهميان ، ٢٩٣ .

(٣) ـ (٦) ابن خلكان ، ٢ ، ٦٦ ـ ٦٩ . الكامل ، ١٠ ، ٦٧ . الفخري ، ٢٩٣ ، ٢٩٣ ـ ٢٩٥ . ٢٩٦ ـ ٢٩٧ . ٣٠٠ . خريدة القصر ، ١ ، ٨٧ ـ ٩١ . الوافي بالوفيات ، ١ ، ١٠٤ .

زعيم الدولة أبو القاسم علي بن فخر الدولة بن جهير، وزر للخليفة المستظهر بالله العباسي سنة ٤٩٦ هـ (١١٠٢ م) ولم تطل ايام وزارته . ولم يحسن القيام بها فعزل وقبض عليه[٦] .

– ٢ –

كان المذهب السائد في بلاد الجزيرة هو المذهب السني . ويقول المقدسي عنهم : « ومذاهبهم سنة وجماعة . »[١] ومع أن الحمدانيين والعقيليين كانوا شيعة فانهم لم يؤثروا على أهل البلد في نشر مذهبهم . وكان لبني حمدان صلة بالقرامطة وبالحلاج . وألف هنا كتاب السياسة للحسين بن حمدان (ناصر الدولة)[٢] . ولما أراد ابو عبد الله سعيد بن حمدان أن يبني مشهداً سنة ٣٣٦ هـ (٩٤٧ م) فوق قبر عمرو بن الحمق الخزاعي – وهو من أنصار الامام علي كرم الله وجهه – جرت فتنة في الموصل بسبب هذا . . [٣]

وان الفاطميين اتخذوا لهم دعاة في بلاد الجزيرة والموصل . وحرضوا العقيليين فخطبوا للخليفة الفاطمي . وكان هذا على كره من أهل البلد . فسكتوا وفي نفوسهم ما فيها .

وحاول الاسماعليون نشر دعوتهم في الموصل . وكان بنو حماد أصحاب الدعوة لهم بالجزيرة وما والاها، يدعون للامام أبي يعقوب – خليفة الامام المقيم بالري – وصنفوا كتبا وأضافوها الى عبدان . وبعد بني حماد قام بالدعوة رجل يعرف بابن حمدان . شاهده ابن النديم في الموصل . ووضع كتبا كثيرة في نشر الدعوة . ولكننا لم نقف على أثر لها في الموصل والجزيرة[٤] .

ومر بنا ما قام به الخوارج من حركات عنيفة في بلاد الجزيرة وما جاورها . ولكن مذهبهم لم ينتشر بعد القضاء على الحركة . ولم يتركوا لهم أثرا في هذه البلاد، لبداوتهم وسرعة انقسامهم،ولم يركزوا دعوتهم في مناطق ثابتة –

وعلى هذا فقد بقيت الموصل تتبع المذهب الحنفي – مذهب الدولة العباسية اذ ذاك – ويقول المقدسي عنها : « لا يخلو من اسناد عال . وفقيه مذكور »[٥] .

---

(١) أحسن التقاسيم : ١٤٢ .

(٢) الفهرست : ٢٧٢ .

(٣) أسد الغابة ٤ : ١٠١ . مجلة الجزيرة – الموصلية – ١ . العدد ٥ . ص : ٩ – ١٠

(٤) الفهرست : ٢٦٨ – ٢٦٩ .

(٥) احسن التقاسيم : ١٣٨

اما النصارى ، فانتشرت عندهم دعوة نسطورس ، ان للمسيح طبيعتين متميزتين ، الطبيعة اللاهوتية ، والطبيعة الناسوتية ، وايدهم بذلك الملكانية ، وانتشرت مقالته في الموصل والعراق وبلاد فارس[1] وكان بعضهم يتبع المذهب الارثوذكسي ـ وهم اليعاقبه ـ ولم يعرف غير هذين المذهبين عند نصارى الموصل وبلاد الجزيرة .

ـ ٢ ـ

ومن العلماء الذين عنوا في تفسير القرآن الكريم ، والقراءات وطبقات القراء ؛

١ (النقاش الموصلي ، ٢٦٦ ـ ٣٥١ هـ (٨٧٩ ـ ٩٦٢ م) ابو بكر محمد بن الحسن الانصاري الموصلي ، كان ينقش السقوف والحيطان ، ثم عكف على دراسة العلوم والقرآن الكريم ، وقراءاته وطبقات المفسرين ، وله التفسير الكبير المعروف بـ (شفاء الصدور) واشار اليه الصفدي بقوله ؛

ياحسن نقاش كتمت صبابتي	في حبه ، لكن وجدي فاشي
ان كان عارضه يفسر لوعتي	لا تنكروا التفسير للنقاش

وله كتاب (الاشارة في غريب القرآن) ، والموضح في القرآن ومعانيه و (الابواب في القرآن) ، كما ألف المعجم الأوسط والمعجم الأصغر والمعجم الكبير في اسماء القراء وقراءتهم ، وكتب في القراءآت وغير ذلك[2]

٢) عبيد الله بن محمد بن خرو الاسدي ابو القاسم النحوي العروضي المعتزلي الموصلي ـ ٣٨٧ هـ .

رحل الى بغداد ، واخذ عن الفارسي والسيرافي وغيرهما ، وصنف كتباً منها ، تفسير القرآن الكريم ذكر في (بسم الله الرحمن الرحيم) مائة وعشرين وجهاً ، وله في العروض ، كتاب الموضح ، وفي القوافي ، كتاب المفصح وكتاب الأمد في علوم القرآن ، وتصدر للأقراء[3]

---

(١) فجر الاسلام ، ١٥٤ ـ ١٥٥

(٢) تاريخ بغداد ، ٢ ، ٢٠١ ـ ٢٠٥ ، اعلام الصناع المواصلة ٢٧٩ ، غاية النهاية ، ٢ ، ١١٩ ـ ١٢١

(٣) طبقات المفسرين للسيوطي ، ٢٢ ، معجم الادباء ، ١٢ ، ٦٢ ـ ٦٨

ومن قراء القرآن :

العباس بن فضل الانصاري قاضي الموصل . كان استاذاً حاذقاً ثقة في قراءة ابي عمرو . وقال عنه ابو عمرو : « لو لم يكن في اصحابي الا عباس لكفاني » ، اخذ عنه جماعة من الموصل ، منهم :

ـ عامر بن عمر بن صالح ابو الفتح المعروف : بأوقية الموصلي . مقرىء حاذق ، اخذ عن اليزيدي ، وعن العباس بن الفضل . وتصدر للافادة فاخذ عنه جماعة من المواصلة منهم :(١) عيسى بن رصاص الموصلي وكان من جلة اصحابه .

احمد بن مسعود ابو العباس السراج الجرمي الموصلي ، كان من حذاق اصحاب عامر الموصلي

حاتم بن اسحاق بن حاتم ابو قبيصة الضرير الموصلي :*مقرىء حاذق ، اخذ عن عامر الموصلي .

الحسن بن سعيد الصفار ابو علي الموصلي ، اخذ عن اوقية الموصلي وروى عنه ابو بكر بن مجاهد .

محمد بن سمعويه ابو العباس الموصلي ، روى القراءة عن اوقية الموصلي .

محمد بن علي بن الحسن بن الجلندا ، ابو بكر الموصلي ـ ٣٤١ هـ . مقرىء متقن ضابط ، اخذ عن محمد بن اسماعيل القرشي

ابراهيم بن عيسى بن محمد ابو اسحاق الموصلي ، وعنه اخذ بكار بن محمد بن زياد بن هارون ابو الحسن الموصلي .(٢)

المحدثون والقضاة

وكان في الموصل جماعة من المحدثين منذ القرن الاول للهجرة ، اخذوا عن اجل المحدثين ، وحدثوا في الموصل وغيرها من البلاد ، وبعضهم من الف في الحديث وشيوخه ، وبعضهم من جمع الاحاديث في مسند ، كمسند (ابي يعلى الموصلي) ، وكان المحدثون فقهاء علماء في اللغة والشعر ، فنجد اكثر الذين تولو قضاء الموصل ـ في العصر العباسي الاول ـ هم من المحدثين الفقهاء ، ذلك لما كانوا عليه من اطلاع في الفقه واصول الدين .

---

(١) (٢) انظر عنهم غاية النهاية : ١ : ٣٥٠ ـ ٣٥١ ، ١٣٨ ، ٢٠١ ، ١٢٥ ، ٢١٥ ، ١٧٨ ، ٦٨٠ .

ومن المواصلة الذين تولوا القضاء في الموصل :

بكار بن شريح الخولاني المتوفي سنة ٢٢٢ هـ (٨٢٦ م) . تولى القضاء للمهدي سنة ١٥٤ هـ (٧٧٠ م) . واستخلف على عمله عبد الحميد بن ابي رباح الموصلي .

معمر بن محمد التميمي ، وكان محدثاً فقيهاً ، تولى القضاء سنة ١٤٠ هـ (٧٥٧ م)

عبد الله بن ادريس الهمداني ، تولى القضاء سنة ١٤٤ هـ (٧٦١ م) بعد وفاة معمر .

الحارث بن الجارود العتكي ، تولى القضاء للرشيد سنة ١٤٦ هـ (٧٦٣ م) وضم اليه الرشيد الخراج ايضاً . وبقي في القضاء الى ان توفي سنة ١٤٨ هـ . (٧٦٥ م) ـ وهو من المحدثين في الموصل .

يحيى بن عبد الله بن كرز ، (ابا كرز الفهري) وكان فقيهاً محدثاً .

علي بن مسهر بن عمير القرشي ، تولى القضاء سنة ١٦٧ ـ ١٧٥ هـ ، (٧٨٣ ـ ٧٩١م) وتوفي سنة ١٨٩ هـ (٨٠٤ م) جمع الحديث وكتب عنه المواصلة

أسماعيل بن زياد الدؤلي ، تولى القضاء سنة ١٧٥هـ/٧٩١م ، وكان فقيهاً متعففاً .

ابو الفضل العباس بن فضل الانصاري ، ولاه الرشيد سنة ١٧٥ هـ (٧٩١ م) ، واستعفى منها بعد ايام . ثم ولى الرشيد مكانه عبد الله بن الخليل الكرخي ، وبقي في القضاء الى ان عزله الامين . والعباس من المحدثين وصنف كتباً في القراءات توفي سنة ١٨٦ هـ

عمران بن مهران الخفاف ابو سعيد ، وكان فقيهاً محدثاً ، كتب عنه جماعة من الموصل (وهو ليس بموصلي) .

الحسين بن موسى الاشيب ، تولى القضاء سنة ١٩٩ ـ ٢٠٥ هـ (٨١٤ ـ ٨٢٠ م)

علي بن ابي طالب الموصلي ، تولى القضاء سنة ٢٠٦ هـ ، وبقي الى سنة ٢٢٥ هـ . (٨٣٩ م)

---

(١) ـ (٤) ، انظر عنهم جميعاً ، تاريخ الموصل للازدي ، ١٧٣ ، ١٨٥ ، ١٩٩ ، ٢١٠ ـ ٢١٥ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٣ ، ٣٥٢ ، ٣٥٥ ـ ٣٦١ ، ٣٩٩ ـ ٤٢٨ . ، ميزان الاعتدال ، ١ ، ٢٤١ ـ ٢٤٢ .

ومن المحدثين :

معروف بن ابي معروف ، كان ناسكاً ، راوية في الحديث ، روى عن ام المؤمنين عائشة ، وابن عمر وغيرهما ، قتل في نكبة الموصل سنة ١٣٣ هـ(١).

الحارث بن الجارود العتكي ، المتوفي سنة ١٥٣ هـ (٧٧٠ م) ، له رواية للحديث وفقه ، روى عنه كثيرون من المواصلة مثل منهم المعافى بن عمران ، وعمر بن ايوب العبدي(٢).

عفيف بن سالم ابو عمرو الموصلي ، المتوفي بسنة ١٨٣ هـ (٧٩٩ م) ، رحل في طلب العلم والحديث ، وكان متفقها صدوقاً من خيار الناس ، روى عنه كافة المواصلة ، وحدث ببغداد ، وكان احفظ من المعافى بن عمران .(٣)

المعافى بن عمران ابو مسعود الازدي المتوفي بسنة ١٨٤ هـ (٨٠٠ م) ، رحل الى البلدان النائية في طلب الحديث،وجالس العلماء ، ولازم سفيان الثوري ، فتفقه به ، واكثر الكتابة عنه ، وصنف كتباً في السنن والزهد والاداب ، كان ثقة فاضلاً ، كان يقول له سفيان الثوري ، « انت معافى كاسمك » ويسميه ياقوتة العلماء » ، فهو عالم اهل الموصل وزاهدهم .(٤).

ومن اولاده ، عبد الكبير ، كتب الحديث في الموصل والبصرة ، وكتب عنه الناس ، توفي سنة ٢٢٣ هـ (٨٣٧ م) واكبر اولاده نفيل ، وهو من المحدثين . ايضاً .

ومن المواصلة الذين اخذوا عن المعافى ،

ابو هاشم بن علي بن ابي خداش ، وكان من اهل العلم والصلاح ، توفي سنة ١٨٣ هـ (٧٩٩ م) .(٥)

منصور بن يزيد بن ابي خداش ، كان كثير الرواية عنه ، توفي سنة ٢١٣ هـ (٨٢٨ م) .(٦)

رباح بن الجراح بن عباد (ابو الوليد العبدي الموصلي) روى عن المعافى وغيره من المواصلة وكان شيخاً صالحاً ، انحدر الى بغداد ، وحدث بها ، وصار له منزلة وقدراً .(٧)

---

(١) ـ (٣) تاريخ الموصل للازدي ١٤٨ ، ١٥٣ ، ١٩٩ ، ٢١٠ ـ ٢١٧ ، تاريخ بغداد ، ١٢ ، ٣١٣ ـ ٣١٤

(٤) تاريخ الموصل ، ٣٠٠ ـ ٣٠٢ ، تاريخ بغداد ، ٢٢٦ ـ ٢٢٩ ، صفة الصفوة ، ٤ ، ١٥١ ـ ١٥٣ .

(٥) ـ (٧) تاريخ الموصل للازدي ، ٤٢٦ ـ ٤٢٧ ، ٣٩٤ ، تاريخ بغداد ، ٨ ، ٤٢٨ .

عمر بن ايوب ابو حفص العبدي ، من طبقة المعافى ، كثير الكتابة ، حسن العناية بطلب الحديث ، رحل الى عدة اقطار في طلبه ، وكان ثقة فقيهاً ، انحدر الى الرشيد متظلماً من عبد الله بن الخليل قاضي الموصل ، وتوفي في بغداد سنة ١٨٨ هـ (٨٠٣ م)(١)

عبد الله بن عمرو بن عثمان بن أمية الموصلي المحدث ، وكان حافظا للحديث ، أخذ عن سفيان الثوري وشريك ونظرائهما ، وحدث وكتب عنه الناس ، توفى سنة ٢٠٦ هـ (٨٢١ م)(٢) .

نخبة بن الحجاج الموصلي ، كان محدثا فقيها ، يفتي في الموصل ، أجبر على القضاء ولم يتوله ، توفي سنة ١٢٤ هـ (٣) .

أبو جعفر محمد بن أبي يزيد الموصلي ، وكان رجلا فاضلا ، روى عن عدة مشائخ ، وحدث في الموصل ،وكتب عنه الناس ، ويذكر الأزدي عنه ، حدثنا عنه جماعة من أهل الموصل . توفي سنة ٢١٧ هـ (٨٣٢ م) (٤) .

الفتح بن سعيد الزاهد الموصلي (أبو نصر فتح الموصلي) المتوفى سنة ٢٢٠ هـ ، (٨٣٥ م) كان من كبار مشائخ الموصل ، رحل الى بغداد لزيارة بشر الحافي ، وأخذ عنه ، ومن خيار المحدثين ، ودفن بالموصل .

واشتهر في الموصل عابدان باسم الفتح الموصلي ، أحدهما أبو نصر الفتح بن سعيد الكاري الموصلي الذي تقدم الكلام عنه ، والثاني أبو محمد الفتح بن محمد بن وشاح الأزدي المتوفى سنة ١٧٠ هـ (٧٨٦ م) ، وهو المدفون في مقام الفتح الموصلي المعروف في الموصل باسم (الشيخ فتحي) ، أما أبو نصر فقد دفن في نفس الجبانة(٥) .

أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي الحافظ ، ثقة مشهور ، نعته الذهبي « بمحدث الموصل » عمر طويلا حتى ناهز المائة ، ورحل النا س اليه ، وتوفى في الموصل سنة ٣٠٧ هـ (٩١٩ م) ، وصنف التصانيف منها ، « المسند في

---

(١) تاريخ الموصل ٣٠٦ ، تاريخ بغداد ١١ ، ١٨٥ ــ ١٨٧ ، ميزان الاعتدال ، ٢ ، ٢٥٠ .

(٢) تاريخ الموصل ، ٣٦٠ ، الكامل ، ٦ ، ١٤٠ .

(٣) تاريخ الموصل ، ٣٩٩ .

(٤) تاريخ الموصل ، ٤١١ .

اريخ بغداد ، ١٢ ، ٣٨١ ــ ٣٨٣ ، صفة الصفوة ، ٤ ، ١٥٥ ــ ١٦١ ، حلية الاولياء ، ٨ ، ٢٩٢ ــ ٢٩٤ ، منية ، ١١٧ ، منهل الاولياء ، ٢ ، ١١٢

الحديث » . وممن حدث عنه محمد بن النضر النخاس الموصلي المتوفى سنة ٣٧٩ هـ (٩٨٩ م) ، وابن فهد الموصلي ، أبو عبد الله أحمد بن الحسين القاضي الموصلي ، حدث عنه وعن غيره ببغداد . (١) .

الحافظ العلامة ابو الفتح محمد بن الحسين بن احمد بن عبد الله بن بريده الموصلي ، حدث عن ابي بعلي وغيره ، وممن اخذ عنه ، ابو نعيم الحافظ ، وكان حافظاً صنف في علوم الحديث ، وتوفى سنة ٣٧٤ هـ (٩٨٤ م) . وله كتاب كبير في الجرح والتعديل

علي بن حرب بن محمد أبو الحسن الطائي الموصلي ، ١٧٥ ــ ٢٦٥ هـ (٧٩١ ــ ٨٧٨ م) ، قال عنه أبو زكريا الأزدي ، رحل مع أبيه فسمع وصنف حديثه ، وأخرج (المسند) وكان عالماً بأخبار العرب وأنسابها وأيامها ، شاعرا ، وفد على الخليفة المعتز بسر من رأي سنة ٢٥٤ هـ (٨٦٨ م) ، فكتب المعتز عنه بخطه ، وأقطعه عدة قرى في الموصل(٢) .

عمر بن أنس بن حامد أبو بكر الموصلي ، أخذ عن المواصلة وحدث في بغداد ، وقال عنه الخطيب البغدادي ، كان شيخا ثقة ، جميل المنظر ، كتبنا عنه ، وكان يسمع منا (٣) .

الحسن بن سعيد بن مهران أبو علي الصفار المقريء الموصلي المتوفى سنة ٢٩٢ هـ (٩٠٤ م) أخذ عن علماء الموصل ومحدثيها ، كان كثير الكتابة ، متعففا ، حدث وكتب عنه الناس في الموصل ، وانحدر الى بغداد ، وكثر الناس عليه وكتبوا عنه (٤) .

الحسين بن الكميت بن البهلول بن عمر أبو علي الموصلي ، أخذ عن محدثي الموصل ، وانحدر الى بغداد وحدث بها ، وكتبوا عنه وتوفى سنة٢٩٤هـ (٩٠٦م) . م) . (٥) .

---

(١) الكامل ، ٨ ، ٤٢ ، دول الاسلام ، ١ ، ١٤٦ ، الاعلام للزركلي ، ١ ، ١٦٤ .
تذكرة الحفاظ ، ٣ ، ١٦٦ ، ميزان الاعتدال ، ٣ ، ٤٦ ، منهل الاولياء ، ١ ، ٣١٧) .
(٢) تاريخ بغداد ، ١١ ، ٤١٨ ــ ٤٢٠ ، شذرات الذهب ، ٢ ، ١٦ .
(٣) تاريخ بغداد ، ١١ ، ٢٥٣ .
(٤) تاريخ بغداد ، ٧ ، ٣٢٤ ــ ٣٢٥ .
(٥) تاريخ بغداد ، ٨ ، ٨٧ ــ ٨٨ .

طريف بن عبيد الله أبو الوليد الموصلي المتوفي سنة ٣٠٤ هـ (٩١٦ م). كان ينمي الى ولاء علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. أخذ عن محدثي الموصل وحدث في بغداد[١].

ثوابة بن أحمد بن عيس بن ثوابة أبو الحسين الموصلي. المتوفى سنة ٣٥٨ هـ. أخذ عن محدثي الموصل. وحدث في بغداد ثم في مصر[٢].

عبد القادر بن محمد بن عنزة ـ أحمد ـ أبو بكر الموصلي المتوفى سنة ٤٠٧ هـ. أخذ عن المواصلة وحدث في بغداد. واخذ عنه الخطيب البغدادي. وقال عنه: كان ثقة[٣].

محمد بن احمد ابو جعفر السمناني، قاضي الموصل وشيخ الحنفية. ومن المحدثين. كتب عنه الخطيب البغدادي. وكان اكبر اصحاب الامام الباقلاني. توفى سنة ٤٤٤ هـ (١٠٥٢ م)[٤].

النحو

وفي القرن الثاني للهجرة اقبل المواصلة على دراسة النحو. اخذوه عن ابي ايوب المحاربي وغيره. وابو ايوب هنا هو مسلمة بن عبد الله بن سعد بن محارب الفهري. كان من ائمة النحو المتقدمين. قدم الموصل مؤدباً لجعفر بن ابي جعفر المنصور. واقام بها حتى مات. فصار علم اهل الموصل من قبله[٥].

والزجاج محمد بن الليث. ذكر عنه ابن النديم انه رآه بالموصل يعلم ولد ناصر الدولة الحمداني[٦].

ومحمد بن سعيد البصير الموصلي العروضي النحوي ـ ٣١٠ هـ (٩٢٢ م) كان ذكياً فهماً، اماماً في استخراج المعمى والعروض. قال له الزجاج يوماً ـ وقد سأله عن اشياء من العروض ـ: «لو رآك الخليل لفرح بك». وكان في النحو ذو قدم راسخة. قرأ عليه عبيد الله بن جعفر الاسدي النحوي[٧].

---

(١) تاريخ بغداد، ٩، ٣٦٤ ـ ٣٦٥.

(٢) ـ (٣) تاريخ بغداد، ١١، ١٣٩ ـ ١٤٠.

(٤) الوافي بالوفيات، ٢، ٦٥. نكت الهميان، ٢٣٧.

(٥) بغية الوعاة، ٣٩١.

(٦) الفهرست، ١٢٧.

(٧) معجم الادباء، ١٨، ٢٠٣ ـ ٢٠٤. بغية الوعاة، ٤٦.

وابو العباس احمد بن الحسين النحوي الموصلي المعروف بابن الخباز النحوي ـ ٣٣٠ هـ (٩٣٢ م)[١]

ومحمد بن علي ابو بكر المراغي : قرأ على ابي اسحاق ابراهيم الزجاج . وكان عالماً اديباً ديناً . اقام بالموصل زمناً طويلاً وله من الكتب : المختصر في النحو . وشرح شواهد كتاب سيبويه[٢]

ومحمد بن الحسين الموصلي المعروف بابن وحنا النحوي . كان اماماً في القراءات والنحو والعروض . مبرزاً في الادب[٣]

وقرر ابو الفتح عثمان بن جني : ٣٣٠ هـ ـ ٣٩٢ هـ (٩٣٢ ـ ١٠٠١ م) مدرسة في النحو جديرة بأن تسمى مدرسة ابن جني . اخذ النحو على احمد بن محمد الموصلي النحوي . ثم اتخذ له حلقة في الجامع الاموي . يدرس النحو بها . ومر بالموصل ابو علي الفارسي . وحضر حلقته فقال له : « زبيت وانت حصرم » فترك ابن جني حلقته ، ولازم ابا علي اربعين سنة . يكتب عليه . وتفوق في التصريف والتعليل والقياس . فكان يعمل فكره في المسألة . ويناقشها بعقل وتبصر . ويستقصي اقوال الفصحاء والاعراب . ثم بعد هذا يصدر حكمه فيها ، بعد التمحيص والتدقيق . فكان امة مستقلا برأيه . مقرراً قواعد مدرسة عرفت به .

فابن جني لم يكن مقلداً فيما ذهب اليه نحويو الكوفة والبصرة . وانما كان يستخدم القياس الى اقصى حد . ولا يقف عند النص . فالفرق بينه وبين غيره من النحاة . كالفرق بين الحنفية في اعتمادهم الكبير على القياس . والمالكية في اعتمادهم على الحديث .

وامتاز في التصريف بحيث لم يتكلم أحد في التصريف ادق كلاما منه . ويقول عنه الباخرزي : « ليس لاحد من ائمة الأدب في فتح المقفلات وشرح المشكلات ما له . ويقول عنه المتنبي : « هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس » .

وابن خلدون معجب في رأيه . ويقول عنه : « انه أتى بشيء عجيب دال على قوة ملكته واطلاعه » . وتأثير مدرسته في غيره من النحاة الذين ساروا على ما قرره . مثل : جمال الدين بن هشام النحوي في كتابه مغني اللبيب . نحا فيه نحو ابن جني ـ مقرر مدرسة الموصل .

---

(١) الفلاكة والمفلوكون : ١١٩ .

(٢) الفهرست : ١٣٧ . معجم الادباء : ١٨ ، ٢٦٣ . بغية الوعاة : ٨٤

(٣) بغية الوعاة : ٣٨ .

فابن جني اعظم النحويين في عصره، واكثرهم انتاجاً وابتكاراً، وكان شاعراً مطبوعاً، نظم في اغراض مختلفة، وتفوقه فيما ابدعه من قواعد في النحو غطى على شعره، وله كتب عديدة في فلسفة النحو واللغة منها:

١) الخصائص: يقع في عدة اجزاء، بحث في اللغة العربية واشتقاقها ومأخذها وجاء بأراء دقيقة محكمة، لم يسبقه اليها احد، فهو كتاب في فلسفة اللغة.

٢) سر الصناعة: بحث في احكام حروف المعجم، واحوال كل حرف منها، من حيث موقعه، وابحاث مخارج الحروف واصواتها ولفظها، وجاء بدقائق جليلة محكمة، وغير ذلك من الكتب القيمة التي ذكرها ياقوت الحموي وغيره.

ومن المواصلة الذين أخذوا عنه:

١) أولاده الثلاثة: عالي وعادل وعلاء، كلهم أدباء فضلاء، قد خرجهم والدهم عليه، وحسن خطوطهم، فهم معدودون في الصحيحي الضبط، وحسني الخط، وخاصة ابنه عالي - ٤٥٧ هـ (١٠٩٤ م). كان نحوياً اديبا، أخذ العربية عن أبيه وعن أبي علي الفارسي، تقدم وأفاد، وكان شاعراً ومحققا لما يكتبه، روى عن مشائخ وقته من العراقيين والشاميين، انتقل الى مدينة صور وتوفى فيها[١].

٢) علي بن زيد القاشاني النحوي، أحد أصحاب أبي الفتح ابن جني، وصاحب الخط الكثير الضبط سلك فيه طريقة شيخه[٢].

٣) عمر بن ثابت بن ابراهيم أبو القاسم الضرير النحوي الموصلي ـ ٤٤٢ هـ (١٠٥٠م)، أحد أئمة العربية في العراق، قرأ النحو على ابن جني، وشرح كتابيه اللمع والتصريف الملوكي، وله كتاب: المفيد في النحو، وكان اماماً فاضلاً، أديباً كاملاً، أوقف نفسه للتدريس[٣].

٤) علي بن الحسن بن الوحشي النحوي: وهو ممن تخرج على شيخه ابن جني[٤].

---

(١) الفهرست: ١٢٨، تاريخ بغداد: ١١، ٣١١ ـ ٣١٤، وفيات الأعيان: ١، ٣١٣ ـ ٣١٤، معجم الأدباء: ١٢، ٨١ ـ ١١٥، ٣٩، أنباه الرواة: ٢، ٣٣٥ ـ ٣٤٠، ٣٨٥ ـ ٣٨٦، بغية الوعاة: ٢٧٤ ـ ٣٢٢، المقدمة: ٣١٤، ظهر الاسلام: ١، ١٨٥، مجلة المجمع العلمي العربي ٣٠، ٦٤١ ـ ٦٤٣.

(٢) معجم الأدباء: ١٣، ٢١٨ ـ ٢١٩، بغية الوعاة: ٣٣٩.

(٣) معجم الأدباء: ١٦، ٥٧ ـ ٥٨، البلغة: ٧٧٧، مرآة الجنان: ٣، ٦١.

(٤) بغية الوعاة: ٣٣١.

٥) علي بن دبيس النحوي الموصلي : أخذ عن ابن وحشي تلميذ ابن جني . تصدر ببلده للاقراء . وممن أخذ عنه زيد بن مزركة الموصلي . وكان زيد نحويا شاعراً أديبا[١] .

المؤرخون

وقام في الموصل عدد من المؤرخين . كتبوا في تاريخ الموصل وخططها . وطبقات محدثيها وعلمائها،وفي الديارات التي كانت بظاهرها . ومنهم :

أبو زكريا يزيد بن محمد بن أياس الأزدي :

كان أبوه خيرا فاضلا . وتوفي سنة ٢٩٨ هـ . (٩١٠ م) ونشأ أبو زكريا على طلب الحديث والأدب . وأخذ عن جماعة من محدثي الموصل . وحدث عنه جماعة ذكرهم الخطيب البغدادي . وكان فقيها . تولى القضاء . مولعا بالتاريخ وسير الرجال . وألف عدة كتب عن الموصل . وتوفي سنة ٣٣٤ هـ (٩٤٥ م) . واستفاد كثير من المؤرخين من كتبه التي حفظ بها أخبار الموصل . ومن قام فيها من محدثين وعلماء ورجال ادارة . ونقل عنه أجل المؤرخين كالمسعودي والخطيب البغدادي . وابن الأثير . والذهبي . وينوه عنه الذهبي بقوله : « واستفدت كثيرا من تاريخه » . ومن كتبه التي وقفنا على ذكرها :[٢]

١ . تاريخ الموصل : سلم منه الجزء الثاني . وهو كتاب تاريخي أدبي ضمنه كثيرا من أخبار الموصل ورجالها . وقبائلها . وأخبار الدولتين الأموية والعباسية . وترجم لكثير من أعلام المواصلة وغيرهم الذين تكلم عنهم . وأورد من أقوالهم وأشعارهم . وذكر عن تأليفه هذا الكتاب فقال : « ولم أعمل هذا التاريخ من كتاب معول مؤلف اعتمدت عليه فيه . على أمر الموصل خاصة . وانما جمعته من كتب شتى . وقد ذكرت ما وجدت،ولم أعدل فيه عن الصدق »[٣]

والكتاب نفيس . وقد عول عليه ابن الأثير في كامله،فنقل عنه حوادث الموصل بصورة مختصرة . والذي سلم من هذا الكتاب يبدأ في حوادث سنة ١٠١ هـ وينتهي في حوادث سنة ٢٢٤ هـ . وهو من الكتب المفيدة . نجد فيه من الأخبار والحوادث ما لا نجده في غيره من الكتب . خاصة عن بلاد الجزيرة والموصل .

---

(١) معجم الأدباء ١٣ : ٣٢ . أنباه الرواة ٢ : ٢٧٥ .

(٢) ـ (٣) الكامل ٨ : ٢٢ . تذكرة الحفاظ ٣ : ١٠٣ . طبقات الحفاظ ٢ : ٤ . تذكرة الحفاظ ٣ : ١٠٣ .

(٢) كتاب القبائل والخطط، قال في كتابه تاريخ الموصل عند كلامه عن ولد الحمام بن عبد العزيز – من مالك بن فهم – «وأمر مالك بن فهم وولده طويل، وأخبارهم كثيرة. وانما ذكرت ها هنا من قدم منهم الموصل. وقد شرحت ما بلغني من أخبارهم وخططهم، والأحرار والفرسان في الجاهلية. ومنهم من له الوفود على الرسول صلى الله عليه وسلم، والفقه والعلم والرواية في الاسلام في كتاب ترجمته» القبائل والخطط «ولم نقف على هذا الكتاب[١].

(٣) طبقات محدثي أهل الموصل، نقل عنه الخطيب البغدادي كثيراً، وابن الأثير في أسد الغابة، والذهبي وغيرهم. ولم يزل هذا الكتاب غير معلوم[٢].

(٤) طبقات العلماء من أهل الموصل، نقل عنه الخطيب البغدادي في تاريخه، والذهبي. ولا ندري هل أنه كتاب يترجم للعلماء فقط، أو يريد به كتاب طبقات محدثي أهل الموصل[٣].

(٥) طبقات العلماء والمحدثين من أهل الموصل، ذكره الخطيب البغدادي في تاريخه وغيره، ولا ندري هل هو أحد الكتابين المذكورين، او جمع أخبار من اختارهم من العلماء والمحدثين في هذا الكتاب؟[٤].

(٦) طبقات أهل الموصل، نقل عنه الخطيب البغدادي وابن حجر. وذكروه بهذا الاسم. ولا ندري هل هو طبقات كتاب عام، أم أنه أحد الكتب التي تقدم ذكرها[٥].

ابن عمار الموصلي، أبو جعفر محمد بن عبد الله بن عمار الموصلي الحافظ، المتوفى سنة ٢٤٢ هـ:

نقل عنه الذهبي فقال عند كلامه عن زيد بن أبي الزرقاء الموصلي. قال ابن عمار: «لم أر في الفضل مثله ومثل المعافي وقاسم الجرمي».

ونوه الذهبي بفضله فقال عنه: «حافظ صدوق، له تاريخ مفيد، روى عن ابن عيينه وطبقته. وحدث عنه الحسين بن ادريس الهروي بكتابه في العلل والرجال. قال النسائي: ثقة صاحب حديث وله كتاب العلل والرجال».

---

(١) تاريخ الموصل: ٩٦.

(٢) أسد الغابة: ١: ١١.

(٣) تاريخ بغداد: ٤، ٦، ٣٦٠، تهذيب التهذيب: ٣، ٢٩٧.

(٤) تاريخ بغداد: ٦: ١٣٢.

(٥) تهذيب التهذيب: ٢، ٥١، ٤، ٢٥٣.

ولا ندري هل أن تاريخ ابن عمار هذا هو كتابه العلل والرجال أم هو غيره ؟
وقال ابن العماد عنه : « صاحب كتاب التاريخ وعلل الحديث . وصنف كتبا في علم الحديث » . وجاء عنه في ذيل كشف الظنون : محمد بن عبد الله بن عمار الموصلي الحافظ المتوفى سنة ٢٤٢ هـ له تاريخ ابن عمار[١].

ابن الجعابي ٢٨٤ _ ٣٥٥ هـ . (٨٩٧ _ ٩٦٥ م)

محمد بن عمر بن محمد أبو بكر التميمي قاضي الموصل . وكان من أحفظ أهل زمانه . وله تصانيف كثيرة في الابواب والشيوخ ومعرفة الاخوة والاخوات . وتواريخ الامصار[٢] . وكان يتهم برقة الدين . وهو شيعي . واوصى ان تحرق كتبه بعد موته

أبو الفتح محمد بن الحسين الازدي الموصلي المتوفى سنة ٣٩٤ هـ . (١٠٠٣ م)

له كتاب في الجرح والضعفاء . نقل عنه ابن الأثير في اسد الغابة . وكذا الذهبي . نسخة منه في مكتبه أحمد الثالث في استانبول . ويسميه من وافق اسمه اسم ابيه من الصحابة والتابعين . ومن بعده من المحدثين[٣].

السري الرفاء الموصلي المتوفى سنة ٣٦٢ هـ

السري بن أحمد بن السري أبو الحسن الكندي الشاعر المشهور

له كتاب الديرة . وكان هو ممن كان يرتاد الديرة . يجتمع مع أهل الادب والفتوة . وتكلم فيه عن الاديرة التي في الموصل[٤].

أبو يعلي الموصلي

أحمد بن علي . له كتاب معجم شيوخه . رواه عنه كثيرون . ذكرنا منهم عند كلامنا عن المحدثين . وممن روى هذا المعجم أيضا . محمد بن ابراهيم أبو اليسر الموصلي . قدم بغداد سنة ٣٦٢ هـ (٩٧٢ م) . وروى بها عن أبي يعلي معجم شيوخه . نسخة منه في دار الكتب المصرية[٥].

---

١) تذكرة الحفاظ : ٧١ . ميزان الاعتدال ١ : ٣٦٣ ، ٣ : ٨٠ . شذرات الذهب ٢ : ١٠١ . ايضاح المكنون : ٢٤٢ .
٢) تاريخ بغداد ٣ : ٢٦ _ ٣١ . ميزان الاعتدال ٣ : ١١٣ .
٣) أسد الغابة ٢ : ١٤٦ . ميزان الاعتدال ٣ : ٤٩ . تذكرة الحفاظ ٣ : ١٩٦ شذرات الذهب ٣ : ٨٤ . تاريخ التراث العربي ١ : ٤٩٤ _ ٤٩٥
٤) ابن خلكان ١ : ٢٠١ . معجم الأدباء ١١ : ١٨٢ _ ١٨٩ . أعلام الصناع المواصلة : ٥٦ _ ٥٧ .
٥) تاريخ بغداد ١ : ٤١٤ . هدية العارفين ٧ . فهرس المخطوطات المصورة : ١٩٢٣

الخالديان

أبو بكر محمد بن هاشم المتوفى سنة ٣٨٠ هـ (٩٨٠ م) . وأخوه أبو عثمان سعيد الموفى سنة ٣٧١ هـ (٩٨١ م) . وهما من قرية من قرى الموصل تعرف بالخالدية .

ذكر ابن النديم من آثارهما :

١) أخبار الموصل . وذكره ياقوت الحموي باسم تاريخ الموصل . ونقل عنه : قال الخالديان في تاريخ الموصل من تصنيفهما أول من أحدث قصور الصالحية المهدي .

وذكره أبو الفدا أيضا والصفدي باسم تاريخ الموصل[١] .

٢) الديارات ، لهما أيضا . قال عنه ابن خلكان : ذكرا فيه كل دير بالعراق والموصل والشام . والجزيرة . وجمعا به الأشعار المنقولة في كل دير . وما جرى فيه . وعمل الشابشتي كتابه الديارات على أسلوب هذا الكتاب . ونقل عنه ياقوت في معجم البلدان . وابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار وغيرهما . ولم يزل هذا الكتاب غير معلوم[٢] .

الشمشاطي المتوفى سنة ٤٤٠ هـ (١٠٤٨ م)

أبو الحسن علي بن محمد الشمشاطي العدوى . شاعر مجيد . ومصنف مفيد . كثير الحفظ . واسع الرواية . وله عدة كتب .

تاريخ الموصل . ألفه لشرف الدولة قرواش بن المقلد العقيلي حوالي سنة ٤٤٠ هـ . ونقل عنه ألفارقي في تاريخه والذهبي أيضاً[٣] .

٢) الأديرة والاعمار في البلدان والأقطار . ويعرف أيضا بكتاب الديارات الكبير . وهو أكبر كتاب عمل في الديارات[٤] .

٣) وله كتب أخرى مثل : النزه والابتهاج . وهو مجموع يتضمن غرائب الآثار ومحاسن الأشعار . كالأمالي . وكتاب الأنوار محبوب يجري مجرى الملح والتشبيهات والأوصاف وغير ذلك .

---

(١) الفهرست ، ٢٤١ . معجم البلدان ، ٥ ، ٣٣٣ . مقدمة تقويم البلدان . الوافي بالوفيات ، ١ : ٤٧ . فوات الوفيات ، ١ ، ١٧٠ ـ ١٧٤ ، ٢ ، ٢٧١ .

٢) وفيات الاعيان ، ١ ، ٣٣٨ .

٣) تاريخ الفارقي ، ١٧ .

٤) الفهرست ، ٢٢٠ . معجم الأدباء ، ١٤ ـ ٢٤٠ ـ ٢٤٤ .

أبو المعالي :

لا ندري من هو . وقد ذكره صاحب الاصابة (٤ : ٢١٦) عند كلامه عن عتبة بن فرقد السلمي . قال : « روى أبو المعالي في تاريخ الموصل من طريق هيثم بن حصين أنه شهد خيبر . وقسم له منها . فكان يعطيه لبني أخواله عاما ولبني أعمامه عاما .

ومن البلدانيين الذين نبغوا في القرن الرابع للهجرة :

ابن حوقل الموصلي :

أبو القاسم محمد بن حوقل التاجر الموصلي[١]. ابتدأ في سفره من بغداد كما جاء في مقدمة كتابه في ٧ رمضان سنة ٣٣١ هـ (٩٤٢ م) في السنة التي خرج أبو محمد الحسن عبد الله بن حمدان منهزما الى ديار ربيعة .

وكان منذ صغره كلفاً بأخبار البلاد . عكوفا على تقصي أوصافها وحياتها . وقرأ كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة . وكتاب ابن قدامة . ولم يجد فيهما ما يشبع رغبته . وكان هو في ميعة الشباب . يعاني التجارة . فخرج من بغداد وطوف في بلاد الشرق وشمال أفريقية وبلاد البربر . وصقلية والأندلس.وكتب مشاهداته عن هذه البلاد . ووصفها وصفا دقيقاً .

ويمتاز كتابه « صوة الأرض » أنه تكلم فيه عن مشاهدة وتدقيق . فنجده يصور القطر الذي يتكلم عنه . ويشرح شرحا مجملا ما على المصور من مدن وأحوال طبيعية . ثم يتكلم عن البلاد ويفيض في طبيعة البلد وحاصلاته وسكانه وصناعاتهم ومذاهبهم . فهو من أجل كتب الرحلات التي وضعت .

ونراه يتحامل على أبناء حمدان عندما يتكلم عن مدينة نصيبين . ثم نجده يثني عليهم عندما يتكلم عن الموصل .

ودامت رحلته ٢٨ عاما . ثم قدم كتابه هذا الى أبي السري الحسن بن الفضل بن أبي السري الأصبهاني .

---

(١) معجم البلدان ، ١ : ٣٤٨ .

جاء في الكامل لابن الأثير ، ٨ : ٢٢٨ ، ممن اعتقلهم بختيار ـ من أنصار أبي تغلب الحمداني ـ أبا أحمد بن حوقل ، فهل هذا هو أخوه أم غيره .

ومن العلماء البارزين في هذه الفترة هم :

حرب بن محمد بن علي بن مازن الموصلي الطائي ـ ٢٢٦ هـ (٨٤٠ م)

كان رجلاً نبيلاً ذا همة في طلب العلم والحديث . وفي سنة ٢١٤ هـ (٨٢٩ م) قدم المأمون الى الشام . واراد تعديل بلاد الشام ـ مساحتها ـ وطلب لهذا العمل رجالاً من اهل الموصل والرقة والجزيرة ممن عرفوا بدقة العمل . وممن طلبهم : حرب بن محمد وسفيان بن عبد الملك الخولاني . ولما مثلا عنده طلباً اليه ان يعفيهم من التعديل فأعفاهم[١] .

علي بن احمد العمراني الموصلي ـ ٣٤٤ هـ (٩٥٥ م)

كان عالماً بالحساب والهندسة . جماعاً للكتب . وتفوق في العلم . وقصده الطلبة من البلاد البعيدة للأخذ عنه . ومن مؤلفاته : شرح كتاب الجبر والمقابلة لأبي كامل شجاع بن اسلم الحاسب المصري . وكتاب الاختبارات . وعدة كتب في النجوم وما يتعلق بها[٢] .

ابن ابي منصور الموصلي (يحيى) كان في نهاية حسن الادب بارعاً في الغناء والآته . وله في هذا : كتاب الاغاني عمله على الحروف . وكتاب العود والملاهي . وكتاب الطبيخ[٣] .

ومن التراجمة الذين ترجموا كتب اليونان عن السريانية الى العربية :

حبيب بن بهريز : مطران الموصل . فسر للمأمون عدة كتب[٤] .

اصطفن الراهب : كان في دير مار ميخائيل في الموصل . وكان يعاني صناعة الكيمياء . رأى ابن النديم من كتبه : كتاب الرشد . كتاب ما حدثناه . كتاب الباب الاعظم . كتاب الادعية والقرابين التي تستعمل قبل صناعة الكيمياء . كتاب الاختيار النجومي للصناعة . كتاب التعليقات . كتاب الاوقات والازمنة[٥] .

---

(١) تاريخ ابن عساكر : ٤ : ١٠٤ ـ ١٠٨ .

(٢) الفهرست : ٣٩٤ . اخبار الحكماء : ١٥٦ ـ ١٥٧ .

(٣) الفهرست : ١٢٣ .

(٤) الفهرست : ٣٤١ .

(٥) الفهرست : ٥٠٥ ـ ٥٠٦ .

ومن الاطباء الذين كانوا في الموصل :

ابن أبي الاشعث (ابو جعفر احمد بن محمد بن محمد) كان بارزا في العلوم . وله عدة تآليف تدل على ما كان عليه من العلم والفضل . عالج احد اولاد ناصر الدولة الحمداني . فبرأ . فأحسن اليه ناصر الدولة . واقام بالموصل الى آخر عمره . واوقف نفسه للتدريس . وتخرج على يده عدة اطباء منهم ابو الفرج . وابنه محمد وكان طبيباً متميزاً . واحمد بن محمد بن يحيى البلدي . ومحمد بن ثواب . ووضع لهما كتاب الادوية المفردة سنة ٣٥٣ هـ (٩٦٤) . وجعله لمن جاوز حد التعلم . ودخل في جملة من يتفقه في الطب .

وكتاب السرسام والبرسام الفه لتلميذه محمد بن ثواب الموصلي . سنة ٣٥٥ هـ (٩٦٥ م) .

وكتاب الغاذي والمغتذى . الفه سنة ٣٤٨ هـ (٩٥٩ م) . وفي المتحف البريطاني جزء من هذا الكتاب كتب في الموصل في نفس السنة التي الف فيها الكتاب . وممن اخذ عنه ايضا احمد بن حسين بن فضالة البلدي[١] .

محمد بن ثواب الموصلي ويعرف بابن الثلاج الموصلي :

تخرج على ابن الاشعث . فاضلاً في علم الطب . خبيراً بالعلم والعمل . لازم شيخه واشتغل عليه وكتب بخطه كتباً كثيرة[٢] .

جابر بن منصور السكري الموصلي : كان مسلماً ديناً عالماً بصناعة الطب . ومن اكبر المتميزين فيها . لازم ابن الاشعث واخذ عنه . ثم لازم ابن ثواب سنة ٣٦٠ هـ (٩٧٠ م) . وأخذ عنه ايضاً . واشتهر بصناعة الطب[٣] .

عمار بن علي الموصلي ـ ٤١١ هـ (١٠٢٠ م)

من اشهر الكحالين . ذكر عنه ابن ابي اصيبعة . كان كحالاً مشهوراً . ومعالجاً مذكوراً . له خبرة بمداواة امراض العين . ودربة باعمال الحديد . سافر الى مصر في ايام الحاكم بأمر الله . والف له كتابه المشهور « المنتخب في علم العين وعللها ومداواتها بالادوية والحديد » . وهو من اشهر الكتب التي الفت في العين . وفيه

---

(١) عيون الانباء ، ١ : ٢٤٥ ـ ٢٤٧ . الاعلام ، ١ : ٢٠٦ .

(٢) عيون الانباء ، ١ : ٢٤٧ .

دراسة عميقة اجراها في امراض العين . وكان الكتاب من الكتب المعول عليها في دراسة طب العيون في جامعات اوربا حتى النصف الاول من القرن الثامن عشر . وترجم الى عدة لغات اوربية . وطبع عدة طبعات . وعرف ابن عمار عند الاوربيين باسم [1]

علي بن عيسى الكحال الموصلي ـ كان مبرزاً في صناعة الكحل . وقدوة في امراض العين ومداواتها . وينافس عمار بن علي الموصلي في تفوقه بامراض العين ومعالجتها . ومن مؤلفاته الجليلة كتابه : تذكرة الكحالين ألفه سنة ٤٠٠ هـ وفيه رسوم عديدة للعين . وصار هذا الكتاب لا بد لكل من يعاني صناعة الكحل ان يحفظه . حتى ان بعض الاطباء اقتصر عليه دون غيره من الكتب .

واجمع العلماء على ان هذا الكتاب هو من ادق الكتب العربية في امراض العين . ترجم الى اللاتينية وطبع في مدينة درسدن سنة ١٨٤٥ م .

وله كتاب الكافي ايضاً . وكتاب في مسائل العين واجوبتها في علم صناعة الكحل .[2]

ابن قوسين اليهودي ، كان يهودياً واسلم . والف كتاباً في الرد على اليهود . وكان له دراية في صناعة الطب . ونال شهرة في زمانه[3]

إليا (ايليا) الطبيب ، لم نقف من اخباره سوى ان الدرب الذي امام بيعة مارتوما ،كان يعرف بدرب بني اليا الطبيب[4]. فيظهر انه كان طبيباً بارزا بحيث غلب اسمه على الدرب الذي فيه داره .

---

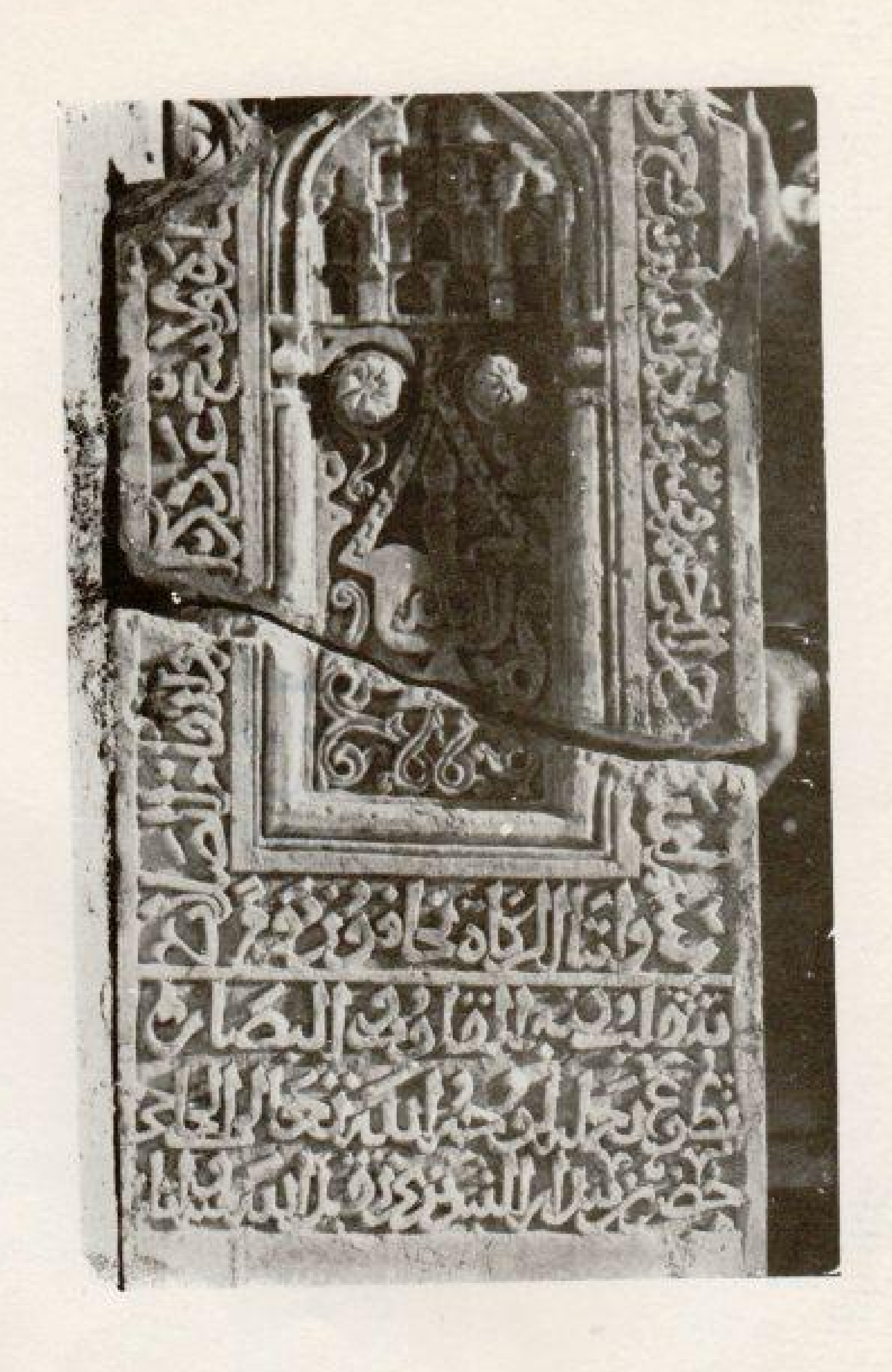
(١) عيون الانباء ، ٢ ، ٨٩ . تاريخ الطب عند العرب ، ٤٧ . الطب العراقي ، ٢٤١ ، ٢٤٨ ، ٥٤٥ ، ٥٠٢ ، ٥٣٧ ، ٥٤٣ . ويسمى الكتاب ايضاً : المنتخب في علاج العين .

(٢) عيون الانباء ، ٢ ، ٢٤٩ . الطب العراقي ، ٤٩٣ ـ ٤٩٤ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ .

(٣) عيون الانباء ، ١ ، ٢٤٧ .

(٤) تاريخ الازدي ، ٢٤٤ ، في حوادث سنة ١٦٦ هـ .

الاقتصاد
الزراعة
الصناعة
التجارة



محراب مسجد ملا عبد الحميد ، والذي يعرف بمسجد الصوفية . صنعه حاجي خضر بن بندار التبريزي في شهر ربيع الآخر من سنة اثنتين واربعين وخمسمائة

الزراعة

تعتمد الموصل على المطر في زراعتها في الاراضي التي تقع غربي دجلة . فتسقط الامطار في فصلي الشتاء والربيع . وتسقي المزروعات الشتوية . من حبوب وبقول . وخاصة الحنطة والشعير .

اما المزروعات الصيفية فتروى بالنواعير . فترفع الماء من دجلة وتسقي المزروعات والبساتين . كما يحفرون في السهول آباراً كبيرة . يرفعون منها الماء بواسطة الناعور ـ الدولاب المائي ـ او بالدلو .

وتتوفر مياه العيون في الجانب الشرقي من دجلة ـ اكثر مما في الجانب الغربي . وخاصة في المنطقة الجبلية . وتسقى المزروعات سيحاً . ولا تحتاج الى جهد او صرف . فتكثر بساتين الاثمار والفواكه والحاصلات الصيفية في هذا الجانب . وعلى هذا فالموصل تستفيد في سقي مزروعاتها من المطر . ومن مياه دجلة وتوابعه ومن العيون والآبار .

واشتهرت الموصل بحنطتها . فكانت مضرب المثل في كثرة الانتاج وجودة النوع[1] .

كما تربى الابقار والاغنام والخيول في سهولها الواسعة . فكانت اغنام الموصل مصدر ثروة لها . وخيولها معروفة بجودتها وجمالها . فكانت الموصل تمير بغداد اربعة اشهر من كل سنة[2] . وكلما ضاقت الارزاق في بغداد . استعانوا بالموصل . فيشحنون اليهم عشرات السفن والاكلاك . مملوءة بالحبوب والبقول .

وكان عسل الموصل يضرب به المثل بالجودة وطيب الطعم . فكانوا يذكرون عسل الموصل في الجودة مع كحل اصفهان . وسكر الاهواز وزعفران قم . وكان يحمل مع خراجها عشرون الف رطل من العسل .[3]

وذكر البشاري ما كانت عليه المدينة من وافر الحاصلات . فقال : « منها ميرة بغداد، واليها قوافل الرحاب، ولها مناره وخصائص وثمار حسنة، ولحوم جيدة، وامور جامعة »[4]

---

(١) جاء في مقدمة كتاب الفتوة لابن المعمار : « اصدقائي اكثر من خوص البصرة .. وحنطة الموصل » .

(٢) النجوم الزاهرة : ١ : ٤٥ .

(٣) لطائف المعارف : ١٨٣ ، ١٢٧ .

(٤) احسن التقاسيم . ١٣٨ .

ويذكر ابن حوقل ما كانت عليه ايضاً في القرن الرابع للهجرة فيقول : « ولم يكن بها كثير شجر ولا بساتين الا التافه القليل . فلما تملك بنو حمدان ورجالهم غرسوا فيها الاشجار . وكثرت الكروم وغزرت الفواكه . وغرست النخيل والخضر . وللموصل نواح عريضة . ورساتيق عظيمة . وكور كثيرة . غزيرة الاهل والقرى والقصور والمواشي الى غير ذلك من اسباب النتاج والسائمة من الاغنام والكراع »(١)

ويذكر جبايتها سنة ٣٥٨ هـ بلغت ٦١٩٠٠٠٠ درهم

وكان الحمدانيون يعنون بزراعة الحنطة والشعير والارز والسمسم والقطن . وجنوا مبالغ كبيرة من ريع هذه المزروعات . فذكر المؤرخون انهم كانوا اغنى اهل عصرهم(٢)

وكان التمر يزرع في اعمالها . مثل تلعفر وسنجار . ويقول ابن حوقل عن سنجار : « وليس مدينة ذات نخل في وقتنا هذا اكثر من سنجار »(٣)

وشبابيط دجلة . وصباغ الموصل . مما يضرب به المثل بجودتها وطيب طعمها(٤)

الصناعة

عرفت بلاد الجزيرة بمنسوجاتها منذ العهد الاشوري . فالآشوريون جلبوا بذر القطن وزرعوه ونسجوه . وكانوا يسمونه (الشجرة التي تحمل الصوف) . كما زرعوا الكتان واستفادوا من اليافه في منسوجاتهم . فكانت منسوجاتهم من القطن والصوف والكتان والحرير . بقيت هذه الصناعة متوارثة في البلد . فكانت الموصل وما جاورها تصدر من هذه المنسوجات .

وستور الموصل تذكر في الجودة والاتقان مع زلالي قاليقلا . ومطارح ميسان . وبسط ارمينية(٥) . وكانت تنسج المسوح . جمع مسح . كساء مخطط . يفترش ويستتر به .

وبها منذ القرن الاول للهجرة سوق خاصة تباع بها ما تنتجه الموصل من المنسوجات التي تتخذ لبيوت الشعر ولوازم الخيل والابل . وهي (سوق الشعارين) وسوق اخرى (سوق القتابين) . يعمل بها اقتاب الابل وبراذع الدواب . و (سوق

---

(١) صورة الارض ، ١٩٦ ـ ١٩٧

(٢) الحضارة الاسلامية ، ١ ، ٣١٢

(٣) صورة الارض ، ١٩٩

(٤) الهدايا والتحف ـ للخالديان ، ١٧٩ . والشبوط . نوع من السمك . والصبغ . ما يغمس به الخبز ويؤكل

(×) انظر الملحق عن جباية الموصل

(٥) لطائف المعارف ، ١٨٣ . التبصر بالتجارة ، ٣٣

السراجين) يصنع بها سروج الخيل ولوازمها . ومحلات للدباغة . يؤدي اليها شارع الدباغين . ومحلة الطبالين يصنع بها الطبول والدفوف وغيرها .

يكثر الرخام الازرق في شمال الموصل وغربيها . وبرع المواصلة بقطع الرخام ونقره وزخرفته . وبلطوا به دورهم . واتخذوا منه واجهات البنايات ومداخل الابواب والشبابيك وغير ذلك . فصناعة قطع المرمر ونقره وزخرفته من الحرف القديمة في الموصل . ولا تخلو دار منه . ويشتغل به عدة عمال . يختص كل بعمل . يستخرجونه من المقطع ، ثم ينشره شقاقو الفرش[1] ـ الرخام ـ فيتخذون منه قطعاً مسطحة . ثم يتولاه النقارون والنقاشون . فينقرونه وينقشونه بما يناسب البناء . وقد يطعمون الزخارف بمرمر ابيض .[2]

وهاجر جماعة من التكارتة الى الموصل في القرن الثاني للهجرة . واستمرت هجرتهم الى القرن الرابع وما بعده . وحملوا معهم صناعة تزيين البنايات بالزخارف الجبسية . تكون في الجدران والسقوف وحول الطاقات ـ المشكاوات ـ التي تتخذ في الغرف،وغير ذلك من اقسام الدار[3].

فتعلم المواصلة هذه الصناعة منهم . وصارت من لوازم زخرفة الدار . فزينوا دورهم بزخارف هندسية ونباتية تكون نافرة ومتناظرة[4].

وتقدمت صناعة البناء في ام الربيعين . وعرفت دورها بضخامة البناء وجمال التنسيق،والزخرفة واتخاذ الحدائق والاحواض والنافورات بين الاشجار . وهي تدل على ما كانت عليه صنعة البناء من الدقة وجمال الهندسة منذ القرن الثاني للهجرة . كما كان عليه قصر المنقوشة ودار الامارة ودار المعتضد . . الخ وكان في الموصل النقاشون الذين ينقشون السقوف والجدران باختلاف الاصباغ والالوان . فكان النقاش الموصلي يعاني هذه الصناعة في اول حياته[5].

---

(١) وفي الموصل حمام كانت تسمى حمام شقاقين الفرش .

(٢) اعلام الصناع ، ١٣٢ ، ١٤٤ . الزخارف الرخامية في الموصل ـ للمؤلف ـ كتاب المؤتمر الرابع للآثار في البلاد العربية ٤٦٩ ـ ٤٩٤ .

(٣) الموصل في العهد الاتابكي .

(٤) اقتبس التكارتة هذه الزخارف من مدينة سامراء .

(٥) تقدم الكلام عنه في كتابنا هذا .

وعرفت بها صناعة الاواني المتخذة من الصفر وتطعيمها بزخارف مختلفة . واخذت تتقدم على مر العصور حتى كانت مدرسة الموصل قدوة مدارس التطعيم . وسنعرض لها ان شاء الله تعالى .

وكان في الموصل معاصر للزيت ـ زيت الزيتون وزيت السمسم ـ ومطاحن للحبوب . وهي على انواع :

١ . **المدار** : وبها حجر واحد للطحن . وتكون داخل المدينة . محدودة الطحن . كثيرة الانتشار . بحيث كان في بعض الشوارع عدد منها . يديرها بغل او كديش .

٢ . **الرحى** : وتجمع على ارحية . وهي تدور بواسطة تيار ماء العيون . او يتخذ لها ساقية تأخذ ماءها من دجلة او احد توابعه . فينحسر الماء في الساقية . ويصب في حفرة واسعة يسمونها (بئر الرحى) ويصب ماء البئر على دولاب خشبي دونه . فيدوره . وهذا يدور حجر الرحى التي فوقه . وقد يكون في الرحى حجر او اكثر . يتوقف على كمية الماء التي في سيب الرحى . وقد مر بنا انه كان في نهر الحر ثماني عشرة رحى . كما مر بنا رحى امير المؤمنين وغيرها .

٣ . **العروب** : واحدها عربة . وتجمع على عربات وعرب ايضاً : وهي سفينة تكون في وسط النهر . يديرها تيار ماء النهر الذي يوجه اليها . ويكون فيها حجر او اكثر . يصب الماء على دواليب ذات عنفات[١] تدور . وتقوم هذه الدواليب بتدوير دواليب اخرى متصلة بالضرائر ـ احجار الطواحين ـ .

ذكر ابن حوقل ما كان منها في الموصل . والفرات والخابور . فقال عن الموصل : « في وسط دجلة مطاحن تعرف بالعروب . يقل نظيرها في كثير من الارض . لانها قائمة في وسط ماء شديد الجرية،موثقة بالسلاسل الحديد . في كل عربة منها اربعة احجار . ويطحن كل حجرين في اليوم والليلة خمسين وقراً . وهذه العروب من الخشب والحديد،وربما دخل فيها شيء من الساج »[٢] .

كانت تنتج دقيقاً كثيراً لاستمرار عملها ليلا ونهارا . وكان الحمدانيون اذا اندحروا في الدفاع عن الموصل . يغرقون السفن والعروب . قبل ان يتركوا البلد . ليعرقلوا انتاج الدقيق . وفعل هذا ابو تغلب سنة ٣٦٣ هـ[٣] .

---

(١) جمع عنفة . وهي اجنحة دواليب العربة .

(٢) صورة الارض : ١٩٨ . الخراج لأبي يوسف : ١١١ .

الوقر . الحمل الثقيل .

(٣) صبح الاعشى : ٦ / ٤٨٧ .

التجارة .

تتوقف تجارة البلد على ما تنتجه من حاصلات وصناعات . وما يردها من الاقطار الاخرى . وما يمر بها من طرق مواصلات .[١]

فالموصل غنية بزراعتها وصناعتها . تقع على ملتقى عدة طرق تصل بين اقطار مختلفة . فهي محط الركبان . ومنها يقصد الى سائر البلدان . باب العراق ومفتاح خراسان . ومنها يقصد الى اذربيجان[٢] تردها قوافل العراق محملة ببضائع الهند المختلفة . وقوافل ايران . ومعها بضائع الصين من تحف وحرير، وحاصلات فارس . ومن ارمينية وسوادها الاغنام والدواب والعسل والشمع والجوز واللوز . ومن بلاد الشام محملة بنسوجاتها الحريرية . ومن اذربيجان البراذع الجيدة والفرش والبسط واللبود . وتنحدر اليها الاكلاك والسفن من جزيرة ابن عمر . محملة بالجوز واللوز والسمن والفواكه المجففة والاخشاب وضرائر المطاحن . ومن آمد الثياب الموشية . ومن سنجار فرك اللوز . وحب الرمان . والقصب والسماق . ومن نصيبين الشاهبلوط والموازين والدوايات والكواذين . ومن الرقة الصابون والزيت والاقلام . ومن الحسينية الجبن والقبج والفواكه المقددة والزبيب . ومن معلثايا الالبان والفحم والاعناب والفواكه الرطبة . ـ كل هذه الحاصلات كانت في اسواق الموصل . مضافة الى ما تنتجه هي ، الحبوب والعسل والنمكسود [٣] والفحم والشحوم والجبن والمن والسماق وحب الرمان والقير والحديد والارطال والسكاكين والنشاب والطريخ[٤] الفائق والسلاسل والدراج والسماني .[٥]

تجتمع هذه القوافل في أسواقها الواسعة المسقوفة . وتوزع منها إلى إختلاف الاقطار . فكانت الموصل مركزا للتوزيع بين الشرق والغرب . تخرج منها القوافل الى اختلاف البلاد . وتنحدر منها الاكلاك والسفن الى بغداد، محملة بالبضائع المختلفة . فكثرت فيها الاسواق والخانات والفنادق، وما يحتاجه اهل القوافل من ساحات وحمامات ومواد عيش . كان ذلك منذ القرن الثاني للهجرة . فنجد فيها الفنادق التي شيدها الحر بن يوسف . والتي شيدها اسماعيل بن علي العباسي . وفندق

---

(١) ابن خرداذبة ، ٩٣ ـ ٩٦ . الخراج لقدامة ، ٢١٥ ـ ٢١٧ . عن الطرق التي تمر بها . واحسن التقاسيم ، ١٤٨ ـ ١٥١

(٢) معجم البلدان ، ٨ ، ١٩٥ ـ ١٩٦

(٣) اللحم اذا جفف نيئا .

(٤) سمك يملح ويكبس . وكان يحمل اليها من بحيرة ارومية .

مساور . جد مساور الخارجي، ويذكر المقدسي انه كان في سوق الاربعاء اربعة فنادق على كل ركن منها فندق وغيرها .

واعجب البلدانيون الذين زاروها بما كانت عليه من سعة العمارة والتجارة، ورخص الاسعار وتوفر المواد . فقال عنها المقدسي : « بلد كبير الاسم . قديم الرسم . حسن الاسواق والفنادق . كثير الملوك والمشايخ، منها ميرة بغداد، واليها قوافل الزحاب . ولها منازه وخصائص وثمار حسنة . وحمامات سرية، ودور بهية ولحوم جيدة وامور جامعة »(١)

وذكر ابن حوقل عن كثافة سكانها وازدحام اسواقها وان فيها لكل جنس من الاسواق الاثنان والاربعة والثلاثة مما يكون في السوق الواحد مائة حانوت وزائد . وبها من الفنادق والمحال والحمامات والزحاب والساحات والعمارات ما دعت اليها سكان البلاد النائية فقطنوها . وجذبتهم اليها برخصها وميرها وصلاح اسعارها فسكنوها . وهي فرضة لأذربيجان وارمينية والعراق والشام . فكانت من اعاظم البلاد في العمارة والثروة والتجارة (٢)

كانت ميرة بغداد تعتمد على مايردها من الموصل يقول المقدسي « ان اكثر ميرة العراق كانت ترد من اقليم آقور . والموصل مصر هذا الاقليم (٣)

واذا منع الطعام من الموصل الى بغداد . سبب شحاً في الطعام . وارتفاعاً فاحشاً في الاسعار . وربما عز الحصول عليه ـ كما حدث هذا سنة ٣٢٠ هـ عندما منع مؤنس الخادم الطعام من الموصل الى بغداد . خلال نزاعه مع الخليفة المقتدر(٤) وحدث مثل هذا سنة ٣٢٣ هـ (٩٣٤ م) عندما منع ناصر الدولة الحمداني الطعام عنها ـ(٥)

فكانت حركة النقل قلما تنقطع بينهما . وساحات الموصل مزدحمة بالقوافل . واسواقها عامرة . وسفنها تنحدر الى بغداد وترسو " بباب الشعير" . وكانت السفينة تقطع المسافة من الموصل الى بغداد ايام الفيضان في يومين وبعض اليوم . اما الصاعدة منها الى الموصل فتقطع بمعدل فرسخين في اليوم الواحد او اكثر او اقل(٦)

---

(٥) (١) احسن التقاسيم ، ١٣٨ ، ١٤٥ . التبصر بالتجارة ، ٣٠ ـ ٣٣

(٢) صورة الارض ، ١٩٤ ـ ١٩٥

(٣) احسن التقاسيم ، ١٣٦

(٤) تاريخ الاسلام للذهبي ، ١ ، ١٤٢

(٥) الاوراق للصولي ، ٢٢٤ ـ ٢٢٥

(٦) الاوراق للصولي ، ١٢٣ . والفرسخ ، ثلاثة اميال . والبريد ، اثنا عشر ميلاً والميل ثلاثة الاف ذراع . والذراع ، اربعة وعشرون اصبعاً صبح الاعشى ، ١٤ ، ٣٦٦

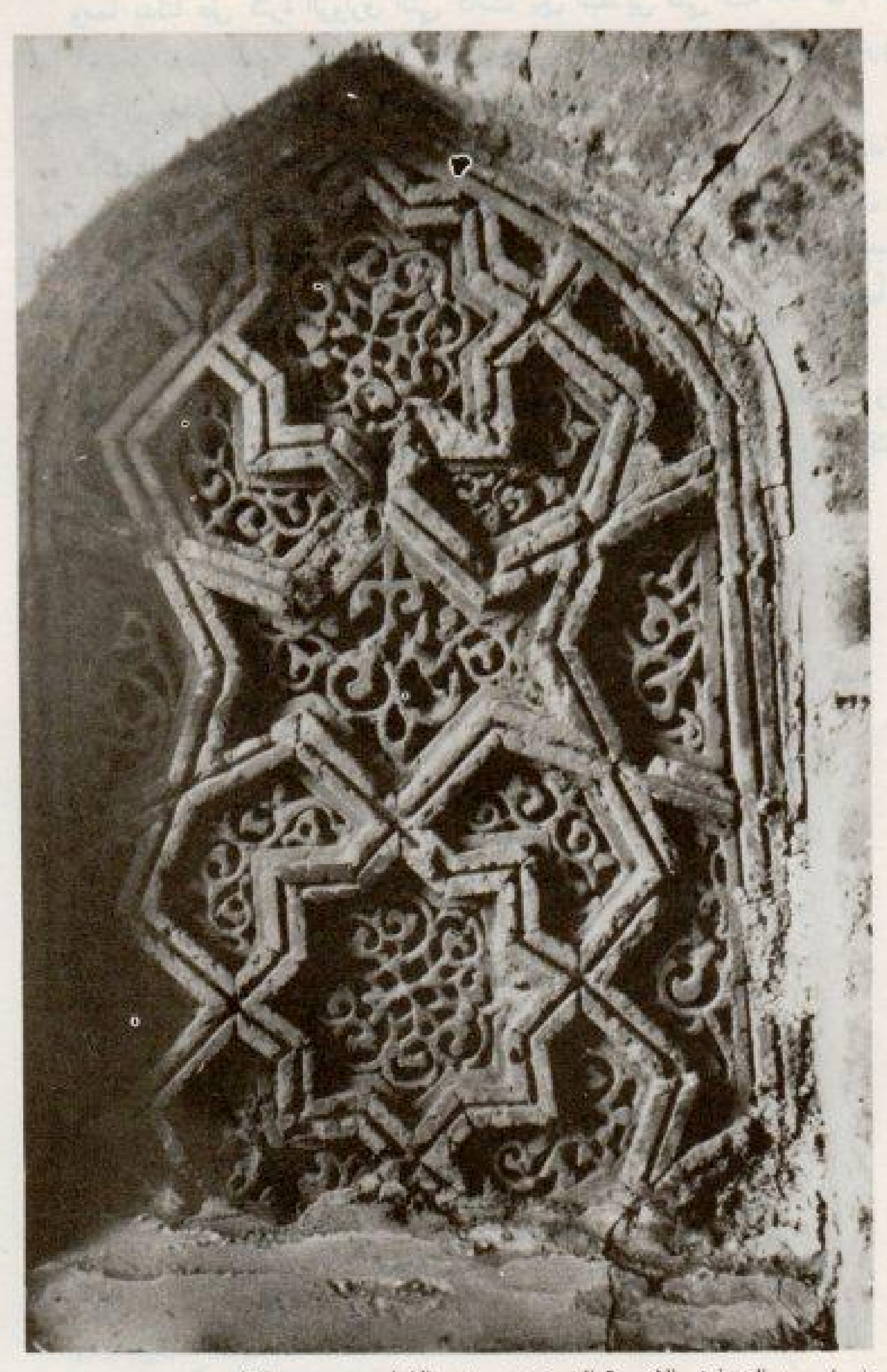
ومما يدلنا على كثرة الزوارق التي كانت بين البلدين ففي سنة ٣٣٢ هـ (٩٤٣ م) احتجز ناصر الدولة الحمداني مائة وخمسين زورقاً، منها كانت في تكريت منحدرة الى بغداد وفيها الدقيق والحنطة والشعير وشحم وعسل وثياب[١]

والزورق الواحد يتسع لعشرات الاشخاص مع الحمولة التي فيه . جاء في حوادث سنة ٣٤٨ هـ (٩٥٩ م) في سابع ذي القعدة « غرق من الحجاج الواردين من الموصل الى بغداد في دجلة بضعة عشر زورقاً . فيها من الرجال والنساء والصبيان نحو ستمائة نفس[٢] فيكون معدل ما في الزورق الواحد ما بين ٥٠ ـ ٦٠ شخصاً مع امتعتهم .

وان هذه الزوارق تحمل الى بغداد سلع اذربيجان وارمينية والشام والغرب . وسلع الموصل، وكان في نهر دجلة بالموصل عدة درجيات ترسو عندها الزوارق فتفرغ حمولتها . وتحمل منها ما يرسل الى بغداد .

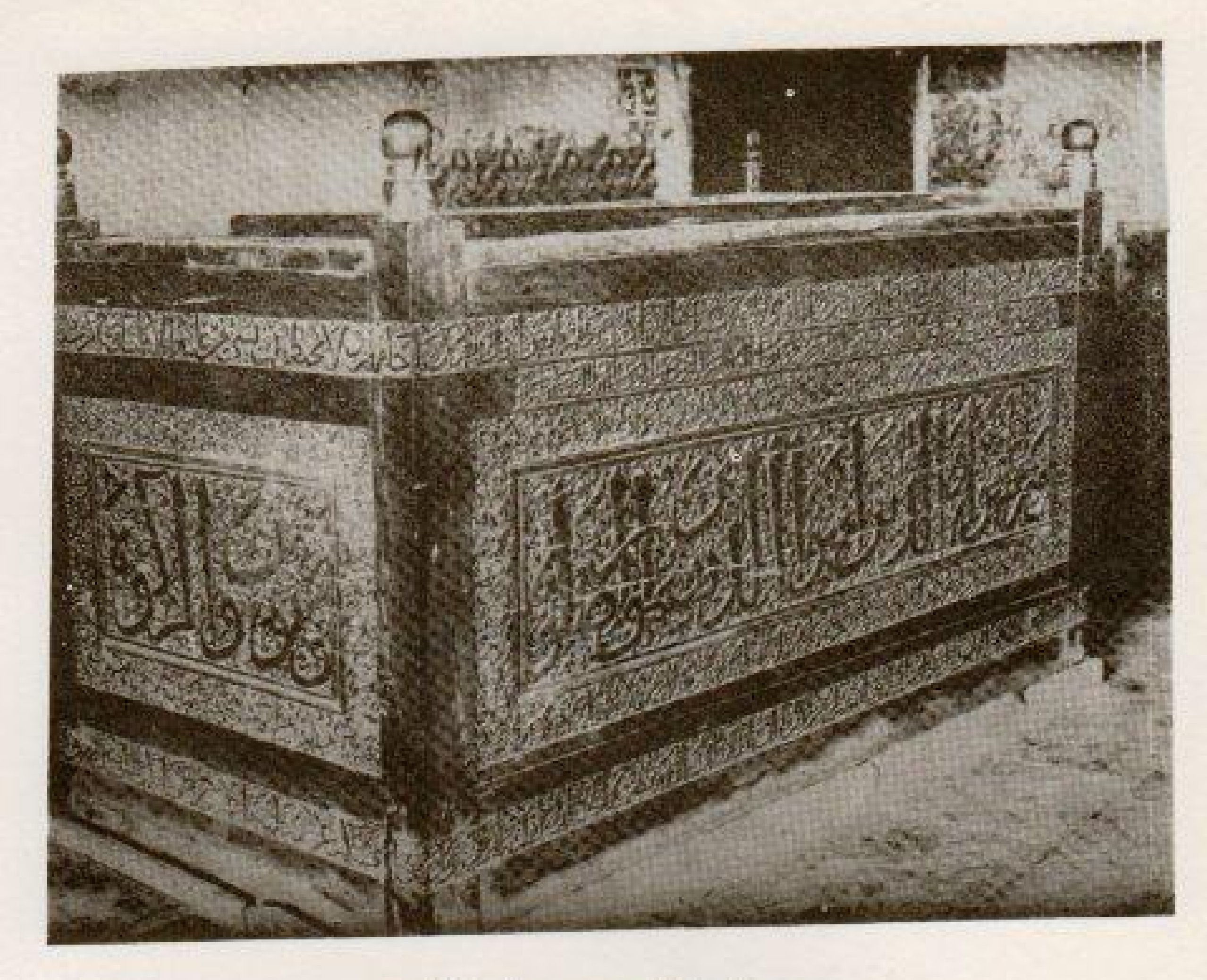
(١) الاوراق للصولي ، ٢٥٢

(٢) تجارب الأمم ، ٢ ، ٢٧٦ ـ ٢٧٧



نموذج من الزخارف الاجرية التي تزين مشهد الامام يحيى بن القاسم

الحياة الاجتماعيـــة



صندوق ضريح يحيى ابي القاسم

فلأشكرن لديـر متي ليلـة مزقـت ظلمتهـا بيـدر مشـرق
بتنا نوفي اللهـو فيهـا حقـه بالراح والـوتر الفصيح المنطـق
والجـو يسحب من عليل هوائه ثوباً يرش بطله المتـرقـرق
حتى رأينا الليل قوس ظهره هرمٌ وأثر فيه شيب المفـرق
وكأن ضـوء الفجر في باقي الدجى سيف حلاه من اللجين المحـرق
يا طيبها من ليلة لو لم تكن قصرت فريع تجمُع بتفرق[1]

دير يونس :

يقع على تل توبة في نينوى . بني على أسم النبي يونس بن متي عليه السلام . يحف به أراض يكسوها الربيع نواراً وشقائق . يقصده الشعراء والأدباء . وممن قصده . أبو شاس الشاعر . وكان هذا من أطبع الناس . مليح الشعر . كثير الوصف للخمر . ملازماً للديارات . متطرحاً بها . مفتوناً برهبانها . ومما قاله في دير يونس :

يا دير يونس جادت صوبك الديـم حتى ترى ناظراً بالنور تبتسم
لم يشف في زاخر ماء على ظما كما شفى حر قلبي ماؤك الشبم
ولم يحلك محزون بـه سـقم الا تحلـل عنه ذلك السـقم
استغفر الله من فتك بذي غنج جرى عليَّ به في ربعك القلم[2]

دير أبي يوسف :

قريب من بلد . على شاطىء دجلة . في موضع حسن معمور بالزيتون والسرو والآس والرياحين . مغروس الربى بالنرجس . وهيكله حسن البناء . وفيه عجائب من بدائع التصوير . ولا يعوزه كل يوم قافلة تحط عنده . لتأخذ خمرا والمُجان تقصده للتنزه فيه بطنابيرهم وعيدانهم وسائر ملاهيهم . وكان يقصده الخالدي . ووصف موقعه وما فيه : ويقول فيه السري الرفاء :

---

(١) معجم البلدان : ٤ : ٧٧٠ . ديوان الخالديين : ٧٥ .

(٢) الشابشتي : ١٧٦ .

يا دير يوسف لا عدتك تحية — لـلـمزن بيـن رواعد وبوارق
سقيا لتلك منازلا معمورة — من بين مطروق الفناء طارق
حمر القواعد والقباب كأنما — اشربن رقراق الخلوق الرائق
يـلـقاك مـن نوارها وغـيومـها — ما بين دكن مطارف ونمـارق
والهيكل المبيض يلمع وسطها — كالاقحوانة في بساط شقائق
كم دمية خرساء فيه ودمية — فضلت عليها باللسان الناطق[1]

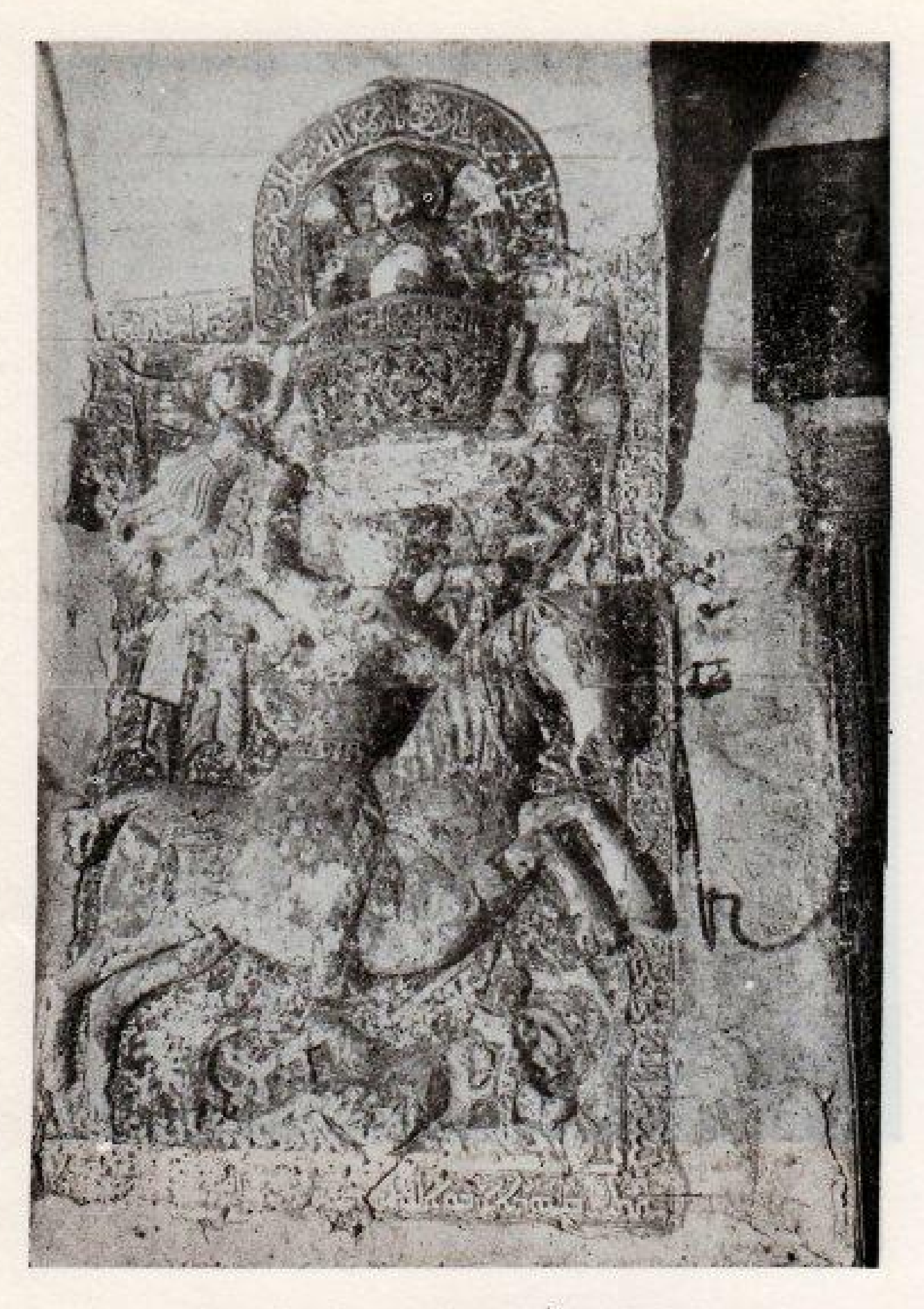
دير برقانا :

فوق الحديثة على دجلة . في موضع حسن . كثير الشجر والزهر . وله بساتين ومباقل . ويقال انه ليس في سمك دجلة أسمن من سمك يصاد من شاطئه . واجتاز به الخباز البلدي . فأعجب بشرابه الصافي وقلاليه المليحة . وأقام عندهم نهاره وليله . وقال فيه :

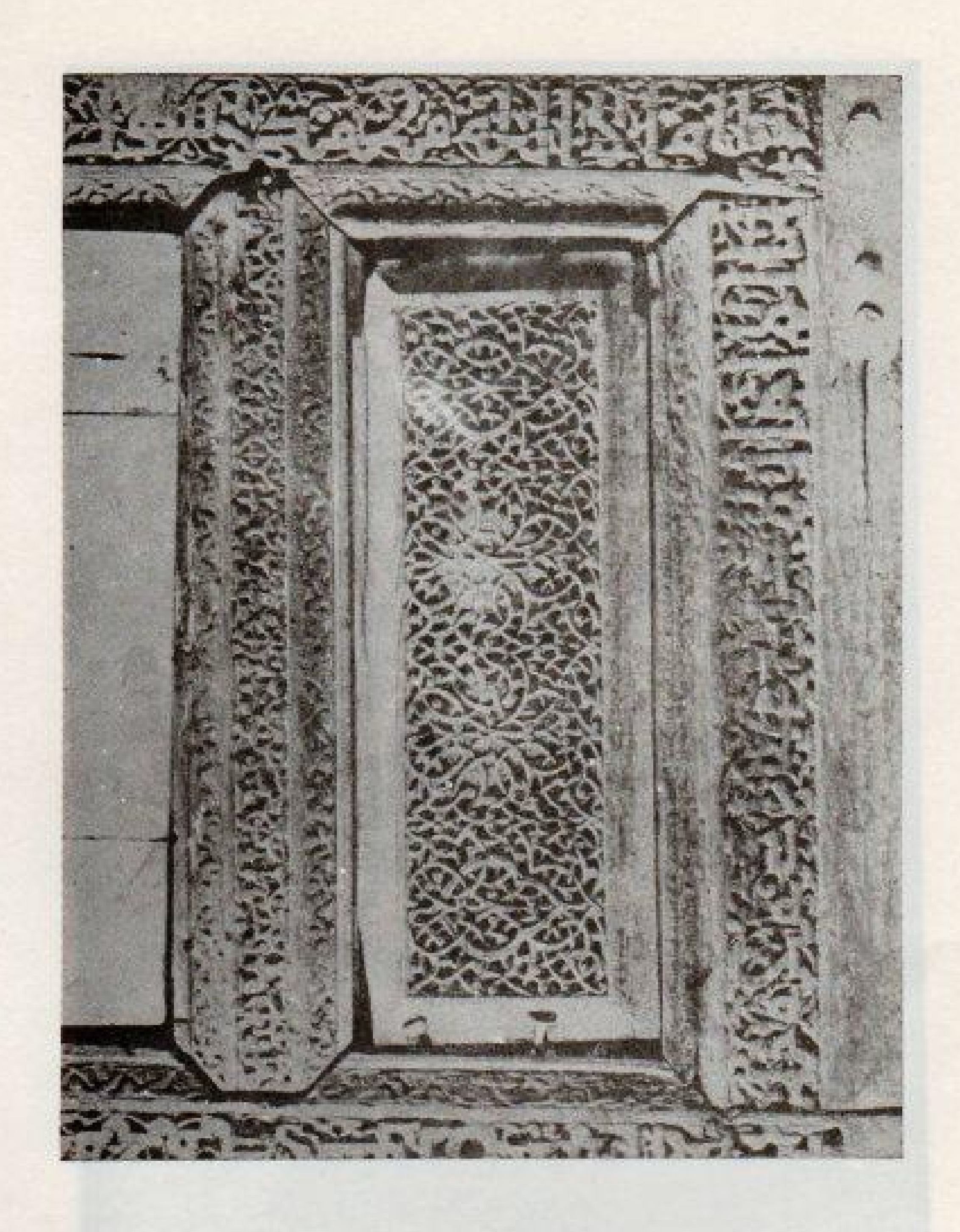
الا ســقيا لرقة بـارقانـا — وهيكلـه المشـيد والقلالي
فكم من سدفة باكرت فيها — معصفرة كدم الغـزال[2]

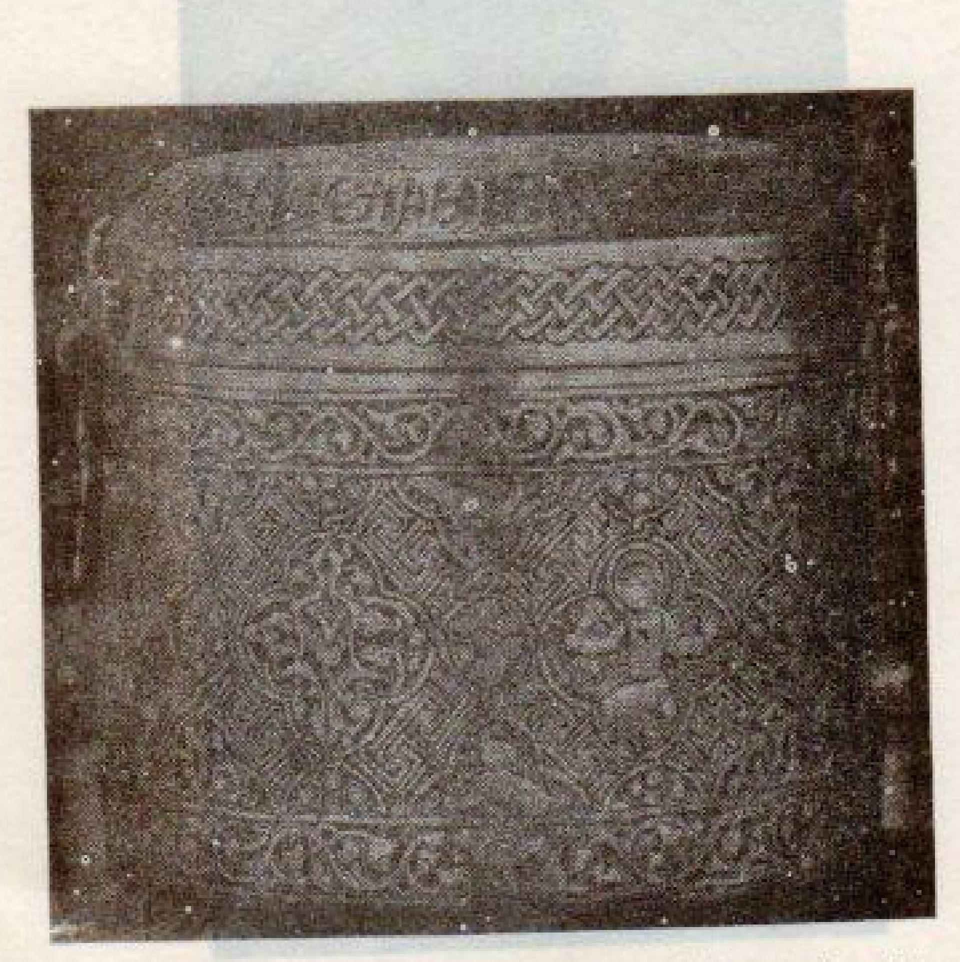
(١) ديوان الخالديين ، ٧٣ . ديوان السري الرفاء ، ٢٠٢

(٢) شعر الخباز ، ٣٥ انظر بقية الابيات

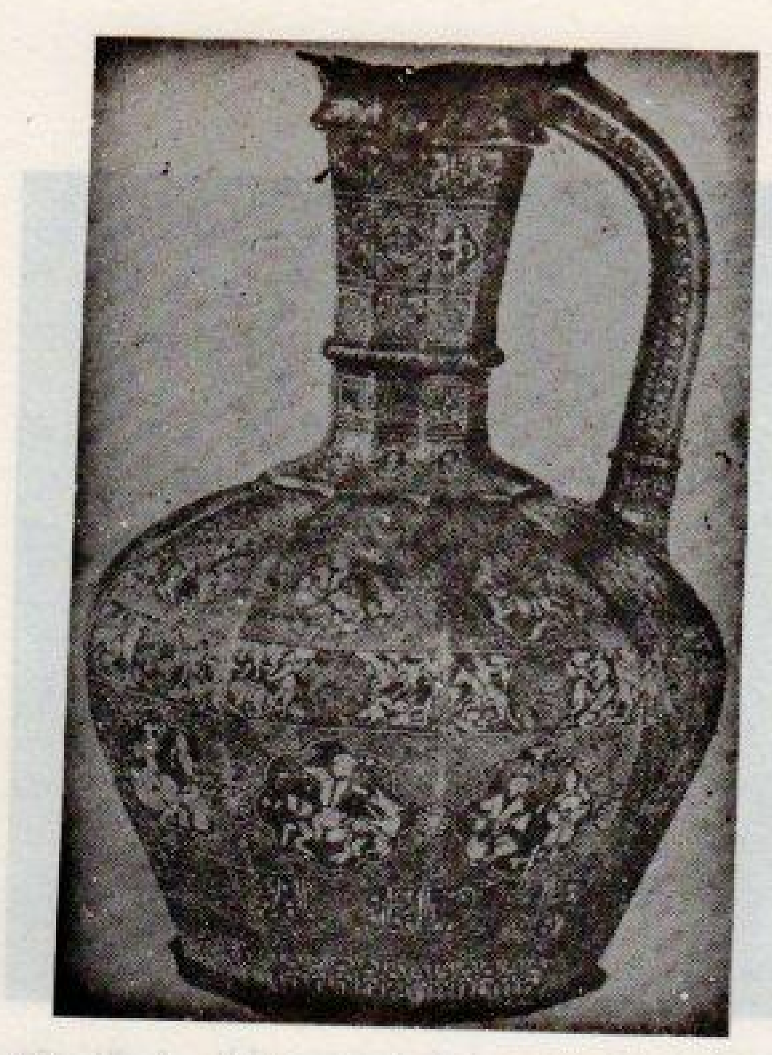


صورة من الجبس تمثل مار بهنام ممتطياً جواده ـ في كنيسة دير مار بهنام ـ دير الجب ـ



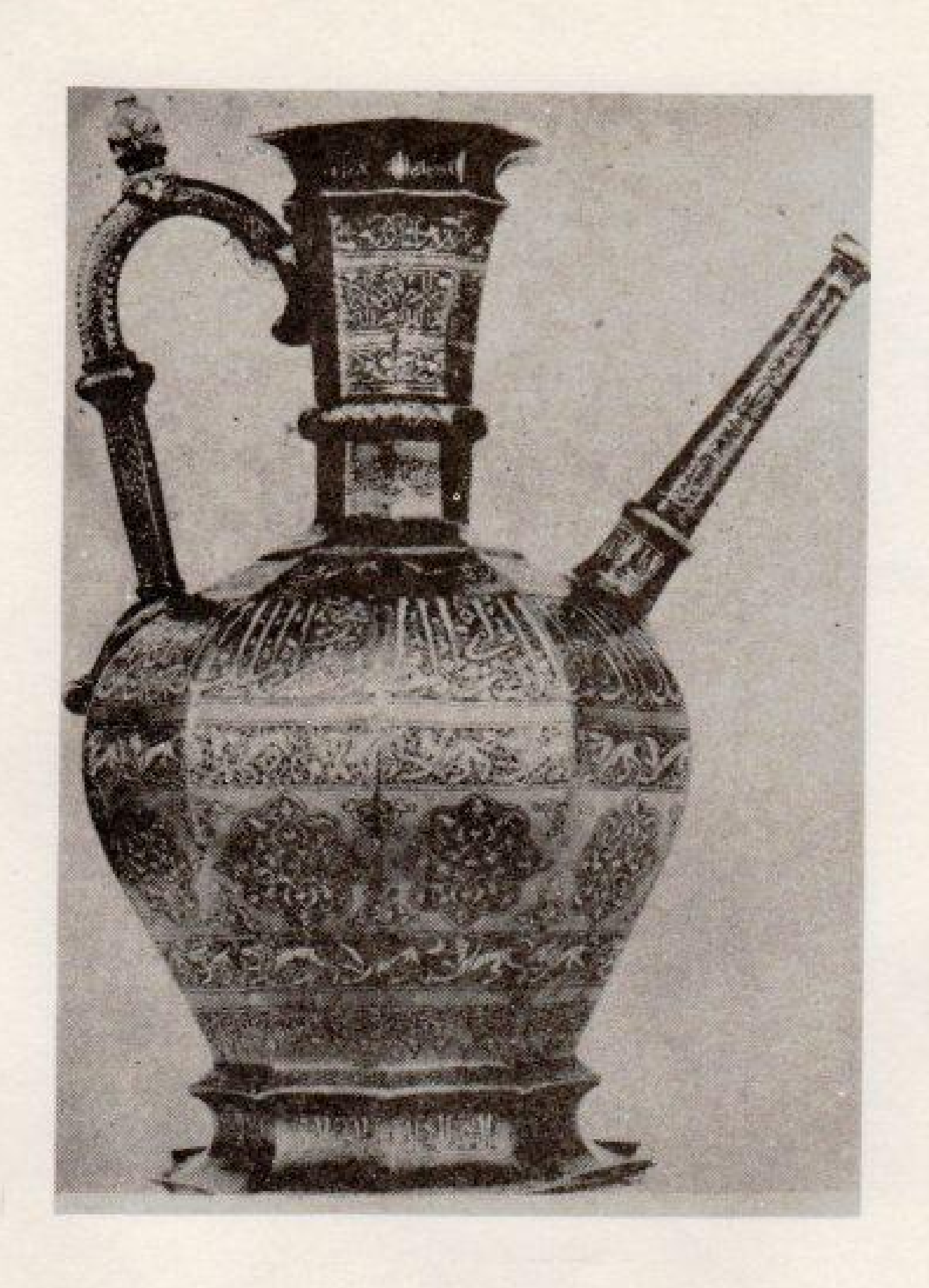


علبة من النحاس المطعم صنعها اسماعيل بن ورد الموصلي لبدر الدين لؤلؤ



ابريق من النحاس المطعم صنعه شجاع بن منعة الموصلي سنة ٦٢٩ هـ

الدور السلجوقي



ابريق مكفت بالفضة مكتوب عليه، نقش حسين بن محمد الموصلي بدمشق المحروسة سنة سبع وخمسين وستمائة

عرف هذا الدور « بالدور السلجوقي » فإن السلاجقة أزاحوا البويهيين عن الحكم ، وحلوا محلهم ، وهو من الادوار المضطربة التي مرت على البلاد ؛ فالخليفة العباسي ليس له من الامر شيء ، والسلاجقة مشغولون بالحروب فيما بينهم ، والبلاد تحت رحمة الدخلاء اصحاب المطامع ، وهم في تنافس مع بعضهم ، ظلموا الناس بمصادراتهم وضرائبهم ، وساقوهم الى الحروب يقتل بعضهم بعضاً ، لتوطيد عرش مزعزع ، اوجر مغنم زائل ، او الانتقام من اهل البلاد ، يقول عنهم المعري :

ظلموا الرعية واستباحوا كيدها وعدوا مصالحها ، وهم اجراؤها

ضعف نفوذ العرب في بلاد الجزيرة والشام بانقراض الدولة العقيلية ، ولم يبق لهم ذلك النفوذ القوي الذي كان يلجأ اليه الخلفاء والعرب كلما اشتد بهم الامر .

والباطنية قد استحكموا في القلاع والحصون ، وهم في ازدياد ، وبثوا اتباعهم في البلاد ، يفتكون ويقتلون من يخشون بأسه ، ومن يتوقع منه خير للمسلمين . والصليبيون يستعينون بهم في قتل كل قوي ، كما استعان بهم بعض الامراء في اغتيال من عاداهم ، فكانوا اخطبوطاً يفتك في جسم البلاد الاسلامية .

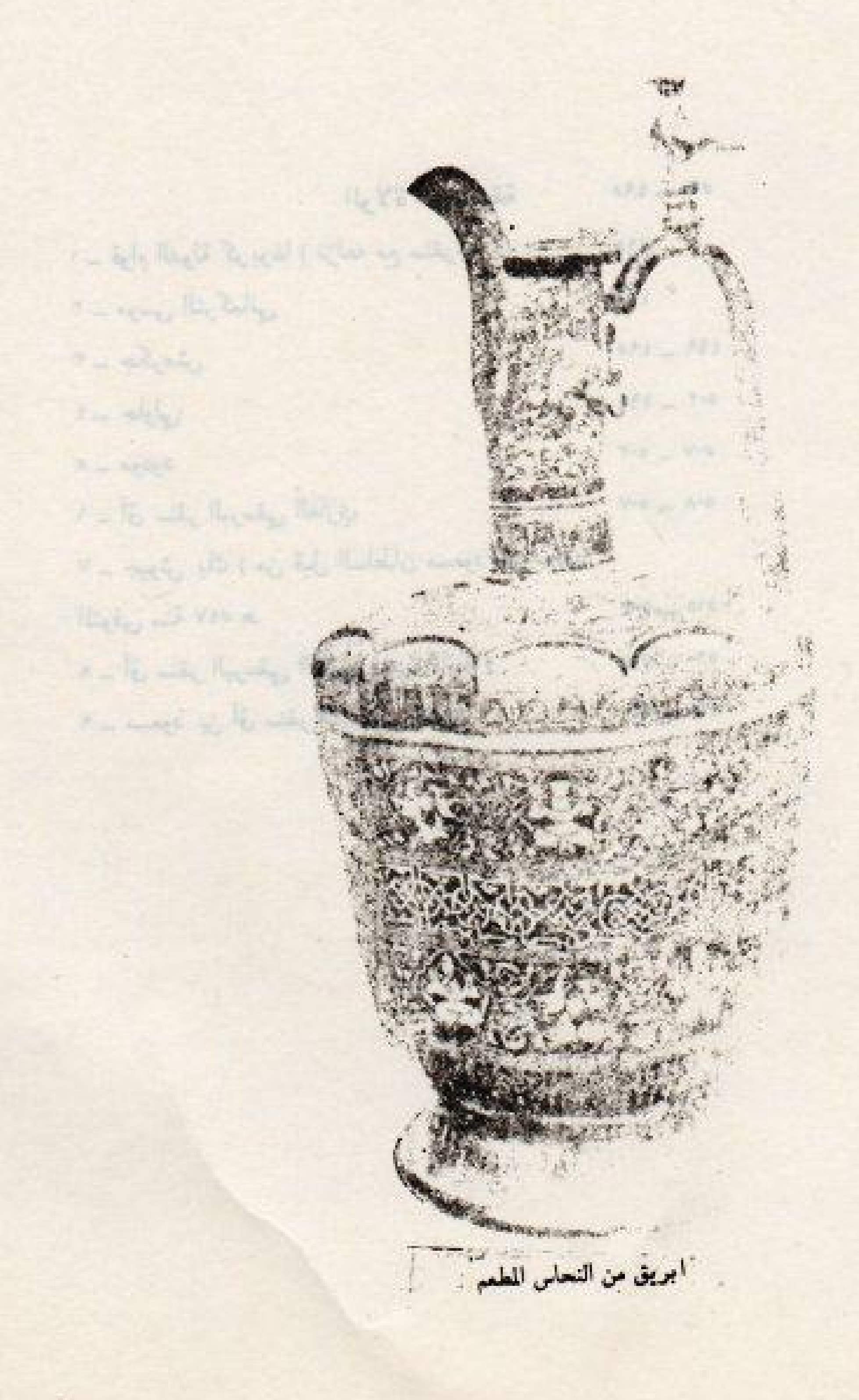
والصليبيون قد توغلوا في بلاد الشام ، وزحفوا الى بلاد الجزيرة ، مغتنمين انقسام المسلمين على انفسهم ، وعجزهم عن صدهم ، فعاثوا في البلاد يقتلون ويأسرون ويدمرون ، واحتلوا الكثير من القلاع والحصون والمدن ، وقامت لهم فيها دول ـ وكلهم يهدف الى التنكيل بالمسلمين ـ وما زالوا في تقدم حتى احتلوا القدس سنة ٤٩٢ هـ ، وفتكوا بها فتكاً ذريعاً ، يقول الابيوردي المتوفى سنة ٥٠٧ هـ [١]

فايها بني الاسلام ان وراءكم وقائع يلحقن الذري بالمناسم
واخوانكم بالشام يضحى مقيلهم ظهور المذاكي او بطون القشاعم
تسومهم الروم الهوان وأنتم تجرون ذيل الخفض فعل المسالم
وكم من دماء قد ابيحت ومن دمى توارى حياء حسنها بالمعاصم
أرى أمتي لا يشرعون الى العدى رماحهم والدين واهي الدعائم
دعوناكم والحرب ترنو ملحة الينا بالحاظ النسور القشاعم
تراقب فينا غارة عربية تطيل عليها الروم غض الاباهم
فان أنتم لم تغضبوا بعد هذه رمينا الى أعدائنا بالجرائم

(١) الكامل ، ١٠ : ١٠٥ ـ ١٠٦ . وانظر القصيدة بكاملها في ديوانه .

وسخط الشعب يزداد كل يوم . ويندد بما آلت اليه بلادهم من الانقسام . وتحكم الدخلاء في البلاد والعباد . والحالة تسير من سيىء الى اسوأ . ومن فتنة الى حرب . والحماس يزداد،والقوة كامنة في النفوس . يدفعها ايمان بحق الشعب . وهم يتطلعون الى زعيم يشعر بما يشعر اهل البلاد . فيجمع كلمته .ويسير بهم الى ساحات الجهاد .

الولاة السلاجقة	٤٩٥ _ ٥٢١
١ _ قوام الدولة كربوغا (نزاعه مع سنقرجة)	٤٩٥
٢ _ موسى التركماني	٤٩٥
٣ _ جكرمش	٤٩٥ _ ٤٩٩
٤ _ جاولي	٤٩٩ _ ٥٠٢
٥ _ مودود	٥٠٢ _ ٥٠٧
٦ _ آق سنقر البرسقي الغازي	٥٠٧ _ ٥٠٨
٧ _ جيوش بك (من قبل السلطان مسعود بن محمد المتوفى سنة ٥٤٧ هـ	٥٠٨ _ ٥١٥
٨ _ آق سنقر البرسقي الغازي (مرة ثانية)	٥١٥ _ ٥٢٠
٩ _ مسعود بن آق سنقر البرسقي الغازي	٥٢٠ _ ٢٥١



ابريق من النحاس المطعم

ومن الامراء الذين تولوا الموصل سنة ٤٨٩ هـ . قوام الدولة ابو سعيد كربوغا المتوفى سنة ٤٩٥ هـ من مماليك السلطان ملكشاه بن الب ارسلان السلجوقي ، فأحسن السيرة في اهلها فاحبه اهل البلد .

سار بجيش من الموصل لمساعدة « ياغي سيان بن محمد بن الب التركماني » ، من مماليك السلطان ملكشاه . في فك الحصار عن انطاكيه . وقبل ان يصلها استولى عليها الصليبيون . فاسرع كربوغا اليها واحاط بالمدينة سنة ٤٩١ هـ وضيق عليها . فطلب اليه الصليبيون الامان . ولكنه كان معجباً بقوته فابى وقال لهم « لا تخرجون الا بالسيف » وهجم عليه الصليبيون هجوم يائس وخسر المعركة لسوء تصرفه وتكبره .

ولما عاد الى الموصل كلفه السلطان بركياروق ٤٨٧ ـ ٤٩٨ هـ بمحاربة محمد بن ملكشاه . فمرض في الطريق ومات .

فخلفه على الموصل « سنقرجة » . ولم يرض به اهل البلد . فكاتبوا موسى التركماني (٤٩١ هـ) ان يتوجه اليهم من حصن كيفا . ولما وصل المدينة وجد سنقرجة قد سبقه . وحدث بينهما نزاع وقتل سنقرجة .

ثم جرى حرب بين جكرمش وموسى التركماني على ولاية الموصل . فقتل موسى .(١) وصفا الامر لجكرمش ولكن السلطان محمد ولى « جاولي سقاوو » الموصل . ولما اقترب من اعماله حاربه جكرمش . فهجم جاولي على جيش جكرمش واسره . وكان جكرمش مريضا . وحاصر جاولي الموصل . وكان جكرمش قد احكم سورها . وبنى له فصيلاً حفر الخندق . ورمم القلعة . وابى اهل البلد ان يسلموا المدينة . وفي اثناء الحصار توفي جكرمش ـ ٤٩٩ هـ فاجلس اهل البلد ابنه « زنكي » وخطبوا له بعد السلطان . واقسموا على الاخلاص والتفادي والدفاع عن البلد . واستنجدوا بقليج ارسلان بن سليمان بن قتلمش السلجوقي فسار الى الموصل . ثم خرج الى جاولي والتقى معه على الخابور . وغرق في النهر . وصفا الامر لجاولي .

دخل جاولي البلد وتمكن فيها . طمع في الانفصال عن السلطان محمد . وتوقف عن تقديم الاموال اليه . ولم يكن محبوباً في المدينة لعسفه وظلمه وكثرة مصادراته .

---

(١) ودفن على تل في قرية « كزانا » وعرفت القرية بعد هذا « بتل موسى » وهي على طريق المسافر من الكسك الى عين زالا . وتعرف القرية اليوم باسم « تل موس » .

ارسل اليه السلطان ، مودود بن التونتكين ومعه آق سنقر البرسقي وغيره من الامراء . حاصر مودود الموصل سنة ٥٠٢ هـ . وزاد ظلم جاولي . فاتفق جماعة من الجصاصين . وقتلوا حامية احدى البروج التي في السور . وسلموا البلد لمودود . فدخلها وأمن اهلها.

كان مودود رجل حرب وتدبير . يعتمد عليه السلطان في حرب الصليبيين،وصار مسموع الكلمة عند الملوك والامراء لشجاعته وحسن تدبيره . وفي سنة ٥٠٧ هـ بينما كان في الشام تقدم اليه باطني وقتله في جامع دمشق .

فتولى الموصل آق سنقر البرسقي الغازي الملقب قسيم الدولة سيف الدين ٥٠٧ هـ من اجل الامراء السلاجقة . واول من فكر في جمع البلاد لتكون قوة في وجه الصليبيين . زحف الى الشام وفك الحصار عن حلب . واسترجع كفرطاب . واضاف اليه السلطان كفرطاب وحلب . وفتك بالباطنية ونكل بهم . وقتل جماعة منهم .

وفي سنة ٥٠٨ هـ سيره السلطان الى حرب الصليبيين . وكتب الى الامراء بطاعته . ومنهم عماد الدين زنكي بن آق سنقر الحاجب ـ وهذا ما حمل الصليبيين ان يحرضوا الفدائيين على قتله ـ فقتلوه في جامع الموصل سنة ٥٢٠ هـ . وخسرت البلاد قائداً مدبراً واميراً مصلحاً . طهر البلاد من المستعمرين والدخلاء . وتولى بعده ابنه مسعود . وسار على خطة ابيه في ضرب الاعداء وتوفي سنة ٥٢١ هـ وكان شجاعاً شهماً . حاول ضم بلاد الشام اليه . ليؤلف دولة قوية .

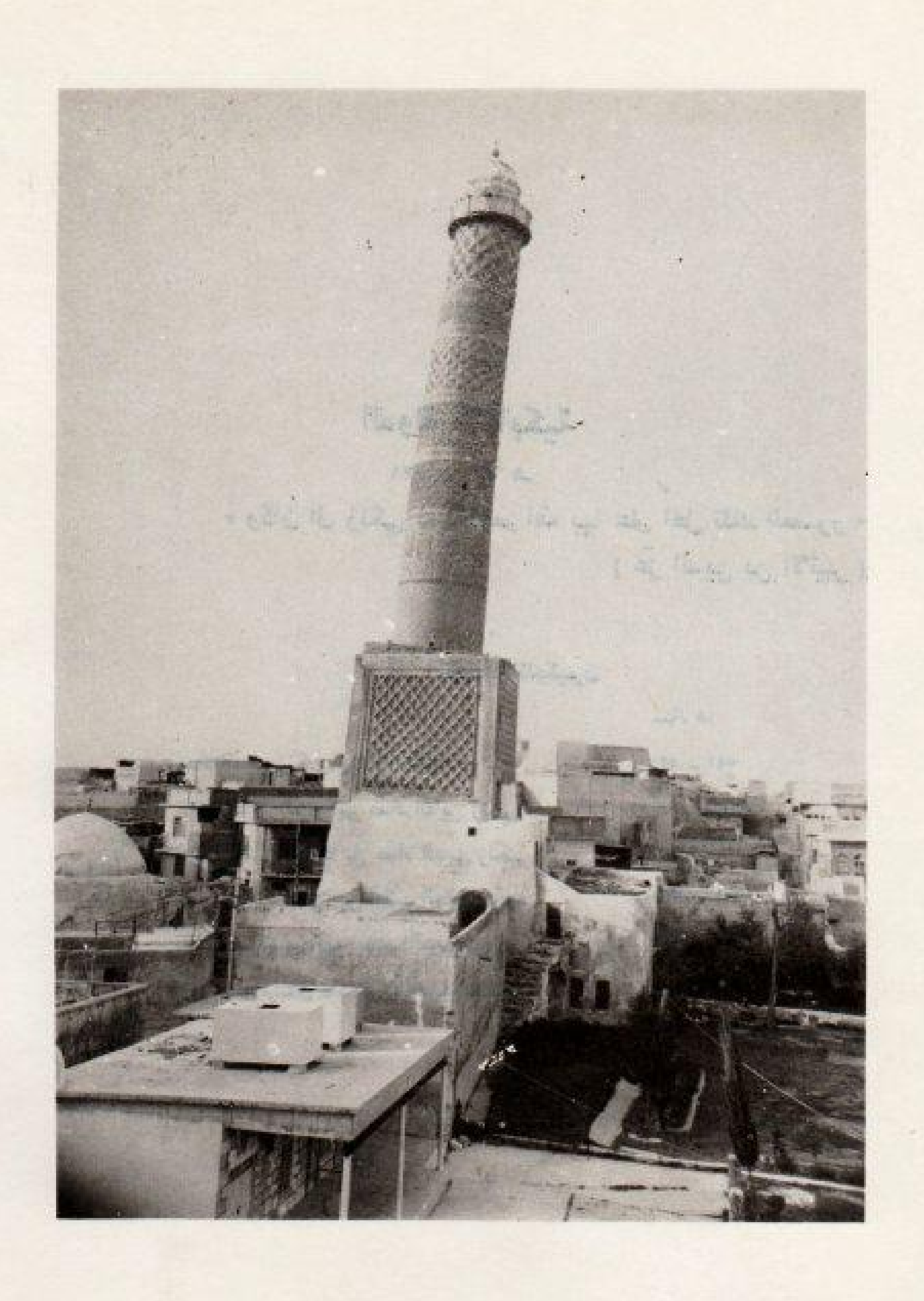
الدولة الاتابكية

٥٢١ ـ ٦٦٠ هـ

« وكان آل زنكي نعمة انعم الله بها على اهل تلك العصور »
(عز الدين بن الاثير)

١ ـ الملوك الاتابكيون

	سنة/ هـ
عماد الدين زنكي بن آق سنقر	٥٢١ ـ ٥٤١
سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي	٥٤١ ـ ٥٤٤
قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي	٥٤٤ ـ ٥٦٥
سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود	٥٦٥ ـ ٥٧٦
عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود	٥٧٦ ـ ٥٨٩
نور الدين أرسلان شاه بن عزالدين مسعود	٥٨٩ ـ ٦٠٧



منارة الجامع النوري

آق سنقر الحاجب[1]

أبو سعيد آق سنقر بن عبد الله قسيم الدولة المعروف بالحاجب ، كان مملوكاً للسلطان العادل عضد الدولة ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ، رباه مع ولده جلال الدولة ملكشاه ، واستمر في صحبته ، فكان رفيقه في عهد الطفولة والصبا ، وساعده في تدبير الأمور ، فكان من أعيان أمرائه ، وأخص أوليائه ، يعتمد عليه في مهمات الأمور الصعبة ، ويفضي اليه بأسراره ، ووثق به وثوقا تاما ، فيجد منه الحزم والعزم والاقدام ، ولقبه « بقسيم الدولة » يوم كانت الألقاب لا تعطى الا لمستحقيها ، فجعله مقاسماً له في الادارة والحكم ، كما لقبه « بالحاجب » وهو أسمى الألقاب التي كانت تعطى للمقدمين عند السلطان ، وهذا ما حمل الأمراء على حسده ، وصار يتقيه أقرب الناس الى ملكشاه ، مثل نظام الملك مع تحكمه على السلطان ، وتمكنه في المناصب وكثرة الأعوان .

كان قسيم الدولة حسن التدبير ، موفقاً في حروبه ، ففي سنة ٤٧٧ هـ سيّر السلطان ملكشاه الوزير فخر الدولة بن جهير الى ديار بكر ، ليتملكها من بني مروان ، وسيّر عميد الدولة بن فخر الدولة بن جهير - وكان زوج ابنة نظام الملك - الى الموصل ، وهي لشرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران العقيلي ، وسيّر معه جيشاً كبيراً بقيادة آق سنقر ، وأمر عميد الدولة أن يكون في حربه وحصاره برأي آق سنقر ، لمعرفته بتدبير الجيوش ، وحصر البلاد ، وشجاعته في حروبه كلها ، فسار الى الموصل ودبّر أمر فتحها .

وفي سنة ٤٧٨ هـ كان مع السلطان ملكشاه في انتزاع حلب من العقيليين ، وكان نظام الملك يريد ابعاده عن السلطان ، فأشار عليه سنة ٤٧٩ هـ أن يوليه حلب وأعمالها ، وحماة ومنبج واللاذقية وما معها ، ليصفو له الأمر ، فسار اليها آق سنقر ودبر أمورها بحزم ، عقب قطاع الطرق وأفناهم ، وتتبع الدعار واستأصل شأفتهم ، فنشر الأمن والاطمئنان في البلاد ، ولم يبق لأهل الفساد ذكراً ، وألزم أهل كل قرية بمحافظة من يمر بهم ، واذا فقد شيء فان أهل القرية ملزمون به ، كما أمر مناديه أن لا يغلق أحد بابه ، وأن يترك أهل الحرث آلاتهم في البقاع التي يعملون بها في الليل والنهار ، وبنى مصنعاً للماء في حلب ، وعمر جامعها ، وجدد منارته ، وجدد سور المدينة ، وحصن قلعتها ، وأثر فيها آثارا حسنة .

---

(١) يطلق على من يحجب الخليفة او الملك يبلغه اخبار الرعية ويأخذ الاذن لهم منه - وهو يشبه رئيس التشريفات في ايامنا هذه - وقد يطلق على امير كلقب فخري له فيقال « امير حاجب »

ووسع بلاده . ففي سنة ٤٨٢ هـ تسلم حصن برزويه من الأرمن ، وهو آخر حصن كلن بايديهم من اعمال انطاكية ، فهدمه سنة ٤٨٣ ، ثم استولى على حصن أفامية وكفرطاب سنة ٤٨٤ هـ ، وفرض طاعته على مدينة شيزر - فكان آق سنقر ساعداً قوياً في جيش ملكشاه ، حليفه النصر اينما حل ، لشهامته ومعرفته بشؤون الحرب(١).

وبعد وفاة ملكشاه ، سنة ٤٨٥ هـ تنازع بركياروق بن ملكشاه مع عمه تتش . وانقسم الامراء معهما ، فكان آق سنقر مع تتش ، وكان تتش يحذر منه ، وممن معه من الامراء ، وبعد ان شارك في فتح عدة بلاد ، تبين له سوء نية تتش ، فالتحق ببركياروق ، وجرت موقعة بينهما وبين تتش عند نهر سبعين في تل السلطان ، فأسره تتش سنة ٤٨٧ هـ .

ولما جاءوا به الى تتش ، سأله ، لو ظفرت بي ما كنت صنعت ؟ وكان آق سنقر ، معتداً بنفسه فاجاب السلطان ، كنت اقتلك . قال له السلطان ، انا احكم عليك بما كنت تحكم به عليَّ ، وقتله .

وكان آق سنقر من اجل الامراء في التدبير والسياسة والحروب ، عني بجيشه ، ونشر العدل في بلاده

(١) انظر عنه ، الباهر ، ٤ ـ ١٥ ، الكامل ، ١٠ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ١١٣ ، ٨٦ ، ابن القلانسي ، ١٢٠ ، الروضتين ، ١ ، ٢٤ ـ ٢٧ ، ٦١ ، مفرج الكروب ، ١ ، ١١ ، ١٩ ـ ٢٧ ، زبدة الحلب ، ٢ ، ١٠٢ ـ ١١٩ ، ابن خلكان ، ١ ، ٧٩ ، الأعلاق الخطيرة ، ١٧ ـ ٢٤ ، ابو الفدا ، ٢ ، ٢٠٤ ، البداية والنهاية ، ١٢ ، ١٤٧ ، الموصل في العهد الاتابكي ، ١٦ ـ ١٧

عماد الدين زنكي

٥٢١ ـ ٥٤١

أبو الجود وأبو المظفر عماد الدين زنكي بن آق سنقر بن عبد الله الملقب « بالملك المنصور » ، ويلقب أيضا « بالشهيد » .

قتل أبوه سنة ٤٨٧ هـ وهو ابن عشر سنين ، والتف حوله أتباع أبيه ومماليكه وعليهم زين الدين علي كجك بن بكتكين ، وكانوا عددا كبيرا ، وعنوا به عناية خاصة لما رأوه من نجابته وشجاعته . وهذا ما حمل الامراء الذين تولوا الموصل أن يعتمدوا عليهم ، فكانوا يستميلونهم للاستعانة بهم في الحرب .

لما تملك الموصل « كربوغا » سنة ٤٨٩ هـ عزز قوته بعماد الدين ومن معه ، فراسلهم ورغبهم ، وأحضرهم عنده ، وقال لهم عن عماد الدين : « هو ابن أخي ، وأنا اولى الناس به وبتربيته » ، وأقطعهم الاقطاعات السنية ، وزاد مماليك عماد الدين ، وكانوا قوة لكربوغا في حروبه ،

وأول مصاف حضره عماد الدين مع كربوغا هو حصار « آمد » . فأبدى أتباعه شجاعة ومهارة ، وبقى كربوغا يعتمد عليهم حتى توفي سنة ٤٩٤ هـ (١) .

وتولى الموصل « جكرمش » سنة ٤٩٥ هـ ، وهو يعلم قوة أتباع عماد الدين ، وما أبلوه في موقعة آمد ، فقربه اليه ، واتخذه ولدا يعزز مكانته باتباعه ، وبقى ملازماً له حتى توفي جكرمش سنة ٥٠٠ هـ (٢) .

ثم ملك الموصل « جاولي » وقد كبر عماد الدين وبلغ سن الرجولة ، وشارك بنفسه في الحروب ، فتدرب على قيادة الجيش ، وبدت شجاعته ، وظل معه حتى عصى جاولي على السلطان محمد سنة ٥٠٢ هـ ، وهرب الى الشام ، وأرسل السلطان الامير مودود بن التونتكين ، فانضم عماد الدين اليه ، ففرح به مودود وقربه وأكرمه ، وزاد في اقطاعه ، وشهد معه حروبه كلها ، وكان في مقدم الجيوش ، سار مع مودود لحرب الصليبيين بالشام ، في فتح « الرها » و « تل باشر » و « معرة النعمان » ، ثم ساروا الى « طبرية » وحاصروها حصاراً شديداً ، دافع الصليبيون عنها دفاعاً قوياً ، وأظهر عماد الدين من البطولة ما جعله مضرب المثل في الهجوم والاقدام ؛

---

(١) ـ (٢) : الباهر : ١٦ ، الكامل : ١٠ : ١٤٦ .

تقدم في نفر من أصحابه ، وهاجم جماعة من الصليبيين كانوا قد خرجوا من البلد ، فحمل عليهم هو وبعض من معه ـ وهو يظن أنهم يتبعونه ـ فتخلفوا عنه ، وتقدم وحده ، وقد انهزم من بظاهر البلد من الصليبيين ، فدخلوا المدينة ، وحمل عماد الدين بنفسه على باب البلد ، وأثر رمحه في الباب ، وبقي ينتظر وصول من كان معه ، ولما لم يجدهم أخذ يحمي نفسه ، وعاد الى جيشه ، فأثنى الناس على اقدامه وجرأته ، وقتل مودود سنة ٥٠٧ هـ وهو ملازم له[١].

وفي سنة ٥٠٨ هـ سير السلطان « آق سنقر البرسقي » لحرب الصليبيين ، ومعه عماد الدين ، وأمره السلطان بتقديمه والوقوف عند اشارته ، فأبلى عماد الدين بلاءا حسنا ، وكانت بطولته حديث الجيوش التي اشتركت معه .

عاد البرسقي الى بغداد ، وسار عماد الدين الى الموصل مع الملك مسعود ، والأمير « جيوش بك » ، وبقي في الموصل حتى سنة ٥١٤ هـ .

كان جيوش بك يستغل وجود الملك مسعود عنده في الموصل ، وطمع أن ينصبه سلطانا على السلاجقة في بغداد ، لكي يتحكم هو بأمور الدولة بتسلطه على الملك مسعود ، وفشلت محاولته بعد مناوشات مع السلطان محمود .

كان عماد الدين ينظر الى هذا بعقل وبصيرة ويعلم ما ستؤول اليه العاقبة ، فلم يندفع مع جيوش بك ، وأشار عليه بطاعة السلطان وترك الخلاف ، وحذره عاقبة العصيان ، فلم يستمع لقوله ، فاعتزل النزاع وفشلت المحاولة[٢].

واستعمل السلطان محمود آق سنقر البرسقي على الموصل وأعمالها سنة ٥١٥ هـ ، وأمره برعاية عماد الدين وتقديمه ، وأخذ رأيه بالامور ، وفعل البرسقي ما أمر به السلطان ، وزاد على ذلك لما رآه من عقله وتدبيره .[٣]

وفي سنة ٥١٦ هـ أمر السلطان محمود البرسقي أن يسير لحرب « دبيس بن صدقة الاسدي » صاحب الحلة ، الذي ساعد جيوش بك في الحرب ، وأخفق البرسقي وانسحب الى بغداد ، وولاه السلطان « شحنكية العراق »[×] وأرسل آق سنقر عماد

---

(١) الباهر ، ١٦ ـ ١٧ ، الكامل ، ١٠ ، ١٨٣ ـ ١٨٧ ، الروضتين ، ١ ، ٢٧ .

(٢) ، (٣) البداية والنهاية ، ١٢ ، ١٩٠ الكامل ، ١٠ ، ٢٢٨ ـ ٢٣٢ ، الباهر ، ٢٤ ـ ٢٥ ، ٢٦ ، المنتظم ، ٩ ، ٢٣٢ ـ ٢٣٣ ، ٢٤٢ ـ ٢٤٣

(×) الشحنة ، وظيفة ادارية استحدثت في العهد السلجوقي يتولى صاحبها الاشراف على ادارة مدينة و يتبعه الشرطة ورجال الامن ، وهو يشبه المحافظ في ايامنا هذه .

الدين الى واسط فاحتلها واقطعه اياها ، ثم أضاف اليه شحنكية البصرة ، فانتقل اليها ودبر أمورها أحسن تدبير ، وحماها من غارات الاعراب ، فسكنت الحالة في المدينة ، وسادها الهدوء والرخاء .

وأمره أن يتصدى لجيش دبيس بن صدقة ، فهجم عليه واحتل النعمانية بعد أن فتك بجيشه ، وصار دبيس يتقيه ، ويتجنب حربه ، وبرز عماد الدين في الادارة والحرب وتوطيد الامور ، فهابه امراء الاطراف وخاصة دبيس ، فلم يكن يرهب البرسقي بقدر ما كان يرهب جانب عماد الدين

هم دبيس بقصد بغداد سنة ٥١٧ هـ ، وفيها الخليفة المسترشد بالله ـ (٥١٢ ـ ٥٢٩ م) والبرسقي ، فسارا اليه ، ومعهما عماد الدين ، وكان له وقع حسن في انتصارهم ، فهو الذي أحكم تدبير الحرب ، واندحر فيها دبيس ، ولحق بالسلطان طغرلبك

ولى السلطان شحنكية بغداد « يرنقش الزكوى » وأمر البرسقي أن يعود الى الموصل ، وأن يتهيأ لحرب الصليبيين ، فاستدعى البرسقي عماد الدين ليسير معه ، فضجر عماد الدين من كثرة التكاليف والحروب ، ورأى من التدبير أن لا يتعب نفسه وجيشه في سبيل أمير يستغله ، وخير له أن يلحق بالسلطان نفسه ، ليتولى الامور والاعمال باسمه ، لا بأسم غيره ، خاصة وأنه كان في مقدم الامراء الذين يعتمد عليهم في المهمات .

ولما استدعاه البرسقي ، ابى ان يلحق به ، جمع اصحابه وقال لهم : « قد ضجرنا مما نحن فيه ، كل يوم قد ملك البلاد أمير ونؤمر بالتصرف على اختياره وارادته ، ثم تارة بالعراق ، وتارة بالموصل ، وتارة بالجزيرة ، وتارة بالشام ، فبم تشيرون اصنع ؟ فاشار عليه زين الدين علي بن بكتكين ، بخدمة السلطان ، وهو ما كان يرغب به ،

ـ ٢ ـ

توجه الى السلطان ، والسلطان يعلم منزلته ، ولكنه اراد ان يختبر اصحابه في امره ، فلم يظهر له مساعدة اول قدومه اليه ، كما ان الامراء لم يحتفوا به ، ثم ان السلطان اراد ان يبين للامراء منزلة عماد الدين عنده ؛ وركب يوماً ليلعب بالكرة ،

فدخل الميدان ، فاخذ الجوكان(×) بيده ، واستدعى عماد الدين زنكي وناوله اياه ، وقال له ، العب معنا ، وهذا تقدير كبير قلما حضي به امير من السلطان . ثم ان السلطان عاتب امراءه ووبخهم على تقصيرهم بالحفاوة به ، ورفع منزلته بأن زوجة بزوجة الامير « كندغدي » وكان هذا من اكابر امراء السلطان ، وقد جعله اتابكا لطغرل بك ومدبراً لدولته ، فحسن له العصيان على السلطان محمود وتوفي وترك اموالاً وسلاحاً وثروة كبيرة ، فزوجه من امرأته ، وعظم شأنه بان حضر مع الامراء حفلة زواجه ، فكان من مقدمي الامراء الكبار لدى السلطان محمود ، وبلغ من علو مرتبته عنده ، انه كان يقف على يمين تخت السلطان ، لا يتقدمه أحد ، وهو مكان ابيه من قبله .

عادت الفوضى الى البصرة ، وساء حال البلد لكثرة الغارات عليها ، ورأى السلطان ان خير من يتولاها هو عماد الدين زنكي ، فاقطعه اياها سنة ٥١٨ هـ .[١]

تسلم زنكي البصرة ، وصد هجمات الاعراب عنها ، واحسن الى السكان ، ووطد الأمن والاستقرار ، كما اهتم بامور مدينة واسط ، ونظم ادارتها ، فبرز في الادارة والحرب ، وصار من اجل الامراء الذين يعتمد عليهم السلطان في امور العراق ، فكان عماد الدين يطلع السلطان على مجريات الامور في العراق ، وخاصة الحد من نفوذ الخليفة وطمعه في بسط نفوذه على مدينة واسط[٢] .

وفي سنة ٥١٩ هـ ساءت العلاقة بين الخليفة المسترشد والسلطان محمود ، فأرسل الخليفة جيشاً بقيادة « عفيف الخادم » لاحتلال واسط ، فصدهم عماد الدين وفتك بهم . وتوجه السلطان محمود الى بغداد ، وعرض الصلح على الخليفة ، فلم يقبل ، ونشب القتال بينهما .

ارسل السلطان يستنجد بعماد الدين ، فزحف هذا الى بغداد بجيش كبير براً ، وملأ عدداً من الزوارق بالمقاتلة وحاصر بغداد بقوة كبيرة ، مما اضطر الخليفة ان يقبل الصلح ، والفضل في حقن الدماء يعود الى عماد الدين الذي زحف على بغداد بجيش كبير في البر والنهر .[٣]

---

(١) ، (٢) ، الكامل ، ١٠ ، ٢٣٧ ، ٢٤٤ ، الباهر ، ٢٧ ـ ٢٨ ، المنتظم ، ٩ ، ٢٤٩ ، البداية والنهاية ، ٩ ، ١٩١ .

(٣) ، الكامل ، ١٠ ، ٢٤٢ ـ ٢٤٣ ، المنتظم ، ٩ ، ٢٥٢ ـ ٢٥٩ ، الباهر ، ٢٨ ـ ٢٩ .

(×) قضيب تضرب به الكرة في لعبة الكرة والصولجان ، وهو فارسي مصري .

وقبل أن يغادر السلطان محمود (٥١١ ـ ٥٢٥ هـ) بغداد ، استشار أصحابه فيمن يصلح أن يتولى « شحنكية بغداد » ، فيضبط العراق بقوة وحكمة ، وكلهم اشاروا عليه بعماد الدين ، الذي ظهرت كفاءته في البصرة وواسط . وفي ١٠ / ربيع الاول ٥٢٠ هـ صدر مرسوم بتوليته شحنكية بغداد اضافة الى ما بيده من الاقطاع والبلاد . وترك السلطان بغداد وهو مطمئن على نفوذه في العراق . لانه عهد بأمره الى رجل حازم يكفيه الازمات والمشاكل؛ ويرضي الخليفة والسلطان . فقضى عماد الدين اربعة أشهر في منصبه هذا ، ولم يحدث في عهده ما يعكر صفو البلاد .

ـ ٢ ـ

بعد وفاة عز الدين مسعود بن البرسقي سنة ٥٢١ هـ . تولى البلاد طفل له صغير ، يدبر اموره جاولي احد مماليك جده .

رأى جاولي ان يرسل وفداً الى بغداد ، يعرض على السلطان تولية الطفل ابن عز الدين مسعود مكان ابيه . على ان يتولى هو تدبيره ، وكان يطمع من هذا ان يكون صاحب الامر في بلاد البرسقي ، الموصل وديار الجزيرة وحلب وحماة وجزيرة ابن عمر وغيرها .

فأرسل الى بغداد ، بهاء الدين ابا الحسن علي بن القاسم الشهرزوري ، وصلاح الدين محمد الياغيساني ـ امير حاجب البرسقي ـ يعرضان على السلطان هذا ، ويبذلان له الاموال في ذلك .

فانفرد صلاح الدين الياغيساني بنصير الدين جقر بن يعقوب ـ من اخص مماليك عماد الدين . وكان بينهما مصاهرة ، فأبدى له جقر تخوفه من جاولي ، وانه اذا تمكن في البلد لا يبقي منهم أحداً ، واتفقا مع الشهرزوري على ان يحملوا السلطان بتولية عماد الدين ، بشرط : ان يكون لبهاء الدين قضاء الموصل وجميع البلاد وما فيها من القضاء والامور الدينية ، وان تكون الحجبة وامارة العسكر لصلاح الدين ، وان تكون ولاية الموصل الى جقر ، وقصدوا الوزير شرف الدين انوشروان ابو خالد ، وبينوا له دقة الموقف في ديار الجزيرة والشام ـ بعد موت البرسقي ـ وتمكن الصليبيين في البلاد ، وان حفيده طفل صغير يعجز عن مقاومتهم ، ولا بد من رجل شهم شجاع ذي رأي وتجربة يتولى البلاد ويذب عنها ، وقد انهينا الحال قبل فوات الوقت لنخلص من غضب الله ولوم السلطان .

ولما رفع الوزير الامر الى السلطان طلب اعضاء الوفد واستشارهم فيمن يرونه اهلاً للأمر ، فذكروا له عدة اشخاص منهم عماد الدين ، واثنوا على شجاعته وحسن تدبيره ، والسلطان يعلم حق العلم ما عليه عماد الدين من حسن الادارة في الولايات التي تولاها ، وشجاعته في حروبه التي خاضها ، فولاه ما كان يتولاه البرسقي ، وما يغنمه من بلاد الشام ، وكتب له منشوراً بذلك(١) ، وضم اليه ولديه الب ارسلان وفروخ شاه المعروف بالخفاجي لير بيهما ، « اتابك » ولديه .

ـ ٤ ـ

توجه عماد الدين الى الموصل ، وملك في طريقه مدينة « البوازيج » ، ليتخذها مقراً له اذا ما قاومه جاولي ، وبعد ان تمكن في البلد توجه الى الموصل .

واما جاولي فانه لم يبد مقاومة ، بل توجه الى استقبال عماد الدين ومعه الجيش ، ولما رآه نزل عن فرسه وقبل الارض ، ثم قبل يده ، وعاد في خدمته ، فدخل زنكي الموصل بجيشه وجيش جاولي .

واول عمل باشره ، اقطع جاولي « الرحبة واعمالها » وسيره اليها ، فأبعده عن الموصل ، ثم اخذ ينظم امور المدينة ويقرر قواعدها ، واتخذها قاعدة له ، فولى ،

(١) نصير الدين جقر ، دزدارية قلعة الموصل(٢) ، وفوض اليه دزدارية قلاع البلاد .

(٢) جعل صلاح الدين محمد الياغيساني أميراً حاجباً(٣) .

(٣) وجعل بهاء الدين الشهرزوري قاضي قضاة بلاده ، جميعها وما يفتحه من بلاد ، وزاده املاكاً واقطاعاً ، وكان هذا عنده اعظم الناس منزلة ، يستشيره في الامور ، ولا يصدر الا عن رأيه(٤) .

وبعد ان رتب الامور في البلد ونظم جيشه ، وجه همه في فتح البلاد المواجهة للصليبيين ، ليتخذ منها جبهة قوية تصدهم وتهاجمهم ، فالصليبيون قد توغلوا في بلاد الشام ، وامتد نفوذهم الى بلاد الجزيرة ، وفتكوا في البلاد ، وامراء المسلمين في

---

(١) الكامل ، ١٠ ، ٢٤٥ ـ ٢٤٦ ـ ٢٤٨ ، الباهر ، ٣٤ ـ ٣٥ ، ابن خلكان ، ١ ، ٩٧ ، ابن القلانسي ، ٢١٦ ـ ٢١٧ ، مفرج الكروب ، ١ ، ٣١ ـ ٣٤ ، البداية والنهاية ، ١٢ ، ١٩٦ .

(×) اتابك ، لفظ تركي مركب من اتا (اطا) بمعنى اب ، وبك ، بمعنى امير ، وكان يطلق على من يربي أولاد الملوك السلاجقة ـ وفيات الاعيان ، ١ ، ١١٤ ، صبح الأعشى ١ ، ١٦٧ ، ٤ ، ١٨ .

(٢) دزدار القلعة ، محافظها .

(٣) (٤) الكامل ، ١٠ ، ٢٤٦ ، الباهر ، ٣٥ ، الروضتين ، ١ ، ٣٠ ، مفرج الكروب ، ١ ، ٣٤ .

تخاذل وتناحر مع بعضهم ، يدفعون شر الصليبيين بمداراتهم والتقرب اليهم . ووصف ابن الاثير ما كانت عليه البلاد من ضعف وتخاذل ، فقال :

« لما ملك المولى الشهيد البلاد ، كان الفرنج قد اتسعت بلادهم ، وكثرت اجنادهم ، وعظمت هيبتهم ، وزادت صولتهم ، وتضاعفت سطوتهم ، وعلا شرهم ، واشتد بطشهم ، وامتدت الى بلاد الاسلام ايديهم ، وضعف اهلها من كف عاديتهم ، وتتابعت غزواتهم ، وعم اهلها شديد حيفهم ، وعظيم قهرهم ، فنجوم سعد المسلمين منكدرة ، وسماء عزهم منفطرة ، وشمس اقبالهم مكورة ، ورايات المشركين خلال ديار الاسلام منشورة ، وانصارهم على اهل الايمان منصورة .

وكانت مملكة الفرنج حينئذ قد امتدت من ناحية ماردين وشبختان الى عريش مصر ، لم يتخلله من ولاية المسلمين غير حلب وحمص وحماة ودمشق ، وكانت سراياهم تبلغ من ديار بكر الى آمد ، فلم يبقوا على موحد ولا جاحد ، ومن ديار الجزيرة الى نصيبين ورأس العين ، فاستأصلوا ما لأهلها من اثاث وعين .

واما الرقة وحران فقد كان اهلها معهم في ذل وصغار ، واستضعاف واقتسار ، كل يوم قد اذاقوهم البوار ، ومنعوهم القرار ، والصقوا بهم الصغار ، فهم ينادون بالويل والثبور ، ويودون لو انهم من ساكني القبور .

وانقطعت الطرق الى دمشق الا على الرحبة والبر ، فكان التجار والمسافرون يلقون من المخاوف ، وركوب المفازة تعباً ومشقة ونصباً ، ويخاطرون بالقرب من العرب بأموالهم وانفسهم .

ثم زاد الامر وعظم الشر ، حتى جعلوا على كل بلد جاورهم خراجاً واتاوة ، يأخذونها منهم ، ليكفوا ايديهم عنهم ، ثم لم يقنعوا بذلك ، حتى ارسلوا الى مدينة دمشق ، واستعرضوا الرقيق ممن اخذ من الروم والارمن وسائر بلاد النصرانية ، وخيروهم بين المقام عند اربابهم ، أو العود الى اوطانهم ، والرجوع الى اهليهم واخوانهم ، فمن اختار المقام تركوه ، ومن آثر العود الى اهله اخذوه ، وناهيك بهذه الحالة ذلة للمسلمين وصغاراً ، وللكافرين قدرة واقتساراً .

واما حلب فانهم اخذوا مناصفة اعمالها حتى في الرحى التي على « باب الجنان » ، وبينها وبين المدينة عشرون خطوة .

واما باقي بلاد الشام فكان حالها اشد من هذين الحالين[1] . »

---

(١) الباهر ، ٣٢ ــ ٣٣ .

وعلى هذا ، فان اول اعمال عماد الدين زنكي هو فتح البلاد الجزرية ، وضمها اليه ، ثم عبور الفرات والتوغل في بلاد الشام ، ليجعل من هذه البلاد جبهة قوية في وجه الصليبيين فكان يريد ضربهم وانتزاع البلاد منهم .

فتوجه الى « جزيرة ابن عمر » ، فهي اقرب البلاد الى الموصل ـ وكانت من املاك البرسقي تابعة للموصل ـ وفيها مماليك البرسقي ، فامتنعوا عن تسليمها ، فشدد الحصار عليها ، وعبر جيشه سباحة وفي السفن والاكلاك وضيقوا على المدينة ، فاضطر مماليك البرسقي الى طلب الامان ، وتقرير الصلح على قواعد يرتضونها ، وسلموا المدينة اليه .

وبعد ان رتب امورها ، ونظم ادارتها ، سار الى نصيبين ـ وكانت للامير حسام الدين تمرتاش ايلغازي بن ارتق صاحب ماردين ـ فلما حاصرها سار حسام الدين الى ابن عمه ركن الدولة داؤود بن معين الدولة بن سقمان بن ارتق ـ صاحب حصن كيفا ـ واستنجد به ، فوعده النجدة .

عاد حسام الدين الى ماردين ، وارسل رقاعاً على جناح طائر الى نصيبين ، يعلم من بها من العسكر انه وابن عمه سائران اليهم بالعسكر الكثير ويأمرهم بحفظ البلد خمسة ايام حتى يصلوا اليه .

ومن حسن الصدف ، ان سقط الطائر على خيمة عماد الدين ، فقرأ البطاقة وامر ان يكتب غيرها ، ان ابن عمي وعدني بالمساعدة وجمع الجيش ، وما نتأخر عن الوصول اليكم اكثر من عشرين يوماً ، ويأمرهم بحفظ البلد حتى يحضروا . ولم يكن للجيش قوة تساعدهم مقاومة جيش عماد الدين ، فسلموا اليه البلد .

وبعد ان نظم ادارتها ، سار الى سنجار وهي مدينة مهمة تقع على الطريق الذي يصل بين بلاد الجزيرة والشام ، ولا يمكن ان يستغني عنها من يريد التغلب على هذه البلاد، فامتنعت عليه المدينة ، وقاتله من بها ، ولكنه شدد الحصار عليها ، فسلموها واتصلوا بخدمته .

وسير منها الجيش الى بلاد الخابور ، فملكها جميعها ، وعين لها الشحن ليتولوا تنظيمها وتدبير امورها .[١]

ثم توجه الى حران ، وكانت المدينة في ضيق شديد مع الصليبيين الذين كانوا في الرها وسروج وغيرهما من بلاد الجزيرة ، ولم يكن لحران من قوة تحمي حوزتها ، ولما سمعوا بعماد الدين واستيلائه على البلاد ، وحمايتها من الاعداء ، راسلوه

بالطاعة . واستحثوه على الوصول اليهم . فسار مجداً الى حران،وخرج الى لقائه اهل المدينة فرحين مستبشرين . فوعدهم ومناهم .

كل هذا كان في سنة واحدة سنة ٥٢١ هـ وفي حران توقف عماد الدين عن التوسع وقد خضعت له اكثر بلاد الجزيرة ، ورأى من المصلحة ان يهادن « جوسلين » صاحب الرها ، لكي يتفرغ لتنظيم البلاد ، واعداد العدد والعدد ليعبر الفرات الى بلاد الشام(٢) .

بعد موت مسعود بن البرسقي سادت الفوضى مدينة حلب . واغتنم الصليبيون هذا . فزحفوا على البلد ، وضيقوا عليها وقاسموا اهلها . وكان نائب مسعود فيها « قتلغ ابه » قد ظلم الناس وصادرهم . فاجتمع اهل البلد الى « بدر الدولة سليمان ابن عبد الجبار بن ارتق » ـ وكان قبل هذا صاحبها ـ واغتنموا فرصة انشغال قتلغ واصحابه في الشرب فقبضوا عليهم . وزاد النزاع بين الطامعين . مما حمل الصليبيين بالتقدم الى حلب . فتنازل لهم الحلبيون عن بعض المناطق الزراعية . وازدادت الحالة سوءاً في المدينة . واضطر الحلبيون الى مفاتحة عماد الدين بالتقدم اليهم . كما ارسل اليه « شهاب الدين مالك بن سالم » ـ صاحب قلعة جعبر ـ وشرح له سوء حال البلد ، ومضايقة الصليبيين لها ، ولعماد الدين مرسوم سلطاني بالموصل والجزيرة وبلاد الشام وما يفتحه من هذه البلاد ـ فأرسل جيشاً واستولى على القلعة ورتب امورها ، واستتب الامر في البلد . فأرسل اليه صلاح الدين الياغيسياني ان يتوجه الى حلب . فسار عماد الدين واستولى في طريقه على « منبج وبزاغة » . ولما اقترب من حلب سنة ٥٢٢ هـ خرج اليه اهل البلد فرحين مستبشرين . فدخلها وضبط امورها . ونكل باصحاب المطامع الذين اطمعوا العدو في البلد . فارهبهم وشدد في عقابهم . فقتل « قتلغ ابه » وهرب الباقون متسللين لائذين بغيرهم . فخلصت البلاد من شرهم .

ثم التفت الى تنظيم البلد ، وعمارتها . فولى أمرها « سوارين ايتكين » وكان هذا بصيراً بالحرب وتدبير الامور . وله وقعات رهيبة في قلوب الصليبيين .

---

(١) ، (٢) الكامل ، ١٠ ، ٢٤٦ ـ ٢٤٧ . الباهر ، ٣٦ ـ ٣٧ . مفرج الكروب ، ٣٥ ـ ٣٧ .

وجدد سور حلب، وحصنها، ونقل جثة والده «قسيم الدولة» من «قرنينا» ـ وكان مدفوناً بها ـ ودفنه في شمال المدرسة الزجاجية(١)، وزاد في وقفها لاجل القراء المرتبين في التربة(٢).

وباستيلائه على حلب جعل منها قاعدة حربية بوجه الصليبيين، يوجه قواته منها لضربهم، وكان له نصر مبين بعد ان استحكم شرهم في بلاد الشام.

ـ ٥ ـ

وفي سنة ٥٢٣ هـ بينما كان عماد الدين جاداً في فتح البلاد، وتنظيم ادارتها، واعداد الجيوش لمكافحة الاعداء، جاء السلطان محمود الى بغداد، ومعه دبيس بن صدقة الذي كان قد التجأ اليه، وعرض السلطان على الخليفة المسترشد ان يرضى عن دبيس، فأبى، وتقدم دبيس فعرض على الخليفة مائة الف دينار على ان يوليه بعض البلاد، ولما علم عماد الدين ان السلطان يريد ان يوليه الموصل، توجه الى بغداد بجيش كبير وتجمل وحمل معه مائة الف دينار وهدايا قيمة وخيلا للسطان، واعلم السلطان باهمية ما يتولاه وما قد اعده لاعدائه.

وكان الرأي العام في بغداد مع عماد الدين، ولما دخل دبيس بغداد اظهروا كرهه وبغضه، وصاروا يلعنونه، فهو الذي حاول نهب بغداد ـ كما قدمنا ـ وهو الذي ساعد الصليبيين، ولعماد الدين من المواقف المشرفة مع الخليفة والسلطان وحفظ بغداد، وسعيه في جمع البلاد تحت راية واحدة ليفتك بالصليبيين.

والخليفة نفسه يفضل بقاء عماد الدين في الموصل، فكتب الى السلطان مبيناً له مكانته واقتداره في حفظ البلاد، وكسر شوكة الاعداء، ومثالب دبيس وما فعله مع الصليبيين، وضمن للسلطان مائة الف دينار على ان يعيد عماد الدين الى ما كان عليه ـ كل هذا حمل السلطان ان يعيده، بعدما اضافه ثلاثة ايام وملكه، الموصل والجزيرة والرحبة وحلب، والتوقيع له بجميع البلاد الشامية، فعاد مسرعاً الى مكانه(٣).

---

(١) انشأها بدر الدولة ابو الربيع سليمان بن عبد الجبار بن ارتق صاحب حلب سنة ٥١٦ هـ وهي اول مدرسة بنيت بحلب (انظر عنها، الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة، ١: ١، ٩٦ ـ ٩٨)

(٢) الكامل، ١٠، ٢٤٧ ـ ٢٤٩، الباهر، ٣٧ ـ ٣٨، مفرج الكروب، ١، ٣٧ ـ ٤٠، زبدة الحلب، ٢، ٢٣٧ ـ ٢٤٥، ابو الفدا، ٢، ٢٣٩، البداية والنهاية، ١٢، ١٩٩ ـ ٢٠٠.

ـ ٦ ـ

كانت حماة تابعة «لتاج الملوك بوري بن طغتكين» ـ صاحب دمشق ـ فولاها ابنه « بهاء الدين سونج » وكان ظالماً . ولما علم بأمره عماد الدين ، عبر الفرات الى بلاد الشام ، واظهر انه يريد جهاد الصليبيين ، وارسل الى تاج الملوك يطلب معونته ، فارسل هذا الى ابنه سونج وجماعة من الامراء المقدمين ان يسيروا الى عماد الدين ، فالتحقوا به ، واكرمهم وأحسن لقاءهم ، وتركهم اياماً ، ثم غدر بهم ، فقبض على سونج والامراء الذين كانوا معه ، ونهب خيامهم واعتقلهم في حلب ، وسار من يومه الى « حماة » وكانت خالية من الجيش واستولى عليها .

وكان معه « قرجان بن قراجة » ـ صاحب حمص ـ وهو الذي حسن له الغدر بصاحب حماة ـ فقبض عليه عماد الدين ونهب خيامه وامواله ، وانتقم الله منه لظلمه الناس ، وتقدم عماد الدين الى حمص وحصرها ، وطلب من قرجان ان يأمر ولده وقواده بتسليمها ، فأبوا ، وادرك الشتاء ، فعاد عماد الدين الى الموصل ومعه قرجان والقواد الذين اعتقلهم[١] .

ـ ٧ ـ

بعد ان فرغ عماد الدين من البلاد الشامية ونظم اعمالها ، ورتب جيشها ، عاد الى الموصل وديار الجزيرة ، ليستريح جيشه ،ويتجهز لغزو الاعداء ، فتوجه الى « حصن الاثارب » سنة ٥٢٤ هـ ، وكان بينه وبين حلب ثلاثة فراسخ ، ومن به من الصليبيين قد ضيقوا على اهل حلب ، فهم معهم في حرب مستمر ، ولما علموا بعزمه جمعوا ما امكنهم من جيش وعدد ، لانهم يعلمون قوة عماد الدين وبطشه ، وان هذه الواقعة لها ما بعدها .

اعد عماد الدين العُدد ليقصد حصن الاثارب ولما علم به اهل الحصن جمعوا ما امكنهم ، استشار عماد الدين اصحابه في امر الحصن ، فاشاروا عليه بالعودة ، لان الصليبيين قد اعدوا ما امكنهم ،وما هو خطر عليهم ، ولا يدرون لمن ستكون العاقبة . فلم يوافقهم ، وقال لهم ، ان الفرنج متى رأونا عدنا من ايديهم طمعوا ،

---

(٣)(١) الكامل ، ١٠ ، ٢٤٩ . المنتظم ، ١٠ ، ١١ ـ ١٢ . مرآة الجنان ، ٣ ، ٢٢٩ ، زبدة الحلب ، ٢ ، ٢٣٧ ـ ٢٤٤ ، الباهر ، ٣٧ ـ ٣٨ ، مفرج الكروب ، ١ ، ٣٧ ـ ٤٠ ، ابو الفدا ، ٢ ، ٢٣٩ . النجوم الزاهرة ، ٥ ، ٢٣٤ .

وساروا في اثرنا ، فخربوا بلادنا ، ولا بد لنا من لقائهم على كل حال ، فقصدهم في بلدهم يوقع الرعب في قلوبهم ـ وهو رأي صائب ـ .

تقدم الى الحصن سنة ٥٢٤ هـ ، وشدد في حربهم ، فقاوموه مقاومة شديدة ، ولكنه ضربهم بقوة ، فانهزموا وقتل منهم خلقاً كثيراً ، وامر عسكره بالانجاز عليهم والفتك بهم ، وقال لهم : هذا اول مصاف عملناه معهم ، فلنذقهم من بأسنا ما يبقى رعبه في قلوبهم . ففعلوا ما أمر به ، وبقيت عظام القتلى عشرات السنين ، ثم هدم الحصن وجعله ركاماً ، فكانت هذه الحرب شديدة الوقع على الصليبيين ، واعلمهم انه قد جاءهم ما لم يكن في حسابهم ، فردهم على اعقابهم ، وكسر شوكتهم ، وصار قصاراهم حفظ ما بأيديهم ، بعد ان كانوا قد طمعوا في البلاد .

ثم داوم زحفه على حصن « حارم » واجتمع من الصليبيين من لم يحضر واقعة حصن الاثارب ، ومن نجا منها ، ولكنهم عجزوا عن دفعه ، وتقدموا اليه يسألونه الصلح على نصف دخل حارم(×) ، فأجابهم الى ذلك ، لان جيشه كان تعباً من المعركة ، وخير له ان يستريح ليكون على استعداد ليوم آخر[1] .

ـ ٨ ـ

كان عماد الدين يغتنم الفرص للقضاء على الامارات المستسلمة التي اضعفت قوى المسلمين ، وجعلت بلادهم طعمة للاعداء ، وبعد ان اعطى درساً قاسياً للصليبيين ، عاد الى بلاد الجزيرة .

بلغه ان « حسام الدين تمر تاش بن ايلغازي الارتقي » ـ صاحب ماردين ـ وابن عمه « داود بن سقمان » ـ صاحب حصن كيفا ـ ومعهما صاحب آمد قد اجتمعوا لحربه في عشرين الف مقاتل ، وهم يريدون قصده ، واسترجاع نصيبين ، لانها من المدن المهمة ، ومنها يكون انطلاق جيوشه الى الامارات الارتقية في منطقة ديار بكر ، وعماد الدين قد دبر امورها واتخذها مركزاً حربياً لتسيير جيوشه منها .

---

(١) الكامل ، ١٠ ، ٢٥٢ ـ ٢٥٣ ، الباهر ، ٩٣ ـ ٩٤ ، أبو الفدا ، ٣ : ٣ ـ ٤ .

(×) حصن حصين وكورة تجاه انطاكية ، فيها اشجار ومياه (معجم البلدان ، ١٩٩٣ .

فسار اليهم في أربعة آلاف مقاتل ، وشدد في حربهم وضربهم ، فاندحروا ، وفر الارتقيون ، فزحف الى « سرجة »(×) ـ سرجين ـ وملكها ثم الى « دارا » واستولى عليها مع عدة قلاع ، واراد ان يداوم بزحفه الى حصن كيفا ويستولي عليها ، ولكن وعورة الطريق وقلة جيشه حالا دون هذا .(١)

ـ ٩ ـ

كان عماد الدين يراقب سير الامور فيما يكون بين الخليفة والسلاجقة بتحفظ ، فيحفظ توازنه ، ويكون مع الطرف الذي يستفيد من محالفته .

ففي سنة ٥٢٥ هـ توفي السلطان محمود ، واراد عماد الدين ان يغتنم الفرصة فيحمل الخليفة المسترشد على ان يقيم الخطبة ببغداد للملك السلجوقي « الب ارسلان » اتابكه الذي كان عنده في الموصل ، ليعزز مكانته في البلاد ، ويكون صاحب الكلمة فيها .

فلم يوافق الخليفة لان آلب ارسلان كان صبياً ، وكان والده قدعهدبالأمر من بعده لولده داؤد ـ وقد خطب له الامراء والحكام ـ وان البت في هذا يكون بأمر السلطان الكبير « سنجر بن ملكشاه » ، فهو عم الاولاد ، وله الكلام الفصل في مثل هذا الامر .(٢)

كان سلاطين السلاجقة في نزاع مستمر على العرش السلجوقي ، وعماد الدين يكون مع من يرجو نفعه ، ولما تنازع السلطان مسعود مع اخيه « سلجوق شاه بن محمد » على السلطنة ساعد عماد الدين السلطان مسعود على ان يعطيه مدينة اربل ، ولكن جيشه اندحر قرب المعشوق وخسر عدداً كبيراً من قواته بين قتيل واسير ، وسار عماد الدين الى تكريت وكان يتولى قلعتها « نجم الدين بن ايوب بن شادي » ـ والد صلاح الدين ـ فقدم له المعابر واعانه في تدبير أمره ولم ينس عماد الدين هذا الفعل الجميل لنجم الدين ، فقربه وانعم عليه ، واتخذه من رجاله ، فكان سبباً لظهور أسرة ايوب (٣) .

(١) الكامل ، ١٠ ، ٢٥٣ ، الباهر ، ٣٨ ـ ٣٩ .

(٢) ، (٣) مفرج الكروب ، ٤٦ ، ٤٧ ، الباهر ، ٤٣و١١٩ ـ ١٢٠ ، الكامل ، ١٠ ، ٢٥٧ ، المنتظم ، ١٠ ، ٢٥

(×) حصن بين نصيبين ودنيسر ودارا (معجم البلدان ، ٥ ، ٦٤) .

ان مسعود وسلجوق شاه كانا يحذران من عمهما « سنجر » ان استمرا في النزاع ، فانه سيقضي عليهما ، واتفقا على قتاله ، فلجأ سنجر الى عماد الدين على ان يقوم هو و « دبيس بن صدقة » في مساعدته باحتلال بغداد ، والخطبة له فيها ، على ان يولي عماد الدين شحنكية بغداد اضافة الى ما كان بيده ، واقطاع الحلة « لدبيس بن صدقة »[١] .

أما الخليفة فكان مع سنجر ، ولما اقترب عماد الدين ودبيس من بغداد تصدى لهما الخليفة وهزمهما .

ساءت العلاقة بين السلطان مسعود وعماد الدين ، خاصة وأن مسعوداً غدا سلطانا على سلاجقة العراق وفارس بعد أن قضى على خصومه ، وكان مسعود يحذر جانب عماد الدين ، ويرغب في استمالته اليه ، كما كان الخليفة يريد أن يكسبه الى جانبه .

وفي سنة ٥٢٧ هـ كانت الحرب بين السلاجقة ، ولجأ بعضهم الى بغداد ، فزاد نفوذ الخليفة ، وصار يجبي الاموال لحسابه ، وأراد أن يغتنم الفرصة ، فأرسل الى عماد الدين الشيخ بهاء الدين أبا الفتوح الاسفراييني برسالة فيها خشونة وتهديد ، وزادها الاسفرايني ثقة منه بقوة الخليفة ، وأنه يتكلم باسم أمير المؤمنين ، فقبض عليه عماد الدين وأهانه ، وأعلم الخليفة السلطان مسعوداً بما جرى ، وسار الخليفة لحصار الموصل في ثلاثين الف مقاتل ، فترك عماد الدين الموصل الى سنجار ، وأبقى قسما من جيشه فيها بقيادة « نصير الدين جقر » ليدافع عنها ، فحصن جقر الموصل ورمم سورها ، وعمق خندقها ، وتمكن من صد هجوم الخليفة ، كما ان عمادالدين كان يغير على جيش الخليفة ويفتك به ، وقطع عنه الميرة ولم يتمكن الخليفة من فتح الموصل ، فطالت مدة الحصار وجيشه في تناقص وضعف ، كما أن السلطان مسعود لما علم بانشغال الخليفة بالحصار ، توجه الى بغداد ، ومعه دبيس بن صدقة ، فاضطر الخليفة الى رفع الحصار والانحدار الى بغداد قبل وصول مسعود اليها .[٢]

رأى الخليفة المسترشد من مصلحته أن يصالح عماد الدين بعدما رأى من قوته وتدبيره ، فأرسل اليه سنة ٥٢٨ هـ يطلب التصالح ، فأجابه عماد الدين لان كلا منهما كان ضد السلطان مسعود ، واستمرت الهدايا والوفود بين الطرفين ، فأرسل

---

(١) الكامل ، ١٠ ، ٢٥٧ - ٢٥٨ ، الباهر ، ٤٤ المنتظم ، ١٠ ، ٢٥ - ٣٦

(٢) الكامل ، ١١ ، ٢ ، الباهر ، ٤٧ مفرج الكروب ، ١ ، ٥٢ ، المنتظم ، ١٠ ، ٣٠

الخليفة قاضيه الى عماد الدين، فخلع عليه وزاد في اكرامه، وفي سنة ٥٢٩ هـ أرسل عماد الدين ابنه سيف الدين غازي الى الخليفة مؤكداً له ولاءه وطاعته، فاستقبل استقبالا حافلا في موكب يسير الى دار الخلافة وأنزل في دار اعدت خصيصاً له .(١)

ـ ١٠ ـ

كان عماد الدين قد وجه قوته الى بلاد الجزيرة، والقضاء على الدويلات الضعيفة، وضرب الصليبيين في الشام وبلاد الجزيرة والحد من قوتهم، ولم يكن يهتم بالبلاد الشرقية المجاورة له، لانه لم يكن فيها من يخشى منه، كما كانوا يحذرون جانبه.

ولما عظم أمره وحارب الخليفة والسلاجقة، رأى من التدبير أن يستولي على هذه البلاد، فيكون في مأمن من أن يحالفهم الخليفة أو السلاجقة، خاصة وأنه رأى ميل بعضهم الى الخليفة عندما حاصر الموصل سنة ٥٢٨ هـ. فان «عيسى الحميدي» جمع الاتراك وساعد الخليفة في الحصار. فسار الى بلاد الاكراد الحميدية واستولى على قلعتي العقر(٢) وشوش(٣) انتقاماً من عيسى الحميدي الذي ساعد الخليفة، وأجلى الحميدية عن بلادهم.

ولما رأى «أبو الهيجاء بن عبد الله بن ابي الخليل بنمرزبان الهكاري» صاحب قلعة: آشب والجزيرة ونوش ما فعله عماد الدين بالاكراد الحميدية، سار الى عماد الدين في الموصل وطلب الأمان، وحمل اليه الاموال والهدايا، وبقي عنده في الموصل، وأعطى ابنه أحمد قلعة نوش، وترك في آشب نائبا عنه اسمه «باو الارجي» وبها ابنه الصغير علي لتكون له.

وبعد موت أبي الهيجاء سار ابنه أحمد الى آشب ليملكها، فمنعه باو، فاغتنم عماد الدين الفرصة وسار الى آشب واستولى عليها وعاد الى الموصل، وخرب نصير

---

(١) الكامل، ١١، ١٠ ـ ١١، الباهر، ٤٩، المنتظم، ٤٥ ـ ٤٧

(٢) العقر، وتسمى عقر الحميدية، يسكنها اكراد حميدية، وهي تابعة لمحافظة نينوى، وفيها قلعة حصينة، وتسمى اليوم «عقرة» وهي مدينة جميلة فيها بساتين كثيرة (منية الادباء، ٥٤)

(٣) شوش، قرية كبيرة تابعة لعقرة، فيها قلعة قديمة، والقرية في سفح الجبل، مشهورة بجودة التين (منية الادباء، ٥٤)

الدين جقر قلعة اشب ، وبنى قلعة العمادية[1] « قلعة الجلاب » ، واستولى على قلاع المهرانية ، وبلاد الهكارية ، وقلعة اردمشت وبذا استولى على القلاع المنيعة التي كانت في الجهة الشرقية من بلاده ، فأمن جانبهم[2] .

ـ ١١ ـ

رأى عماد الدين أن يستولي على الطريق الذي بين أربل وبغداد ، وما حوله من قلاع ليأمن جانب الخليفة والسلاجقة، فسار الى «داقوق» سنة ٥٣١ هـ وشدد الحصار عليها ، وفتحها .

وبما أن « شهرزور » وسط سهل واسع يمتد بين أربل وهمدان يسكنه الاكراد ويحكمهم الأمير « قفجاق بن أرسلان تاش التركماني » وكان نافذ الكلمة في البلاد ، ويرى التركمان طاعته مما جعل الملوك والامراء يتجنبون بلاده . ولا يخفى ما لهذا من خطر على ممتلكات عماد الدين ـ وكان أصحابه يحذرونه بعدم التعرض له . ولكنه رأى لا بد من منازلته وازالة الخطر الذي يحذره منه ، اذ ربما تحالف مع السلطان مسعود عليه ، فيكون خطره أكبر مما هو عليه الآن .

وفي سنة ٥٣٤ هـ سير جيشاً قوياً اليه ، وأخذ قفجاق يستدعي الاتراك ، ولكن جيش عماد الدين كان يتلقاهم بشجاعة وثبات ، ويفتك فيهم ، فانهزموا تاركين أثقالهم ، واستمر زحف جيش عماد الدين الى قلعة شهرزور ودخلوها بلا مقاومة ، ثم أخذوا يطاردون الاتراك وفرقوهم ، وأمرهم عماد الدين بحسن معاملة الاكراد ، واصلاح حالهم ، وازالة التكاليف التي كانوا يلقونها من الاتراك ، ثم بذلوا الامانة لقفجاق فأجابهم ، ودخل يعمل في جيش عماد الدين ، وهكذا سيطر عماد الدين على هذا الموقع المهم[3] .

---

١ العمادية ، من امنع القلاع الهكارية تبعد عن الموصل ١٦٨ كيلو مترا تحف بها الوديان من جهاتها الأربع وكانت في العهد الاشوري تسمى آمات ، والعمادية مشيدة على انقاض قلعة آمات سنة ٥٣٧ هـ واما أشب فهي قلعة خربة قرب العمادية تسمى في الوقت الحاضر (قلعة آشوا)

منية الأدباء : ٢١٨ ـ ٢٢٠

(٢) الكامل ، ١١ ، ٥ ـ ٦ ، ابو الفدا ، ٣ ، ٨ ، مفرج الكروب ، ١ ، ٥٥ ـ ٥٦

(٣) الكامل ، ١١ ، ٣١ ، الباهر ، ٥٧ ـ ٥٨

ـ ١٢ ـ

كان عماد الدين لا يترك الصليبيين بلا حرب ، فكان يباغتهم ويفتك بهم ، ولا يمهلهم ليجمعوا قوتهم وفي سنة ٥٣٠ هـ أرسل ـ على حين غفلة ـ جيشاً كبيراً الى اللاذقية ، ولم يكن الصليبيون يتوقعون حربه ، ففتك جيشه في المدينة قتلاً وأسراً ، وغنموا غنائم كثيرة ، وأسروا سبعة آلاف اسير ، وعادوا الى «شيرز» مثقلين بالغنائم بعد أن خربوا المدينة . كانت هذه الواقعة ضربة قوية للصليبيين ، أعلمتهم أن حروبه مع غيرهم لم تثنه عنهم ، فهو لهم بالمرصاد . كما أنها عززت مكانته عند المسلمين ، وصار يخشاه أهل البلاد المجاورة ويخطبون وده(١) .

ـ ١٣ ـ

لما اشتد النزاع بين الخليفة الراشد والسلطان مسعود ، لجأ الخليفة الى عماد الدين ، وسار معه الى الموصل ، وهنا ما حمل السلطان أن يخلع الخليفة ويبايع المتقي لأمر الله .

كان عماد الدين يريد أن يقوى مركزه بوجود الخليفة الراشد عنده ، فأرسل وفداً الى بغداد ، وعليه كمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزوري ليفاوض السلطان في أمر تقرير الخلافة للراشد . كما أرسل الخليفة الراشد رسولاً آخر معه ، أما رسول الخليفة فلم تسمع رسالته ، ولكنهم احتفوا برسول عماد الدين وأكرموه كثيراً ، ولما حضر الديوان اعلمهم أن أمير المؤمنين الراشد عندهم في الموصل ، وأن بيعته في رقاب المسلمين ، ولا يجوز مبايعة غيره .

ثم انهم استمالوه بالهدايا والتحف والمال ورغبوه في مبايعة المتقي ، وشهد الشهود بما يوجب خلع الخليفة الراشد ، فرضي الشهرزوري على أن يعطي عماد الدين ما يرضيه من عطاء الخليفة ، صريفيين ودرب هارون ، وأن يزاد في القابه ، وهذا انعام لم يسمح لاحد من امراء الاطراف ان يكون له في املاك الخليفة في العراق اقطاع ، وعاد الشهرزوري بعد ان حلف السلطان ، واستحلفه السلطان لعماد الدين(٢) .

---

(١) الكامل ، ١١ ، ١٦ ـ ١٧ ، ابن القلانسي ، ٢٥٥ ، أبو الفدا ، ٣ ، ١١ .

(٢) الكامل ، ١١ ، ١٧ ـ ١٩ ، الباهر ، ٥٣ ـ ٥٤ ، ابو الفدا ، ٣ ، ١١ ، زبدة الحلب ، ٢ ، ٢٥٩ ـ ٢٦٠ ، المنتظم ، ١٠ ، ٦٧ ـ ٦٨ ، مفرج الكروب ، ١ ، ٧٠

التفت عماد الدين بعد هذا الى بلاد الشام ، وحاصر قلعة « بارين » - بعرين - سنة ٥٣١ هـ ، وضيق عليها ، فخف الصليبيون لانقاذها ، فصدهم وفرق شملهم . وعرض عليه أهل بعرين يطلبون الامان ، فشرط عليهم تسليم الحصن وخمسين الف دينار ، ففعلوا ، واغتنم فرصة اندحار الصليبيين ففتح المعرة وكفرطاب ، وأعاد أملاك المسلمين التي كان قد اغتصبها الصليبيون الى أصحابها(١) .

وفي سنة ٥٣٢ هـ تسلم حصن المجدل ، وكان لصاحب دمشق ، وراسله صاحب بانياس وأطاعه(٢) .

خاف الصليبيون عاقبة هذا الزحف القوي ، فجمعوا أمرهم ، واستنجدوا بملك البيزنطيين « يوحنا الثاني كالوجوهانيز Colohojohne » ، ولم يكن لعمادالدين قدرة على استمرار مقاومتهم ، فسعى في بث التفرقة بينهم ، وحذر الصليبيين من الملك البيزنطي وقوته ، وانه سيقوم بالاستيلاء على بلادهم ، واوهم ملك البيزنطيين ان الصليبيين غير مطمئنين منه ، وانهم سيتخلون عنه ، ففرق بينهم ، فانسحب ملك البيزنطيين عن مدينة شيزر ، وترك ما كان عنده من أدوات الحرب ، وطارده عسكر عمادالدين ، وفتك به ، ثم انثنى على الصليبيين وفرقهم ، وفي هذا يقول المسلم بن الخضر بن المسلم بن قسيم الحموي :(٣)

بعزمك أيها الملك العظيم ... تذل لك الصعاب وتستقيم
الم تر ان كلب الروم لما ... تبين انك الملك الرحيم
فجاء يطبق الفلوات خيلا ... كأن الجحفل الليل البهيم
فحين رميته بك في خميس ... تيقن ان ذلك لا يدوم
وأبصر في المفاضة منك ليثا ... فأخرق - لا يسير ولا يقيم
كأنك في العجاج شهاب نور ... توقد ، وهو شيطان رجيم
أراد بقاء مهجته فولى ... وليس سوى الحمام له حميم
يؤمل ان تجود بها عليه ... وأنت بها وبالدنيا كريم
أيلتمس الفرنج لديك عفوا ... وأنت بقطع دابرها زعيم
وكم جرعتها غصص المنايا ... بيوم فيه يكتهل الفطيم
ولما ان طلبتهم تمنى الـ ... ـمنية جوسلينهم اللئيم
قسار - وما يعادله مليك - ... وعاد - وما يعادله سقيم -
اذا خطرت سيوفك في نفوس ... فأول ما يفارقها الجسوم

(١) الكامل ، ١١ ، ٢١ ، ٢٢ . أبو الفدا ، ٣ ، ١٢ .

(٢) الكامل ، ١١ ، ٣٢ . أبو الفدا ، ٣ ، ١٢ - ١٣ .

(٣) الكامل ، ١١ ، ٢٨ - ٢٩ . الموصل في العهد الاتابكي ، ٢٤ .

كانت مدينة دمشق من أهم الحواضر التي سعى عمادالدين بأخذها من أبناء « طغتكين » ، وصار يترقب الفرص . وكان أميرها « اسماعيل بن بوري » سيء السيرة ظالما ، لم يرض اهل دمشق عن أعماله ، وهم معه في نزاع مستمر . فلجأ هذا الى عمادالدين ، وكتب اليه أن يسلمه المدينة على أن ينتقم له من خصومه ، والا فانه سيسلمها الى الصليبيين ، وان أهل البلد دبروا مع أمه فاغتالوه سنة ٥٢٩ هـ وأقاموا أخاه « محمود » في محله ، فزحف عمادالدين الى المدينة ، وشدد عليها الحصار ، فدافع أهلها عنها ، وقدموا خمسين ألف دينار للخليفة على أن يحمل عمادالدين على رفع الحصار ، وهم يدفعون له كل سنة هذا المبلغ ، فرفع عمادالدين الحصار عنها ، وتوجه الى « حماة » واستعادها ، ثم زحف الى « حمص » فحاصرها الى سنة ٥٣٠ هـ ، فلم يتمكن من فتحها خاصة بعدما علم أن الصليبيين يريدون مباغتته ، وبعد أن دحر الصليبيين واستولى على حصن المجدل وبعلبك وبانياس ، وهي معاقل مهمة لآل طغتكين ، هم أن يزحف الى دمشق ولكن تهديد امبراطور البيزنطيين أشغله عنها(١) .

لجأ عماد الدين الى الطرق السلمية في معالجة الموقف مع الدمشقيين ، فوطد علاقته معهم بالمصاهرة ، فتزوج من « صفوة الملك زمرد خاتون بن الامير جاولي » والدة محمود حاكم دمشق ، وزوج حاكم دمشق من ابنته ، سنة ٥٣٢ هـ وتم الامر على أن يسلموه حمص ويعوض واليها حصن بعرين(٢) .

وفي سنة ٥٣٣ هـ قتل شهاب الدين محمود مماليكه ، فكتب « أنر » نائبه الى أخيه الصغير « جمال الدين محمد بن بوري » يستحثه ، فأسرع هذا الى دمشق وحلف له الجند ، وصار « أنر » هو الحاكم المطلق في البلد . وفي سنة ٥٣٤ هـ أعاد عماد الدين الكرة على حصار دمشق ، وفاتح أهلها ومناهم وبذل لصاحبها جمال الدين بعلبك وحمص ، فلم يأمن أهل البلد جانبه ، ومات جمال الدين ، فأقاموا ابنه « مجير الدين ارتق بن محمد » و « أنر » هو صاحب الدولة . فاستجار بالصليبيين فتقدموا لنجدته ، وصدهم عماد الدين ، ولم يفلح في فتح دمشق .

---

(١) ابن القلانسي ، ٢٤٨ ، ٢٥٢ ، الكامل ، ١١ ، ١٥ ـ ١٦ ، زبدة الحلب ، ٢ ، ٢٥٩ ـ ٢٦٢ .
(٢) الكامل ، ١١ ، ٣٢ ، ابن القلانسي ، ٢٦٦ ـ ٢٦٧ ، مرآة الزمان ، ٨ ، ١٦٥ .

ولو قدر لعماد الدين أن يفتح دمشق ويستولى على أملاك بني طغتكين ، لكان نصرا مبينا للمسلمين،وفي استطاعته أن يضرب الصليبيين اقوى ضربة ، ولكن مطامع ذوي النفوس الدنيئة ، وتقديم مصالحهم الخاصة على مصالح البلاد ـ دفعهم أن يستنجدوا بأعدائهم ، وأخروا تحرير البلاد من الدخلاء .

وفي سنة ٥٤٠ هـ استعد عماد الدين ما أمكنه لفتح دمشق ، ولما كان في « الرها » علم أن سكانها من الارمن قد راسلوا « جوسلين الارمني » ، وهم يسعون لاعادتها الى الصليبيين ، فتوجه اليهم ونكل بهم .

وفي سنة ٥٤١ هـ حاصر قلعة « جعبر » وهي « لعلي بن سالم العقيلي »، **فاغتاله** مماليكه بتدبير من الصليبيين وأمراء السوء الذين باعوا البلاد والعباد لاعدائهم . قتله مملوكه « يرنقش » في ٥ ربيع الاول ، وفر الى قلعة جعبر ، ولما أعلمهم بقتله ، قالوا له : اذهب الى لعنة الله ، قتلت المسلمين كلهم بقتله(١)

ـ ١٥ ـ

كان عماد الدين أقوى شخصية في الشرق الاوسط ، الكل يحذرونه ويدارونه ويخشون بأسه ، ولا شك أن حادثة قتله كانت مؤامرة دنيئة دبرها امراء الاطراف مع الصليبيين والباطنية ، وكلهم اعداؤه ، قد كسر شوكتهم ، ونكل بهم ، فكانت حياته دورا فاصلا في تاريخ الشرق ، قضى على الامارات الهزيلة والنفوس الذليلة التي كانت تتحكم في أهل البلاد ، وجمع القوات الاسلامية تحت راية واحدة ، فانثنوا على الصليبيين ودحروهم ، وحرروا بلادا كثيرة من ظلمهم ـ وصاروا مهاجمين بعد أن كانوا مدافعين ، ولو مد الله في حياته لوجدناه يطهر البلاد من الصليبيين وأذنابهم ، فهو الذي بعث في أهل البلاد العزة والكرامة ، فكانت أعماله وسيرته قدوة صالحة ، سار عليها ولده نور الدين،واقتفى أثره صلاح الدين الايوبي ، فكانت أعمالهما اتماما لما قام به عماد الدين ، فهو الذي خطط ونظم .

لم يرث عمادالدين ملكا او ثروة ، وانما شب منذ نعومة اضفاره على الحرب وقيادة الجيوش وتدبير المعارك ، لم يعرف الراحة ، مجدا في اعماله ، يهدف الى جمع القوى تحت راية واحدة لتطهير البلاد من الدخلاء ـ الصليبيين ـ فهو رجل حرب وضرب

(١) الكامل ، ١١ : ٤٤ ـ ٤٥ ، مرآة الزمان ، ٨ : ١٩٠ ـ ١٩١ زبدة الحلب ، ٢ : ٢٨٢

وسياسة وتدبير . يكون أمام جيشه عند اشتداد الامر . وقدوة صالحة في التفادي والهجوم على الاعداء . تمكن بدهائه وحسن تدبيره أن يؤسس دولة مرهوبة الجانب . تمتد من شهرزور شرقا الى أواسط بلاد الشام غربا . ومن آمد وديار بكر وجبال الاكراد الهكارية والحميدية شمالا الى الحديثة جنوبا . فكان الملوك يسترشدون برأيه ويستعينون بشجاعته وقوة جيشه . فكانت حياته : « اما لصد عدو يقصده ، أو لانقاذ بلد ، أو لغزو الفرنج ـ الصليبيين ـ وسد الثغور . فكانت ميائر السروج آثر عنده من وثير المهاد ، والسهر في حراسة المملكة أحب اليه من عرض الوساد ، واصوات السلاح الذ في سمعه من غناء القينات »(١).

وامتاز عماد الدين بصفات أكسبته النصر والظفر ، وذلك :

(١) كان يحسن اختيار الرجال ذوي الهمم العالية ، والآراء الصائبة ، والانفس الأبية ، ويوسع عليهم في العطاء ، فاجتمع عنده من رجال الادارة والسياسة والجيش والتدبير والعلم والدين ما لم يجتمع عند غيره . يقول ، ابن الاثير : « كانت دولة أتابك مملوءة بالرجال والاجناد وذوي الرأي والتجربة »(٢).

وكان يمتحنهم فاذا وثق من عامل لا يتغير عليه أبدا . فلا يرفع أحدا فوق قدره الذي يستحقه ، ولا يضعه دونه . ويثق الى كل منهم على قدر ما يعلم منه . ويقول ابن الاثير منه : « كان قليل التلون والتنقل ، بطيء الملل والتغير ، شديد العزم ، لم يتغير على أحد من أصحابه مذ ملك الى أن قتل ، الا بذنب يوجب التغير . والامراء المقدمون الذين كانوا معه أولاً الذين بقوا أخيراً من سلم منهم من الموت ، فلهذا كانوا ينصحونه ويبذلون نفوسهم في خدمته »(٢).

(٢) كان يجزل لهم العطاء ويعطيهم ما يفيض عن حاجتهم . قيل له مرة : ان كمال الدين الشهرزوري يحصل له كل سنة منك ما يزيد على عشرة آلاف أميرية ، وغيره يقنع منك بخمسمائة دينار . فقال لهم : بهذا العقل والتدبير تديرون دولتي ؟ ان كمال الدين يقل له هذا القدر . فان شغلا واحدا يقوم به كمال الدين خير من مئة الف دينار

(١) الباهر ، ٥٨

(٢) الباهر ، ٧٩ ، ٨٣ وممن نقلهم من حلب الى الموصل ، ليستفيد من علمهم وتدبيرهم الشريف زهرة بن علي بن محمد بن ابراهيم الاسحاقي بن الحسيني كان من اكابر الرجال وذوي الرأي والاصالة والوجاهة مقدماً في بلده . يرجع الناس الى امره ونهيه . معظم القدر نقله عمادالدين سنة ٥٣٩ الى الموصل ، ونقل معه القاضي ابا الحسن بن الخشاب ، وعز الدين ابا عبد الله محمد بن اسماعيل الحلبي وغيرهم الاعلاق الخطيرة ، ١ ، ١ ، ٩٧

ونحن نعلم من هو كمال الدين ، ومواقفه مع عماد الدين مذ تولى الى ان توفي ، فهو من مدبري دولته ، ومن اخلص الناس له في حياته وبعد مماته .

هذا العطاء الواسع لرجال دولته ، وشدته معهم ، كفهم عن التسلط على اموال الناس ، فلم يبق لهم عذراً في ذلك .

(٣) يمنع اصحابه من اقتناء الاملاك ، لانه يعلم حق العلم ان الاملاك اذا صارت الى ذوي السلطان ، فانهم يظلمون الناس ويغصبون حقوقهم . وكان يقول لاصحابه ، « مهما كانت البلاد لنا فأي حاجة لكم الى الاملاك ، فان الاقطاعات تغني عنها ، وان خرجت البلاد عن أيدينا فان الاملاك تذهب معها ، ومتى صارت الاملاك لاصحاب السلطان ظلموا الرعية وتعدوا عليهم ، وغصبوهم املاكهم »[١] .

(٤) منع رجال دولته من اثقال اهل البلاد بالضيافات كما كان عليه الامر ، وعين لكل قادم محل ضيافته ، فان كان جندياً اشتمل عليه الاجناد واضافوه ، وان كان صاحب ديوان قصد اهل الديوان ، وان كان عالماً قصد القضاة بني الشهرزوري ، فيحسنون اليه ويؤنسون غربته ، واراح اهل البلاد مما كانوا يلاقونه من الضيافات .

(٥) كان لا يمكن أحداً من رجال دولته من مفارقة البلاد ، خشية ان يستعين به العدو في الوقوف على اسرار بلاده ويقول ، « ان البلاد كبستان عليه سياج فمن كان خارج السياج يهاب الدخول ، فاذا خرج منها من يدل على عورتها ، ويطمع العدو فيها ، زالت الهيبة وتطرق الخصوم اليها »[٢] .

ولا يمكن رسول ملك يعبر في بلاده بغير أمره . فاذا استأذنه رسول في هذا ، ارسل اليه من يسيره ، ولا يتركه يجتمع باحد من الرعية ولا غيرهم ، فكان الرسول يدخل بلاده ويخرج منها ولم يعلم من احوالها شيئاً[٣] .

(٦) شديد العناية باخبار امراء الاطراف ، وما يجري لاصحابها ، حتى في خلواتهم ، ولا سيما اخبار السلاطين السلاجقة ، ويبذل المال الكثير في هذا ، فكان له من يوافيه باخبارهم ، وما يجري في خلواتهم ليلاً ونهاراً ، من اخبار الحرب والسلم ، وهزل وجد ، يصل اليه كل يوم من عيونه ما يطلعونه به .

---

(١) - (٣) الباهر ، ٧٦ ، ٨٣ ، ٩٩ .

(٧) شديد العناية والتقصي لما يكون في بلاده . فكان يطلع على الامور صغيرها وكبيرها . ويبدى رأيه فيها . ويقول : اذا لم يعرف الصغير ليمنع،صار كبيراً(١).

(٨) يعنى بجيشه عناية فائقة ، يحسن تدريبه وتجهيزه بأحسن العدد الحربية واقواها ، ويقود الجيوش بنفسه ويجعل نفسه قدوة لهم في التفادي والهجوم على الاعداء . فحروبه دينية . هي محاربة الصليبيين الذين عاثوا في البلاد . فهو يسير في جهاد مقدس ، والجهاد في الاسلام من افضل العبادات التي تقرب العبد من ربه . فكان يشوق جيشه ويحثهم على انقاذ البلاد من الطغاة الذين نكثوا في البلاد والعباد .

شديد الهيبة على عسكره ، يعطيهم ما يفيض عن حاجتهم ، ويمنعهم من ان يعتدوا على احد . فاذا سار بجيشه مشى العسكر خلفه كأنهم بين خطين ، مخافة ان يدوس العسكر شيئاً من الزرع ، ولا يجسر احد ان يدوس عرقاً منه ، ولا يمشي فرسه فيه ، ولا يجسر أحد من اجناده ان يأخذ لفلاح علاقة تبن الا بثمنها ، او بخط من الديوان وان تعدى احد صلبه ، يكف جيشه عن الظلم وهم يخشون جانبه ويحذرون عقابه(٢) ، ومن ذلك نزل بجزيرة ابن عمر ــ وكان الفصل شتاءاً ــ ونزل العسكر بالخيام ، ونزل احد أكابر امرائه عز الدين ابو بكر الدبيسي ــ وكان من ذوي الرأي عنده ــ بدار انسان يهودي اخرجه منها . فاستغاث اليهودي بعماد الدين والدبيسي الى جانبه ، فنظر عماد الدين اليه نظر مغضب،ولم يكلمه كلمة واحدة . فتأخر الدبيسي القهقرى ، ودخل البلد ، واخرج خيامه وأمر بنصبها خارج البلد . واخلى دار اليهودي من ساعته(٣) .

شديد المحافظة على أسر الجنود الذين يسيرون معه واذا تعرض أحد لهم فانه ينال أشد العقاب منه . كما فعل في دزدار جزيرة ابن عمر ، وكان يقول ، ان جندي لا يفارقوني في اسفاري ، وقلماَ يقيمون عند اهلهم . فان نحن لم نمنع من التعرض الى حرمهم هلكن وفسدن .

يحرس على دفع رواتب جيشه في اوقاتها . ويغضب اشد الغضب على المسؤولين اذا ما قصروا في دفعها ، شكا اليه بعض الخراسانية تأخر رواتبهم ، ولم يرفعوا امرهم الى

---

(١) الباهر ، ٧٨

(٢) زبدة الحلب ، ٢ ، ٢٨٣ ــ ٢٨٤

(٣) الباهر ، ٧٦

المسؤولين . فسألهم عماد الدين : اشكوتم امركم الى الديوان ؟ قالوا : لا . قال : فهل ذكرتم حالكم لصلاح الدين امير حاجب ؟ قالوا : لا . فعاتبهم بان عليهم ان يرفعوا امرهم الى المسؤولين . فان اهملوا رفعوا امرهم اليه .

كما انه عاتب الديوان وصلاح الدين وقال لهم : اذا كنتم تهملون أمر جندي الذين تحت ركابي ، ومن هو ملازمي في سفري واقامتي ، وبهم من الحاجة الى النفقات في اسفارهم ما تعلمونه . فكيف يكون حال من بعد عني ؟ وانكر عليهم(١) .

(٩) كان يتفقد أحوال بلاده ويستفيد من قابليات بعض القبائل في الحروب ، وسد الثغور ، ومقاتلة الاعداء ، ويملك بعضهم ما يستنقذونه من بلاد الصليبيين ، لكي يثبتوا في محلاتهم،ويضاعف قواتهم في الجهاد والحرب .

ومن ذلك ما فعله مع طائفة من التركمان الايوانية « فانهم كانوا أهل حرب وبأس وتدبير ، فنقلهم الى مدينة حلب مع أميرهم « الياروق » وأمرهم بجهاد الصليبيين،وأملكهم كل ما استنقذوه من البلاد ، وجعل الياروق ملكا عليهم،فكانوا أقوى جيش لاقاه الصليبيون ، لا ينفكون عن قتالهم واستولوا على الكثير من الحصون،وحموا الثغور وبقيت البلاد بأيديهم الى نحو سنة ستمائة للهجرة(٢) .

فقد أحسن التدبير في دفعهم عن بلاده،واستفاد منهم في مقاومة العدو ، فكانوا سدا منيعا بوجه الصليبيين ، يغزونهم ويفتكون بهم .

ولما ملك مدينة الحديثة سنة ٥٣٧ هـ وجد بها جماعة قوية من آل مهارش العقيلي ، وعليهم غلام بن سليمان بن مهارش العقيلي ، ورأى من الصواب أن ينقلهم من حديثة عانة التي كانت ملكا لهم ، فعزل غلام ونقل الحديثيين الى الموصل فأمن جانبهم واستفاد منهم في الحروب(٣) .

(١٠) ومن حسن سياسته أنه كان لا يظهر الخروج على السلطان أو حربه ، فاذا ما بدر من السلطان ، فانه كان يحمل امراء الاطراف على الخروج على السلطان ، فاذا فعلوا ، استعان به السلطان ، وطلب اليه أن يحملهم على طاعته ، فيكون عماد الدين كالحاكم على الجميع كلهم يدارونه وينقادون الى ما يقرره(٤) .

---

(١) ـ (٢) الباهر ، ٧٦ ، ٨٣ ، ٩٩ ، الكامل ، ١١ ، ٣٦

(٣) الكامل ، ١١ ، ٣٦

(٤) الروضتين ، ١ ، ٤٤

واذا تحالف ضده أعداؤه ، فانه كان يسعى في التفريق بينهم ، فيخيف بعضهم من بعضهم ، فيفرقهم ويأمن شرهم .

ولم يركز قوته الى جهة معينة ، وهو محاط بعدة دول وامارات ، فكان يقصد هذا مرة ، ويأخذ من غيره ، ويصانع الآخر ، ويغض الطرف عن البعض حتى تحين له الفرصة ، حتى ملك البلاد .

(١٠) وكان ديوانه يضاهي دواوين السلاطين السلاجقة في الفخامة والتجمل وعظم الحاشية والخرج ليظهر قوته أمام أعدائه ومنافسيه[١] .

يوزع ثروته في عدة بلاد ، فيجعل بعضها في الموصل ، وبعضها في سنجار ، وبعضها في حلب ، ان جرى على بعضها خلل أو حيل بينها وبينه ، استعان على سد الخلل في المال الذي في غيرها[٢] .

وهكذا ساد بلاده الأمن والرخاء بحسن سياسته، وعدله وضربه على أيدي المعتدين، واعطاء كل ذي حق حقه . فهاجر الناس اليها ، واتخذوها دار اقامة وأمن وعزة .

---

(١) ــ (٢) الروضتين ، ١ : ٤٤

سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي

٥٤١ ـ ٥٤٤ هـ

لما قتل عماد الدين كان معه ابنه نور الدين محمود ، والملك « الب ارسلان بن محمود السلجوقي » . اما ابنه سيف الدين غازي فكان في بلاد شهرزور .

والمتنفذ في الدولة وزيره « جمال الدين محمد بن علي المعروف بالجواد الاصفهاني » ، وأمير حاجب « صلاح الدين محمد الياغيسياني » ، وبينهما عداوة ، فخاف الاصفهاني من الياغيسياني واختفى عند احد الامراء ، ثم بدا له ان يفاتح الياغيسياني في تقرير امر البلاد قبل فوات الفرصة . لان الب ارسلان قد اجتمعت عليه الجيوش ، ولربما فقدا مكانتهما في الدولة .

فأرسل جمال الدين الى الياغيسياني يعلمه ، ان الامر سيخرج من ايديهم ، وان المصلحة ان نترك ما كان بيننا وراء ظهورنا ، ونسلك طريقاً يبقى به الملك في اولاد صاحبنا ، جزاء لاحسانه الينا ، فان الملك قد طمع في البلاد ، واجتمعت عليه العساكر ، ولئن لم نتلاف هذا الامر في اوله ، ونتداركه في بدايته ، ليتسعن الخرق ، ولا يمكن رقعه .

فأجابه الياغيسياني الى ذلك ، وركبا الى الملك ، وخدعاه بأن قالا له ، ان اتابك ـ عماد الدين ـ كان نائباً عنك في البلاد ، وانا باسمك كنا نطيعه ، فظن قولهما حقاً ، فقربهما واطمأن لهما .

ثم انهما ارسلا الى زين الدين يعلمانه بأن يستدعي سيف الدين غازي ـ الولد الاكبر لعماد الدين ـ من شهرزور ويمكنه في الموصل . وأشار اسد الدين شيركوه على نور الدين محمود ان يسير الى حلب ويدبر البلاد ، خشية من هجوم الصليبيين .

اما جمال الدين فكان يحلف الامراء لسيف الدين غازي ، ويأمرهم بالمسير مع العساكر الى الموصل ، فأخذوا يتسللون اليها ، ولم يبق مع الملك الب ارسلان الا عدد قليل من الجيش ، وقد اشغله جمال الدين بالشرب والقيان ، حتى تمكن امر سيف الدين غازي .

سار الب ارسلان الى الرقة ، ومنها الى ماكسين وهو مشغول بلذاته ، وامره في ضعف وادبار ، ولما توجه الى سنجار ، ارسل جمال الدين الى دزدار ـ محافظ ـ قلعة سنجار ان يعلم الب ارسلان بولائه وانه تابع للموصل ، فمتى دخلت الموصل

سلمت اليك ، فسار الب ارسلان في نفر قليل من الجيش الى بلد ، وعبر الى الجانب الثاني من دجلة ، وقد تمكن سيف الدين غازي بالرجال والعدد ، فأرسل الى الب ارسلان الامير عز الدين ابا بكر الدبيسي في جيش ، فأسره واعتقله في قلعة الموصل ، وكان آخر العهد به .

واقر سيف الدين غازي زين الدين على ما كان عليه من ولاية الموصل ، وجعل الاصفهاني وزيره .

ان سيف الدين تربى في بلاط السلاجقة ، وكان لهذا تأثير حسن في توجيهه واطلاعه على امور الحرب والسلم ، وعلى ادارة البلاد ، وسياسة المملكة ، فكان يقلد السلاطين السلاجقة في زيه وركوبه واظهار قوته ، وهو اول من حمل على رأسه السنجق[1] من الاطراف ، فانه لم يكن فيهم من يفعله لاجل السلاطين السلاجقة . وهو اول من امر عسكره الا يركب احدهم الا والسيف في وسطه ، والدبوس[2] تحت ركابه سفراً وحضراً ، ولم يكن يفعل ذلك في سائر البلاد الا في السفر ، وكان شديد العناية بجيشه ، يعنى بطعامهم وراحتهم ، فكان يذبح لجيشه كل يوم مائة شاة لطعامهم بكرة ، فينزل الجند في خدمته ويحضرون الطعام ، ويعد لهم سماطاً آخر في آخر النهار ، وكان يذبح يوم العيد الف رأس من الغنم الجيد ، سوى الجمال والبقر والدجاج ، ويمد السماط لجيشه وخواصه ومن يحضر في بلاطه .

فكان جيشه مضرب المثل في العدد والعدد والبأس والشدة يستعين به الاطراف، كلما ضاقت بهم الامور .

وبعد وفاة عماد الدين ظن الصليبيون انهم قادرون على استرجاع ما أخذه منهم ، ولكن سيف الدين اعطاهم درساً بقوة جيشه ، هو واخوه نور الدين محمود قوة كبيرة تصدهم وتكبح جماحهم . فسار الى اخيه نور الدين محمود في الشام،ليريهم انه هو واخوه دولة واحدة ، في وجه من تسول له نفسه قصد البلاد .

وفي سنة ٥٤٣ هـ توجه ملك الالمان بجيش كبير الى دمشق ، واجتمع معه صليبيو الشام . وكان « انر » المتحكم في دمشق والمدبر للبلد والعسكر ، عاقلاً ديناً ، حسن السيرة فدافع عن المدينة دفاعاً قوياً ، وكتب الى سيف الدين يستغيث به، ويستنجده ويعلمه شدة الامر . فأجابه سيف الدين ، قد حضرت ومعي كل من

---

(١) السنجق ، العلم

(٢) الدبوس ، قضيب من حديد في نهايته كتلة من حديد ـ وهو من اسلحة الحرب

يطيق على حمل السلاح من بلادي . وارسل سيف الدين الى الصليبيين يتهددهم، ويعلمهم انه يقصدهم ان لم يرجعوا . كما ارسل « انر » الى ملك الالمان يهدده بسيف الدين ويقول له . قد حضر ملك الشرق ومعه من العساكر مالا طاقة لكم به . فان انتم رحلتم عنا والا سلمت البلد اليه . وحينئذ لا تطمعون في السلامة منه "

كما ارسل انر الى صليبيي الشام الذين انضموا الى ملك الالمان . يحذرهم بطش سيف الدين،وانه لا يبقي عليهم اذا ما تغلب على ملك الالمان . وان سيف الدين سيتوجه الى بيت المقدس،ولا تقدرون عليه . فانفضوا عنه ـ كان هذا بتأثير قوة سيف الدين وتدبير انر .

وعلم الصليبيون ان عماد الدين قد سلم الامانة الى اولاده الذين تدربوا على يده، فكانت البلاد آمنة مطمئنة .

توجه سيف الدين بعد هذا الى استرجاع بعض البلاد التي استولى عليها « تمرتاش » صاحب ماردين ، ففي سنة ٥٤٤ هـ استولى على داراً وحصن كيفا ، ثم زحف الى ماردين وشدد في حصارها ، فاضطر صاحبها . على مصالحته ، وزوجه بابنته .(١)

وفي سنة ٥٤٤ هـ اشتد به المرض فاستدعى من بغداد الطبيب « وحيد الزمان(×) فلم يفده علاجه ، وتوفي في جمادي الآخرة من نفس السنة وعمره اربعون سنة .

واجمع الذين كتبوا عنه انه كان من خيار الملوك ، واحسنهم سيرة ، واجودهم سريرة ، واصبحهم صورة ، حازماً شجاعاً كريماً عاقلاً منطوياً على خير وصلاح ، يحب العلم واهله ، قصده الشعراء ونالوا جوائزه ، وممن مدحه : الحيص بيص الشاعر(٢) بقصيدة اولها :

---

(١) وتوفي قبل الزواج منها ، فتزوجها اخوه قطب الدين .

(٢) الامير شهاب الدين ابو الفوارس سعد بن محمد التميمي البغدادي (٤٩٢ ـ ٥٧٤ هـ) انظر ديوانه [٢ ، ٣١٦ ، ٣٢٢) خريدة القصر ، ٢٥٧ ـ ٢٥٨

(×) هبة الله بن ملكا إبو البركات وحيد الزمان (أوحد الزمان) كان يهودياً واسلم آخر عمره وله عدة كتب وتوفي في اواسط المائة السادسة (٢) مختصر الدول ، ٣٦٣ ـ ٣٦٦ . اخبار العلماء ، ٢٢٤ ـ ٢٢٧

الام يـراك المجـد في زي شاعر وقد نحلت شوقا فـروع المنـابر

فأجزل له العطاء ، وأعطاه الف دينار سوى الخلع .[1]

بنى بالموصل المدرسة الاتابكية العتيقة ، وهي من أحسن المدارس وأوسعها ، وجعلها وقفا على الفقهاء الشافعية والحنفية ، ودفن فيها ، وبنى للصوفية رباطا على باب المشرعة ووقف عليه الاوقاف الكثيرة[2] .

---

(١) انظر عنه ، الكامل ، ١١ ، ٥٦ ، الباهر ، ٨٨ ـ ٩٣ ، وفيات الاعيان ، ١ ، ٤٠١ ، البداية والنهاية ، ٢٣٧ ـ ٢٣٨ ، النجوم الزاهرة ، ٥ ، ٢٨٦ ، مرآة الزمان ، ٨ ، ١٣٣ ، أبو الفدا ، ٣ ، ٣٠ ، الروضتين ، ١ ، ٤٧ ـ ٤٨ ، مرآة الجنان ، ٣ ، ٢٨٣ ، صبح الاعشى ، ١ ، ٤١٦ ، ٤ ، ٤٠ ، الموصل في العهد الاتابكي ، ٢٨ ـ ٢٩ . رسائل تاريخية ، ١٤ ، ١٢ ، ١٣

(٢) سنعرض لذكر المدرسة والرباط عند كلامنا عن خطط الموصل

قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي

٥٤٤ ـ ٥٦٥ هـ

كان المتحكم في دولة سيف الدين وزيره « الجواد الاصفهاني » ، و « زين الدين على كجك » ، ومقدم الجيش « عز الدين الدبيسي » ، فاتفقت كلمتهم على ان يولوا قطب الدين مودود ، لانه كان لين الجانب كثير الحلم ، فاحضروه وحلفوه وحلفوا له ، واستبد بالامر الوزير الاصفهاني وزين الدين .

كان بعض ارباب الدولة يحسدون الاصفهاني وزين الدين ، وما لهما من نفوذ في الدولة ، فكاتبوا نور الدين محمود وطلبوه ليولوه ، وممن كاتبه المقدم والد شمس الدين محمد دزدار قلعة سنجار ليسلم اليه سنجار ، ولما علم الاصفهاني وزين الدين بالأمر استدعيا المقدم الى الموصل ، فسار متثاقلا ينتظر وصول نور الدين ، ولما وصل تلعفر أعلمه ابنه ان نور الدين قد وصل سنجار ، فعاد اليه وسلمه البلد ، ولم يكن مع نور الدين جيش يقاومهم به ، فكاتب فخر الدين قرا أرسلان بن داؤد صاحب الحصن يستنجده ، فسار اليه مجدا .

لم يرض الاصفهاني وزين الدين بالامر ، وحمل قطب الدين على ان يسير جيشه الى سنجار ، ولما كانوا في تلعفر ارسلوا الى نور الدين ينكرون عليه ما فعله ، ويهددونه بقصده ان لم يرجع ، فأجابهم ، انني أنا الاكبر ، وأنا احق أن أدبر أمر أخي منكم ، وما جئت الا لما تتابعت الي كتب الامراء ، يذكرون كراهيتهم لولا يتكما عليهم ، فخفت أن يحملهم الغيظ والانفة على اخراج الامر عن ايدينا ، أما تهديدكم اياي بالقتال ، فأنا لا اقاتلكم الا بجندكم ، وكان قد هرب اليه جماعة من اجنادهم والتحقوا به .

خافا عاقبة الامر ، واشار عليهم الجواد الاصفهاني أن يكفوا عن الحرب التي تكون عاقبتها وبالاً علينا وعلى المسلمين ، وقال لهم ، نحن نظهر للسلطان والخليفة أننا تبع لنور الدين ، ونور الدين يظهر للفرنج أنه يحكمنا ويتهددهم بنا ، فان كاشفناه وحاربناه ، فان ظفر بنا طمع فينا السلطان ، وان ظفرنا به طمع فينا الفرنج ، والرأي أن نسلمه حمص ـ وكانت لصاحب الموصل ـ ونأخذ سنجار ، واستقر الصلح بينهما على هذا .

لم يكن قطب الدين سببا في هذا النزاع ، وانما كان قد غلبه على امره الوزير الاصفهاني وزين الدين،وهما اتفقا مع نور الدين على الصلح .

كان قطب الدين لا يرى مخالفة أخيه نورالدين ، وخطب له من تلقاء نفسه، كما كان نور الدين حريصا على معاونة أخيه . وكل واحد منهما لا يصدر الا عن أمر أخيه .

أراد نور الدين أن يبعد الجواد الاصفهاني عن أخيه ليضعف أمر المتسلطين عليه . فقد كان الاصفهاني أسدهم رأيا،وأحسنهم تدبيرا،وأقواهم سلطة في الدولة .

قال نور الدين للجواد الاصفهاني ، لا بد أن تكون عندي فلي من الحق مثل ما لاخي ، وأنا أحوج اليك منه .

والاصفهاني يعلم ما يريده نورالدين ، فلم يبد استياءاً أو ريبة من طلبه ، وأجابه بما أقنعه وجعله يعدل عن أخذه . فقال لنورالدين ، أنت فيك من الكفاية ما يستغنى به عن وزير ومشير ، وليس عندك من الاعداء مثل ما عند أخيك ، لان عدوك كافر ، فالناس يدفعونه ديانة ، وأعداء أخيك مسلمون ، فيحتاج من يقوم بدفعهم واذا كنت عند أخيك فالنفع عائد اليك .

لم يؤثر هذا الحادث على ما كان بين الأخوين من محبة ومساعدة . فكان نور الدين يفضل اخاه قطب الدين على غيره من اخوته ، لما يراه فيه من عقل ودين . ولما مرض سنة ٥٥٣ هـ وكان يخشى أن يدركه أجله ، رأى رجال دولته يميلون الى أخيه نصرة الدين (أمير أميران) ولكنه لم يكن راضيا عن اخلاقه وتصرفه ، فأوصى بالملك لاخيه قطب الدين . وقال لهم ، انني قد عزمت على وصية اليكم بما يقع في نفسي ، فكونوا لها سامعين مطيعين ، وبشروطها عاملين ، انني مشفق على الرعايا وكافة المسلمين ممن يكون بعدى من الولاة الجاهلين ، والظلمة الجائرين . وان أخي نصرة الدين (أمير أميران) ، أعرف من أخلاقه ، وسوء أفعاله ، ما لا أرتضي معه بتوليته أمراً من أمور المسلمين . وقد وقع اختياري على أخي الامير قطب الدين مودود متولي الموصل ، لما يرجع اليه من عقل وسداد ، ودين وصحة اعتقاد ، بأن يكون في منصبي بعدي ، والساد لثلمة فقدي ، فكونوا لامره بعدي طائعين ، ولحكمه سامعين ، فاحلفوا له بصحة من نياتكم وسرائركم ، واخلاص من عقائدكم وضمائركم فحلفوا له .[١]

واسرع نور الدين فأرسل الى اخيه يعلمه بالامر ، واتفاق الأمراء على توليته بعده ، وطلب اليه الحضور الى الشام بعساكره ، فتجهز قطب الدين وخرج على راس

(١) ابن القلانسي ، ٣٥٥

جيشه من الموصل . فجاءته الاخبار بابلال نور الدين من مرضه . فارسل قطب الدين وزيره جمال الدين الاصفهاني الى أخيه نور الدين يبلغه استعداد قطب الدين لمعاونته . فشكره وارسل له هدايا كثيرة .

كان قطب الدين وجيشه خير معاون لاخيه نورالدين في حروبه . فكانت الجيوش الموصلية من أهم الجيوش التي تلبي طلب نورالدين كلما احتاج الى مساعدة .

ففي سنة ٥٥٩ هـ عزم نورالدين على حرب الصليبيين في بلاد الشام . ليمنعهم من مساعدة « عموري » الذي كان يريد حرب مصر . فكتب يستدعي الجيوش من الاطراف ليقوم بحملة قوية يقاوم بها تجمع الصليبيين عليه . فخف قطب الدين مع جيشه لمساعدة أخيه . وابلى جيش الموصل بلاءا حسنا في الفتك بالاعداء وتشتيت شملهم . وهجم زين الدين في عسكر الموصل على الصليبيين . فافناهم قتلاً وأسراً . وانهزم الصليبيون . وفرق شملهم بعد ان قتل منهم عدة آلاف . واسر اكثر امرائهم الذين كانوا في الحرب وهم « بوهيمند الثالث » امير انطاكية و « ريموند الثالث » امير طرابلس . و « قسطنطين كولومان » حاكم قيلقية البيزنطي « و تورروس الثاني » الامير الأرمني . وغيرهم . وساقهم اسرى الى حلب . وكان لجيش الموصل فضل كبير في الفتك بالاعداء والاستيلاء على « حارم »(١)

وفي سنة ٥٦٢ هـ استغل نورالدين ارتباك الحالة في طرابلس . لان أميرها مأسور عنده في حلب . فكتب الى أخيه قطب الدين يعلمه بما عزم عليه . فتوجه قطب الدين بجيشه وعليه زين الدين واجتمع مع أخيه بحمص . وفتكوا بعدة قلاع ومدن، وغنموا واسروا وعاد جيش الموصل منتصرا (٢)

حاول قطب الدين ورجال دولته ان يوسعوا بلادهم . فكانوا يميلون مع الكفة الراجحة . ففي سنة ٥٥١ هـ سار سليمان شاه بن السلطان محمد الى بغداد . واتفق مع الخليفة المقتفي أن يشرفه ويخلع عليه . وخطب له ببغداد . ولقبه « شاهنشاه المعظم غياث الدنيا والدين » .

وارسل الخليفة الى ملكشاه بن السلطان محمود أخي سليمان شاه واستدعاه . فحضر ومعه الف فارس . وقرر الخليفة الامر بينهما وجمع لهما الاموال والعدد وسيرهما لحرب السلطان محمد .

---

(١) الحركة الصليبية ، ٢ ، ٦٨٥ . زبدة الحلب ، ٢ ، ٣١٩ .

(٢) الكامل ، ١١ ، ١٣٢ . الروضتين ، ١ ، ١٤٧ . دولة الاسلام ، ٢ ، ٥٤ .

اما السلطان محمد فانه كتب الى قطب الدين مودود،ونائبه زين الدين،يطلب منهما المساعدة . ويبذل لهما البذول . فاجاباه . وسار زين الدين بجيش كثير قاصدا معاونة السلطان محمد . ولما كان بشهرزور علم أن السلطان محمد قد فرق جيش سليمان شاه وملكشاه قرب همدان . وان سليمان شاه يريد بغداد . ولما كان قرب شهرزور قبض عليه زين الدين وحمله معززا مكرما وحبسه في الموصل .

وفي سنة ٥٥٣ هـ سار السلطان محمد الى بغداد . وارسل الى قطب الدين يستنجده بالعساكر . فأمده بجيش بقيادة زين الدين وحاصروا جانبي بغداد . وكاتب الخليفة ولاة الاطراف،بحثهم على قصد بلاد السلطان محمد . فتحرك امراء الاطراف وقصد أخوه ملكشاه . همدان واحتلها،وما زال الخليفة يكاتب زين الدين حتى استماله وعدل عن القتال ـ وهذا مما حمل السلطان محمد أن يعود الى همدان .

وفي سنة ٥٥٤ هـ توفي السلطان محمد . فاتفق أكابر الدولة على أن يولوا سليمان شاه مكانه . فارسلوا الى قطب الدين مودود سنة ٥٥٥ هـ يطلبون اليه ان يرسل سليمان شاه ليولوه السلطنة . واتفقوا : على ان يكون سليمان شاه سلطانا . وقطب الدين اتابكه . وجمال الدين الاصفهاني ـ وزير قطب الدين ـ وزيره . وتحالفوا على هذا . وجهزه قطب الدين بالاموال والالات،ومعه عسكر الموصل بقيادة زين الدين الى همدان .

ولو تم الامر لسليمان شاه لكانت الدولة السلجوقية بيد قطب الدين ورجاله . ولكن سوء تصرف سليمان شاه أفسد الامر .

ولما قاربوا بلاد الجبل . اقبلت العساكر عليهم بكثرة . ورأى زين الدين ان سليمان لا يصلح للسلطنة . يميل الى المساخرة . عكوفا على الخمر واللهو . لا يلتفت الى نصح الامراء . بعيدا عن الحكمة والتدبير . قد سلم الامر الى « كردبازو » من خدم السلجوقية،فيه دين وحسن تدبير وميل الى الخير . وكان يلوم سليمان شاه على تهتكه وينصحه . ولكنه لم يفد معه . فاتفق هذا مع الامراء على خلعه وقبض عليه وقتله سنه ٥٥٦ هـ .

أما زين الدين فانه خاف على نفسه،وعلى الموصل من تسلط الجيش على سليمان شاه . فعاد الى الموصل .

كان جمال الدين الاصفهاني أحد اركان دولة عماد الدين،قد وثق باخلاصه وتدبيره ، وجعله مشرف مملكته كلها ، وحكمه تحكيما لا مزيد عليه ، وهو الذي حفظ الدولة بعد قتل عماد الدين ودبر أمورها ، فكان وزير سيف الدين ، ثم وزر لقطب الدين ، وكان قد حلف هو وزين الدين احدهما للآخر ، وصار اصحاب زين الدين يوغرون صدر قطب الدين عليه ، كما كان قطب الدين نفسه يخشى من زين الدين وتسلطه على الجيش ، وهذا ما حمله سنة ٥٥٨ هـ أن يعتقله بقلعة الموصل ، وتوفي سنة ٥٥٩ هـ .

وكان زين الدين قد أصابه عمى وصمم ، وفي سنة ٥٦٣ هـ سار الى أربل وفيها بيته وخزائنه وأولاده ، وسلم جميع ما كان بيده من البلاد والقلاع الى قطب الدين مودود ، وان قطب الدين لم يستغل هذا الوضع فيتولى ادارة بلاده بنفسه ، فاعتمد على « فخر الدين عبد المسيح » ، وكان هذا ظالماً سيء السيرة فكرهه الناس ، ومع أن قطب الدين كان يعاضد أخاه نور الدين ويكون تحت امرته ، فان نور الدين لم يكن مرتاحاً من الذين تسلطوا على اخيه قطب الدين،وكان يريد منه أن يكون رجل حرب وتدبير .

وفي سنة ٥٦٥ هـ توفي قطب الدين ، وكان عفيفاً عن أموال الناس ، حسن الاخلاق، يحاسب عماله على الظلم ويجزل لهم العطاء.[1]

---

(١) الكامل ، ١١ ، ٥٧ ـ ١٤٤ ، الباهر ، ١١٨ ـ ١٥٠ . أبو الفدا ، ٣ ، ٣٦ ، ابن الفرات ، ١ ، ٩٨ ـ ١٠١ . ابن خلكان ، ٢ ، ١٣٩ ، مرآة الجنان ، ٢ ، ٣٠٤ ـ ٣٠٥ ، البداية والنهاية ، ١٢ ، ٢٦١ .

سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود
٥٦٥ ـ ٥٧٦ هـ

كان قطب الدين قد عهد بالملك من بعده لابنه عماد الدين، وهو أكبر أولاده، وهذا قد تربى عند عمه نور الدين، وزوجه من ابنته، ونور الدين يكره فخر الدين عبد المسيح المتسلط على الدولة لظلمه وعسفه. فخاف فخر الدين من عماد الدين اذا ما تولى مكان أبيه، فانه سيعزله ويقصيه عن البلد.

اتفق عبد المسيح مع الخاتون ابنة حسام الدين تمر تاش ـ زوجة قطب الدين ووالدة سيف الدين ـ على أن يوصي بالملك لابنه سيف الدين، وما زالوا به حتى أوصى له. فرحل عماد الدين الى عمه نور الدين يستنصره.

استبد فخر الدين عبد المسيح في أمور الدولة، فكان الحاكم فيها، المتصرف في أموالها، وليس لسيف الدين من الامر الا الاسم، وهو في عنفوان شبابه وغرة حداثته.

لم يرض أهل الموصل بما آل اليه الامر في البلد، فكاتبوا نور الدين يعلمونه بالأمر، ويحثونه على التوجه اليهم، وتخليصهم من فخر الدين.

وفي مستهل محرم سنة ٥٦٦ هـ توجه نور الدين الى الموصل واستولى على البلاد التي في طريقه، وجاءه نور الدين محمد بن قرا أرسلان صاحب حصن كيفا، وفي طريقه تسلم سنجار وسلمها الى عماد الدين ابن أخيه. واستمر الى الموصل وحاصرها، وحلف أن لا يدخلها الا من أمنع أبوابها ـ باب السر ـ[1]

أما فخر الدين فانه حمل سيف الدين غازي على أن يرسل أخاه عز الدين الى أتابك شمس الدولة «ايلدكز»، صاحب همدان وبلاد الجبل وأذربيجان وأصفهان والري، يستنجده على عمه نور الدين.

أرسل «ايلدكز» رسولاً الى نور الدين ينهاه عن التعرض للموصل، ويحذره عاقبة الامر، ويقول له، ان هذه البلاد للسلطان فلا تقصدها.

لم يلتفت نور الدين الى هذا وقال للرسول. قل لصاحبك: أنا أصلح لاولاد أخي منك، فلا تدخل نفسك بيننا، وعند الفراغ من اصلاح بلادهم، يكون الحديث معك على باب همدان، فانك قد ملكت هذه المملكة العظيمة، وأهملت الثغور،

---

(١) احد ابواب قلعة الموصل ـ وسنتكلم عنه عند كلامنا عن القلعة

حتى غلب الكرج عليها . وقد بليت أنا ـ ولي مثل ربع بلادك ـ بالفرنج ، وهم أشجع العالم . فأخذت معظم بلادهم . وأسرت ملوكهم . ولا يحل لي السكوت عنك . فانه يجب علينا القيام بحفظ ما أهملت . وازالة الظلم عن المسلمين .

ان هوى أهل الموصل مع نور الدين . كما أن الامراء جاهروا لفخر الدين بالعصيان وتسليم البلد . فاضطر فخر الدين الى طلب الأمان . ودخل نور الدين القلعة من باب السر . وقال لفخر الدين : لا سبيل الى مقامك في الموصل ، بل تكون عندي في الشام ، فاني لم آت لاخذ البلد من أولادي . انما جئت لاخلص الناس منك . وأتولى أنا تربية أولادي . وأقر سيف الدين غازي في الموصل . وألبسه خلعة كان قد أرسلها الخليفة المستضيء بأمر الله الى نور الدين . وولى بقلعة الموصل « سعد الدين كمشتكين » . وجعله دزداراً فيها . وأمر سيف الدين ان لا ينفرد عنه بقليل من الامور ولا بكثير . وأطلق المكوس الذي كان في الموصل . وأمر ببناء الجامع النوري[1] وعاد الى الشام ومعه فخر الدين عبد المسيح . وغير اسمه فجعله عبد الله .

كان نور الدين يريد أخذ مصر من صلاح الدين الايوبي ، واستدعى ابن أخيه سيف الدين غازي ليكون أمام الصليبيين في الشام ، فسار سيف الدين غازي وعلى مقدمة جيشه « كمشتكين » . وفي الطريق بلغه موت عمه نور الدين سنة ٥٦٩ هـ ولو انه دبر الامر بحزم مع كمشتكين لتمكن أن يستولي على ملك عمه ، ويكون في محله . ولكن تسرعه في الامر ، جعله يستولي على بلاد الجزيرة ، ويهمل بلاد الشام .

وقدم اليه فخر الدين عبد المسيح ـ وكان بسيواس ـ أملاً أن يعيده الى ما كان عليه ، وحرضه ان يقصد الشام ، ويستولي على أملاك عمه نور الدين . ولكن الامير عزالدين محمود المعروف بزلفندار منعه من هذا وقال له : قد ملكت أكثر من والدك . والمصلحة أن تعود . فعاد الى الموصل فرحاً لانه خلص من كمشتكين الذي كان ولاه عمه القلعة ، وأمره ان لا يخرج عن رأيه . ولما رجع الى الموصل عاد الامر فيها على ما كان من بيع الخمور ، والتجاهر بالمعاصي ، واعادة المكوس . فخسر نفسه ، وخسر ثقة شعبه .

---

(١) سيأتي الكلام عنه عند كلامنا عن « جوامع الموصل »

كان صلاح الدين رجل حزم وتدبير . وبعد وفاة نور الدين تولى مكانه ابنه « الملك الصالح » . فأظهر صلاح الدين طاعته، وخطب له في البلاد . وضرب السكة باسمه . وكتب الى رجال دولة الملك الصالح يعتب عليهم، لأنهم لم يعلموه باستيلاء سيف الدين على البلاد الجزرية .

وموت نور الدين ترك فراغاً كبيراً في الشام . فابن الداية واخوته . وسعد الدين كمشتكين تمكنوا في حلب . وشمس الدين بن المقدم تمكن في الشام . وأغار الصليبيون على مدينة بانياس وغيرها . ودبر ابن الداية مع سعد الدين كمشتكين على نقل الملك الصالح الى حلب . فنقله اليها بعد منع من أصحابها . واعتقل كمشتكين ابن الداية وأخويه والمتنفذين في حلب . فكان يدبر الامور . وتمكن تمكناً عظيماً . حتى كاد يحجر على الملك الصالح .

أما امراء دمشق فانهم خافوا من سعد الدين كمشتكين أن يقصدهم مع الملك الصالح . ويعاملهم كما عامل ابن الداية وأعوانه . فكاتبوا سيف الدين غازي ليسلموه البلد . فلم يجبهم خوفاً من مكيدة دبرت عليه .

فراسلوا صلاح الدين الايوبي سنة ٥٧٠ هـ ـ وهو ما كان يطمع فيه ـ يعرضون عليه تسليم دمشق . فأسرع اليها وتسلمها . ولم يقطع خطبة الملك الصالح . وانما قال : اني انما جئت لأخدم مولاي وابن مولاي . وأسترد له بلاده التي أخذها ابن عمه . ثم زحف الى حماة . واحتلها . وتقدم الى حلب . فدافع عنها الحلبيون . وأرسل كمشتكين مبلغاً من المال الى « سنان » زعيم الاسماعيلية ليقتلوا صلاح الدين . فنجا منهم . ثم ملك حمص وبعلبك .

استنجد الملك الصالح بابن عمه سيف الدين، فأرسل اليه جيشاً بقيادة أخيه عزالدين مسعود . وراسل أخاه عماد الدين صاحب سنجار ليسير معه ـ وكان هذا مع صلاح الدين ـ واقتتلوا عند « قرون حماة » . بتل السلطان، فانهزم جيش الموصل وغنم صلاح الدين اثقاله وعدده . وقطع خطبة الملك الصالح .

لم يحافظ سيف الدين على الدولة الاتابكية . فكان في نزاع مع أخيه عماد الدين صاحب سنجار . ولم يسو علاقته مع الملك الصالح . فأضعف الدولة . وهو ضعيف الرأي والتدبير ميال الى اللهو والغناء . مغلوب على أمره .

ولو كان ذا سياسة واقتدار،وحسن تدبير لسار الى الشام ووحد القطرين ، فيكون الوصي على ابن عمه الملك الصالح ، وحافظ على قوة الدولة ، ولكن اهماله ادارة البلاد والمصالح العامة مما أطمع صلاح الدين الايوبي في الدولة الاتابكية ، وسهل له الاستيلاء على بلاد كثيرة ووحدها ـ ونعم ما فعل ـ ثم أخذ يهدد أملاك سيف الدين .

ومن سوء تدبير سيف الدين أنه لم يحسن اختيار رجال مخلصين ، يعتمد عليهم في ادارة الدولة ،بل انه نكل ببعضهم مثل جلال الدين أبو الحسن علي بن جمال الدين محمد بن علي الاصفهاني الذي استوزره سنة ٥٧١ هـ وفوض اليه أمر البلاد ، وكان هذا عارفا بقواعد الدول ، وأوضاع الدواوين ، مطلعا على دقائق الامور ، فأحسن ادارة البلاد ، وأحبه الناس ، وجرت بينه وبين مجاهد الدين قيماز مشاحنة ، فحمله على اعتقال جلال الدين سنة ٥٧٣ هـ وسجنه ، ثم شفع فيه كمال الدين بن نيسان وزير صاحب آمد ، وكان قد زوجه ابنته ـ فأطلقه من الحبس وتوفى سنة ٥٧٤ هـ .

وكان الاجدر به ان يستفيد منه ومن قيماز ، فيسوى الامور بينهما ، ولكنه عاد فنكل بمجاهد الدين قيماز الذي ولاه دزدارية قلعة الموصل سنة ٥٧١ هـ وكان هذا من الامراء المقتدرين ، ميالا الى الخير والاحسان الى الناس ، بنى الكثير من الجوامع والربط والخانات والقناطر في الطرق ، حسن الادارة ، فكان هو السلطان في الحقيقة ، يراسل الملوك والامراء وسيف الدين منهمك في لذاته ، غير موفق في سيرته ، مما حمل أهل البلد ان يقصدوه ويطلبوا اليه ان يفيق من سكرته ، فيمنع بيع الخمور وكثرة الملاهي ، وهجموا على محلات بيع الخمور،وكسروا الآنية،وحدث هرج ومرج في البلد ، كل هذا مما أضعف الدولة الاتابكية . (١)

---

(١) الكامل ، ١١ ، ١٤٤ ـ ١٨٨ ، الباهر ، ١٤٩ ـ ١٨٩ ، ابن خلكان ، ٢ ، ٧٢ ـ ٧٤ ، ١ ، ٤٠١ ـ ٤٠٣ ، الروضتين ، ٢ ، ٢٣٢ ـ ٢٥٩ ، النجوم الزاهرة ، ٥ ، ٣٨٤ ، صبح الاعشى ، ٤ ، ٢٥ ـ ٤٠ ، ابو الفدا ، ٣ ، ٥٥ ، ابن الفرات ، ١ ، ١٠٢ ـ ١٠٤ ، ١١١ ـ ١١٤ ، زبدة الحلب ، ٢ ، ٣٣١ ـ ٣٣٤ ، ٣ ، ٩٠ ـ ٤٥ ، ابن كثير ، ١٢ ، ٢٨٥ ، مرآة الزمان ، ١٢ ، ٣٢٤ ـ ٣٦٣ ، ابن شداد ، ٣٨ ـ ٤٢

عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود
٥٧٦ ـ ٥٨٩ هـ

كان سيف الدين قد أضعف الدولة ـ بعد أن كانت مرهوبة الجانب ـ وقبل وفاته أراد ان يعهد بالأمر لابنه معز الدولة سنجرشاه ـ وعمره اثنا عشرة سنة ـ فلم يرض عز الدين بهذا ، كما أن أصحاب الرأي ، وعليهم قطب الدين قيماز أشاروا على سيف الدين أن يجعل الامر في أخيه عز الدين ، لما كان عليه من الاقدام والجرأة ، وسداد الرأي والتدبير وحسن السياسة ، وكان صاحب المواقف في الحروب التي خاضها في زمن أخيه ـ خاصة وان صلاح االدين متمكن في الشام ، ويخشى على الدولة اذا ما تولاها صبي ، وأصروا على ان يولي أخاه من بعده ، فرضي بهذا ، على أن يعطي ولديه بعض البلاد ، ويكون مرجعهما الى عز الدين ، فأعطى جزيرة ابن عمر وبلادها لولده سنجرشاه ، وقلعة عقر الحميدية لولده ناصر الدين كسك[1] ، وبذا أضعف الدولة .

وفي سنة ٥٧٧ هـ توفي الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين محمود ، وقبل وفاته أوصى الامراء والاجناد بتسليم البلد الى ابن عمه عز الدين مسعود ، لقوته وسداد رأيه ـ واستحلفهم على هذا ـ فأشار بعضهم عليه أن يسلموا البلد الى عماد الدين ـ ابن عمه ـ صاحب سنجار ، وأعلموه ان عز الدين له من البلاد من الفرات الى همدان ، ولا حاجة له بحلب ، فأجابهم : « لم يغب هذا عني ، ولكن قد علمتم ان صلاح الدين قد تغلب على عامة بلاد الشام ، سوى ما بيدي ، ومتى سلمت حلب الى عماد الدين عجز عن حفظها ، وان ملكها صلاح الدين لم يبق لاهلنا معه مقام ، وان سلمتها الى عز الدين أمكنه حفظها بكثرة عساكره وبلاده » ، فاستحسنوا رأيه ، وبعد وفاته أرسل الامراء الى عز الدين وسلموه حلب ، وثار أهل حماة على عمر بن أخي صلاح الدين ونادوا بشعار عز الدين ، وكان هوى أهل الشام مع الدولة الاتابكية ، وأشاروا عليه ان يقصد دمشق وغيرها من البلاد الشامية ، لغياب صلاح الدين عنها في مصر ، ولكنه أبى وقال : « بيننا يمين فلا نغدر به »[2] ، وأراد عماد الدين أن يأخذ من أخيه عز الدين حلب ، ويعطيه سنجار عوضا عنها ، فأبى ،

---

(١) الكامل ، ١١ ، ١٨٨ ـ ١٨٩ ، مفرج الكروب ، ٢ ، ٩٣ ـ ٩٤ ، الباهر ، ١٨١

(٢) الكامل ، ١١ ، ١٩٢ ـ ١٩٣ مفرج الكروب ، ١٠٦ ـ ١١٠ ، الباهر ، ١٨١ ـ ١٨٢

ولكنه هدده باعطاء سنجار الى صلاح الدين . ولا يخفى ما لهذا من خطر على أملاك عز الدين . فأشار عليه قيماز أن يرضى بالأمر .

خاف صلاح الدين على بلاد الشام عندما استولى عز الدين على حلب . ولكنه لما علم بتسليمها الى عماد الدين . هان عليه الامر[1] .

ومما حد من قوة عز الدين أنه كان يحذر من قيماز لقوته . كما ان قيماز كان يخشى عز الدين بعد ان انضم اليه عسكر حلب وأطاعوه . ولم يلتفتوا هم وعسكر الموصل الى قيماز . وهذا مما أدى الى ضعف قوة الدولة .

ولما علم صلاح الدين ان حلب صارت الى عماد الدين . توجه الى بلاد الشام ليستولي عليها . وقصد عز الدين حلب ليصده عنها . وبعد عبور الفرات مال بعض الامراء الى صلاح الدين . فخاف عز الدين عاقبة الامر . وعاد الى الموصل[2] .

بعد أن تمكن صلاح الدين في بلاد الشام . سار الى بلاد الجزيرة والخابور وملكها . ثم زحف الى نصيبين . واستولى عليها . وانحدر الى الموصل . وكان عز الدين وقيماز قد حشدا فيها العساكر الكثيرة . وأعدا من السلاح وآلات الحصار . وهبّ المواصلة يشاركون الجيش في الدفاع عن مدينتهم . ولما اقترب صلاح الدين من البلد،هاله ما رآه من استعداد المواصلة في الدفاع عن مدينتهم . وعظم سور المدينة وفصيلها . وقد ملأه بالرجال وآلات الحرب . وأهل المدينة يتفرجون غير عابئين بقوة صلاح الدين . فعلم صلاح الدين أنه لا يمكنه الاستيلاء على مثل هذه المدينة . وأخذ يحتال في الانسحاب عنها . ومع هذا فان عز الدين كان لا يرغب في الحرب واضعاف الدولة أمام الصليبيين . فأرسل القاضي « بهاء الدين بن شداد » الى الخليفة الناصر يعلمه بسوء العاقبة . وأن يحمل صلاح الدين عن الحرب . وتسوية الخلاف وجمع كلمة الطرفين .

استشار صلاح الدين أصحابه . فأشار عليه بعضهم ان يحكم حصار المدينة . ويشدد عليها . فنزل صلاح الدين محاذي « باب كندة » وأنزل نور الدين صاحب حصن كيفا بباب الجسر . وأنزل تاج الدين أخاه عند الباب العمادي .

---

(١) الكامل ، ١١ ، ١٩٣ .

(٢) الباهر ، ١٨٣ . أبو الفدا ، ٣ ، ٦١ .

أمر عز الدين الجيش أن لا يخرجوا لمهاجمة جيش صلاح الدين ، وان يجمعوا قواهم على السور . فدافعوا هم وأهل البلد دفاعاً مجيداً . ما أعجز جيش صلاح الدين .

وأشار على صلاح الدين عمه تقي الدين بنصب منجنيق لضرب سور المدينة ، فقال له صلاح الدين – وقد هاله ما على السور من المقاتلة وآلات الدفاع – مثل هذا البلد لا ينصب عليه منجنيق ومتى نصبناه ، أخذوه ، ولو ضربنا برجاً من يقدر على الدخول للبلد ، وفيه هذا الخلق الكثير ؟

الح تقي الدين وقال ، نجربهم به ، فنصب منجنيقا ، فنصب عليه من البلد تسع منجنيقات ، وخرج جماعة من اهل البلد فأخذوه ، وجرى عنده قتال كبير ، فأخذ بعض أهل البلد « لالكة » من رجله فيها مسامير كثيرة ورمى بها أميراً يقال له جاولى الاسدي – مقدم الاسدية وكبيرهم – فأصاب صدره ، فوجد لذلك آلما شديدا ، فأخذ اللالكة وعاد عن القتال الى صلاح الدين وقال له ، « قد قاتلنا أهل الموصل بحماقات ، ما رأينا بعد مثلها ، والقى اللالكة (واللالكة نوع من الحذاء) ، وحلف ان لا يعود يقاتل أنفة حيث ضرب بهذه » .

ودبر مجاهد الدين خطة لخدع جيش صلاح الدين ، فكان في بعض الليالي يخرج جماعة من باب السر الذي للقلعة ، ومعهم المشاعل ، فاذا كانوا قرب دجلة مما يلي عين الكبريت ، اطفأوا المشاعل ، فخاف جيش صلاح الدين ان ينثني عسكر الموصل عليهم ، فوهن عزمهم ، وأخذ صلاح الدين يحتال للانسحاب(١) .

كما ان عساكر الموصل الذين هم بسنجار كانوا يقطعون الطريق على من يقصد صلاح الدين من العساكر ، ولم يصله مدد ، فانسحب جيش صلاح الدين عن المدينة ، وحاول الخليفة الناصر ان يصلح بين الطرفين فلم يتفقا ، وهكذا نجت الموصل ببسالة أهلها .

وفي عودة صلاح الدين حاصر مدينة سنجار وفيها « شرف الدولة اميراميران هندوا » أخو عز الدين ، وكان في امكانه ان يصد عنها صلاح الدين ، ولكن أحد امراء الاكراد من « الزرزارية » خان شرف الدولة ، وأشار على صلاح الدين ان يهاجم البلد من ناحية « الباشورة » التي كان هو فيها ، وسلم المدينة اليه ، وعاد شرف الدين الى الموصل(٢) .

---

(١) الكامل ، ١١ ، ١٩٦ – ١٩٧ مفرج الكروب ، ٢ ، ١١٧ – ١٢٣ ، النوادر السلطانية ، ٤٦ مضمار الحقائق ، ١٠٦ – ١١٠

(٢) الكامل ، ١١ ، ١٩٨ ، مضمار الحقائق ، ١١٠ – ١١١

كان مجاهد الدين قيماز صاحب قوة وسلطان في الدولة، واكثر البلاد في يده وتحت امرته، وكان عز الدين طموحاً لم يرض بما عليه قيماز، وكان من المستحسن ان يستفيد من قوته فيسوى العلاقة بينهما، ولكن منافسي قيماز عز الدين محمود زلفندار، وشرف الدين احمد بن ابي الخير - الذي كان ابوه صاحب الغراف - وهما من أركان دولته حسنا له القبض على قيماز، واعتقاله، فقبض عليه في جمادي الاولى سنة ٥٨١ هـ وحبسه في قلعة الموصل، واستولى على امواله وخزائنه، وولى زلفندار قلعة الموصل، وشرف الدين أمير حاجب، فانتقضت عليه اكثر البلاد التي كانت لمجاهد الدين، واستولى الخليفة على « دقوقا »، وكما ان صاحب أربل وجزيرة ابن عمر أرسلا الى صلاح الدين يعلمانه بطاعتهما، ولم يبق لعز الدين سوى العقر وشهرزور.(١)

ندم عز الدين على ما بدر منه، وقبض على المحرضين وسجنهما - خاصة بعدما تمكن صلاح الدين في بلاده - واخرج قيماز من سجنه واعاده الى ما كان عليه، بعدما خسر ما خسر.

وفي سنة ٥٨١ هـ وقد تمكن صلاح الدين في بلاد الجزيرة واربل وغيرها، حرضه مظفر الدين كوكبوري على ان يقصد الموصل، وانضم اليه معز الدين سنجرشاه - صاحب جزيرة ابن عمر - أخو صلاح الدين، فقصد الموصل، ولم يكن عز الدين ضعيفاً امامه، فقد استعد للدفاع ما امكنه، وكان يخشى عاقبة الحرب التي تضعف المسلمين امام الصليبيين، فاراد ان يدفعهم بالتي هي أحسن، فارسل اليه وفداً من اعيان البلد، يحذرهم عاقبة الامر، وتسوية الخلاف فيما بينهما - ومع الوفد والدته وابنه محمود - استشار صلاح الدين اصحابه، فوافقوه على هذا، ولكن الفقيه عيسى وعلي بن احمد المشطوب اشارا عليه ان مثل الموصل لا يرتد عنها.(٢)

حشد عز الدين الجيش وهيأ العدد، وهب أهل المدينة يعاضدون الجيش ويشاركونه في القتال - كما في الحصار الاول. وجرت بينهما مناوشات ظاهر الباب العمادي، ابدى بها المواصلة شجاعة واقداماً في الدفاع عن مدينتهم، فكانوا يعبرون دجلة ويغيرون على جيش صلاح الدين الذي في الجانب الايسر منه، مما اضطر صلاح الدين الى رفع الحصار، وسار منها الى « خلاط » لموت صاحبها، ولم يتمكن

(١) الكامل، ١١، ٣٠٢، الباهر، ١٨٣ - ١٨٤، مفرج الكروب، ٢، ١٥٣ - ١٥٤.
(٢) الكامل، ١١، ٣٠٧ - ٣٠٩، ٣١٠، مفرج الكروب، ٢، ١٧٠ - ١٧١.

من الاستيلاء عليها ، فعاد الى الموصل في شعبان ، وترددت الرسل بينهما في الصلح ، فرضي صلاح الدين ، على ان يسلم اليه عز الدين شهرزور واعمالها ، وولاية القرابلي وجميع ما وراء الزاب من اعمال،وان يخطب له على منابر بلاده ويضرب اسمه على السكة ، ولما كان بكفرزمار ، مرض مرضاً شديداً .

عز الدين رجل حرب وكفاح في حياة أخيه سيف الدين،وبعد توليه الدولة ، ولكنه لم يتمكن ان يسد الخلل الذي كانت قد منيت به الدولة الاتابكية ، فقيماز متسلط على الدولة ، والاتابكيون منقسمون على انفسهم ، وصلاح الدين قوى في بلاد الشام .

وفي سنة ٥٨١ هـ توفي صلاح الدين فاستشار عز الدين أصحابه فيما يفعله ، فأشار عليه أبو السعادات بن الاثير ان يقصد البلاد الجزرية،ويستردها قبل ان يتمكن الايوبيون فيها ، فلم يوافق قيماز ، وحذره من امراء الاطراف ، وهذا مما ساعد الملك العادل أبو بكر بن ايوب أن يتمكن في البلاد(١) .

قصد عزالدين نصيبين ، فأصابه اسهال بنزيف قوي ، حد من قوته ، واجتمع مع عمادالدين ليقصدا الرها لمحاربة الملك العادل ، ففاتحه العادل يطلب الصلح على ان تكون البلاد الجزرية ؛ الرها وحران والرقة وما معها بيده ، على سبيل الاقطاع من عزالدين ، فلم يرض بهذا واشتد به المرض وتوفي ودفن بمدرسته العزية التي انشأها في الموصل(٢) .

كان عز الدين رجلا محبوبا من أهل البلاد ، كثير الاحسان خير الطبع ، متمسكا بدينه حج الى بيت الله الحرام ، محسنا عاقلا منصفا،يميل الى الحق وتطبيق أحكام الدين،يحب الصالحين يستشير الشيوخ وأهل الرأي في أموره يقرب أهل الدين ، لبس خرقة التصوف من الشيخ عمر النسائي(٣)ـ شيخ مشائخ الموصل ـ وبنى له مسجدا في داره يصلي فيه ، منع الخمور والملاهي وأمر باراقتها ، وحث الصالحين على مراقبة بيعها ، فهو من خيار الاتابكيين الذين أقاموا الحق في البلد(٤) .

---

(١) الكامل ، ١٢ ، ٤٠ ـ ٤١ ، النجوم الزاهرة ، ٦ ، ١٣٣ ، الباهر ، ١٨٥ .

(٢) سنتكلم عنها عند كلامنا عن المدارس

(٣) هو شيخ مشائخ الصوفية في الموصل انظر عنه ، عمدة الاخبار في مدينة المختار (ص ، ١٣٠ ـ ١٣١) للشيخ احمد بن عبد الحميد العباسي

(٤) الكامل ، ١٢ ، ٤١ ـ ٤٣ ، الباهر ، ١٨٤ ـ ١٨٩ ، مفرج الكروب ، ٣ ، ٢٠ ، ٢٢

وكان رجل حرب وسياسة ، جريئا مقداما ، حاول انقاذ الدولة من الضعف والانقسام،وجمع الكلمة بالتي هي أحسن ، ولكن المطامع التي عليها بعض الملوك حدت من نجاحه .

نور الدين ارسلا نشاه بن عزالدين مسعود

٥٨٩ ـ ٦٠٧ ه

كان عز الدين قد عهد بالملك لابنه نور الدين ارسلا نشاه وعمره عشرون سنة، وعارضه في هذا شرف الدين بن قطب الدين مودود، بأنه أحق بالملك من ابن اخيه. وعاضدته والدته في الامر. وهدد شرف الدين بالاستعانة بالملك العادل بن ايوب. فلم يعبأ بهذا عزالدين. واوعز الى مجاهد الدين قيماز، ومجد الدين بن الاثير ان يحلفا الناس لولده نور الدين.

كان مجاهد الدين يحب السلم، ويخشى انقسام الاتابكة وما تؤديه الحروب من نتائج سيئة على البلاد. ولكن مجد الدين كان أكثر ثباتاً وتبصراً منه، واعلمه أن التباطؤ في الامر يزيد في الخرق، ويوسع الانقسام. واكد على قيماز ان يسرع في تحليف الجند وأولي الامر له ـ خاصة وان والده عز الدين يلح في الامر وهو مشرف على الموت(١).

جمع مجاهد الدين الجند، واهل الرأي ومشائخ المحال وعرفاء الاسواق، وحلفوا له. ثم اركب نور الدين من الغد في موكب والده وحمل السنجق(×) على رأسه، ومشى في ركابه راجلاً قد حمل الغاشية(×). فاطمأن الناس له وانصرف انصار شرف الدين عنه. وبعد يومين توفي عز الدين. فتم الامر لابنه نور الدين. وكان هذا التدبير من مجد الدين ابي السعادات بن الاثير. مما زاد في مكانته عند نور الدين. فاتخذه وزيراً يعول عليه ويستشيره في الامر فيما يعرض له. ولما اقعد مجد الدين في داره وعجز عن الحركة. صار نور الدين يزوره ويرجع الى قوله ورأيه. فكان رجل دولته الى ان توفى(٢).

---

(١) الباهر، ١٨٩ ـ ١٩١.

(٢) الكامل، ١٢، ٥٥ ـ ٥٦. تراجم الرجال، ١٣.

(×). العلم. (×) الغاشية، السرج او الغطاء المزركش الذي يوضع على ظهر الفرس فوق البرذعة، وكان سلاطين السلاجقة والايوبيين يخرجون في المواكب وبين ايديهم الغاشية (انظر عنها السلوك، ١، ١، ٢١٤ صبح الاعشى ٤، ٧).

وفي سنة ٥٩٤ هـ حدث نزاع بين نور الدين وبين عمه عماد الدين بن قطب الدين بن مودود ـ صاحب سنجار ونصيبين والخابور والرقة ـ على قرى له في نصيبين ، وحاول حسم النزاع بالتي هي احسن ، فلم يرض عمه ، وتوفي ، وملك بعده ابنه قطب الدين ، وفاتحه نورالدين بتسوية الامر ، فاصر على ما كان عليه ابوه ، فسار نورالدين الى نصيبين واستولى عليها ، وهرب قطب الدين الى حران ، واستنجد بالملك العادل بن ايوب ، واصاب جيش نور الدين المرض ، فاضطر الى العودة للموصل ، وتوفي عدة امراء من جيشه ، كما توفي عدد من افراد جيشه ، وممن توفي مجاهد الدين قيماز ، على ان نور الدين لم يترك الحرب مع العادل ، فسار سنة ٥٩٥ هـ الى ماردين لازالة العادل عنها وحاصرها ، وفي اثناء الحصار توفي الملك العزيز بن صلاح الدين الايوبي ـ وكان عسكره مع عمه العادل ـ وتولى بعده اخوه الملك الافضل علي ، وكان بينه وبين عمه نفرة ، فسحب العسكر المصري من عمه ، واتفق الافضل مع نور الدين لمحاربة عمه ، فسار نورالدين ومعه ابن عمه قطب الدين بن عماد الدين ومعز الدولة بن عم سيف الدين ـ صاحب جزيرة ابن عمر ـ وضيقوا على ماردين واستولوا عليها(١).

هذا الانقسام اضعف الدولتين ، الاتابكية والصلاحية ، فكانوا في حروب مستمرة مع بعضهم ، فارتبك الامر ، وضعفت قواهم .

ومنها سنة ٦٠٠ هـ خطب قطب الدين بن عماد الدين زنكي بن مودود ـ صاحب سنجار ـ للملك العادل في بلاده ، وحالفه على ابن عمه نورالدين ارسلانشاه ، مما حمل نورالدين ان يقصد نصيبين ، فاستعان قطب الدين بالملك الاشرف بن الملك العادل ، وقصدوا نورالدين وهزموه هزيمة قبيحة وشتتوا جيشه ، ونجا الى الموصل ومعه اربعة انفس ، وهذا مما زاد في الانقسام وضعف الدولة(٢)، مما مكن ابناء صلاح الدين في الشام ومصر .

كان عصر نورالدين كله حروباً بين الاتابكة مما اضعفهم وجعل بلادهم مطمعاً لكل قاصد ، وخاصة ابناء صلاح الدين ، وهذا مما عجل في انقراضهم .

ولما اشتد به المرض سنة ٦٠٧ هـ عهد بالملك لابنه القاهر ـ عزالدين مسعود ـ وعمره عشر سنين ، والوصي عليه مملوكه الارمني بدر الدين لؤلؤ ، وحلف له الجند

---

(١) الباهر ، ١٩١ ـ ١٩٣ ، الكامل ، ١٢ ، ٦٤ ، الجامع المختصر ، ٩ ، ٤

(٢) الباهر ، ١٩٤ ـ ١٩٦ ، الكامل ، ١٢ ، ٦٢ ـ ٦٣

وأعيان الناس . وأعطى ولده الاصغر عماد الدين زنكي قلعتي عقرة وشوش ، وسيره الى العقر . وتوفي نور الدين ودفن بالمدرسة التي أنشأها مقابل داره[1] .

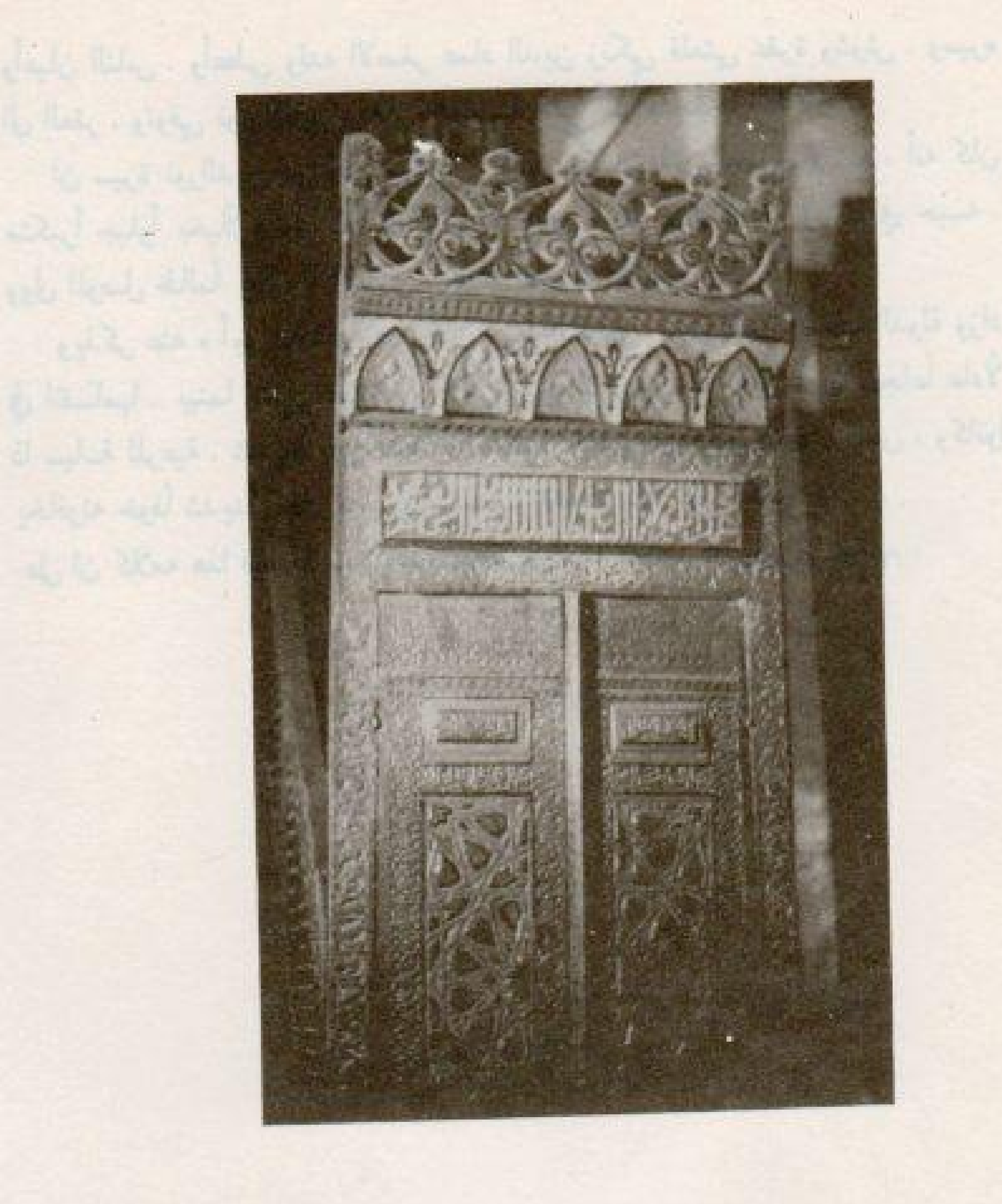
ان سيرة نورالدين لم تكن مرضية ، يذكر « سبط ابن الجوزي » عنه ، أنه كان متكبراً جباراً بخيلاً فاتكاً سفاكاً للدماء ، حبس أخاه علاء الدين ومات في حبسه ، وولى الموصل ظالماً يقال له السراج ، أهلك الحرث والنسل .

ويذكر عنه « أبو شامة » ، انه كان سيئ التدبير . وهو الذي أضعف الدولة وزاد في انقسامها . بينما يثني عليه ابن الاثير ، ويذكر عنه ، انه كان شهماً شجاعاً عادلاً ذا سياسة للرعية ، شديداً على أصحابه ، يمنع بعضهم ان يتعدى عن بعض ، وكانوا يخافونه خوفاً شديداً ، فلا يجسرون بسبب الخوف منه على الظلم الخ . . . . .

على ان كلامه هذا فيه ما يسترّ على نورالدين لانه معاصر له ومؤرخ دولتهم .

---

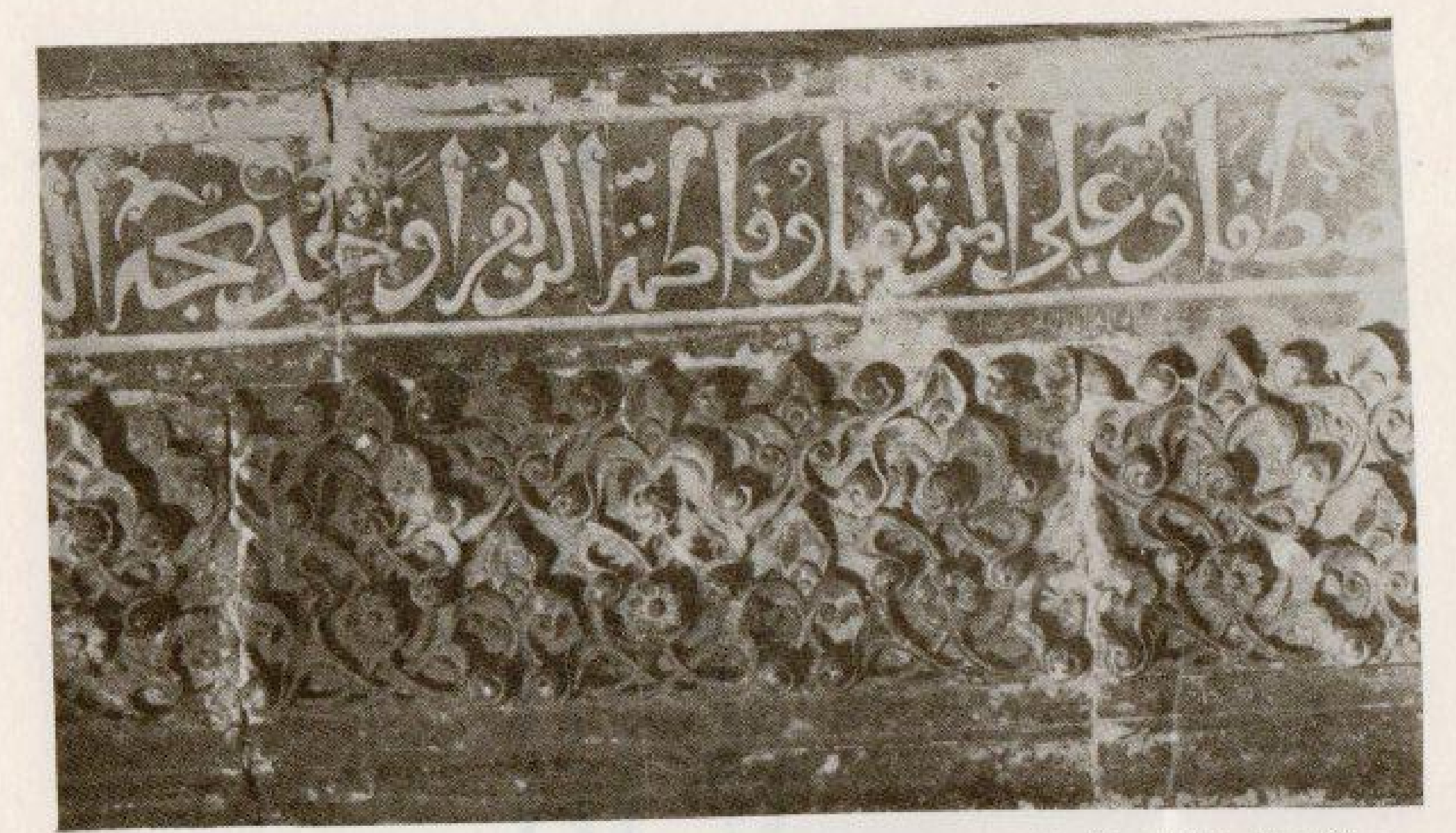
(١) مراة الزمان ، ٥٤٦ . ذيل الروضتين ، ٧٠ ـ ٧٦ . مفرج الكروب ، ٣ ، ٢٠٣ ـ ٢٠٥ وسنعرض لاخبار المدرسة عند كلامنا عن المدارس .



باب المنبر صنعه محمد بن علي الموصلي لجامع حلب في القرن السابع للهجرة

٢ ـ دور بدر الدين لؤلؤ

القاهر عزالدين مسعود بن نورالدين ارسلا نشاه	٦٠٧ ـ ٦١٥	المتولي عليهم
نورالدين ارسلا نشاه الثاني بن القاهر	٦١٥ ـ	بدرالدين
ناصرالدين محمود بن القاهر	٦١٥ ـ ٦٣٠	لؤلؤ
بدرالدين لؤلؤ بن عبد الله	٦٣٠ ـ ٦٥٧	
الملك الصالح بن بدرالدين لؤلؤ	٦٥٧ ـ ٦٦٠	



من الكتابات المطعمة والزخارف النافرة في المرمر والتي تزين جدران مشهد الامام يحيى بن القاسم

القاهر عزالدين مسعود بن نورالدين أرسلانشاه

٦٠٧ ـ ٦١٥ هـ

في عهد القاهر تسلط بدرالدين لؤلؤ على الدولة . وهو مملوك أرمني من مماليك نورالدين أرسلانشاه بن عزالدين مسعود . كان واسع الحيلة . ذا دهاء وتدبير مما جعل سيده يعتمد عليه ، خاصة بعد موت مجاهد الدين قيماز ، ومجد الدين بن الأثير . حتى صار المتحكم في الدولة .

وقبل وفاة نورالدين عهد بالأمر الى ابنه مسعود . وأعطى ولده الاصغر عماد الدين قلعة شوش والعقر الحميدية . وسيره الى العقر . ولا شك ان هذا كان بتدبير بدرالدين . الذي سعى الى اضعاف الدولة لكي يتسلط عليها . وسلك اختلاف الطرق في القضاء على أبناء الاتابكة واحداً بعد الآخر . وأخرج من الموصل الذين يخشى منهم . وتقرب للخليفة ورجاله . وهادن المغول وساعدهم . واتبع الترغيب والترهيب في توطيد حكمه . حتى تم له الأمر .

لما توفي نورالدين كتم بدر الدين خبر وفاته . ودبر الامر . وأحكم ما أراد ، حلف الجند وأرباب الحكم لعز الدين مسعود . وراسل الخليفة الناصر لدين الله . يطلب التقليد له . كما كاتب ملوك الاطراف يطلب منهم تجديد العهود على ما كانوا عليه زمن أبيه . فاستبد في البلاد . ثم قعد للعزاء . فجاءة التقليد من الخليفة . ولقب عزالدين القاهر . على ان يدبر أمره بدرالدين لؤلؤ .

بعد ان تم هذا حجر بدرالدين على القاهر . وأشغله بملذاته وشهواته . وأبعد عنه كل من يخشى منه . ولم يبق له سوى الاسم . فتفرد هو في الحكم . ولو لا مظفر الدين كوكبوري الذي تربطه المصاهرة مع القاهر . لدبر أمر موته في أقرب وقت .

كان بدرالدين يسلك اختلاف الطرق في استمالة الناس اليه . كثير الاحسان الى الناس ، مائلاً الى شهواتهم ورغباتهم . كثير القتل والتشويه والمؤاخذة . فيه ظلم وقلة دين . يدبر الامر الذي يريده بحزم واقتدار وظلم . وقد أجمع الذين تكلموا عنه ، انه كان ظالماً سفاكاً للدماء يصادر الناس اذا دعا الامر . لم يتقيد بمبدأ أو دين .

كان القاهر متذمراً مما هو عليه . وقد أحاطه بدرالدين بطبقة سوء من بطانته . وأبناء الاتابكة عاجزون عن مساعدته لضعفهم .

يقول ابن الأثير عن القاهر : «كان كريماً حليما ، قليل الطمع في أموال الرعية ، كافاً عن أذى يوصله اليهم ، مقبلاً على لذاته ، ينتهبها نهباً ويبادر بها الى الموت » . هذا التضييق الشديد الذي كان عليه جعله يسرف في لذاته ، ليخفف عنه ما به من حال مؤلمة ـ وهو ما دبره له بدرالدين ـ فجرده من السلطة ، وسلط عليه مغريات الحياة ، وهو في مقتبل العمر ، فكان يائساً من حياته ، يكثر من ذكر الموت الذي كان يتوقعه على يد بدر الدين ، كما أعد لنفسه مدفناً كان يزوره ويتذكر مصيره الأخير .

قال ابن الأثير يصف حاله : « وكان عنده رقة شديدة ، ويكثر ذكر الموت ، حكى لي بعض من كان يلازمه ، قال : كنا ليلة قبل وفاته بنصف شهر عنده ، فقال لي : قد وجدت ضجراً من القعود ، فقم بنا نتمشى الى الباب العمادي ، قال : فقمنا ، فخرج من داره نحو الباب العمادي ، فوصل التربة التي عملها لنفسه عند داره ، فوقف عندها مفكراً لا يتكلم ، ثم قال لي : والله ما نحن في شيء ، أليس مصيرنا الى ها هنا ، وندفن تحت الأرض ؟ وأطال الحديث في هذا ونحوه ، ثم عاد الى الدار ، فقلت له : الا نمشي الى الباب العمادي ؟ فقال : ما بقي عندي نشاط الى هنا ولا الى غيره ، ودخل داره وتوفي بعد أيام » .

ان بدرالدين بعد ان ضيق عليه سقاه سما فمات ولو لا مظفرالدين كوكبوري لكان قتله قبل هذا بسنين ، لان مظفرالدين زوج ابنتين له بولدي نورالدين ، وهما عزالدين مسعود وعماد الدين زنكي ، ومما يدلنا على تسلط بدر الدين على الدولة ما أشار به ابن الأثير عند كلامه عنه : « وهو الذي كان يتولى دولة القاهر ، ودولة أبيه نورالدين قبله ، وقد تقدم من أخباره ما يعرف به محله ، وسيرد منها أيضاً ما يزيد الناظر بصيرة فيه[1] .

---

(١) انظر عن القاهر ، الكامل ، ١٢ ، ١١٩ ـ ١٢٢ ، ١٣٧ ، مفرج الكروب ، ٣ ، ٢٦١ ـ ٢٦٣ ، ابو الفدا ، ٣ ، ١١٣ ـ ١١٨ ، معجم الالقاب ، ٤ ، ٣٥٨ ـ ٣٥٩ البداية والنهاية ، ١٣ ، ٧٩ ـ ٨١ ، المسجد المسبوك ، ٣٦٠ ـ ٣٦١ ، شذرات الذهب ، ٥ ، ٦٢ ، القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية ، ١٠٣ ، الموصل في العهد الاتابكي ، ٣٤ ـ ٣٥

نورالدين ارسلانشاه بن القاهر عزالدين مسعود
٦١٥ هـ

توفي القاهر وعهد بالملك لابنه نورالدين، وهو صغير السن عمره عشر سنوات، ولا شك ان بدرالدين الذي قتل والده حمله على هذا العهد ليبعده عن الذين يخشى جانبهم من الاتابكيين، وخاصة عماد الدين زنكي بن ارسلانشاه ـ صاحب العقر الحميدية ـ واخو القاهر الذي كان في الموصل. وليس من مصلحة بدرالدين ان يتولى الملك رجل مدبر يتولى أمور البلاد بنفسه، فضرب على ايدي الطامعين وابعدهم عن الموصل، فأخرج اخا القاهر منها، وتقرب للشعب، فانعم بالخلع على الناس «فلم يخص بذلك شريفاً دون مشروف، ولا كبيراً دون صغير، واحسن السيرة، وجلس لكشف الظلامات بين الناس، وانصاف بعضهم من بعض». فتم الملك لنورالدين، والامر الحقيقي لبدرالدين، واتبع بدرالدين معه نفس الطريقة التي اتبعها في القضاء على والده، فقتله قبل ان تمضي عليه سنة في ملكه.

قال ابن كثير من حوادث سنة ٦١٥ هـ: «وفيها توفي القاهر صاحب الموصل، فاقيم ابنه الصغير في مكانه، ثم قتل، وتشتت شمل البيت الاتابكي، وتغلب على الامور لؤلؤ غلام ابيه».

جاء في شذرات الذهب في حوادث نفس السنة: «فلما مات القاهر اقام بدرالدين ابنه صورة وبقي اتابكه مدة، ثم استقل بالسلطنه».

وهكذا فان بدرالدين راسل الملوك والامراء المجاورين، يطلب تجديد العهد لنورالدين الذي كان بينهم وبين ابيه، كما راسل الخليفة يطلب الولاية لنورالدين، فارسل الخليفة الولاية لنورالدين، والنظر في أمر دولته لبدر الدين مع التشريفات لهما، فبعد ان تم هذا قضى على الطفل، فقتله.(١)

لم يرض بهذا الامر عماد الدين ـ صاحب العقر ـ وساعده مظفرالدين كوكبوري بن زين الدين صاحب أربل ـ جد نورالدين لامه ـ وخاصة بعد ان علما ما يكيده بدر الدين لهذا الطفل، فكان يبقى المدة الطويلة لا يظهره للناس.

---

(١) أنظر عن نورالدين، الكامل، ١٢، ١٣٧ ـ ١٣٨، ١٤٣، ابو الفدا، ٣، ١٢٠ ـ ١٢١، البداية والنهاية، ١٣، ٨١، مرآة الزمان، ٨، ٣٩٥، معجم الالقاب، ٣٥٩، شذرات الذهب، ٥، ٢٨٩، الموصل في العهد الاتابكي، ٣٥ ـ ٣٦.

وهو المتسلط على الدولة، يتصرف بها كيفما يشاء ، فجهز عماد الدين حملة كبيرة احتل العمادية وبقية قلاع الاكراد الهكارية والزوزان .

اما بدرالدين فانه فاوض الملك الاشرف موسى بن الملك العادل صاحب ديار الجزيرة وخلاط، يطلب منه ان يكون في طاعته، على ان يعاضده على عماد الدين ومظفرالدين ، وانتسب الى الملك الاشرف ، وضرب السكة باسمه . فقبل الملك الاشرف بهذا ، وارسل بدرالدين حملة كبيرة الى العقر واحتلها ، وانهزم عماد الدين الى أربل ، وناشد الاشرف مظفرالدين ان يكف عن الحرب ، ورفع الامر الى الخليفة، فتوسط بينهم بالصلح فهدأت الاحوال لبدرالدين . ثم قضى على الطفل .

ناصر الدين محمود بن القاهر عزالدين مسعود
(٦١٦ ـ ٦٣٠ هـ)

بعد قتل نورالدين لم يبق من اولاد القاهر غير طفل صغير لا يتجاوز عمره الثلاث سنين ، وهو ناصر الدين محمود ، ولا يخشى له بأس ، فجمع بدرالدين الجيش واعيان البلد وحلفهم بالطاعة له . وارسل الى الخليفة يطلب للطفل التقليد والتشريف . وارسل الى الملوك واصحاب الاطراف المجاورين، يطلب تجديد العهد لناصر الدين على القاعدة التي كانت بينهم وبين ابيه . كما ضبط امر البلد .

ولم يكن الناس مطمئنين الى ما يفعله بدرالدين باولاد سيده . فقد قتل القاهر وابنه نورالدين . وهم مترقبون قتل هذا الصبي . فكان الاستياء من ابناء الاتابكة وانصارهم يتزايد مع الزمن .

وكان عماد الدين بن ارسلان شاه يكون تارة في الموصل وأخرى في عقرة ـ محل ملكه ـ يراقب ما يفعله بدر الدين في تثبيت ملكه والقضاء على الاتابكة واحداً بعد الآخر . فمنعه بدر الدين واخرجه من الموصل سنة ٦١٥ هـ . لجأ عماد الدين الى امراء الاطراف . فراسل من في العمادية ، واعلمهم ، ان ابن اخي قد توفي ، ويريد بدر الدين ان يملك البلاد ، وانا أحق بملك آبائي واجدادي . فاستدعاه من في العمادية وسلموها اليه في ١٨ رمضان سنة ٦١٥ هـ . فارسل بدر الدين جيشاً الى العمادية لانتزاعها من عماد الدين . وكان الفصل شتاء ، والثلوج تتساقط ، وحاصروا المدينة ، فلم يتمكنوا منها ، وخف مظفر الدين كوكبوري ـ جد عماد الدين لامه ـ لمساعدة حفيده ، فراسله بدر الدين يذكره بالعهود التي كانت بينهما ، ومنها ان لا يتعرض الى شيء من اعمال الموصل . فلم يلتفت اليه . ودحروا جيش بدرالدين .

ثم راسله اهل قلاع الهكارية وزوزان ودخلوا في طاعة عماد الدين . فلجأ بدر الدين الى الملك الأشرف موسى بن الملك العادل ـ صاحب ديار الجزيرة وخلاط ـ وانتمى اليه ، وضرب النقود باسمه ، وصار في طاعته ، ليستعين به على اعدائه .

وأخذ كل من الطرفين يستميل امراء الاطراف والمتنفذين على عدوه وفي سنة ٦٣٠ هـ توفي مظفر الدين كوكبوري ، فصفا الجو لبدرالدين ليقضي على الطفل ناصر الدين محمود ، ويقضي على نفوذ الاتابكة في الموصل ، فطمس معالمهم من مدارس ودور حديث واربطة ، وغرق بعضهم ، ولم يبق امامه سوى هذا الطفل فقتله شر قتلة :

وذكر ابن كثير عند كلامه عن ناصرالدين ، وقد اقامه بدرالدين صورة ، حتى تمكن أمره ، وقويت شوكته ، ثم حجر عليه ، فكان لا يصل الى احد من الجواري ، ولا شيء من السراري ، حتى لا يعقب ، وضيق عليه في الطعام والشراب . فلما توفي جده لامه مظفر الدين كوكبوري صاحب أربل ، منعه حينئذ من الطعام والشراب ثلاثة عشر يوماً ، حتى مات كمداً وجوعاً وعطشاً ـ رحمه الله تعالى ـ (١) .

وهكذا صفا الجو لبدر الدين ، فارسل الى الخليفة المستنصر بالله هدايا وافرة ، وعرض عليه امر تقليده ، فارسل الخليفة سنة ٦٣١ هـ الأمير بدر الدين سنقر جاه الظاهري ، أمير آخور الخليفة المستنصر بالله الى الموصل ، ومعه خلعة السلطنة ، وتقليد لبدر الدين لؤلؤ الرومي، الاتابكي صاحب الموصل ، فخلع عليه وامطاه فرساً بمركب ذهبا ، وكنبوش ابريسما (×) ، وسيف زكاب ، ومشدة في عنق الفرس ، ولقب الملك المسعود ، واذن له ان يذكر اسمه على المنابر ببلده ، ونقشه على سكة العين والورق .

قلع بدر الدين البيت الاتابكي بالكلية ، واستقل بالأمر نيفا واربعين سنة .

كان بدر الدين يترقب الفرص للتقرب الى الخليفة بدر الدين لؤلؤ العباسي ورجال دولته ، فيقدم اليهم الطرف والهدايا الثمينة ، ويوثق علاقته مع رجال الدولة بالمصاهرة والانتساب الى الخليفة ورجاله في رمي البندق ، وغير ذلك مما يعزز مكانته .

ففي سنة ٦٣٢ هـ أرسل الى بغداد رسولاً ، ومعه تحف وكراع وهدايا كثيرة ، وطلب تزويج ابنته بمجاهد الدين أيبك الخاص المستنصري المعروف بالدويدار ،كان هذا من أقرب مماليك الخليفة المستنصر بالله ـ فأجيب طلبه ، وزفت اليه سنة ٦٣٤ هـ باحتفال مهيب ، اشترك فيه رجال الدولة على اختلاف مراتبهم (٢) .

كما زوج احدى بناته بالأمير علاء الدين أبي شجاع الطبرسي المعروف بالدويدار الكبير ، وكان هذا حظياً عند الخليفة المستنصر بالله ايضا (٣) .

---

(١) الكامل ، ١٢ ، ١٤٠ ـ ١٤٦ ، ٧٧٤ ، ١٨٧ ، البداية والنهاية ، ١٣ ، ١٣٩ ، النجوم الزاهرة ، ٦ ، ٢٥٧ ، المختصر ، ٣ ، ١٩٨ ، تتمة المختصر ، ٢ ، ٤٤ ، شذرات الذهب ، ٥ ، ٩٤ .

(×) الكنبوش ، برذعة توضع تحت السرج ، وهي معربة (الحوادث الجامعة ، ٥٢) .

(٢) الحوادث الجامعة ، ٧٢ ، ٩٢ ، العسجد المسبوك ، ٤٦٥ ، ٦٣٣ .

(٣) الحوادث الجامعة ، ٧٩ ـ ٨١ ، العسجد المسبوك ، ٥٩٠ ـ ٥٩١ .

وحاول أن يزوج احدى بناته من الملك المعز أيبك ـ صاحب مصر ـ ليوطد علاقته بملوك مصر . ولكن زوجة المعز (شجرة الدر) قتلته قبل الزواج(١) .

وحمل أولاده على الانتساب الى الخليفة ورجال دولته في رمي البندق ـ وهو من ألعاب الفتوة ـ وكان للفتوة شأن في هذا العصر . فقد جدد الخليفة الناصر لدين الله رسومها سنة ٥٧٥ ـ ٦٢٢ هـ . وتفتى له الملوك والأمراء والعلماء وانتسبوا اليه في رمي البندق(٢) .

ففي سنة ٦٣٤ هـ أرسل بشراً خادم ابنه اسماعيل . ومعه شخصان من رماة البندق . ومعهم طائر صرعه اسماعيل . وانتسب الى شرف الدين اقبال الشرابي . فقبله . وعلقه تجاه باب البدرية . ونثر عليه ألف دينار . وخلع على الخادم . ومن معه ثلاثة آلاف دينار(٣) .

وفي سنة ٦٣٨ هـ أرسل الى بغداد رسولاً ومعه طائر وجماعة من رماة البندق . شهدوا أن الأمير ابراهيم ولد بدر الدين لؤلؤ رماه بالبندق . وانتسب في ذلك الى الخليفة . فقبل وعلق بباب البدرية . ونثر عليه ألف دينار . وخلع عليه وعلى الواصلين معه(٤) .

ولما توفي الخليفة المستنصر بالله سنة ٦٤٠ هـ أرسل في ٨ شوال ابنه اسماعيل الى بغداد لتقديم التعزية والتهنئة . فاستقبله الأمراء وعارض الجيش . ثم أرسل بدر الدين مع رسول في ١٤ شوال ومعه تعزية وتهنئة . وثوبان أطلس . وألف دينار برسم الغاسل الذي غسل الخليفة المستنصر بالله . فقبلت منه ونفذت الى النقيب الحسين بن المهتدي(٥)

وأهدى الى الوزير مؤيد الدين بن العلقمي هدية . تشتمل على كتب وثياب ولطائف قيمتها عشرة آلاف دينار . وابن العلقمي لا يقل عن بدر الدين لؤلؤ في التدبير . فحمل الهدية الى الخليفة . وأطلعه عليها . وعرض عليه قبولها . فقبلت . وأهدى الى بدر الدين عوض هذه الهدية شيئاً من لطائف بغداد قيمته اثنا عشر ألف دينار(٦) .

---

(١) النجوم الزاهرة ، ٦ ، ٣٧٥ .

(٢) الفتوة في الاسلام ، ٤٢ ـ ٥٠ .

(٣) الحوادث الجامعة ، ٩٥ ـ ٩٦ .

(٤) الحوادث الجامعة ، ١٤٣ .

(٥) الحوادث الجامعة ، ١٦٥ ، العسجد المسبوك ، ٥١٢ .

(٦) الفخري ، ٣٣٨ .

أن بدر الدين سلك اختلاف الطرق في الهدايا والألطاف والانتساب الى الخليفة والمصاهرة مع رجال دولته بما يعزز مكانته .

دبر بدر الدين القضاء على ابناء الاتابكة . فاخرج المعارضين له من الموصل ، وقتل بعضهم ، وحارب عماد الدين وانتصر عليه ، وانتسب الى الملك الاشرف . وكان الناس معه بين خائف يترقب ، وراغب في صلته ، ومشفق على ابناء الاتابكة ، وممن كان ينتقد اعماله ، وما يقوم به من ظلم وقسوة وشنق وتشويه ، موفق الدين الكواشي المفسر التقي ، فقد كان من اكبر المؤلبين عليه وما يقوم به من اعمال(١) .

وكانت الطريقة العدوية وعلى رأسها الشيخ شمس الدين حسن بن صخر قد تعاظم شأنها ، وانتشر دعاتها في الهلال الخصيب ، وخاصة بين الاكراد . وكان الشيخ حسن قد نظم دعوة يهدف بها الى تأسيس دولة اموية ، تحت ستار من الطريقة العدوية ، وانتشر دعاتها ، وكثر الاقبال عليها . فكان بدر الدين يتحين الفرص للتنكيل بالشيخ حسن، الذي اتخذ الموصل مركزاً لدعوته . فقاوم بدر الدين هذه الحركة بالدعوة الى المذهب الشيعي ، فجدد اضرحة بعض المشاهد لأبناء آل البيت ، واقام قبوراً لبعضهم في المدارس التي شيدها الاتابكيون . كما بنى بعض المشاهد الفخمة في المدينة، وزوقها واتخذها مراكز دعوة للمذهب الشيعي ، فكان هو يتردد اليها ، مظهراً زيارتها ، ويحضر المجالس التي تعقد فيها لدعوته(٢) .

وكلف بعض العلماء بقراءة سيرة الامام علي (ك) ومقتل الامام الحسين (رض) في هذه المشاهد ، ومنهم : ابو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد القرشي الكنجي المتوفى سنة ٦٥٨ هـ ، جمع هذا كتاباً في مناقب الامام علي ، فكان يقرأه في المشهد ، ويحضر المجلس صدور البلد من النقباء والمدرسين والفقهاء وارباب الحديث ، واكثر الحاضرين لم يؤيدوا هذا العمل ، فكانوا يحضرون مكرهين ، ويعترضون عليه(٣) .

كما كلف بدر الدين الشيخ عزالدين عبد الرزاق بن رزق الله بن ابي بكر الرسعني (٥٨٩ ـ ٦٦١ هـ) بجمع كتاب عن مصرع الحسين ، فجمع هذا الكتاب ونشره بين الناس(٤) .

---

(١) الموصل في العهد الاتابكي ، ٧٨ .

(٢) ترجمة الاولياء (المقدمة)

(٣) نكت الهميان ، ١١٧ . شذرات الذهب ، ٥ : ٣٦٦ .

(٤) كفاية الطالب في مناقب الامام علي بن ابي طالب ، انظر مقدمة الكتاب .

ثم التفت الى حركة الشيخ حسن، وصار يترقب الفرص للتنكيل به وبأصحابه. وفي سنة ٦٤٤ هـ قبض على الشيخ حسن في قلعة الموصل وخنقه مع مائة من أصحابه. فقضى على أقوى منافس له في الموصل، ثم أخذ يتعقب أتباعه، ويكلفهم بتكاليف باهضة، ويثقل عليهم في الضرائب. فأطلقوا ألسنتهم فيه. فجرد عليهم سنة ٦٥٢ هـ حملة قوية فتكت بهم فتكاً ذريعاً، ونبشوا قبر الشيخ عدي، وأحرقوا عظامه، ثم أسر منهم جماعة، فصلب بدر الدين منهم مائة شخص، وقطع أعضاء أميرهم، وعلقها على أبواب الموصل، فقضى على أشد الناس خصومة له. (١)

واستمال نصارى اهل الموصل، فأمر بالاحتفال بعيد الشعانين، واظهر فيه من اسباب الخلاعة والمجون ما رغب به اهل البطالة، ونفر اهل البلد.

قال الذهبي في سير اعلام النبلاء عند كلامه عنه: (٢) « وهو الارمني الاصل، وكان يحتفل بعيد الشعانين ـ لبقايا من شعار اهله ـ فيمد سماطاً عظيماً الى الغاية، ويحضر المغاني واواني الخمر، فيتفرج وينثر الذهب من القلعة، ويتخاطفه الرجال ». وقيل فيه:

يعظم اعياد النصارى وعنده	بأن اله العرش عيسى بن مريم
اذا نبهته نخوة عربيـــة	الى المجد قالت أرمنيته نـم

ويذكر ابن تغري بردى في كتابه، المنهل الصافي(٣) انه، لما رأى مظفر الدين يتغالى في المولد النبوي، ويغرم على القصاد اموالاً وافرة، ويظهر الفرح والزينة، عمد هو الى يوم في السنة ـ وهو عيد الشعانين ـ فعمل فيه من اللهو والخمر والمغاني ما يضاهي فيه المولد، ويكون السماط خونجا طعام، وباطية خمر، وينثر الذهب على الناس من القلعة (٤)

بدر الدين لؤلؤ رجل بصير بالأمور، يعرف كيف يتخلص من أعدائه، ولما زحف المغول على الشرق شارك في مقاومتهم، ودافع عن أربل سنة ٦١٧ هـ مع مظفر

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة، ٢، ٢٧٥ وذيل مرآة الزمان، ٢، ٢١٩ ـ ٢٢٠.

(٢) اليزيدية، ٨٠ ـ ٨٥.

(٣) نسخة دار الكتب المصرية. تاريخ، ٥ / ١٢١٩، ص: ٢٠.

(٤) نسخة دار الكتب المصرية. تاريخ، ١١١٣، جـ ٢. ورقة ٦٢٠. اعلام النبلاء، ١٢٠

الدين كوكبوري . وكان يكاتب الخليفة بأخبار المغول ، ويحذره عاقبة الأمر ، يراقب حركاتهم بحذر وتيقظ . ويسعى في صدهم كلما استنجد به أحد[١] .

وفي سنة ٦٣٥ هـ ضعف موقف بدر الدين بموت الملك الأشرف الأيوبي ، ولم يبق من يعوّل على قوته . فالبلاد ومن عليها في ضعف وتدهور ، وأمراؤها في نزاع وتخاذل ، وليس فيهم من يقدر على اعانته . وصار يميل الى المغول ، يصانعهم ويداريهم ، كما استمر على الاتصال بالخليفة يعلمه بأمرهم بواسطة تاج الدين أبي المعالي محمد بن الصلايا العلوي ـ ناظر أربل من قبل الخليفة[٢] ـ ومع هذا يقدم للمغول ما يطلبونه من ذخائر وعتاد[٣] .

وفي سنة ٦٤٢ هـ عندما فرض المغول مبالغ على بعض البلاد ، فان بدر الدين شارك في جبايتها ارضاء لهم ، ودفعاً لشرهم ، فأرسل القاضي زكي الدين بن محيي الدين بن أبي الفضل الى الشام يعلمهم بأن يجمعوا للمغول مائتي ألف دينار ـ على الغني عشرة دراهم ، وعلى الوسط خمسة دراهم وعلى الفقير درهم واحد ـ فقرأ عليهم القاضي كتاب بدر الدين وطلب جمع المبلغ منهم[٤] . فكان هذا اعترافا منه بأنه من أنصارهم . وشارك مع المغول في حرب ديار بكر وبعض بلاد الشام[٥] .

ولما تعاظم أمر المغول واستولوا على أكثر بلاد الشرق هددوا الخليفة العباسي ، وزحفوا الى بغداد ، رأى بدر الدين أن لا أمل في دفاع الخليفة ، فانحاز كليا الى المغول وسار في ركابهم .

ولما عاد المغول الى حصار أربل (٦٣٤ هـ) وعجزوا عن فتح قلعتها ، استشاروا بدر الدين في الأمر ، فأمدهم بجيش ، وأشار عليهم أن يتركوها الى الصيف ، لأن الأكراد سكانها يفرون من الحر الى الجبال ، فعهدوا بحصارها اليه ، وانسحبوا عنها ، فشدد عليها الحصار وفتح قلعتها ، وهدم أسوارها ، وفتك بأهلها[٦] .

وكانت بلاده منطقة نفوذ لجيش المغول . وفي سنة ٦٥٥ هـ أمر هولاكو أن يسير جيشه المرابط في بلاد الروم عن طريق أربل ـ الموصل ، ويعبر جسر الموصل ،

---

(١) الكامل ، ١٢ ، ١٥٦ . الذهبي أمارة الموصل ، ٢٤٣ .

(٢) كان مظفر الدين قد تقدم الى الخليفة بأن يتسلم أربل بعد وفاته سنة ٦٣٠ هـ . فأرسل الخليفة ابن صلايا ناظرا عنه فيها .

(٣) ذيل مرآة الزمان ، ١ ، ٨٧ ، ٨٨ .

(٤) السلوك ، ١ ، ٣١٥ ، ٣٢٠ .

(٥) الحياة السياسية في العراق ، ٣٦٢

(٦) الحوادث الجامعة ، ٩٨ . جامع التواريخ ، ٢٩٨ ـ ٢٩٩ . مختصر الدول ، ٤٣٧ .

ويرابط في الجانب الغربي من بغداد(١). ليشدد عليها الحصار من كل جهة . ولما حاصرت جيوش المغول بغداد أرسل بدر الدين ألف جندي بقيادة ابنه الملك الصالح اسماعيل ليشارك في الحصار ومعه هدايا وذخائر وعتاد . ووصلت الامدادات متأخرة . وان هولاكو لم يحسن مقابلة الملك الصالح . وقال له : أتيتم بعد شك من أمرنا . ومطلتم نفوسكم يوماً بعد يوم . وقدمتم رجلا وأخرتم أخرى لتنظروا من الظافر في صاحبه . فلو انتصر الخليفة وخذلنا . لكان مجيئكم اليه لا الينا . وقال له أيضا : قل لأبيك لقد عجبنا منك تعجبا كيف ذهب عليك الصواب . وعدل ذهنك عن سواء السبيل . واتخذت اليقين ظنا . وقد لاح لك الصبح فلم تستصبح(٢).

وأمر هولاكو بحمل رؤوس الدويدار وابن الدويدار الكبير وسليمان شاه ـ وكان هذا من أخلص أصدقاء بدر الدين ـ فحملها الملك الصالح وعلقها ظاهر سور الموصل . ليرهب بدر الدين وأهل الموصل(٣).

تيقن بدر الدين أن هولاكو لم يزل يشك بصدقة واخلاصه . فتوجه اليه في جبال همدان . وحمل ما في خزائنة من الأموال واللآلىء والتحف . وصادر ذوي الثراء من اهل البلد . وجمع ما امكنه . حتى حلى حظاياه وأولاده . وقدمها لهولاكو في رجب ٦٥٦ هـ . فأحسن هولاكو قبوله لكبر سنه ورق له . ووضع بيده في أذنيه حلقتين كانتا معه فيهما درتان ثمينتان(٤).

وكان بدر الدين يحذر من ابن صلايا أن يطلع هولاكو على ما كان يقوم به بدر الدين من اخبار الخليفة بأعمال المغول . فحرض هولاكو على قتله . وقال له : هذا شريف علوي . وربما يطاول أن يكون خليفة . وتبايعه على ذلك خلق كثير . فتقدم بقتله فقتله(٥).

ولما عاد بدر الدين لؤلؤ من هولاكو . وقد أرعبه ما رآه من قوة جيشه وبطشه . مرض وتوفي وعمره نحو ثمانين سنة.ودفن بالمدرسة البدرية التي تجاور مشهد يحيى بن القاسم(٦).

---

(١) ـ (٢) : ابن كثير ، ١٣ ، ٢٠٠ . النجوم الزاهرة ، ٧ ، ٤٨ ـ ٤٩ .

(٣) الحوادث الجامعة ، ٣٢٩ .

(٤) جامع التواريخ ، ٢ ، ٣٠١ . الحوادث الجامعة ، ٣٣٧ .

(٥) السلوك ، ١ ، ٤١٠ . ذيل الروضتين ، ١ ، ٩١ .

(٦) الحوادث الجامعة ، ٣٣٧ . الباهر ، ٢٠٤ . ابن خلكان ، ١ ، ٥٩ .

سلك بدر الدين طرقا متنوعة في الوصول الى الحكم ، ففي عهد سيده نور الدين ارسلا نشاه .أظهر الاخلاص والتودد له ولأبنائه ، مما أكسبه ثقة الملك نور الدين به ، وصار يتدرج في المناصب الخطيرة ، فتولى امارة الجيوش وسياسة القبائل والعشائر ، وهذا ما حمله أن يحسن معاملة الجيش والناس ، وانصافهم واكرامهم ، فازدادت منزلته عندهم .

وفي أول وصايته على القاهر، بذل ما في وسعه لكسب ثقة الجند وأرباب الحكم وأهل الرأي ، تودد اليهم وخلع عليهم الخلع الفاخرة ، وأغدق عليهم الأموال والهبات ، وجلس لكشف ظلاماتهم وانصاف مظلوميهم . وبعد أن كاد لأولاد سيده الثلاثة ، سلك شر الطرق في تحقيق وتوطيد حكمه ، كثير القتل والتشويه والمؤاخذة ، فيه ظلم وقلة دين ، جباراً ظلوماً ، قطع وشنق وقتل ما لا نهاية له ، ومثل بأبناء الأتابكة شر تنكيل ، قتل بعضهم وخنق غيرهم وأغرق منهم ، وهكذا سلك كل ما يمكنه لتحقيق مآربه[1] .

ولا ننكر أنه كان مع هذا شجاعاً مهيباً سائساً ، خبيراً بالأمور ، يبذل للقصاد ، ويداري من يخشى منه ، ويقرب بعض العلماء أملاً أن ينوهوا بذكره .

---

(١) الذهبي ، ٢ ، ١٣٢ ، المنهل الصافي ، ٦٢٠ ، أعلام النبلاء ، ٧٠ ، العسجد المسبوك ، ٣٣٧ ، مختصر الدول ، ٤٥٦ ، منهل الأولياء ، ١ ، ١٣٥ ــ ١٣٦ ، منية الادباء ، ٦٥ ــ ٦٦ ، ١٢٥ ــ ١٣٦ .

الملك الصالح اسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ
٦٥٧ ـ ٦٦٠ هـ

كان الملك قطز قد كسر شوكة المغول في واقعة عين جالوت(×) في ٢٥ رمضان ٦٥٨ هـ . وقتل منهم مقتلة عظيمة(١). فدب في نفوس المسلمين الثقة بأنفسهم في مقاومة المغول ـ ومنهم أولاد بدر الدين لؤلؤ فتطلعوا على الالتحاق بالشام لعلهم يعيدونَ الكرة على المغول ويخلصون من شرهم . فالتحق علاء الدين بن بدر الدين لؤلؤ ـ صاحب سنجار ـ بالملك قطز في الشام . فولاه مدينة حلب . أملا أن يكون على اتصال بأخيه الملك الصالح صاحب الموصل . يطلعه على أخبار المغول . ويحثه على الالتحاق به .

وفي سنة ٦٥٩ هـ تبعه أخوه سيف الدين اسحاق ـ صاحب جزيرة ابن عمر ـ . أما علاء الدين فانه أساء السيرة في حلب . وصار يأخذ أموال الناس . فقبضوا عليه وصادروا أمواله وسجنوه(٢).

والملك الصالح ليس له من الأمر شيء . فالأمر بيد ياسان الشحنة المغولي . وأعلمه أخوه بما هو عليه من المنزل الحسن والعزة والمنعة . وأن الملك الظاهر بيبرس البندقداري ـ الذي قتل الملك قطز وتولى مكانه ـ يحثه على الالتحاق به . وأنه سيفوض اليه بلاد الشرق ليسترجعها من المغول . وبينما كان الملك الصالح يتهيأ للالتحاق بهم وقع الكتاب الذي أرسله أخوه بيد ابن يونس البعشيقي . ـ وكان هذا من قواد بدر الدين لؤلؤ . ومن المعتمدين عنده ـ فأسرع ابن يونس بايصال الكتاب الى هولاكو . تقربا اليه . وخشية أن يفتك المغول بالموصل اذا ما حاربهم الملك الصالح(٣).

ولما علم الملك الصالح بالأمر خرج من الموصل مع بعض رجاله وولده علاء الملك وأثقاله قاصدا الملك بيبرس . واجتمع في دمشق وطلب منه جيشا يستعين به على حرب المغول وتخليص بلاده . وتخلفت عن الملك الصالح زوجته تركان خاتون بنت السلطان جلال الدين خوارزمشاه . وهي التي كان قد زوجه بها هولاكو بعد واقعة بغداد ـ فانها لم ترض بعمله . وكتبت الى هولاكو تعلمه بالأمر .

(×) عين جالوت : بين بيسان ونابلس من اعمال فلسطين (معجم البلدان ، ٦ ، ٢٥٤)

(١) ابو الفدا ، ٣ ، ٢٠٥ . ذيل الروضتين ، ٢٠٧ . الحوادث الجامعة ، ٣٤٤ .

(٢) أبو الفدا ، ٣ ، ٢٠٧ ـ ٢٠٩ .

(٣) أنظر تفصيل الحادث في مختصر الدول ، ٤٩٢ ـ ٤٩٣ . جامع التواريخ ، ٢ ، ٣٢٧ ـ ٣٣١ .

أما الظاهر بيبرس فانه أمد الملك الصالح بجيش عليه علم الدين سنجق ـ أحد قواد بدر الدين ، ومن الذين رافقوا الملك الصالح ـ فتوجه الى الموصل ، ولما علم المغول بالأمر أحكموا أمر البلد ، وأرسلوا الى هولاكو يعلمونه فأمدهم بعشرة الاف مقاتل ، عليهم الملك صدر الدين التبريزي ، ليعزز قوة ياسان الذي اعتصم مع زوجة الملك الصالح في القلعة(١) .

ثم سافر الملك الصالح وأخوه سيف الدين اسحاق صاحب الجزيرة الى القاهرة ، فتلقاهما السلطان بيبرس ، وبالغ في اكرامهما ، وخلع عليهما ، خلعا كثيرة ، وشفعهما بعلاء الدين الذي كان مسجونا في القاهرة ، وقسم البلاد بينهم : فكتب للملك الصالح بالموصل ونصيبين وعقر وشوش ، ودارا والقلاع العمادية ، وكتب للمجاهد بالجزيرة(٢) ، وكتب لعلاء الدين بسنجار ، وساروا جميعا الى دمشق يترقبون ما يقوم به علم الدين سنجق الذي قصد الموصل .

أما علم الدين فقد صعب عليه أمر الموصل ، وصار يفاتح بعض أهل البلد ، يعدهم ويمنيهم ، فوثب محيي الدين بن زبلاق في طائفة من أهل البلد ، وفتحوا له باب الجسر ، فدخل منه ، ثم توجه الملك الصالح الى الموصل ليأخذ أثقاله وخزائنه وذخائره يستعين بها على الحرب(٣) .

وأرسل المغول جيشا بقيادة سمداغو ، وشدد الحصار على الموصل ، واعتصم الملك الصالح بالمدينة ، ووزع المبالغ على الجيش ، وحرضهم على الدفاع ، وأعلمهم أن الملك الظاهر بيبرس سيمدهم بقوة ، يقضون بها على المغول .

أما سنداغو فأقام المتاريس حول المدينة ، وضربها بالمجانيق ، فصمد جيش الموصل ودافعوا دفاعا مجيدا ، وتسلق سور المدينة ثمانون شخصا من المغول ليرعبوا أهلها ، فهجم عليهم المواصلة وأبادوهم ، ورموا برؤوسهم الى جيش سنداغو(٤) .

فاضطر هولاكو أن يرسل جيشا آخر مددا لهم .

أما الملك الظاهر فانه عندما علم بصمود أهل الموصل، وأن هولاكو عزز جيش سنداغو ، فانه أرسل جيشا بقيادة أغوش أزبرلو مددا للملك الصالح ، ولما وصل هذا الجيش الى سنجار، كتب الى الملك الصالح يعلمه بوصوله ، وأرسلوا الرسالة في جناح

---

(١) السلوك ، ١ ، ١ ، ٤٧٥ .

(٢) السلوك ، ١ ، ٤٦٠ ـ ٤٦١ .

(٣) الحوادث الجامعة ، ٣٤٤ ـ ٣٤٧ ، السلوك ، ١ ، ٤٦٧ ـ ٤٦٨ .

(٤) جامع التواريخ ، ٢ ، ٣٢٨ ، ٣٢٦ ـ ٣٢٧ .

حمامة ، ومن سوء الحظ أن حطت الحمامة على منجنيق المغول ، فاطلعوا على ما فيها . فأرسل سنداغو عشرة آلاف جندي كمنوا للجيش القادم من الشام ، وفتكوا بهم وبأهل سنجار ، ودبروا خطة يخدعون بها أهل الموصل ، فارتدى الجيش ملابس أهل الشام ، وأطلقوا شعورهم جريا على عادة الأكراد ، ثم توجهوا الى الموصل ، وأعلموا سنداغو بنصرهم وبما دبروه من خديعة .

ولما اقترب هذا الجيش من المدينة خرج أهل الموصل لاستقبالهم ظناً منهم أنهم شاميون جاءوا لامدادهم . فأحدق بهم جيش المغول من كل جانب ، ولم يتركوا واحدا منهم حيا ، كما فتكوا بأهل سنجار .

واما سنداغو فانه شدد الحصار على المدينة ، ونصب تجاه باب الميدان وباب الجصاصين ثلاثين منجنيقا ، ترمي ليلاً ونهاراً ، وقابلهم الملك الصالح تجاهها بمجانيق تقابلهم بالضرب . وعلم سنداغو ان الضرب لا يجدي نفعاً ، وخير لهم ان يضايقوا المدينة حتى يفنى طعامهم ، وكان لهم ما ارادوا . ففنيت ميرة أهل الموصل وتعذرت عليهم الاقوات . فطلب الملك الصالح من سنداغو أن يكف عن الحصار ، وان يخرج اليه بنفسه مظهراً الندم على ما فات،على ان يصون حياته ويشفع له عند هولاكو ليخلصه من القتل ، فأجابه سنداغو بالقبول .

فخرج الملك الصالح اليهم بالمغاني والطبول ، فقبضوا عليه،وهجم الجيش المغولي على الموصل في رمضان ٦٦٠ هـ ، وقتلوا اكثر السكان ، واسروا اهل الحرف والصناعات ، بحيث كادت المدينة ان تخلو من اهلها .

أما الملك الصالح فارسلوه الى هولاكو ، فأمر ان يسلخ وجهه وهو حي ، ثم قتلوه شر قتلة[١] .

---

(١) جامع التواريخ ، ٢ ، ٣٢٩ ـ ٣٣٠ ، الحوادث الجامعة ، ٣٤٦ ـ ٣٤٨ ، منية الأدباء ، ٦٨ ـ ٦٩ ، منهل الاولياء ، ١ ، ١٢٦ ، ويذكر في جامع التواريخ انه بعد القتل سلم من اهلها ما يقرب من الف شخص من بين الجبال والمغارات وتجمعوا .



محراب المدرسة العزية ـ والتي تعرف اليوم بمشهد الامام عبد الرحمن

خطط المدينة

كانت المدينة داخل السور الذي حفّها به العقيليون . وقد تقلصت عمارتها على عهد السلاجقة وهجرها أكثر سكانها ، نزحوا الى البلاد المجاورة . فاستولى الخراب على كثير من احيائها . ويذكر ابن الأثيرماكانت عليه من سوء الحال والدمار عندما تسلمها عماد الدين زنكي ، نقلاً عن والده : انه قال :

« رأيت الموصل ـ التي هي أم البلاد ـ في اول ايام الشهيد عماد الدين زنكي ـ واكثرها خراب . وكان الخراب من محلة الطبالين الى القلعة . والى دور السلطنة . وكانت العرصة ترى من قريب مسجد التركماني ـ وهو قريب من الطبالين ـ وكان الجامع العتيق ـ الجامع الأموي ـ ايضاً بلا عمارة البتة . وكانت جميع المحال المجاورة للسور من ساير جهاته غير معمورة . وكان أدنى العمارة من السور ما يكفي رمية حجر . وكان الناس لا يقدرون على المشي الى الجامع غير يوم الجمعة لبعده عن العمارة » .[1]

هذا هو حال البلد عندما ملكها عماد الدين ، فانه حمى البلاد ، وكف أيدي الاقوياء ، وضرب المفسدين ، ونشر العدل والأمان بين سائر الناس ، فساد الأمن والطمأنينة والعدل . فقصدها الناس من مختلف الجهات ، واتخذوها دار اقامة لهم ، فلم تزل العمارة في ازدياد وتوسع حتى درست كثير من المقابر وبنيت دوراً . وضاقت بسكانها ، فخرجوا ظاهر السور الى الارباض التي حولها ، فعمروها وصارت بعض ارباضها تضاهي المدن العظام : كالربض الأعلى والربض الأسفل .

فصارت الموصل على عهدهم احدى قواعد بلاد الاسلام ، كما وصفها ياقوت الحموي بقوله : « الموصل المدينة المشهورة العظيمة ، احدى قواعد بلاد الاسلام ، قليلة النضير ، كبراً وعظماً وكثرة خلق وسعة رقعة »[2] .

وامتازت بفخامة بناياتها ، وجمال هندستها وزخرفتها ، وتنسيق شوارعها وحدائقها ، حتى صارت بعض محلاتها مضرب المثل .

ومن هذه المحلات ، محلة سوق التركمان ـ محلة الخاتونية في الوقت الحاضر ـ تجاور الميدان ، ذكر عنها ابن الفوطي في حوادث سنة ٦٤٦ هـ عند كلامه عن غرق بغداد فقال : « وغرق في الجانب الشرقي ما كان ظاهر السور من مساكن كانت

---

(١) الباهر : ٣٧
(٢) معجم البلدان : ٨ : ١٩٥

استحدثت منذ ايام الخليفة المستنصر بالله ، وبولغ في عمارتها ، وكان بها اسواق عامرة ، وحمامات وبساتين مثمرة ، حتى كادت تشبه حاضر حلب ، أو سوق التركمان في الموصل »(١).

ويقول ابن عبد الحق عنها : « بها أبنية حسنة ، وقصور طيبة على طرف دجلة ، وبها بساتين نزهة ، وفيها جواسق في غاية الحسن والطيب »(٢)

ويقول عنها ابن سعيد المغربي : « هذه المدينة من احسن البلاد منظراً في بناياتها وبساتينها وشواريقها التي على دجلة »(٣)

الميدان

يفصل الميدان عن المدينة السور الذي بناه العقيليون ، وفيه القلعة ودور المملكة ، وهو أرض تمتد من ساحل دجلة الى باب سنجار ، وهو ميدان للجيش والعابه وتدريبه ، وفيه كشك يكون فيه الملك اذا عزم الخروج الى حرب، ليشرف على تدريب الجيش وتهيئته .

وفي الميدان شارع واسع يمتد بموازاة السور العقيلي ، يفصل دورَ المملكة والقلعة عن البلد ، يكون من باب المشرعة ـ قرب عيسى ذده ـ الى المدرسة العزية ـ مشهد الامام عبد الرحمن في الوقت الحاضر ـ الى مقام الفتح الموصلي ـ الشيخ فتحي في الوقت الحاضر ـ الى باب سنجار .

وحف الأتابكيون الميدان بسور يمتد من القلعة الى باب سنجار ، فصار للموصل سوران .

دور المملكة

تقع على دجلة ، تجاور القلعة وتقابل الميدان ، ولم تزل بقاياها تعرف باسم « قره سراي » .

ان عماد الدين زنكي جدد هذه الدور التي كان قد بناها السلاجقة ، لانه وجدها لا تتناسب مع ما يتطلبه من الفخامة ، فوسعها وجعلها عدة دور ، وصارت

---

(١) الحوادث الجامعة ، ٢٣٠ ـ ٢٣١ .

(٢) آثار البلاد ، ٤٦١

(٣) اعلام الصناع المواصلة ، ٢٨

تعرف بدور المملكة[1]، وعني بزخرفتها بالنقوش الجبسية، والرخام المطعم، والكتابات المختلفة، وزخرف سقوفها بالذهب. فكانت من الدور الكبيرة التي تضاهي دور الخلفاء والسلاطين العظام. وزينها بتصاوير نافرة في الجدران، مختلفة الحجوم. فنجد في احدى الغرف المطلة على دجلة في قره سراي صوراً صغيرة تحف باعلى جدران الغرفة، كل صورة منها داخل دائرة قطرها ٥ سم وربما كانت هذه الصور تمثل أزياء الجند. ويذكر نيبور عنها فيقول: « ورأيت على جدران الغرف صوراً جصية صغيرة بارزة، يتراوح عددها بين الثمانين والمائة تمثالاً ».

وكانت بعض كتاباتها وزخارفها مذهبة. قال ابن القلانسي يصف ما فيها من الزخارف:

وكم بيت مـال مـن نضار وجوهر ... وأنواع ديباج حوتها مخاتمـه
وكم قد بنى داراً تباهي بحسنها ... جنان خلود لُحكمتها عزائمـه
مزخرفة بالتبر مـن كـل جانـب ... وأغصان بقس قد تحلت حمائمـه

ولما نكب بدر الدين أولاد الاتابكة وقضى عليهم، اتخذها داراً له، فزاد في تنسيقها وزخرفتها سنة ٦٣٠ هـ واتخذ بها الحدائق. وفيها النافورات والتماثيل حول البرك وتحت الاشجار الوارفة. يقول احمد بن بوران بن سنقر بن عبد الله الموصلي النقاش يصف ما شاهده في هذا الجوسق من بدائع الفن والجمال: »[2]

هي الدار لا دار سواها فقف بها ... ترى منظراً باليمن حسن ابتسامه
فالايوان: لا ايوان كسرى ببابل ... لما قد حواه من فنون رخامـه
اذا ما رنا طرف ليدرك شأوه ... يعـود كليلاً دونـه لم يسامه
تشارف فيه البر والبحر غامـــرا ... بحيتانـه في عامـــر بنعـامه
تلاعب فيه الضب والنـون دائمـا ... فمن سابح أو سائح في أكـامه
ترى الـروض ما أبدى رفيع سقوفها ... لطائف مـن نواره وثغامـه
تميس غصـون لـم يمسن وما شدت ... على الأيك منها طائر من حمامـه
فكم من نديم أوطأ الكأس كفـه ... ولكنـه لم يرتشـف من مدامـه
وهيفاء أمست يوجع العـود ضربها ... ومـا هـو عنها مفصح بكلامـه

---

(١) وتعرف ايضاً بدور السلطنة

(٢) وكانت تسمى « بالجوسق البدري ». انظر اعلام الصناع المواصلة، ٢٠٧ ــ ٢١٠

وريم رماه نابل فأصابه — وما ذعرت الافه من نعامه
وكم من هزبر فاغر فاه طالباً — كمياً، على طرف ثنى بلجامه
وفتيان صدق من قوارير كونوا — فكل يرى عن حكمه لاحتكامه
فكل ترى من جاءه من ورائه — جلياً كمن قد جاءه من امامه
ومن بازل ما نيط حبل عقاله — ولا سائق يلوى مجر زمامه
لدى بركة حفت بوشي حدائق — يخجل زهر الروض حسن نظامه
تدفق فيها الماء من كل جانب — فتطرب من تصفيقه وانتظامه
كأن مدار القطب وجه بساطها — ترى الشهب في وحداته وتؤامه
تصدق ان قلت السماء بأنه — يرى البدر فيها كاملا في تمامه

ولم تزل بقايا هذه الدار تعرف بقره سراي . وعند صيانتها عثرنا على بقايا زخارف مذهبة وبعض التصاوير التي في الايوان . وكتابات تشير ان بدر الدين لؤلؤ قد اعاد عمارتها وعني بزخرفتها وتزويقها باشراف مولاه « سنبك البدري » .(١)

القلعة

تقع على الارض التي تشرف على دجلة وعين الكبريت شمال الميدان . واقدم ذكر لها سنة ٣٧٨ هـ .

ولما تولى عماد الدين عني بها . فبناها قلعة واسعة تتسع لآلاف من الجيش وما يحتاجونه من عتاد ولوازم حرب ومؤونه(٣).

ومن اهتم بعمارتها . فرمم سورها وأحكم أبراجها وجدد ما هدم من مرافقها فخر الدين عبد المسيح وزير سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود .(٤)

وكان يحيط بالقلعة سور هو غير سور مدينة الموصل . ووصفها ابن جبير سنة ٥٧٩ هـ بقوله : « وفي اعلى البلد قلعة عظيمة قد رص بناؤها رصاً . ينتظمها سور عتيق البنية . وتتصل بها دور السلطان . وقد فصل بينها وبين البلد شارع متسع من اعلى البلد الى اسفله .

---

(١) انظر الكتابات في : مجموع الكتابات المحررة في ابنية الموصل ، ١٤٠ ـ ١٤١ . الموصل في العهد الاتابكي ، ١١٧ ـ ١١٨ .

(٢) ـ (٤) الكامل ـ لابن الاثير (٩ ، ٢٣٩) ، (١٠ ، ١٧٢) ، (١١ ، ١٣٤)

ومما يؤسف له اننا لم نقف على وصف مفصل لمرافقها . وقد وقفنا على اسماء بعض ابوابها ، وهي :

باب القلعة : يؤدي منها الى الميدان . والذي نراه انه كان يقابل الغرب ، اي انه كان يقابل باب الميدان – الباب الغربي – والمعروف بباب سنجار ايضاً .

باب السر : يؤدي منها الى النهر من جهة عين كبريت ، وهو امنع ابوابها ، ولما حاصر نور الدين محمود الموصل سنة ٥٦٦ هـ حلف ان لا يدخل القلعة الا من باب السر ، ودخل منه .

اما سعتها فيظهر لنا انها كانت تمتد الى دور المملكة ، وكان مشهد الامام يحيى بن القاسم فيها ، ومن ساحل النهر الى مقبرة آل النقيب – مقبرة الست فاطمة – .

كانت القلعة مركزاً مهماً في الدولة ، يكون بها العتاد والذخيرة وأموال الدولة النفيسة ، ويتولى حراستها جيش يشرف عليهم (محافظ) – ويسمونه : « دزدار » معروف بالشجاعة والحزم والتدبير .

وممن تولى دزدارية القلعة :

– سعدالدين كمشتكين الخادم ، ولاه عليها سيف الدين غازي (٥٦٦ – ٥٧٦ هـ)
– فخر الدين عبدالمسيح ، تولاها بعدزين الدين علي كجك (٥٦٥ – ٥٦٦ هـ)
– مجاهدالدين قيماز الرومي ، تولاها لسيف الدين غازي الثاني – سنة ٥٧١ هـ

بقيت القلعة عامرة حتى سنة ٦٦٠ هـ ، وفي هذه السنة حاصر الموصل « سنداغو » ، قائد المغول ونصب عليها المنجنيقات ، وتحصن في القلعة « ياسان » ، وشدد المغول الحصار عليها ، ورموها بالاحجار والنار ، فهدموا القلعة وقتلوا من فيها .

ولم تزل بقاياها تعرف اليوم باسم « باش طابية »[1] .

السور

ولما تولى الاتابكيون الموصل وجدوا السور الذي بناه العقيليون بحالة غير مرضية ، فجدد بناءه عماد الدين زنكي ، وبنى للميدان سوراً آخر يمتد من القلعة الى باب سنجار ، يحف بالميدان ، لأن فيه دور المملكة والقلعة ، ورفع السور من سائر جهاته واحكمه ، وعمق الخندق الذي يحف بظاهر السور ، كان هذا سنة ٥٢٧ هـ . فصار للميدان سوران ، احدهما السور العقيلي ، والثاني السور الأتابكي[2] .

---

(١) سومر (١٠ ، ١٠٠ – ١٠٣) والموصل في العهد الاتابكي : ١١٨ – ١٢٠
(٢) الباهر (٧٨) ، وفيات الاعيان (١ ، ١١٤)

ووصف ابن جبير عظمة هذا السور وما فيه من ابراج محكمة ، وبيوت كثيرة للجيش فقال ، عند كلامه عن الموصل : « هذه المدينة عتيقة ضخمة ، حصينة فخمة ، قد طالت صحبتها للزمن ، فاخذت اهبة استعدادها لحوادث الفتن ، وقد كادت ابراجها تلتقي انتظاماً لقرب مسافة بعضها من بعض ، وباطن الداخل منها بيوت بعضها على بعض ، مستديرة بجداره المطيف بالبلد كله ، كان قد تمكن فتحها فيه لغلظ بنيته وسعه وضعه ، وللمقاتلة في هذه البيوت حرز ووقاية ، وهي من المرافق الحربية(١) .

كان للسور عدة ابواب في العهد الأتابكي :

ـ **الباب العمادي :** فتحه عماد الدين زنكي سنة ٥٢٧ هـ ، وهو يؤدي الى الربض الأعلى من المدينة ، وسمي باسمه ، وموقعه محطة تزويد الوقود (النفط) التي بجانب بناية رئاسة جامعة الموصل . وامامه ظاهر المدينة مشهد الطرح ـ بنجة علي ـ

ـ **باب سنجار :**(٢) وهو من اقدم ابواب المدينة واعظمها ، يقع في اللحف الغربي من تل الكناسة ، ولم يزل محله يعرف بهذا الاسم ، وكان من اوسع ابواب المدينة واعظمها ، يحف به من الداخل مرافق كثيرة للجيش وخيوله وعتاده ، وآخر من جدده بدر الدين لؤلؤ سنة ٦٤١ هـ .

ـ **باب كندة :** وهو من الأبواب التي كانت تقع غربي المدينة بين باب البيض وباب سنجار ، ولما حاصر صلاح الدين الأيوبي الموصل سنة ٥٧٨ هـ نزل محاذى باب كندة ، وأنزل صاحب حصن كيفا محمد بن قرار على باب الجسر ،وانزل تاج الملوك عند الباب العمادي(٣) ـ ولعله يكون قريباً الى باب البيض أكثر من قربه الى باب سنجار .

ـ **باب الجصاصة :** الجصاصة او الجصاصون هم الذين يشتغلون بقلع المرمر وعمل الجص ، ويكثر المرمر في القسم الشمالي الغربي من المدينة . فلعله كان يقع مقابل هذا المكان .

---

(١) رحلة ابن جبير ، ١٨٨ .

(٢) ويعرف ايضاً بباب الميدان ، لانه يؤدي الى الميدان ، امام تل الكناس ،

فهو يعرف اليوم بتل كناس ، شغلت البلدية اكثره عند دفن الخندق الذي كان يحف بالسور سنة ١٩٣٧

وللجصاصين شأن في احكام سور المدينة او تخريبه . ولما حاصر السلطان محمود السلجوقي جاولي صاحب الموصل سنة ٥٠٢ هـ اغتاظ أهل المدينة . وخرج الجصاصة نهار الجمعة وفتحوا الباب الى السلطان(١) .

ومن دروب الموصل المشهورة : درب الجصاصة أو درب الجصاصين . ولاشك انهما كانا يؤديان الى باب الجصاصين . وكان عمل الجص من الحرف المهمة في المدينة .

ـ **باب العراق** : كان يؤدي الى الجهة الجنوبية ـ جهة العراق ـ ولم يزل محله معروفاً بهذا الاسم . كما ان المحلة التي بنيت قريباً منه تسمى بمحلة باب العراق .

ـ **باب القصابين** : من الابواب التي كانت تؤدي الى الجهة الجنوبية من المدينة . يؤدي الى سوق القصابين . ولعله كان بين باب الطوب وباب السراي .

ـ **باب الجسر** : وهو من اقدم ابواب الموصل . يؤدي الى الجسر . ولم يزل محله معروفاً بهذا الاسم .

ـ **باب المشرعة** : كان يقع قريباً من دور المملكة ـ دور السلطنة ـ يؤدي الى النهر . بنى عليه الملك سيف الدين غازي سنة ٥٤١ هـ رباطاً . ويسمى محل الرباط اليوم « مقام عيسى دده » .

---

(٣) ـ (١) ـ الكامل ، (١١ ، ١٩٧) ، (٩ ، ١٤٦ ـ ١٤٧) ، (١٠ ، ١٧٢)

المساجد

يذكر سبط ابن الجوزي انه كان بالموصل سنة ٦٠٠ هـ ، من الجوامع خمسة وثلاثون جامعاً . واربعمائة مسجد . وهذا يدلنا على تمسك القوم بأمور دينهم . واشهر جوامع الموصل اذ ذاك :

الجامع الأموي

وقد تقدم الكلام عنه

وصارت حالة الجامع غير مرضية في القرن الخامس للهجرة . ولما تولى الاتابكيون عنوا بتجديد مرافقه . وذلك سنة ٥٤٣ هـ على عهد سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي . وبعد تجديد الجامع النوري صاروا يسمون الجامع الاموي « الجامع العتيق » . تمييزاً عن الجامع الجديد ـ الجامع النوري ـ

واهتم الاتابكيون بزخرفته وتزيينه . ومما لاحظه ابن جبير في الجامع النافورة الجميلة التي كانت في صحنه . قال عنها : « وفي صحن هذا الجامع قبة . داخلها سارية رخام قائم . قد خلل جيدها بخمسة خلاخل مفتولة فتل السوار من جرم رخامها . وفي اعلاها خصة رخام مثمنة . يخرج عليها انبوب من الماء خروج انزعاج وشدة . فيرتفع في الهواء ازيد من القامة . كأنه قضيب من البلول معتدل . ثم ينعكس في اسفل القبة »(١) .

ومن آثار الاتابكيين الجميلة في هذا الجامع المحراب المتخذ من المرمر ـ من أجمل محاريب الموصل ـ مزخرف بزخارف نباتية متشابكة ومتناظرة . صنعه سنقر البغدادي سنة ٥٤٣ هـ . كما هو مكتوب عليه(٢) .

وعندما رمم الجامع النوري الشيخ محمد النوري القادري . ذكروا له هذا المحراب بين انقاض الجامع الأموي . فأمر بنقله الى الجامع النوري . وصار يعرف بمحراب الجامع النوري . وعمروا به منارة كمنارة الجامع النوري . مزين ظاهرها بزخارف آجرية ـ ولم تزل تبعد عن الجامع بمسافة (١٥٠) متراً(٣) .

---

(١) رحلة ابن جبير (ص ، ١٨٨)

(٢) انظر جوامع الموصل (ص ، ٣١ ـ ٣٤) فيها وصف المحراب وتصويره .

(٣) في جوامع الموصل (ص ، ٣ ـ ١٧) بحث مفصل عن الجامع المذكور .

الجامع النوري

انشأه نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي سنة ٥٦٦ هـ وذلك انه زار الموصل في هذه السنة ومكث بها اربعة وعشرين يوماً ، وكانت الموصل قد توسعت وضاق الجامع الأموي بالمصلين ، وذكروا لنور الدين ان في وسط الموصل خربة واسعة يستحسن ان ينشأ عليها جامع ، فأشار عليه شيخه معين الدولة عمر بن محمد الملا أن يشتريها وينشيء عليها جامعاً . فوافق نور الدين على هذا، ورأى ان خير رجل يقوم بمثل هذا العمل الخيري هو شيخه عمر الملا ، ففوض اليه أمر بنائه وان يشتري ما يجاور الخربة من الدور والحوانيت . وان تؤخذ من اصحابها برضاهم بعد ان يدفع اليهم اثمانها .

ان بعض اتباع نور الدين كانوا يرغبون ان يعهد اليهم بالعمل . فقالوا له عن عمر الملا : « ان هذا الرجل لا يصلح لمثل هذا العمل . » فأجابهم نور الدين : « اذا وليت العمل بعض اصحابي من الاجناد او الكتاب اعلم انه يظلم في بعض الاوقات . ولا يبنى الجامع بظلم رجل مسلم . واذا وليت هذا الشيخ غلب على ظني انه لا يظلم . فاذا ظلم كان الأثم عليه لا علي » .

باشر الشيخ عمر ببناء الجامع سنة ٥٦٦ هـ . وكان يملأ تنانير الجص بنفسه . وبقي يشتغل بعمارته الى سنة ٥٦٨ هـ .

وفي هذه السنة زار نور الدين الموصل . وتفقد عمارة الجامع .وفرشه بالبسط والحصران وعين له مؤذنين وخطيباً ورتب له ما يلزمه .

واوقف نور الدين على الجامع قرية من قرى الموصل . ويذكر العمري في منهل الأولياء عند كلامه عن العقر الحميدية، انها كانت وقفاً على الجامع النوري ، كما اوقف عليه قيسرية كبيرة كانت اعظم قيسريات الموصل . وذكروا أن عدد دكاكينها كانت ٦٩٩ دكاناً .

وأنشأ مدرسة في الجامع ـ

وفي زيارة نور الدين هذه كان في أحد الايام جالساً على دجلة . فتقدم اليه شيخه عمر الملا . وقدم اليه دفاتر الخرج . وقال له : « يامولانا أشتهي ان تنظر فيها » . فقال له نور الدين : « يا شيخ عملنا هذا لله، فدع الحساب ليوم الحساب » واخذ الدفاتر ورماها في دجلة .

يذكر عنه ياقوت الحموي المتوفي سنة ٦٢٦ هـ عند كلامه عن الموصل : « وسورها يشتمل على جامعين ، تقام فيهما الجمعة ، احدهما بناه نور الدين محمود ، وهو في وسط السوق ، وهو طريق للذاهب والجائي ، مليح كبير » .

اما ابو شامة المقدسي المتوفي سنة ٦٦٥ هـ فانه وصف الجامع بقوله : « اليه النهاية في الحسن والاتقان »

أما بناء الجامع الحالي فانه حديث العهد لم يحتفظوا بأكثر آثاره النفيسة ، فبعضها نقل الى المتحف العراقي في بغداد ، وبعضها تلف ، وبعضها احتفظ به في الجامع .

ومن آثاره الجميلة المحراب الذي كان في الجامع ، يقابل الباب الرئيسي في المصلى ، مزين بزخارف وكتابات جميلة جداً ، وتظهر آثار تقليد الفنانين لزخارف هذا الجامع في المحاريب التي انشئت بعد هذا التاريخ(١) .

ومن آثار الجامع واجهة جصية كانت فوق محراب مزخرف بالجص في شرقي المصلى ، وعند تجديد الجامع هدم المحراب ونقلت هذه القطعة الرائعة الى المتحف العراقي في بغداد . وكلها غنية بالكتابات وبالزخارف . فقد اتخذت الكتابات على شكل زخارف ، تتخللها زخارف نباتية مختلفة ، تتكون هذه الواجهة من ثلاثة اقواس مرتفعة تجمع بينها أعمدة(١) .

محراب الجامع الصيفي : وهذا المحراب كان في المصلى الصيفي للجامع النوري ، وهو من المحاريب الرائعة لما يحويه من زخارف وكتابات جميلة ، ومما يؤسف له ان بعض اقسامه فقدت .

يحف بالمحراب من جانبيه زخارف دقيقة كل وحدة منها ما يشبه المحراب . وهي تستمر الى اعلى المحراب(٢) .

المنارة : وهي اطول منارة في العراق ، يبلغ ارتفاعها ٥٥ متراً ، تمتاز بما يزينها من زخارف آجرية نافرة ، على شكل حلقات تحف بظاهرها ، يفصل كل قسمين منها شريط مزين بزخارف آجرية .

وتتألف المنارة من :

---

(١) في كتابنا جوامع الموصل (ص ، ١٧ ـ ٥٥) بحث مفصل عن الجامع .

(١) انظر ما في هذه الواجهة من كتابات جميلة زينت بها في « نصوص في المتحف العراقي » ، ٨ ، ٣٨ ـ ٤١

(٢) انظر ما في هذا المحراب من كتابات وزخارف « نصوص في المتحف العراقي » ٨ ، ٣٤ ـ ٣٧ .

القسم المنشوري : وهو الذي تستند عليه المنارة . يتألف من منشور رباعي ضلع قاعدته ٥٠,٧٠ متراً وارتفاعه ١٥,٨٠ متراً .

القسم الاسطواني : وهو الذي يعلو القسم الأول . ويشتمل على سبعة أقسام زخرفية .

وللمنارة طريق من الارض يؤدي الى اعلى المنارة

والطريق الثاني ـ وهو في الاروقه التي تقع في السفح الشرقي من القسم المنشوري ـ وهذا الطريق يلتقي مع الطريق الاول ويؤدي الى اعلى المنارة .

---

(٣) في سومر (٥، ٢٩١ ـ ٢٩٦) تصوير المنارة . والواح توضح الزخارف الآجرية لقاعدة المنارة . والواح توضح زخارف المقاطع السبعة للمنارة .

الجامع المجاهدي

انشأة أبو منصور قيماز بن عبد الله الزيني الملقب مجاهد الدين من أهل سجستان . كان من مماليك زين الدين والد الملك المعظم مظفر الدين كوكبوري . وقدمه في دولته .

وفي سنة ٥٧١ هـ انتقل الى الموصل وتولى دزدارية قلعتها . ورث آثاراً حسنة في الموصل واربل .بنى في اربل مدرسة وخانقاه للصوفية . واوقف لهما الوقوف الحسنة .

وبنى في الموصل عمارات كثيرة خيرية ـ ذكرناها عند كلامنا على المدرسة المجاهدية ـ

كان الربض الاسفل كالمدينة بكثرة عماراته ،وازدحام السكان فيه، والاسواق الكثيرة ، وكان يصعب على الناس الصلاة في الجامعين اللذين داخل المدينة .(١)

وفي سنة ٥٧٢ هـ باشر ببناء جامع على دجلة في الربض ليريح الناس ، واستخدم في بنائه أمهر البنائين والفنانين ، وانفق عليه مبلغا كبيرا . واستمر العمل به أربع سنين ، فكان من الجوامع المعدودة في بلاد الجزيرة، واقيمت فيه صلاة الجمعة سنة ٥٧٥ هـ قبل أن تكمل مرافق الجامع .(٢)

كان الجامع أكبر مما هو عليه الان ، وكان ومن اجمل الجوامع . ذكر عنه ابن جبير الذي زار الموصل سنة ٥٨٠ هـ . وصلى فيه . واعجب به غاية الاعجاب لما شاهده من جمال موقعه ، ودقة هندسته . وتنوع زخارفه وكتاباته . فقال عند كلامه عن الربض الاسفل : « واحدث فيه بعض أمراء البلدة ـ وكان يعرف بمجاهد الدين جامعا على شط دجلة .ما أرى وضع جامع احفل منه بناء :" يقصر الوصف عنه . وعن تزيينه وترتيبه . وكل ذلك نقش في الآجر . أما مقصورته فتذكر بمقاصير الجنة . ويطيف بها شبابيك حديد . تتصل بها مصاطب تشرف على دجلة . لا مقعد اشرف منها ولا أحسن . ووصفه يطول . وانما وقع الالماع بالبعض جريا الى الاختصار . »

اما قبته فقد طمست الزخارف والكتابات التي كانت تزينها .

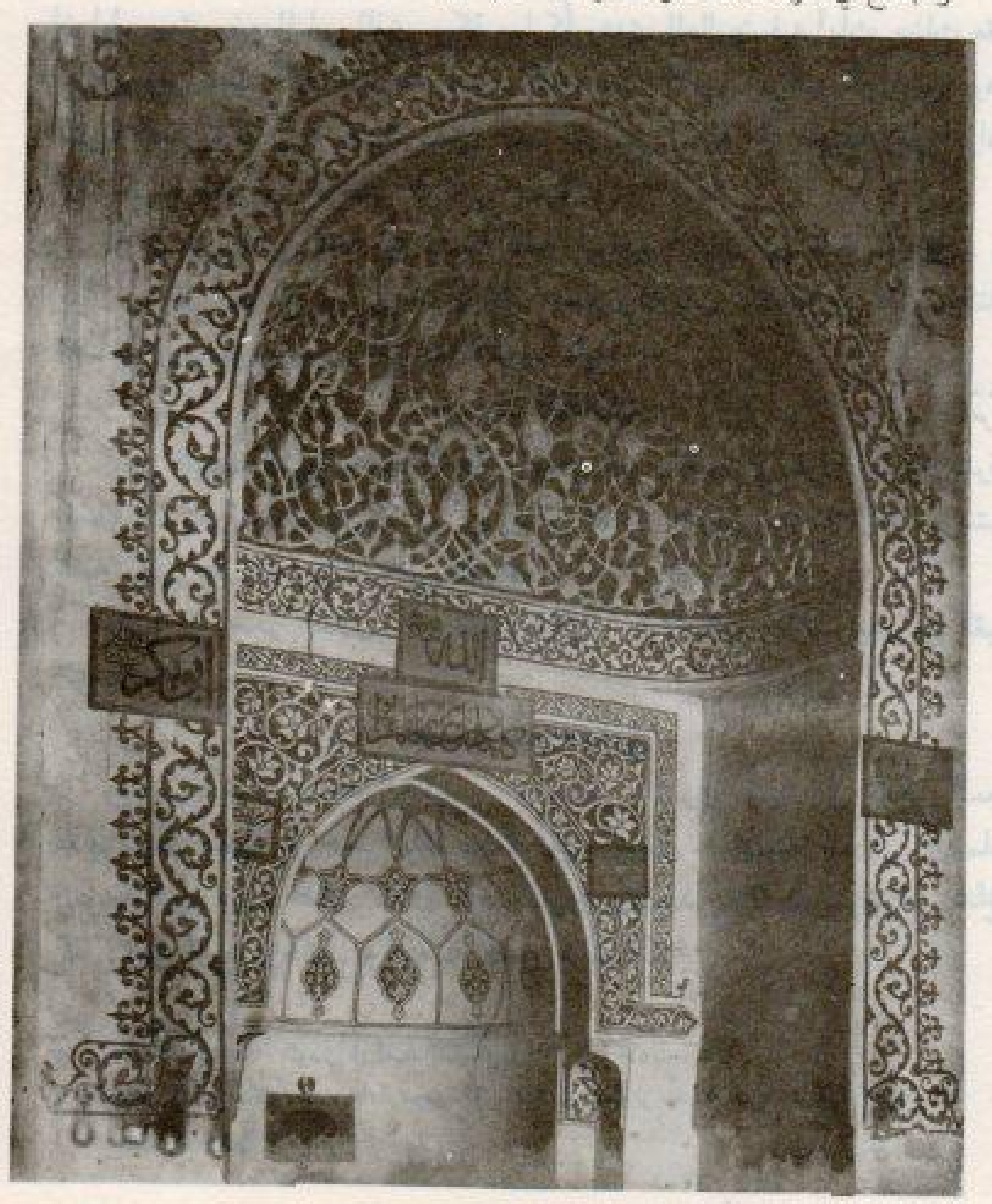
---

(١) الجامع الاموي ، الجامع العتيق والجامع النوري . الجامع الجديد .

(٢) في كتابنا ، جوامع الموصل (ص، ٥٥ ـ ٧٣) بحث مفصل عن هذا الجامع .

ووصلنا من آثاره المهمة المحراب ، وهو أكبر محراب في الموصل ، مزخرف بزخارف نباتية متشابكة مع زخارف هندسية ، يتخللها صور حيوانات كالأسد والغزال وطيور أليفة كالبط والحمام ، متداخلة تداخلا كليا مع غيرها من الزخارف ، وبصورة متناظرة بحيث تكون الصورة متممة للزخارف النباتية ، ويصعب على الناظر تمييز ما فيها لاول مرة ، وهذا يدلنا على ابداع الفنان في هذه الزخارف والتصاوير وكلها نافرة .

والجامع في الوقت الحاضر اصغر مما كان عليه



محراب الجامع المجاهدي ـ المعروف اليوم بالجامع الاحمر وجامع الخضر

مسجد ابراهيم المهراني الجراحي

شيد هذا المسجد الشيخ ابراهيم المهراني الجراحي، من اتباع عدى بن مسافر الهكاري. وكان يحضر عنده السماعات التي يقيمها الشيخ عدى في جبل لالش. واتخذ بجانب المسجد تربة له ولزوجته حسنة خاتون بنت القرابلي » وذلك في سنة ٤٩٨ هـ. ودفن هو وزوجته فيها.

ومن آثاره التي فيه، حجر اسود من الكرانيت ، مساحته (٣٣ × ١٥ سم). منقوش عليه صورة الكعبة المشرفة ومكتوب فوقها: البسملة.

ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمناً» هذا المسجد الذي عمره الامير ابراهيم الجراحي، وهذه التربة المجاورة له تربة حسنة. خاتون بنت القرابلي رحمة الله عليهما وعلى ابراهيم الجراحي ــ عمل عبد الرحمن بن ابي حمزة.».

ثم ان بدر الدين اتخذ فيه مشهداً للامام ابراهيم المجاب بن جعفر الصادق. ولا يزال يعرف بهذا الاسم. وزينة برخام مطعم وكتابات مختلفة من نقش وكتابة الاستاذ نوري بن يونس ــ كما هو مكتوب عليه(١)

مسجد الخلال

اسس المسجد الشيخ محمد الخلال، ودفن فيه، وقبره في غرفة متصلة بشرقي المصلى ، وهو محمد بن حسن بن عشائر الخلال المتوفى سنة ٦٣٤ هـ، وينتهي نسبه بابي بكر الصديق ــ رضي الله عنه.

وقبره من حجر الحلان، فيه نقوش نافرة ، وكتابات غائرة، وهو من القبور الجميلة(٢)

مسجد الرحماني

ويسمى ايضا « مسجد الحكيم ». وهو على ما نرى مشيد على انقاض المسجد الذي شيده سعيد بن عبد الملك عندما تولى الموصل، وتوليته بيد آل الرحماني المعروفة اليوم ببيت حكيم افندي. وهم امويون، والمسجد بحالة غير مرضية، متداع كله. وفيه الواح وزخارف وكتابات لعصور مختلفة.(٣)

---

(١) اعلام الصناع: ١٦٧، الموصل في العهد الاتابكي: ١٦٠، منية الادباء: ١٠٨

(٢) الموصل في العهد الاتابكي: ١٦٢، سومر: ٢٣: ٢٢٨ فيه تصاوير مختلفة لقبره. ترجمة الاولياء: ٨١

(٣) سومر: ٥، صورة ١٢.

مسجد عمر الملا

هو المسجد الذي شيده الشيخ عمر بن محمد الملاء الذي تولى بنفسه عمارة الجامع النوري . وبجانب المصلى تربة له ، ودفن فيه بعد موته . وكان يسمى المسجد « مسجد الشيخ عمر » . وسميت المحلة باسمه .

وفي سنة ١٣٩٤ هـ هدمت البلدية المسجد على اثر توسيع الشارع ، ونقلت رفاة الشيخ عمر الى الجامع النوري(١)

مسجد عبد الحميد

يقع في محلة شهر سوق . ولا نعلم اول تأسيسه بالضبط . وعليه كتابة تشير انه جدد سنة اثنتين واربعين وخمسمائة . كما هو مكتوب على المحراب الرخامي الذي فيه . وهو محراب جميل بزخارفه وكتاباته .(تطوع بعمله لوجه الله تعالى حاجي خضر بن بندار التبريزي ـ تقبل الله منه وأثابه .)

وعلى يمين المحراب رخامة سوداء محفور عليها : « البسملة . انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر . تمت عمارة هذا المسجد المبارك في مستهل شهر ربيع الآخر من سنة اثنتين واربعين وخمسمائة » .

وعلى يسار المحراب رخامة اخرى تشير انه جددت عمارته سنة ست وثمانين وتسعمائة .

اما عبد الحميد فكان يقرىء الاولاد في هذا المسجد . فغلب اسمه عليه . ويذكر المواصلة ان المسجد المذكور احد مساجد الصوفية السبعة في الموصل وهي أقدم المساجد فيها .(٢)

مسجد أمين الدين ياقوت

يقع في الربض الاعلى ظاهر الموصل على الارض التي انشىء عليها قصر الحاج توفيق افندي الفخري . ظهر عند الحفر لوحة مكتوب عليها : « بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أوقفه وقفا مؤبدا على ولده وولد ولده . لا يباع ولا ينذر ولا يبدل ولا يغير أمين الدين ياقوت بن عبد الله الملكي البدري . وهو مسجد لله تعالى . فيه تربة ولده احمد تغمده الله برحمته . توفى في ذى القعدة سنة ٦٣٧ هـ . سبع وثلاثين وستمائة فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه » .

---

(١) الموصل في العهد الاتابكي ، ٢٦٦ . جوامع الموصل ٤٩ ـ ٥٠

(٢) مجموع الكتابات ، ٩٤ ـ ٩٥ . نصوص في المتحف العراقي ، ٨ ، ٧٠ ـ ٧١ فيه وصف مجمل للمحراب وتصويره .

فالمسجد المذكور اسمه احد مماليك بدرالدين لؤلؤ أمين الدين ، واتخذ فيه تربة لولده .(١)

مسجد منصور الحلاج

من المساجد القديمة في الموصل ، اسسه الحديثيون الذين نقلهم عماد الدين زنكي الى الموصل ، وكانت تسمى المحلة باسمهم « محلة الحديثيين » ولا نعلم اسمه الحقيقي . ودفن فيه قبل قرنين من الزمن شخص حلاج اسمه منصور ، كان يسكن الجامع ويتولاه . فسمي مسجد منصور الحلاج(٢)

مسجد التركماني

يقع في حظيرة السادة ، ويسمى في الوقت الحاضر مسجد ملا علي ـ شخص كان يعلّم فيه ـ كما يسمى مسجد السبيل خانة لأنه كان فيه سبيل خانة على الطريق .

والمسجد ورد ذكره في القرن السادس ، وهو يقع في محلة التركمان ، وكان فيه محراب جميل من العهد الاتابكي ، وعند ما أعيد تعميره، سنة ١٣٧٣ هـ ثبت المحراب في الاروقة التي امام المصلى(٣)

(١) مجموع الكتابات ، ٢٠٦

(٢) ترجمة الاولياء ، ١١٦ ـ ١٢٠ ، منهل الاولياء ، ٢ ، ٢١٦ ـ ٢٢٤

(٣) مجموع الكتابات ، ١٩١

المدارس

ازدهرت الحركة العلمية في الموصل على ايدي الاتابكة . وامتاز ملوكها بحبهم لنشر العلوم والمعارف . والاغداق على العلماء وترغيبهم في التدريس والتأليف . واسسوا معاهد العلم المختلفة من مدارس ودور حديث ودور قرآن واربطة . واستقدموا العلماء من البلاد الاخرى . واجزلوا لهم العطاء . فكانت الموصل على عهدهم من مراكز العلم والادب . قصدها الطلاب من اختلاف البلاد . ودرسوا في معاهدها . وتخرجوا على علمائها .

ذكر سبط . بن الجوزي انه كان في الموصل سنة ٦٦٠ هـ : ٢٨ مدرسة . و ١٨ دارا للحديث . و ٢٧ رباطا . وغير ذلك من الكتاتيب وغيرها .

وكانت مدارس الموصل من اجمل البنايات، مزينة بالكتابات المختلفة والنقوش الهندسية . والرخام المطعم . ولم تزل بقايا هذه المدارس تشهد بما كانت من جمال البناء وروعة الفن وطيب الموقع

ووصف ابن جبير بعض مدارسها التي كانت على دجلة فقال : « وفي المدينة مدارس للعلم نحو الست أو أزيد . على دجلة . فتلوح وكأنها القصور المشرفة »(١) . ومما يؤسف له ان بدرالدين لؤلؤ حول اكثر المدارس الى مقامات ومشاهد لأبناء آل البيت . وذلك لكي يعفي آثار أسياده الاتابكيين . ويقاوم الحركة العدوية ـ كما قدمنا ـ وما زالت حركة العلم في تأخر على عهده حتى كانت موجة التتر التي هاجمت الموصل سنة ٦٦٠ هـ . فدمرت أكثرها، وطمست معالم العلم من البلد .

المدرسة النظامية

بناها نظام الملك الوزير السلجوقي المشهور (٤٠٨ ـ ٤٨٥ هـ) قرب الجامع النوري، وأول من درس بها القاضي أبو بكر محمد بن علي بن ابي خالد الخالدي المعروف بالسديد قاضي الموصل[١]

ودرس فيها ابو حامد محمد بن القاضي كمال الدين الشهرزوري (٥١٠ ـ ٥٨٦ هـ)[٢].

وأحمد بن نصر بن الحسن ابو العباس الأنباري المعروف بالشمس الدنبلي المتوفى سنة ٥٩٨ هـ. كان هذا من علماء الموصل، ودرس أيضاً بالأتابكية العتيقة، وبالمدرسة الكمالية القضوية.[٣]

والذي نراه ان مقام علي الأصغر المعروف « بمقام ابن علي » أو « ابن الحنفية » اتخذه بدر الدين لؤلؤ في هذه المدرسة فهو يقابل الجامع النوري، يفصل بينهما شارع.

والمدرسة في الوقت الحاضر عبارة عن فناء صغير، ينزل منه الى ما يشبه المصلى، وينزل من هذا القسم الى بناية المدرسة. ولم يبق من آثارها الا محراب نفيس من المرمر الازرق المطعم بمرمر ابيض وحوله مكتوب بخط كوفي: « البسملة وانما يعمر مساجد الله ... (الى) أن يكونوا من المهتدين. »

المدرسة الاتابكية العتيقة

بناها سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي، وكان من خيرة الملوك يحب العلم واهله منطوياً على خير وصلاح، ودفن فيها بعد موته ٥٤٤ هـ.

وكانت المدرسة من احسن المدارس واوسعها، وجعلها وقفاً على الفقهاء الشافعية والحنفية نصفين، وبنى رباطاً للصوفية مجاوراً لباب المشرعة، ووقف عليهما الوقوف الكثيرة، وممن درّس فيها:[٤]

ابو البركات عبد الله بن الحسين المعروف بابن الشيرجي المتوفى سنة ٥٧٤ هـ، وهذا درس على ابن شداد العالم المشهور[٥]

---

(١) رحلة ابن جبير، ١٨٠

(٢) اللباب في الانساب، ١، ٣٠

(٣ ـ ٤) طبقات الشافعية، ٤، ٥٧

(٥) الروضتين، (١، ٦٥). (مراة الجنان، ٨، ١٢٣).

اما الرباط فكان يقع على باب المشرعة الذي يؤدي الى النهر . والذي يسمى اليوم مقام عيسى دده ، ولعل المدرسة كانت تجاور الرباط . فان صح هذا فانها كانت تقع على دجلة ايضاً .

مسجد زين الدين ـ المدرسة الكمالية

بناها زين الدين ابو الحسن علي بن بكتكين المتوفي سنة ٥٦٣ هـ ، والد الملك المعظم مظفر الدين ابي سعيد كوكبوري صاحب اربل ، وفوض تدريسها الى رضي الدين يونس بن منعة (٥٠٨ ـ ٥٧٦ هـ) . ودرس بعده ابنه كمال الدين فصارت تعرف بالمدرسة الكمالية .(١)

قال ابن خلكان عند كلامه عن كمال الدين بن يونس بن منعة(٥٥١ ـ ٦٣٩هـ) .

ودرس بعد وفاة والده سنة ٥٧٦ هـ بالمسجد المعروف بالامير زين الدين صاحب اربل وهذا المسجد رأيته وهو على وضع المدرسة وتعرف بالكمالية .(٢)

وعلى هذا فمسجد زين الدين كان قد بني على شكل مدرسة .

وكان لهذه المدرسة شهرة واسعة عندما كان يدرس بها كمال الدين وغلب اسمها على مدارس الموصل . فاذا قالوا المدرسة ارادوا بها مدرسة كمال الدين .

ولم تزل بنايتها باقية الى اليوم تشرف على دجلة وتعرف في الوقت الحاضر بمدرسة ابن يونس .

واتخذ بها احد المتصوفة تكية له ثم دفن بها فصارت تعرف بجامع شيخ الشط . وفي سنة ١٢١٩ هـ رمم القبة وبنى اروقة امامها احمد باشا بن بكر افندي الموصلي ، واقام منبراً داخل المدرسة . فصارت تعرف ايضاً بجامع الشهوان لانها تقع في محلة الشهوان .

المدرسة الزينية

بناها زين الدين ابو الحسن علي بن بكتكين المتوفي سنة ٥٦٣ هـ ـ الذي تقدم ذكره ـ وكان هذا محباً للخير . قال عنه ابن خلكان : « ان له بالموصل اوقافاً كثيرة مشهورة ،من مدارس وغيرها ومنها المدرسة الزينية »(٣) ـ وهي غير مسجد

(١) ـ (٢) وفيات الاعيان (٢ ، ٣٢)

(٣) وفيات الاعيان (١ ، ١٣٥)

زين الدين . درّس عماد الدين بن يونس بن منعة، وكان معيدا عنده ابو علي الحسن عثمان بن علي الجزلي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ .(١) وفي نفس الوقت كان يدرس اخوه كمال الدين في مسجد زين الدين، وعلى هذا فمسجد زين الدين غير المدرسة الزينية .

المدرسة العزية

بناها عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود(٥٧٦ هـ - ٥٨٩ هـ) بباب دار المملكة وجعلها للفريقين الحنفية والشافعية . وقرر للفقهاء ما ليس لمدرسة اخرى من الفواكه والحلوى والدعوات في المواسم والاعياد . والتسريج للوقود والفحم وغير ذلك . وقرر في وقفها من الصدقات كل اسبوع . وفي الايام الشريفة والليالي المباركة شيئاً كثيراً . وانشأ له تربة فيها . دفن بها بعد موته . وشاهد المدرسة ابن خلكان وقال عنها : « ورأيت المدرسة والتربة وهي من احسن المدارس والترب ، ومدرسة ولده نور الدين ارسلان شاه في قبالتها . وبينهما ساحة كبيرة » .(٢)

والمدرسة العزية اتخذها بدر الدين لؤلؤ مقاماً للامام عبد الرحمن . كما اتخذ في مدرسة ولده نور الدين ارسلان شاه - النورية - مقاماً للامام محسن .

ولم يبق من المدرسة العزية سوى غرفة واحدة فيها محراب مطعم بالمرمر الازرق . وهو على ما نرى يعود الى القرن السادس الهجري . فيه كتابة كوفية جميلة هي عبارة عن البسملة وسورة الاخلاص .

المدرسة النورية

بناها نور الدين ارسلانشاه بن عز الدين مسعود الاول (٥٨٩ - ٦٠٧ هـ) . كان شهماً شجاعاً . اعاد هيبة الدولة الاتابكية . فأحبه الشعب .

ومن محاسن اعماله المدرسة التي انشأها بباطن الموصل - مقابل دار المملكة - وهي من احسن المدارس واوقف لها الوقوف الكثيرة . وجعلها وقفاً على ستين فقيهاً من الشافعية . سوى ما فيها من الصدقات الدارة والتعهدات للصوفية والفقراء . وبنى له تربة فيها .(٣)

---

(١) الجامع المختصر (٩ ، ٣٠٩)

(٢) الباهر ، ١٨٩ . الكامل ، (١٢ ، ٤٢) . الروضتين (٢ ، ١٨ ، ٢٢٦ - ٢٢٧) وفيات الاعيان (٢ ، ٩٥)

(٣) الباهر ، ١٩٨ ، ٢٠١ . الروضتين (٢ ، ٢٧٢)

ويذكر ابن خلكان عنها : « وبنى مدرسة للشافعية في الموصل قل ان توجد مدرسة في حسنها » .(١) وهذه المدرسة هي التي تعرف اليوم بمقام الامام محسن ، وممن درس فيها :

ـ ابو حامد عماد محمد بن يونس بن منعة (٥٣٥ ـ ٦٠٨ هـ) وكانت اليه الخطابة في الجامع المجاهدي، مع التدريس في المدرسة النورية والعزية والزينية والنفيسية والعلائية .

ـ ودرس بها في القرن الثامن الهجري العلامة السيد ركن الدين حسن بن محمد شرف شاه الحسيني الاسترابادي المتوفى سنة ٧١٥ هـ ، اشتغل على النصير الطوسي ، وحصل منه علوماً ، وصار معيداً في درس اصحابه ، ثم وفد الى الموصل ، وولي تدريس المدرسة النورية ، وفوض النظر في اوقافها ، وبها صنف غالب مصنفاته .

وبعد هذا التاريخ تطمس اخبارها ، ولم يبق فيها ما يستحق الذكر ، فقد اتخذت حولها مقابر على ارضها، وفيها بعض القطع الرخامية المطعمة تعود الى عصرها الاول(٢)

مدرسة الجامع النوري

بعد ان انتهى نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي من بناء جامعه ، الجامع النوري ، سنة ٥٦٨ هـ رأى من المستحسن ان يجمع بين الدين والعلم في هذا الجامع ، فأنشأ مدرسة فيه ، ووصل الموصل في نفس السنة الفقيه عماد الدين ابو بكر التوقاني الشافعي، من اصحاب الامام محمد بن يحيى ، فسأله نور الدين ان يكون مدرساً في المدرسة المذكورة .(٣)

وقد حدثت تغييرات كثيرة في بناء الجامع ، فلم نقف على المحل الذي بنيت فيه هذه المدرسة .

---

(١) وفيات الاعيان (١ ، ٦٢)

(٢) انظر عنها سومر ، ١٣ ، ١١٠ ـ ١١٢

(٣) الروضتين في اخبار الدولتين ، ١٥ ، ١٨٩

المدرسة الكمالية القضوية

اسسها ابو الفضل محمد بن ابي محمد عبد الله بن ابي القاسم الشهرزوري الفقيه الشافعي (٤٩٢ ـ ٥٧٢ هـ) من اشهر علماء الدولة الاتابكية . تولى القضاء ثم الوزارة من نور الدين محمود . وكان اديباً شاعراً كاتباً خبيراً بتدبير الملك . عظيم الرياسة . مسموع الكلمة عند الملوك والخليفة العباسي . اوقف اوقافاً كثيرة بالموصل ونصيبين ودمشق والمدينة المنورة . فبنى المدرسة الكمالية القضوية في الموصل . واوقف لها اوقافاً كثيرة للنفقة على من يتعلم ويدرس بها[١] ، وممن درس فيها :

ـ قاضي القضاة محمد بن كمال الدين الشهرزوري (٥١٠ ـ ٥٦٨ هـ) تفقه ببغداد . وولي قضاء حلب ، ثم قضاء الموصل . ودرس بمدرسة ابيه وبالمدرسة النظامية بالموصل . [٢]

ـ احمد بن نصر المعروف بالشمس الدنبلي المتوفى سنة ٥٩٨ هـ . درس بالنظامية والاتابكية العتيقة وبالمدرسة الكمالية القضوية بالموصل.[٣]

ـ ابو المحاسن يوسف بن شداد الفقيه الشافعي . صاحب التآليف الكثيرة في الفقه والتاريخ والحديث . كان معيداً بالمدرسة النظامية ببغداد . ثم اصعد الى الموصل . فدرس في المدرسة الكمالية القضوية . وتوفي سنة ٥٩٩ هـ . [٤]

المدرسة اليوسفية

جاء عنها في الجواهر المضية عن ابن السمين : « نصر الله بن علي بن نصر الله بن علي ابو الحسن الموصلي . ولد في رمضان سنة ٥٨٧ هـ . وكان من فقهاء الحنفية . ودرس فقه الامام الاعظم ابي حنيفة رضي الله عنه بالمدرسة اليوسفية بالموصل على دجلة . [٥]

والذي نراه ان المدرسة المذكورة هي التي عرفت بمدرسة الطغرائي خطأ لاننا لم نقف على نص اولي يذكر ان الطغرائي بنى مدرسة في الموصل ، او انه درس في مدرسة فيها .

---

(١) وفيات الاعيان ، ١ ، ٤٧٢ . المنتظم ، ١ ، ٢٦٨

(٢) طبقات الشافعية ، ٤ ، ١٠٠

(٣) طبقات الشافعية ، ٤ ، ٥٧

(٤) وفيات الاعيان ، ٢ ، ٣٥٥ . شذرات الذهب ، ٥ ، ١٥٨

(٥) الجواهر المضيه / ٢ ، ١٩٨ ـ ١٩٩

المدرسة القاهرية

بناها القاهر عز الدين مسعود بن ارسلان شاه الاول (٦٠٨ ـ ٦١٥ هـ) ، وبنى له تربة في المدرسة ودفن فيها بعد موته(١).

واول من درس فيها ابو الفتح كمال الدين بن يونس بن منعة(٥٥١ ـ ٦٣٩ هـ) . ذكر ابن خلكان عند كلامه عنه ، « ولما توفي اخوه ـ عماد الدين محمد ـ تولى المدرسة العلائية موضع اخيه ، ولما فتحت القاهرية تولاها ، ثم تولى المدرسة البدرية في ذي الحجة سنة ٦٢٠ هـ . »

وجاء عن ابي الفضل احمد بن كمال الدين موسى بن يونس ـ (٥٧٥ ـ ٦٢٢ هـ) انه درس في المدرسة القاهرية سنة ٦١٧هـ .

اما موقع المدرسة فنرى انها كانت بين المدرسة النورية والباب العمادي .

المدرسة المجاهدية

ابو منصور قيماز بن عبد الله الزيني الملقب مجاهد الدين ، تولى دزدارية قلعة الموصل ، وكان من خيرة رجال الدولة الاتابكية ، يحب الخير والعلم ، وانشأ كثيراً من المعاهد الخيرية .(٢)

بنى في اربل مدرسة وخانقاه للصوفية ، ووقف لهما الوقوف الكثيرة . وبنى في الموصل الجامع المجاهدي والمارستان والجسر ورباطاً ، ومكتباً للأيتام، وتربة له ، والمدرسة المجاهدية ، وكلها في الربض الاسفل من الموصل .(٣)

ونستدل مما ذكره المؤرخون انها كانت تقابل الجامع ، ولم يبق من آثارها ما يستحق الذكر .

المدرسة البدرية

بناها ابو الفضائل بدر الدين لؤلؤ بن عبد الله المتوفي سنة ٦٥٧ هـ ، في قلعة الموصل ، تجاور مشهد يحيى بن القاسم ، بناها على انقاض مسجد كان قد بناه الحسين بن سعيد بن حمدان التغلبي

وممن درس فيها ؛

---

(١) الكامل (١٢ ، ١٢١ ـ ١٢٢) ، البداية والنهاية (٣ ، ٧٩ ـ ٨١)

(٢) وفيات الاعيان (١ ، ٣٢) ، (٢ ، ١٣٤)

(٣) جوامع الموصل (٧٠ ـ ٧٢) سومر (١١ ، ١٧٠ ـ ١٧٩)

ابو المظفر محمد بن علوان بن مهاجر الموصلي (٥٤٢ ـ ٦١٥ هـ) ، وعليه فالمدرسة بنيت قبل سنة ٦١٥ هـ[١] ودرس فيها ايضاً كمال الدين بن يونس سنة عشرين وستمائة ، وكان الأثير معيداً عنده في المدرسة البدرية[٢]

وفي سنة ٦٣٧ هـ شيد بدر الدين مشهداً للامام يحيى بن القاسم بجانب المدرسة ، ولم يبق من آثار المدرسة شيء . واما المشهد فلم يزل باقياً .

المدرسة المهاجرية

أبناء مهاجر من الاسر العلمية التي كانت في الموصل ، كان أبوهم تاجرا فنشأ اولاده تجارا وعلماء ، وشيدوا في الموصل دار حديث وفوقها مدرسة ، ودرسوا فيها ، والذي بنى المدرسة أبو القاسم علوان بن مهاجرين علي ابن مهاجر ، وكان يدرس بها محمد بن علوان بن مهاجر (٥٤٢ ـ ٦١٥ هـ) وساد اهل زمانه بعلمه وصلاحه .

ولا نعلم متى بنيت المدرسة ، وان دار الحديث المهاجرية كانت مبنية سنة ٥٥٢ هـ ، وعلى هذا فالمدرسة بنيت بعد هذا التاريخ .

وممن اقام في المدرسة عبد اللطيف البغدادي سنة ٥٨٥ هـ ، ويقول عن دخوله الموصل ، فلم اجد فيها بغيتي ، ولكن وجدت بها الكمال بن يونس .... فاخترت مدرسة ابن مهاجر المعلقة ، ودار الحديث التي تحتها وأقمت في الموصل . [٣]

والذي نراه أن المدرسة كانت في مسجد « شط الجومي » وتحتها دار الحديث ، وهو الذي يقع في الشارع المؤدي من الميدان الى مدرسة ابن يونس .

مدرسة أم الملك الصالح

الملك الصالح هو اسماعيل بن نور الدين محمود المتوفي سنة ٥٧٧ هـ ، ولم يخلفه احد ، وسار عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود الى حلب ، وصعد القلعة واستولى على خزائنها وذخائرها ، وتزوج أم الملك الصالح ، وعاد الى الموصل .

أما المدرسة فكانت في الميدان في دار الامير ناصر الدين بورى بن جكرمش ، فانه بنى داره هذه ، وبعد وفاته اوقفتها أم الملك الصالح مدرسة باسم ابنها .[٤]

---

(١) البداية والنهاية (١٣ ، ٨٢)

(٢) اثير الدين الابهري ، صاحب التعليقة في الخلاف والزيج درس باربل ، ثم اعاد بالبدرية (وفيات الاعيان ، ٢ ، ١٣٤) .

(٣) طبقات الشافعية (٥ ، ٣٢) ، عيون الانباء (٢ ، ٢٠٤) .

(٤) سيرة صلاح الدين ، ٤٤ ، مرآة الزمان (٨ ، ٣٣٤)

المدرسة النفيسية

لا ندري من بنى هذه المدرسة ، وممن درس فيها ، عماد الدين بن يونس المتوفى سنة ٦٠٨[١] هـ ، اذا فقد كانت المدرسة قبل هذا التاريخ ، ويرجع أن بدر الدين لؤلؤ اتخذ فيها مقاما للست نفيسة ، كما اتخذ في غيرها مقامات ، وفي الموصل عدة أماكن باسم الست نفيسة .

ففي محلة باب السراي دار تسمى بالست نفيسة ، وقد هدمت عند فتح شارع خالد بن الوليد ، ويذكر اهل الموصل أنها كانت مدرسة يدرس فيها ، ومقابل حمام السراي بناء قديم متصل بمسجد حمام السراي ، وفيه محراب قديم ، وقد اتخذ فيه مقام للست نفيسة ، ولعلها كانت مدرسة ثم اتخذ فيها المقام وغير ذلك .[٢]

المدرسة العلائية

لم تقف على من بناها ، جاء عماد الدين بن يونس المتوفى سنة ٦٠٨ هـ أنه كانت اليه الخطابة في الجامع المجاهدي مع التدريس في المدرسة النورية والعزية والزينية والنفيسية والعلائية ، وجاء عن اخيه كمال الدين بن يونس أنه درس في المدرسة العلائية بعد وفاة أخيه .

ومن ابناء الأتابكة ، علاء الدين خرمشاه بن عز الدين مسعود بن مودود ، فلعله هو الذي بنى المدرسة[٣] .

مدرسة ابن بلدجي

كان جدهم بلدجي ، من كبار أمراء الدولة السلجوقية ، ومن ابنائه الذين اشتهروا بالعلم ابو محمد محمود بن مودود بن محمود البلدجي الموصلي (٥٤٣ ـ ٦٢٣ هـ) فبنى المدرسة ، ودرس بها مذهب الامام الشافعي وتخرج عليه اولاده ، ولا أثر للمدرسة في الوقت الحاضر[٤] .

---

(١) وفيات الاعيان (١ ، ٤٧٦)

(٢) منهل الأولياء (٢ ، ٨٢ ، ٨٤)

(٣) مخطوطات الموصل (ص ، ١٠)

(٤) انظر ابناء بلدجي (ص ،) من هذا الكتاب

باب المسألات

يذكر صاحب الانتصار للأولياء عند كلامه عن النبي دانيال[1]، وهو في مسجد قديم من بناء المتقدمين، والآن مهجور لا يصلى فيه، يسميه العامة باب المسهلات لتسهيل الأمور المتعسرة فيه. والذي نراه انه كان في النبي دانيال مدرسة مشهورة يقصدها الناس للسؤال عما يشكل لهم، وسموها باب المسألات.

ويذكر صاحب منهل الأولياء عند كلامه عن بنجة علي[2]، « وفي الموصل مكان آخر يسميه العوام « باب المسألات » يزورونه ويقولون انه كان هناك مدرسة لبعض العلماء الصالحين، كانت تأتيهم ناس للسؤال وكشف المعضلات ».

على ان المساجد لم تخل من حلقات علمية وخزائن كتب،ومجالس تدريس. ومن المساجد التي وقفنا على وجود تدريس بها هي.

ـ مسجد العماد بن الجلادين، وبه خزانة كتب موقوفة على أهل العلم، وممن درس به ثابت بن قرة الحاوي، وأخذ عنه الشيخ محيي الدين بن عربي عندما كان في الموصل سنة ٦٠١ هـ. ذكر ابن عربي انه قرأ عليه من كتبه تأليفه، وقفها ثابت بروايتها بمسجد العماد بن الجلادين بالموصل[3].

ـ **مسجد النبي**. وجاء عن علي بن خليفة بن علي النحوي الموصلي المعروف بابن المنقي المتوفى سنة ٥٦٢ هـ « وكان اماماً فاضلاً. تأدب عليه أكثر أهل عصره من اهل بلده. وكان يجلس بالمسجد المعروف بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالموصل[4]ـ ولعل هذا المسجد هو مسجد النبي جرجيس الذي توسع فيما بعد وصار جامعاً.

ـ **مسجد ابن بركة الكتبي**: وجاء عن الشيخ المقري ابو اسحاق ابراهيم بن يوسف بن بركة الكتبي،أنه كان له مسجد بالموصل يعرف به. وكان يحدث في مسجده هذا. وممن أخذ عنه الرسعني الكنجي[5].

---

(١) مخطوط، نسخة منه في مكتبة الاوقاف العامة في الموصل

(٢) (٢، ٢٢٥ ـ ٢٢٦)

(٣) جامع كرامات الأولياء (١، ١٢٢)

(٤) معجم الادباء (١٣، ١٥)

(٥) كفاية الطالب، ٢٦٠، معجم الالقاب (٤، ٤٨٥)

ـ **مسجد ابن الحدوس** : عفيف الدين ابو محمد عبد الله بن الحسن بن الحسين بن ابي السنام الموصلي المعدل المعروف بابن الحدوس (٥٣٢ ـ ٦٢٥ هـ) اخذ عن جماعة من أهل الموصل ، وكان فاضلاً اديباً ، مشهوراً بكتابة الشروط ،وكان وراقاً ، ونزل عنده في مسجده الشميم الحلي الشاعر المشهور (١) وتوفى بالموصل .

وذكر سبط ابن الجوزي ان في الموصل سنة ٦٦٠ هـ (١٨٠) داراً للحديث ، وهو خطأ في النسخ ولعلها (١٨) داراً وقد وقفنا على اخبار بعضها ، منها :

دار الحديث المهاجرية

انشأها ابو القاسم علي بن علوان بن مهاجر بن علي التكريتي الموصلي الوزير بسنجار ، جاء عنه : كان من اولاد الاكابر والوزراء ، وبيتهم معروف بالفضل والحشمة والنبل ، وكان من أهل الخير والصلاح والسماح ، وبنى بالموصل في سكة (ابي نجيح) دار الحديث ، ووقف عليها الوقوف والكتب النفيسة(٢) .

وممن تولى مشيختها : ابو اسحاق البرني المتوفى سنة ٥٥٢ هـ .(٣)

وابو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد الرسعني ، ورد الموصل سنة ٦٢٣ هـ ، ورتبه بدرالدين لؤلؤ بدار الحديث المهاجرية ، يحدث في فضائل آل البيت(٤)

ـ ابراهيم بن المظفر الحربي الموصلي (٥٤٦ ـ ٦٢٢ هـ) فانه تولى مشيخة الدار المذكورة(٥) وغيرهم .

دار الحديث المظفرية

بناها مظفر الدين كوكبوري ـ صاحب اربل ـ المتوفى سنة ٥٤٩ هـ ، على دجلة وممن تولى مشيختها :

عبد القادر بن عبد الله بن عبد الرحمن الرهاوي (٥٢٦ ـ ٦١٢ هـ) ، ولد بالرها ونشأ بالموصل وتنقل في البلاد ، وكان مملوكاً لبعض التجار ، فاعتقه وطلب العلم

---

(١) انباه الرواة (٢ ، ٢٤٦) شذرات الذهب ، ٥ ، ١٤٢ .

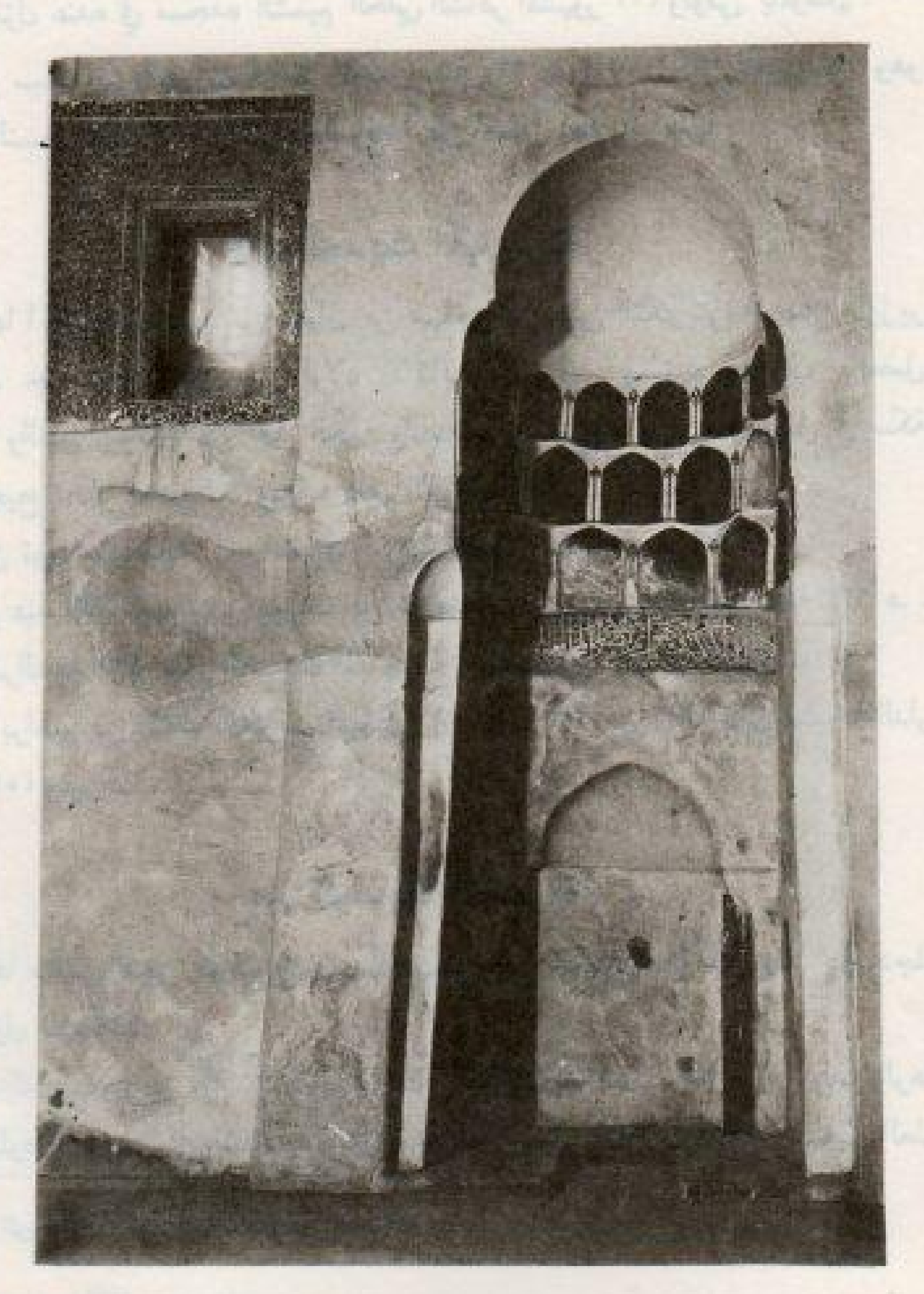
(٢) تلخيص معجم الالقاب ، ٤ ، ١٩٣ .

(٣) شذرات الذهب ، ٥ ، ١٠٠ .

(٤) مناقب الامام علي ، ٢٠١ ، معجم الالقاب ، ٤ ، ١٩٣ .

(٥) ذيل طبقات الحنابلة ، ٢ : ١٥١ .

وأخذ الحديث عن عدة شيوخ . وسكن دار الحديث المظفرية يحدث بها . وانهدمت فاعاد عمارتها على غير ما كانت وكانت الدار تطل على دجلة(×) ثم مات بحران(١) .



احد محاريب الجامع النوري كان في الجانب الشرقي من الموصل

(١) معجم الالقاب ، ٤ ، ٣٢٧ ـ ٣٢٨ ، ذيل الروضتين ، ٩٠ .

(×) ابن المستوفي ، ١ ، ١٣٢ ، ١٦٨ .

الاربطة

وكان في الموصل عدة اربطة للعلماء وأهل الفضل والمتصوفة . ولم تكن ملجأ للعطلة والكسالى . « فلا رهبانية في الاسلام » فكانت هذه الاربطة مدارس علم وأدب ، ومجالس وعظ وارشاد . فيها أجل العلماء الذين تصدروا للتدريس والتأليف وارشاد من يقصدهم . وذكر سبط ابن الجوزي انه كان بها سبعة وعشرون خانقاه (رباطاً)(١) .

فكان رباط ابي السعادات ابن الأثير - في درب دراج - مقصداً لطلاب العلم والأدب ، تعقد به حلقات التدريس والمناظرة . كما نجد في رباط - (قصر حرب) لابن الأثير ايضاً حركة علمية . عكف الطلاب على ابي السعادات ، يدرسون ويحققون ، وهم مكفولون في الرباط ، ينفق عليهم بما اوقفه ابو السعادات . وفيه ألف ابو السعادات أكثر كتبه ، كما جمع فيه أخوه عز الدين كتابه « الكامل في التاريخ » ، وهو من اجل كتب التاريخ .
ورباط الوزير ظاهر الموصل ، كان من مراكز العلم في البلد .

ومن الأربطة التي وقفنا عليها :

- ١ -

- **رباط سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي** (٥٤١ - ٥٤٤ هـ) بناه على باب المشرعة ، ووقف عليه وعلى مدرسته الوقوف الكثيرة - ولعل مقام عيسى دده أنشيء في محل هذا الرباط .

- ٢ -

- **الرباط الزيني** : بناه زين الدين ابو الحسن علي كجك بن بكتكين - صاحب اربل - المتوفى سنة ٥٦٣ هـ ، ولا نعلم موقع هذا الرباط .

- ٣ -

- **رباط ابن الشهرزوري** : بناه كمال الدين بن الشهرزوري (٤٩٢ - ٥٧٢ هـ) الذي بنى المدرسة الكمالية القضوية - التي تقدم ذكرها - ذكر عنه المؤرخون .

---

(١) منية الادباء (ص ٦٦)

انه اوقف اوقافاً كثيرة بالموصل ونصيبين ودمشق . والذي نراه ان الرباط كان ظاهر الموصل قرب رباط قضيب البان الموصلي .

– ٤ –

ـ الرباط المجاهدي : بناه مجاهد الدين قيماز الرومي (ـ ٥٩٥ هـ) بعد أن بنى الجامع المجاهدي بنى الرباط والمدرسة والبيمارستان وكلها متجاورات تقع على دجلة في الربض الاسفل من الموصل فبناء الرباط كان بعد سنة ٥٧٦ هـ . وهي السنة التي انتهى فيها من بناء جامعه .

– ٥ –

ـ رباط درب دراج ـ لابي السعادات ابن الاثير . كانت دار ابن الاثير في محلة درب درّاج ، اتخذها رباطا درس فيه ودفن به بعد موته . ووقف أملاكه على هذا الرباط وعلى « رباط قصر حرب » . والذي نراه أن الرباط يقع قرب « دوسة علي » . ففي هذه المنطقة عدة مساجد متقاربة من بعضها ، مسجد ابن العراقي ، مسجد ابن طلى ، مقام الصالح بن الصالحين وتجاورها مقبرة تعرف بمقبرة دوسة علي . وقد انشأت وزارة الاوقاف عليها عمارة بعد ان رفعت القبور . ولم تزل دوسة علي تحت الطريق المجاور للعمارة شمالاً فلعلها انشئت في محل رباط ابي السعادات(٢) .

ـ رباط قصر حرب لأبي السعادات ابن الأثير : بنى القصر حرب بن عبد الله الرويدي صاحب الحربية ببغداد سنة ١٤٥ هـ ـ وقد تقدم الكلام عنه

واتخذ ابو السعادات رباطاً له قرب قصر حرب . ذكر عز الدين ابن الاثير عنه : « وعنده يومنا هذا قرية كانت ملكاً لنا . فبنينا رباطاً للصوفية . ووقفنا عليه القرية . وقد جمعت كثيراً من هذا الكتاب ـ الكامل ـ في هذه القرية في دار لنا بها . وهي من أنزه المواضع واحسنها . وأثر القصر باق الى الآن(١) »

---

(١) الموصل في العهد الاتابكي ، ١٥٦ ـ ١٥٧ .

ويذكر ابن خلكان عند كلامه عن ابي السعادات ابن الاثير : « وأنشأ رباطاً بقرية من قرى الموصل تسمى "قصر حرب" ووقف املاكه عليه، وعلى داره التي يسكنها في الموصل »[٢].

وان ابا السعادات انقطع في هذا الرباط آخر ايامه . يدرس ويؤلف الى ان ادركه اجله . [٣]

ـ ٧ ـ

ـ رباط الشيخ قضيب البان : بنى الرباط ابو عبد الله الحسين قضيب البان الموصلي (٤٧١ ـ ٥٧٣ هـ) وكان على جانب من العلم . ودفن في رباطه بعد موته . وهذا الرباط يقع بالمعلاة ظاهر المدينة ،خارج باب سنجار . يجاور مقبرة المعافى بن عمران الموصلي . وبعد ان اتخذ قضيب البان رباطه الذي دفن به . عرفت المقبرة بمقبرة قضيب البان الموصلي . ودفن بها كثير من علماء الموصل وادبائها وفضلائها . منهم :

ـ سعيد بن المبارك المعروف بابن الدهان النحوي الموصلي المتوفى سنة ٥٦٩ هـ[٤] .

ـ الخطيب الطوسي (مجد الدين ابو الفضل عبد الله بن احمد) المتوفى سنة ٥٧٨ هـ [٥] .

ـ ابو حامد محمد بن القاضي كمال الدين الشهرزوري المتوفى سنة ٥٨٦ هـ[٦] .

ـ ابو الحسن علي بن الحسن المعروف بشميم الحلي المتوفى سنة ٦٠١ هـ[٧] .

ـ ابو الحزم مكي بن ريان النحوي المتوفى سنة ٦٠٣ هـ . ودفن جوار أبي بكر القرطبي وابن الدهان النحوي[٨] .

ـ الطبيب مهذب الدين بن هبل المتوفى سنة ٦١٠ هـ[٩] .

ـ شمس الدين محمد بن ابي العز الوراق الموصلي المحدث النحوي المعروف بابن الخروف ـ المتوفى سنة ٧٢٧ هـ[١٠] .

---

(١) (٢) الكامل ، ٥ ، ٢٣١ . وفيات الأعيان ، ١ ، ٤٤١ .

(٣) أنظر ، سومر ، ٨ ، ٩٩ ـ ١٠٦ . في جوامع الموصل (٢٦٠ ـ ٢٦٩) بحث عن رباط قضيب البان الموصلي وجامع قضيب البان .

(٤ ـ ٥) وفيات الأعيان ، ١ ، ٢٠٩ / ٢ ، ٣٥٤

(٦ ـ ٧) وفيات الاعيان ، ١ ، ٤٧٤ / ١ ، ٣٤٥

(٨ ـ ٩) وفيات الأعيان ، ٢ ، ١٣٢ . ابن ابي اصيبعة ، ٢ ، ٣٠٥

(١٠) ذيل طبقات الحنابلة ، ٢ ، ٣٨١ ـ ٣٨٢

ـ عز الدين بن الأثير المؤرخ المشهور المتوفى سنة ٦٣٠ هـ(١١).
ـ عفيف الدين معتوق الموصلي المتوفي سنة ٦٤٣ هـ(١٢).
ـ ابراهيم بن المظفر الحربي المتوفي سنة ٦٢٢ هـ(١٣).

(١١) الموصل في العهد الاتابكي، ١٧٧ ـ ١٧٨
(١٢) معجم الالقاب، ٤، ٥٣٩
(١٣) ذيل طبقات الحنابلة، ٢، ١٥١

المشاهد

ومن المشاهد التي كانت في ذلك العصر :

– ١ –

مشهد النبي يونس ، وقد تقدم الكلام عنه

وفي القرن السادس للهجرة وسعوا البناء ، واتخذ فيه دور ومطاهر وسقايات – وصار به محلاً مقدساً المحل الذي وقف به النبي يونس عليه السلام، ولهذا المحل باب مرصع وستر ينسدل عليه .

وممن زاره ابن جبير الرحالة الاندلسي ، « وقال عنه ، » وفي هذا التل – اي تل توبة – بناء عظيم هو رباط ، يشمل على بيوت كثيرة ومقاصير ومطاهر وسقايات ، يضم الجميع باب واحد . وفي وسط البناء بيت ينسدل عليه ستر . وينغلق دونه باب كبير مرصع كله يقال انه كان الموضع الذي وقف فيه يونس – صلى الله عليه وسلم – ومحراب هذا البيت يقال انه كان بيته الذي كان يتعبد فيه . ويطيف بهذا البيت شمع كأنه جذوع النخل عظماً ، فيخرج الناس الى هذا الرباط كل ليلة جمعة ويتعبدون فيه » .

وعليه فالبناء كان مشهداً بناه أحد المماليك من سلاطين آل سلجوق . وكان يقصده اهل الموصل كل ليلة جمعة يبيتون فيه ويقضون ليلهم في التعبد والصلاة ثم يقصدون عين يونس – عين الدملماجه – فيتطهرون بمائها ويتنزهون بما حولها من ازهار وتنزهات [١] .

– ٢ –

مشهد النبي جرجيس : يقع في سوق الشعارين ، وكان مشهداً داخل غرفة . وهو من المشاهد المقصودة في الموصل .

يقول عند ابن جبير عند كلامه عن الموصل : « وخص الله هذه البلدة بتربة مقدسة ، فيها مشهد جرجيس – صلى الله عليه وسلم – وقد بنى فيه مسجد . وقبره في زاوية أحد البيوت عن يمين الداخل اليه » .

(١) الموصل في العهد الاتابكي : ١٦٤ ، جوامع الموصل : ٧٨ – ٧٩ .

فنستدل من كلامه انه كان في المشهد مسجد بجانبه . ومن آثاره باب من الخشب دقيق الزخرفة . ويستدل من طرز زخارفه انه من القرن السادس للهجرة(١) .

ـ ٣ ـ

مشهد الطرح : يقع ظاهر الموصل يقابل الباب العمادي الذي يؤدي الى الربض الاعلى من الموصل .

والذي نراه ان بدرالدين لؤلؤ اتخذ هذا المشهد في رباط الوزير الذي كان بظاهر الموصل .

ومشهد الطرح به آثار لكف الامام علي بن ابي طالب عليه السلام .

وادركنا المشهد وفيه محراب نفيس مزخرف بزخارف محفورة بالمرمر، وعلى جانبي المحراب طاقتان، في الطاقة اليمنى أثر كف محفور بالرخام يذكرون أنها آثار كف الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه .

والمحراب نفيس بزخارفه وكتاباته، نقلته مديرية الآثار العامة الى متحف بغداد(٢) .

ـ ٤ ـ

مشهد الامام يحيى بن القاسم : بناه بدر الدين لؤلؤ سنة ٦٣٧ هـ على ارض من قلعة الموصل بجانب مدرسته البدرية . وقد اعتنى بهذا البناء، فاستخدم فيه مهرة الفنانين . فكان من آثار الموصل المعدودة ، واتخذ فيه قبراً للامام يحيى بن القاسم ، وكان يتردد هو الى زيارته، ويجمع صدور البلد والنقباء والمدرسين والفقهاء، ويكلف العلماء بتلاوة سيرة الامام علي ـ كرم الله وجهه ـ وما جاء من الاحاديث الشريفة في حقه وحق آل بيته . كان هذا لمقاومة الحركة العدوية .

لم يبق من بناء المشهد سوى غرفة واحدة ، يعلوها قبتان ، احداهما فوق الأخرى ، والقبة الداخلية مزينة بافريز من الرخام الازرق، مطعم بكتابات برخام ابيض ، يحف بالغرفة من اسفلها . تحت هذا الافريز، افريز آخر فيه زخارف نباتية تمثل ازهاراً تحف بجدران الحضرة .

(١) جوامع الموصل ، ١٠٩ ، الموصل في العهد الاتابكي ، ١٦٤ ـ ١٦٥ . وفي (نصوص في المتحف العراقي ، ٨ ، ١٢٨ ـ ١٣١) وصف الباب الذي في النبي جرجيس وما فيه من كتابات .

(٢) الموصل في العهد الاتابكي ، ١٦٥ . وفي (نصوص في المتحف العراقي ، ٨ ، ٦٤ ـ ٦٩) وصف ما في هذا المشهد من آثار وما فيها من كتابات وزخارف .

يزين جدران القبة من الداخل ايضاً وحدات زخرفية على شكل مشكاوات متقابلة ومتناظرة ، مزينة ارضيتها بزخارف دقيقة مخرمة ، تعلوها طبقة اخرى من زخارف هندسية خشنة متقاطعة،وكلها بالآجر المزلج ، وقد تلف معظمها .

وبعض هذه الوحدات فيها كتابات احدأها تشير ان الذي اشرف على عمارتها سنبك البدري من مماليك بدرالدين لؤلؤ .

وفي الحضرة محراب يشبه في تخطيطه وزخرفته المحراب الذي كان في الجامع النوري، والذي صنع سنة ٥٤٣ هـ ، ومزين بزخارف هندسية ونباتية مورقة ، وكلها على مستوى واحد ، والمحراب يتألف من قطعتين تجتمعان في الزاوية التي تقابل القبلة ، وفي اعلاه تاريخ صنعه سنة ٦٣٧ هـ .

اما الصندوق الذي صنعه بدر الدين لؤلؤ،فهو من اجمل الصناديق الأثرية بزخارفه وكتابته باحجام مختلفة .

ويزين واجهة الحضرة كتابات داخل مشكاة تشبه المحراب ، مكتوب في احدها ، « اسم بدر الدين لؤلؤ الذي عمر المشهد » .

وقد بسطنا القول عن مشهد الامام يحيى بن القاسم في بحث نشرناه في مجلة (سومر ، ٢٤ ، ١٧١ ـ ١٨١) وفيه بحثنا عن آثاره المختلفة وما فيها من كتابات .

مشهد الامام عون الدين :

ويسمى ايضاً « مشهد ابن الحسن » بناه بدرالدين لؤلؤ سنة ٦٤٦ هـ ، واتخذ فيه مشهداً للامام عون الدين ، وهو يشبه في هندسته وزخارفه مشهد الامام يحيى بن القاسم .

وللحضرة باب مصفح بالنحاس ، مزخرف بشرائط تؤلف اشكالاً هندسية جميلة ، مكتوب عليه اسم صانعه « عمر بن الخضر وليُّ آل محمد سنة ٦٤٦ هـ » .

---

(١) الموصل في العهد الاتابكي ، ١٦٧ ـ ١٦٨ ، اعلام الصناع المواصلة ، ١٩٣ ـ ١٩٥ .

ـ ٦ ـ

مشهد علي الهادي :

من المشاهد التي اتخذها بدر الدين لؤلؤ في الموصل للامام علي الهادي المتوفى في سامراء . يقع في محلة المحمودين . كان المشهد في سرداب وبه قبر من المرمر الازرق ، مطعم بكتابات وزخارف دقيقة بالمرمر الابيض . وقد بسطنا القول عنه في منية الادباء ، ص ، ١٠٧ ـ ١٠٨ . مجموع الكتابات ، ٩٨ ـ ٩٩ .(١)

ـ ٧ ـ

مشهد الامام الباهر :

وهو من المشاهد التي اتخذها بدر الدين لؤلؤ للامام الباهر بن الامام جعفر الصادق . ولعله اتخذ المشهد في احدى المدارس الأتابكية . وفيه آثار جميلة منها الباب الرخامي للحضرة ، وهو من اجمل المداخل التي في الموصل ، يشبه مدخل الحضرة للامام عون الدين . يحف بالمدخل وحدات زخرفية على شكل محاريب صغيرة ، وتستمر الى اعلى المدخل ، وكلها غنية بزخارف دقيقة(٢) .

نقلته مديرية الآثار العامة الى بغداد ، وحفظته في المتحف العراقي .

ـ ٨ ـ

مشهد اولاد الحسن :

ويسمى ايضاً مشهد بنات الحسن ، وهو ايضاً من المشاهد التي اتخذها بدر الدين لؤلؤ لابناء الامام الحسن بن علي بن ابي طالب ـ رضي الله عنه ـ ويقع في سوق الصاغة ، وبه محراب جميل مطعم بزخارف بالمرمر الابيض ، وكتابات . وقد نقل الى متحف الموصل(٣) .

هذه اهم المشاهد التي فيها آثار جميلة تستحق الذكر .

---

(١) منية الادباء ، ١٠٧ ـ ١٠٨ ، مجموع الكتابات ، ٩٨ ـ ٩٩ ، منهل الاولياء ، ٢ ، ٧٣ ـ ٧٦ .

(٢) انظر عنه ، منهل الاولياء ، ٢ ، ٧٩ ـ ٢٨٠ . نصوص في المتحف العراقي ، ١٨ ، ٦٠ ـ ٦٣ ، وصف للمحراب الذي كان فيه ، وللمدخل الرخامي ، وما فيهما من كتابات

(٣) انظر عن هذا المشهد ، منية الادباء ، ١٠٤ . مجموع الكتابات ، ١٩٢ ـ ١٩٣ . وفي « نصوص في المتحف العراقي » ، ٨ ، ٨٦ ـ ٨٧ . وصف لهذا المحراب وما فيه من كتابات .

الكنائس والاديرة

اما الكنائس ، فاخبارها قليلة ، لم نعثر على مصادر تساعدنا في اخبارها بصورة مفصلة ، وممن كتب عنها في ايامنا هذه ، المطران سليمان سائغ . في كتابه تاريخ الموصل ـ الجزء الثالث ـ وبحثه هذا لم يتعد ذكر القديسيين والشهداء ، وما قاموا به من خوارق العادات ، كما نشر المطران بولس بهنام ، والمطران روفائيل بيداويد في مجلتي المشرق والنجم ، وابحاثهما لم تزد على ما ذكره المطران الصائغ . واخبار العمارة والريازة قليلة جداً .

والكنائس التي كانت في العهد الاتابكي ، قد تكلمنا عنها في الجزء الاول من كتابنا هذا وهي ، بيعة مارتوما ، ومارحوذيمي ، وقد جددت عمارته ، وفيه آثار جميلة ، وكتابات بالعربية والسريانية ، منقورة بالمرمر ـ وكذا في بيعة مارتوما زخارف وكتابات ترجع الى العصر الاتابكي .

اما الديارات فنجد الاقبال عليها اقل مما كان عليه قبل ، ولم نجد لها ذكراً في دواوين الشعراء ـ سوى دير سعيد ودير ميخائيل ـ فكان يرتادهما بعض الشعراء يتمتعون بموقعها الجميل ، وخمرهما المعتق .

وممن ذكرهما في شعره ـ بعد ان زار الديرين « موفق الدين القاسم بن هبة الله بن محمد بن مجمد بن الحسين بن ابي الحديد المدائني (٥٩٠ ـ ٦٥٦ هـ) قال في دير سعيد : ».

انعم بدير سعيد أيها الساقي ... وأمزج وخذ وأعطني من غير إشفاق
من خندريس كأني حين أشربها ... ملسوع هم ، تحسى كأس درياق
نار ، ولكنها للماء عاشقة ... تزداد من وصله ضوءاً باشراق
شجت فالبست الساقي بصبغتها ... ثوباً والبسنيه ذلك الساقي
وذي قوام تثنى في ، غلائله ... مثل القضيب تثنى بين أوراق
نظمت من غزل في حسن صورته ... عقداً، تقوم به الدنيا على ساق
يا عقرب الصدغ في الخد الاسيل اما ... لمن لسعت شفاء منك او راقي

وقال ايضاً في دير ميخائيل ووصف ما فيه ،

كل الورى فيك حادي وعذالي ... يا فاقد المثل ما العشاق أمثالي
بكاي وقف عليكم بعد فرقتكم ... لا للوقوف على ربع واطلال

يا ساكني دير ميخائيل لي قمر	لكنه بشر في شكل تمثال
قريب دار، بعيد في مطالبه	غريب حسن والحان وأقوال
سكرت من صوته لما أثار به	ما لست أسكر من صهباء جريال
ما رمت أمسك نفسي عند رؤيته	الا تغيرت من حال الى حال
يا ليتني بفناء الدير لست كمن	يقول يا ليتني بالشيح والضال
قد صرت أنشد بيتاً صار لي مثلا	لو لا وصالك لم يخطر على بالي
لو أشتريت بعمري ساعة سلفت	من عيشتي معكم ما كان بالغالي

وله غير هذه الأبيات في دير ميخائيل[٢]

ومن الديارات التي فيها آثار جميلة وتعود الى هذا الدور،هو دير الجب المعروف اليوم بدير مار بهنام[١]، وهو من الديارات الكبيرة للسريان في ظاهر الموصل، ويبعد عن المدينة بمسافة ٣٥ كيلومتراً جنوب نينوى.

في هذا الدير آثار جميلة، بعضها محفورة بالمرمر، ومزينة بكتابات وتصاوير وزخارف. تحف في مداخل الابواب والشبابيك.

وفي الجانب الايمن من مدخل الكنيسة، قطعة من الآجر المزلج الازرق، فيها صور ثلاث غزلان بيضاء اللون، نافرة في اللوحة.

وفي الدير زخارف جبسية جميلة،وصورة للقديس مار بهنام ممتطياً صهوة جواده، مثبتة في جدار الكنيسة، تقابلها صورة اخته ساره، وهما من انفس الآثار الجبسية النافرة، وفيه آثار معمارية كثيرة كلها من صنع التكارتة الذين هاجروا الى الموصل في القرن السادس للهجرة. وقد الف الخوري افرام عبدال كتاباً اسمه « اللؤلؤ النضيد في اخبار مار بهنام الشهيد » وصف به آثار الدير بصورة حسنة. وفيه تصاوير كثيرة لآثار الدير.

ومن الاديرة التي ظاهر الموصل دير مار متي « وليس فيه ما يستحق الذكر من الآثار سوى ان موقعه جميل في سفح جبل مقلوب ـ وهو للارثوذكس. وفيه غرفة يذكرون ان « ابن العبري » كان يسكن بها،ودفن بها بعد موته.

دير الربان هرمزد، وهو في جبل القوش يبعد عن شمال الموصل قرابة خمسين كيلومتراً، وفيه بعض الغرف المنقورة، والف عنه الاستاذ كوركيس عواد كتاباً اسمه « اثر قديم في العراق ـ دير الربان هرمزد »

---

(١) عيون التواريخ، (٢٠، ١٦٣ ـ ١٦٥)

(٢) ويسمى ايضاً « دير الخضر »

المقابر

دفنوا في عدة مقابر باطراف البلد ، وبعضها كانت داخل المدينة ، ومنها

١ ـ مقبرة النبي جرجيس ، وهي من اقدم المقابر التي دفن بها اهل الموصل ، وكانت تسمى « مقابر قريش » لانهم كانوا يدفنون موتاهم فيها ، وبعد ان شيد مسجد النبي جرجيس بجوارها ، صارت تعرف بمقبرة النبي جرجيس . وممن دفن فيها . الشيخ عبد الملك بن حماد الكناني الموصلي المتوفى سنة ٥٧١ هـ(١).
وفي سنة١٩٧٥ رفعت محافظة نينوى كافة القبور التي كانت تحف بجامع النبي جرجيس ، ونقلت الى المقابر الجديدة ظاهر الموصل .

٢ ـ مقبرة الجامع العتيق ، وهي ايضاً داخل المدينة تجاور ـ الجامع العتيق ـ الجامع الاموي ـ ولعلها كانت في قسم من فنائه بعد ان-جدد الجامع ، واخرج مساحة من ارض فنائه الكبير ـ وممن دفن فيها ،
ابو زكريا يحيى بن سالم بن مفلح البغدادي نزيل الموصل المتوفى سنة ٦٠٩ هـ(٢)

٣ ـ تربة غسان ، وهي التي تجاور مسجد العناز ، وتعرف ايضاً بمقبرة العناز . اما غسان ، فلعله دفن فيها غسان بن الربيع الازدي الموصلي المتوفى سنة ٢٢٦ هـ(٤)

ويونس بن منعة بن مالك الاربلي المتوفى سنة ٥٧٦(١)، وابنه كمال الدين بن يونس المتوفى سنة ٦٣٩ هـ(٥).

وفي سنة ١٩٧٠ م رفعت القبور من هذه المقبرة ، وانشىء عليها مدرسة وظهر خلال رفع القبور مشاهد قبر من حجر الحلان مكتوب عليه « محمد بن سليمان الدقاق توفى سنة ٦١٧ هـ » .

---

(١) روضة الناظرين ، (ص ، ١٣٢)
(٢) ذيل طبقات الحنابله (ص ، ٢٦٥)
(٣) لسان الميزان (٤ ، ٤١٨) منية الادباء (ص ، ١١٥)
(٤) وفيات الاعيان (٢ ، ٤١٩ ، ٤٢٠) مرآة الجنان (٣ ، ٤٠٦)
(٥) وفيات الاعيان (٢ ، ١٣٢ ـ ١٣٤)

٤ ـ **مقبرة الباب العمادي** : وهي تقع ظاهر الباب العمادي للموصل . تجاور مشهد الطرح، الذي كان يعرف في زماننا بمشهد البنجه[١]. وادركنا حول المشهد كثيراً من القبور . وفي الحرب العالمية الثانية اتخذ الاتراك العثمانيون مقبرة تجاورها، دفنوا بها موتاهم من الجنود الذين كانوا مرابطين في الموصل . وكانت تسمى « مقبرة الشهداء » .

ومن دفن فيها في العهد الاتابكي مجاهد الدين قيماز الرومي المتوفى سنة ٥٧٠ هـ يذكر ابن الاثير ، ان قبره ظاهر الباب العمادي مشهور هناك[٢].

٥ ـ وظاهر الباب العمادي مقبرة اخرى في المسجد الذي شيده امين الدين ياقوت بن عبد الله الملكي البدري، ودفن به ولده احمد المتوفى سنة ٦٣٧ هـ وقد ظهرحجر فيه وقفية المسجد، لم تزل مثبتة في قصر الحاج توفيق افندي الفخري المطل على عين كبريت[٣].

٦ ـ **مقابر تل توبة** : وهي تقع على تل توبة . تجاور مشهد النبي يونس، وممن دفن بها ، ناصر الدولة الحمداني المتوفى سنة ٣٥٨ هـ[٤].

وقرواش بن المقلد المتوفى سنة ٤٤٥ هـ[٥]

والوزير فخر الدولة بن جهير الثعلبي المتوفى سنة ٤٨٣[٦]

عبد الله بن احمد السبتي البغدادي الوراق المحدث المقرئ نزيل الموصل المتوفى في العشر الاخير من شهر رمضان سنة ٥٨٨ هـ[٧]

ابو جعفر بن السمين عبيد الله الموصلي المتوفى سنة ٥٨٨ هـ[٨].

---

(١) انظر مشهد الطرح

(٢) الكامل ، ١١ ، ١٧٣

(٣) انظر مجموع الكتابات (ص ، ٢٠٦)

(٤ ، ٥ ، ٦) انظر الموصل في العهد الاتابكي (١٧٨)

(٧) ذيل طبقات الحنابلة (١ ، ٣٧٨)

(٨) شذرات الذهب (٤ ، ٢٩٣)

٧ ـ **مقابر العلويين** : وكانوا يدفنون موتاهم في عدة مقابر منها ، مشهد الطرح ، ومشهد الامام عون الدين ـ ابن الحسن ـ المعروف بمشهد البرمي ، ومشهد النقطة الحسينية الواقعة قرب دير سعيد ـ دير مار ايليا ـ وقرب قبر عمرو بن الحمق الخزاعي ، وهي التي تعرف اليوم بمقبرة الست فاطمة تجاور الامام محسن[١].

٨ ـ **مقبرة ظاهر باب الجصاصة** : ولم نقف على موقعها بالضبط ، وربما كانت ظاهر الموصل،قريبة من مقبرة الشيخ قضيب البان الموصلي ، وممن دفن فيها المبارك بن احمد بن موهوب المعروف بابن المستوفى الاربلي،سكن الموصل بعد ان فك التتار الحصار عن قلعة اربل وتوفي سنة ٦٣٧ هـ[٢]

وشيطان الشام (العز بن يوسف الاربلي) سكن الموصل،وتوفي بها سنة ٦٣٨ هـ[٣]

٩ ـ **مقبرة الشيخ قضيب البان الموصلي** ـ وقد تكلمنا عنها،وعمن دفن فيها، عند كلامنا على رباط الشيخ قضيب البان (**الموصلي**)

(١) انظر عن المشاهد المذكورة ، منية الادباء ، والجزء الثاني من منهل الاولياء

(٢) ، (٣) وفيات الاعيان (١ ، ٤٤٤) .

ملحق رقم ـ ٢ ـ

احصاء ما كان في الموصل من العمارات ، ونفوس المدينة سنة ٦٦٠ هـ كما جاء في كتاب مرآة الزمان ـ لسبط ابن الجوزي .

كان بها من الجوامع خمسة وثلاثون جامعاً ، واربعمائة مسجد ، وثمان وعشرون مدرسة ، ومائة وثمانون داراً للحديث(١) ، والخانقاهات سبعة وعشرون ، ومائتا حمام زوج(٢) ، وعشرة مفردة للأبكار(٣) ، وخانات الحياكة تسعمائة وثمانون(٤) ، ومدارات الطحن اربعة آلاف وعشرون(٥) ، وبزارات الدهن مائة وعشرون(٦) ، ومعاصر السمسم تسعة وتسعون(٧) ، والمزملات لسبيل الماء مائة وخمس وعشرون(٨) ، وجوم الحياكة خمس وسبعون الفاً(٩) ، والقناطر بازقة الموصل الف وستمائة(١٠) وابواب المدينة تسعة(١١) ، والقفافيز ستة وعشرون الفاً(١٢) ، والدور المثمنة ستة

(×) ونرى ان نفوس المسلمين في المدينة تقارب النصف مليون ، نظراً لما كان فيها من دور واسواق وغيرها .

(١) الذي نراه ان عدد دور الحديث هو ١٨ .

(٢) زوج حمام ، اي تكون الحمام ذات جانبين ، منفصلين عن بعضهما ، يستحم الرجال في جانب ، والنساء في جانب .

(٣) كان في الموصل حمامات خاصة للبنات اللاتي لم يتزوجن ، وتسمى هذه الحمامات «حمامات الأبكار» .

(٤) يريد بالخانة ، المحل الذي يكون به عدة انوال لشخص ، ويشتغل عنده عدة حاكة باجرة مقطوعة ، ولم يزل اهل الموصل يستعملون هذا اللفظ .

(٥) المدار ، آلة لطحن الحبوب ، يديرها بغل أوكديش ، ويكون في سرداب داخل دار ، وادركناها في الموصل كثيرة ، حتى كان في بعض الازقة اربعة منها أو اكثر ، وقضى عليها ماكينة الطحن التي تدار بالنفط .

(٦) البزارات ، جمع بزارية ، وهي المحل التي تعصر بها الحبوب الدهنية ، لاستخراج الدهن منها ، ولم يزل بعض اهل القرى يسمونها بزارية أو «زورية

(٧) أدركنا في الموصل عدة معاصر للسمسم يعصر بها ويستخرج منه الشيرج .

(٨) اناء متوازي المستطيلات ، يتخذ من حجر الحلان ، يوضع به الماء ، ويكون في الطرق والمحلات العامة ، يشرب منها الناس ، وفي الموصل يسمونها «مزملة سبيل» أو «سبيلخانة» ، وادركنا عشرات منها في مداخل الجوامع والمساجد والمدارس ، وفي المحلات العامة ، ولم يبق منها سوى عدد لا يتجاوز اصابع اليد الواحدة .

(٩) الجوم جمع جومة ، ويراد بها النول

(١٠) القناطر ، جمع قنطرة ، وهي الطاق الذي يبني فوق جانبي شارع أو زقاق ، كانت كثيرة في الموصل ، ولم يبق منها الا عدد قليل .

(١١) انظر سور الموصل

(١٢) لم نقف على ما يريده

وثلاثون الفاً . والحجر المربعة عشرة آلاف . والبساتين داخل الموصل ستة وثلاثون . وبساتين الخضرة خمسة وتسعون . والرحى[١٣] على الماء ثمان وستون . والدواليب على نهر دجلة ستة عشر[١٤] . وسفن الماء مائتان وخمسون . وكنائس اليهود ستة عشر[١٥] . وبيع النصارى ثمان وخمسون[١٦] .

وعدد نصارى الموصل ثلاثة واربعون الفاً . وعدد اليهود ستة وثلاثون الفاً .[×]

وجسران على دجلة[١٧] . وثمان عشرة درجية[١٨]

والسراديب الف وستمائة . والقرى الشرقية الفان وثلثمائة . والقرى الغربية الف وخمسمائة .

---

(١٣) الرحى . طاحونة تدار بواسطة الماء . ولم تزل هذه معروفة في قرى الموصل التي فيها عيون ماء . وقد قل عددها لانتشار مكائن الطحن التي يديرها النفط .

(١٤) الدواليب التي ترفع اماء من دجلة لسقي الحدائق والمزارع .

(١٥) اننا نشك في هذا العدد . فاليهود لم يكن لهم سوى كنيسة واحدة يصلون بها . وكان قد اعلمني سليمون رئيس طائفة اليهود في الموصل . انها بنيت منذ اول مجئ اليهود الى الموصل . ولم يعمروا غيرها الى زمنه .

(١٦) ونشك ايضاً في هذا العدد . فلو أحصينا كنائس النصارى الموجودة من ذلك العصر الى يومنا هذا ــ مع التي اندثرت فانها لا تتعدى العشرين كنيسة .

(١٧) الجسر الذي انشأه مروان بن محمد . وكان يعرف عندنا بالجسر القديم . والجسر الذي انشأه مجاهد الدين قيماز الرومي قرب جامعه المعروف اليوم بجامع الخضر .

(١٨) الدرجية . تبنى على شاطىء النهر دركات تؤدي اليه . تستعمل لتحميل الاكلاك وتفريغها . وهي تكون من حجر الحلان .

ملاحظة :

يوجد اختلاف في ما ذكره سبط ابن الجوزي . وما جاء في بحر الانساب لسادات الموصل . وما في منهل الاولياء . يرجى مراجعة هذا في (منية الادباء . ص : ٣٢٧)

ونعتقد ان هذا الاختلاف كان من النساخ . فانهم نقلوا عن مرآة الزمان .

واسواق الموصل ستة وثلاثون سوقاً . وحوانيت القيسارية مائة وعشرون حانوتاً[١٩] ، وحوانيت الاسواق ثمانية واربعون الفاً وخمسمائة وخمسة عشر .

والطمغة[٢٠] في كل يوم عشرة آلاف درهم . وجباية دور الضرائب الف درهم . ودكاكين قيسارية المسك احد عشر دكاناً. هذا ما ذكره صاحب مرآة الزمان .

---

(١٩) وقفنا على اخبار قيسارتين في الموصل ، احداهما التي اوقفت للجامع النوري ، ذكروا ان عدد دكاكينها ٦٩٩ دكاناً . والثانية التي بناها مجاهد الدين قيماز في سوق الموصل . لربما كان المراد بها هذه القيسارية .

(٢٠) يراد بها الطمغة التي تجبى من الاسواق . ولم يزل اهل الموصل يسمونها الطمغة ويريدون بها الضريبة التي تجبى عن عدد المواشي التي تذبح يومياً . فعلى كل دابة طمغة معينة ــ تجنيها دائرة البلدية .

العلم والأدب

كان الفتح الاسلامي للبلاد . فتحاً في الدين واللغة والعلم وتحرير الشعوب . فان الامم التي أظلها الاسلام أقبلت على اللغة العربية ، يكتبون ويؤلفون بها ، وساهمت في النهضة العلمية التي أذكاها الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم . فكانوا عرباً مسلمين . تجمعهم لغة القرآن،وكلمة التوحيد . فاذا هم أمة واحدة تسعى لهدف واحد، اعزاز دين الله،ونشر اللغة العربية .

والأتابكة نشأوا في هذا المحيط . فتأدبوا بآدابه،وتثقفوا بثقافته . شجعوا العلماء والأدباء وأخذوا عنهم . وأجزلوا لهم العطاء . فكانوا حماة الدين وأنصار العربية . زينوا مجالسهم بأهل الفضل،وما كان يدور فيها من مواضيع مختلفة . فكانوا يشاركون فيها ويتذوقون الشعر ويهتزون بالبيت المؤثر . فزخرت دواوين الشعراء بمدحهم .

كان جدهم عماد الدين ـ مؤسس الدولة الأتابكية ـ من أكبر المشجعين للعلماء وأهل المعرفة . يسمع الشعر العربي ويؤثر فيه . ويجزل العطاء للشعراء والمغنين . غناه مغن ـ وهو على قلعة جعبر ـ

ويلي من المعرض الغضبان ان نقل الـ	واشي اليه حديثاً كله زور
سلمت فازور يزوى قوس حاجبه	كأنني كأس خمر وهو مخمور

فطرب لها طرباً شديداً . وسأل لمن هذه ؟ فقيل : لابن منير الطرابلسي المتوفى سنة ٥٤٨ هـ ـ وهو بحلب ـ فكتب الى والي حلب ليسيره اليه سريعاً .[١]

وذكروا أنه كان في أول أمره شديداً،وعنده بعض ظلم . فسمع ليلة ـ وهو بحماة ـ شخصاً يغني على شط العاصي :

اعدلوا ما دام أمركم	نافذاً في النفع والضرر
واحفظوا أيام دولتكم	انكم منها على خطر

فتأثر بهذا . وتبدلت شدته وأخذ يتحرى العدل[٢]

وكان ابنه نور الدين محمود يجل الفقهاء والعلماء . ويناقشهم في كثير من المباحث . ولا يخلو مجلسه منهم . عارفا بالفقه على مذهب الامام أبي حنيفة . سمع الحديث وأسمعه طلباً للأجر . يحفظ من محاسن العرب،ومزايا الأدب الشيء

---

(١) وفيات الأعيان : ١ ، ٥٠

(٢) مفرج الكروب : ١ ، ١٠١

الكثير . وله توقيعات في غاية البلاغة والايجاز، بنى دار العدل وهو أول دار عدل في الاسلام . وكان ينظر في المظالم التي تقدم اليه .

كان ينظم الشعر . دخل مسجد سرير بحلب، عندما كان يريد الحج . ثم دخله سنة ٥٥٧ هـ وكتب على حائطه[٢] :

لك الحمد يا مولاي كم لك منه	علي . وفضل لا يحيط به شكري
نزلت بهذا المسجد العام قافلا	من الغزو، موفور النصيب من الأجر
ومنه رحلت العيس في عامي الذي	مضى نحو بيت الله والركن والحجر
فأديت مفروضي . وأسقطت نفل ما	تحملت من وزر الشبيبة عن ظهري

وكانت أمه « صفوة الملك زمرد خاتون بنت جاولي » قد سمعت الحديث واستنسخت الكتب . وقرأت القرآن الكريم، وبنت المسجد الكبير .

وأخوه سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي له ذوق جميل في نقد الشعر . ويثيب الشعراء . مدحه الحيص بيص بقصيدة أولها :

الام يراك المجد في زي شاعـر	وقد نحلت شوقاً فروع المنابر

فوصله بألف دينار سوى الخلع .

ونظم العماد الأصفهاني المتوفى سنة ٥٩٧ هـ قصيدة جميلة في مدح نور الدين . أولها :

أدركت من كل المعالي المشتهي	وبلغت من نيل الأماني المنتهي

ولما وصلت الى الموصل سامي قطب الدين صاحبها ـ أخو نور الدين ـ كل شاعر في الموصل أن يعمل على وزنها ورويها . لشدة اعجابه بها[١]

ومماليكهم الذين نشأوا عندهم، عرف بعضهم بالشعر والأدب . ومنهم :

ـ أبو الفداء اسماعيل بن يرنقش السنجاري ـ مولى عماد الدين . كان جندياً موصوفاً بالسخاء والفضل والأدب . وله نظم حسن . ومما كتبه الى الملك الأشرف أبي الفتح موسى بن العادل يعزيه في أخ له كان اسمه يوسف[٢] :

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر ـ شعراء دمشق : ٤٥ .

(٢) الجامع المختصر : ٩ ، ١٦٤

دموع المعالي والمكارم ذرف — وربع العلى قاع لفقدك صفصف
غدا الجود والمعروف في اللحد ثاوياً — غداة ثوى في ذلك اللحد يوسف
فتى خطفت كف المنية روحه — وقد كان للأرواح بالبيض يخطف
سقته ليالي الدهر كأس حمامه — وكان بسقي الموت في الحرب يعرف
فوا حسرتي لو ينفع الموت حسرة — ووا أسفاً لو كان يجدي التأسف
وكانت على الأرزاء نفسي قوية — ولكنها عن حمل ذا الرزء تضعف

مع العلم أن اسماعيل هنا توفى سنة ٦٠١ هـ شاباً في الموصل.

وكان مجاهد الدين قيماز الرومي المتوفى سنة ٥٩٥ هـ يعرف الفقه ويحفظ من الشواهد والاشعار والحكايات شيئاً كثيراً، ويميز حسن الشعر من غثه. فمدحه الشعراء بقصائد كثيرة ونالوا جوائزه. وممن مدحه: سبط ابن التعاويذي بقصيدة سيرها اليه من بغداد، أولها:[1]

عليل الشوق منك متى يصح — وسكران بحبك كيف يصحو
وبين القلب والسلوان حرب — وبين الجفن والعبرات صلح

فأجازه بألف دينار وجائزة سنية.

ومدحه بهاء الدين أسعد بن يحيى السنجاري بقصيدته التي يتغنى فيها:

يا قلب تباً لك من صاحب — كان البلا منك ومن ناظري
لله أيامي على رامة — وطيب أوقاتي على حاجر
تكاد بالسرعة في مرها — أولها يعثر بالآخر

فأحسن جائزته.

وكان كثيراً ما ينشد أبياتاً لأسامة بن منقذ المتوفى سنة ٥٨٤ هـ التي أولها:

اذا أدمت قوارضكم فؤادي — صبرت على أذاكم وانطويت
وجئت اليكم طلق المحيا — كأني ما سمعت ولا رأيت

---

(١) وفيات الأعيان ١: ٤٣٦ ـ ٤٣٧، جوامع الموصل: ٧٠ ـ ٧٢

وكان أبو السعادات بن الأثير كاتباً بين يديه ، ومنشئاً الى الملوك .

وعمل له أبو المعالي سعيد بن علي الحظيري كتاب « الاعجاز في حل الأحاجي والالغاز برسم الامير مجاهد الدين قيماز » . فأجزل عطاءه[1]

وكان صلاح الدين الايوبي ـ وهو ممن نشأ في دولة الأتابكة ـ يحفظ من محاسن العرب، ومزايا الادب، وأعاجيب السير، وقصائد القدماء، وشوارد الحكماء ما يستشهد فيه لكل حادث وحديث . يحب الشعر الجيد ، ويكرم أهله .[2]

وما في بني أيوب الا وله المام بالشعر والأدب، ومذاكرة العلماء، ومكاثرة الحكماء . فنطقوا بكل غريبة علموا وعملوا . وقام فيهم شعراء ، منهم :

ـ الملك المظفر الاجل عمر بن شاهنشاه بن ايوب بن خي صلاح الدين (ـ ٥٨٧ هـ)، كان ينظم الشعر طبعاً لكثرة مجالسته أهل العلم والأدب ، عذب اللفظ ، رائق المعنى ، ومن شعره :

دمشق سقاك الله صوب غمامة	فما غايب عنها لدى رشيد
عسى مسعد لي أن أبيت بأرضها	الا انني لو صح لي لسعيد

جمع شعره التاج ابو اليمن زيد بن الحسن الكندي البغدادي .

وكان اخوه عزالدين فروخ شاه (ـ ٥٧٨ هـ) ينظم الشعر الجيد ، ومن شعره :

اذا شئت أن تعطي الأمور حقوقها	وتوقع حكم العدل أحسن موقعه
فلا تصنع المعروف مع غير أهله	فظلمك وضع الشيء في غير موضعه

ومنهم تاج الملوك أبو سعيد بوري بن نجم الدين ايوب (ـ ٥٧٩ هـ) ، كان شاعراً رقيق اللفظ ، حلو المعنى ، ومن قوله :

يا حياتي حين ترضى	ومماتي حين تسخط
آه من ورد على خد	يك بالمسك منقط
بين أجفانك سلطا	ن على ضعفي مسلط
قد تصبرت وان برّ	ح بي الشوق فأفرط
فلعل الدهر يوما	بالتلاقي منك يغلط

---

(١) انظر الحاشية رقم (٣)

(٢) انظر عن آل ايوب ، خريدة القصر ، ٧٦ ـ ١٣٩

وكان يكثر من مجالسة اهل العلم والادب وخاصة الشعراء . ويقربهم ويجزل لهم العطاء . ويستمع اليهم وربما شاركهم . وقالوا عنه : كان بدرالدين لؤلؤ صاحب الموصل لكثرة مجالسته الأفاضل وخوضه في الأشعار والحكايات، يستنبط المعاني الحسنة . وينبه على النكت اللطيفة . فيستفيد منهم في السماع، ما فاته تعلمه بالكتاب . كل ذلك يقلد به اسياده الاتابكة .

وكان يحث الشعراء على مدحه والتنويه باعماله . خاصة في الاعياد والمواسم . وينشدونه ما مدحوه به . واذا جاءه رسول من ملك أو خليفة أوعز الى الشعراء أن يحضروا المجلس، وينشدوا في مدحه او التنويه بعدله . وحب أهل البلد له .

كما كان يستميل الشعراء ذوي المكانة في البلد لكي يحملهم على مدحه، وتعزيز مكانته . وفعل هذا مع كمال الدين حيدره عبيد الله الحسيني الموصلي شيخ أهله، ومقدمهم سناً وزهداً وفضلاً وورعاً . وأخذ يستميله ويجزل له العطاء، بما أسداه عليه من الانعام . وما زال يغدق عليه حتى مدحه، وانخرط في زمرة شعرائه[1]

ومن شعراء بدر الدين لؤلؤ المقربين . ابن الحلاوي المتوفى سنة (٦٥٦ هـ) وكان هذا يمدح الملوك والاعيان . فقربه بدر الدين لينوه بذكره . وزاد في اعطياته . وكان يأمره بانشاد قصائده التي في مدحه عند حضور الوفود اليه . ورافقه عندما ذهب الى هولاكو .[2]

وجمال الدين بن يحيى بن مطروح المتوفى سنة ٦٤٩ . من الذين مدحوا بدر الدين لؤلؤ . ونالوا جوائزه وصار من ندمائه .

وأبو حفص عمر بن المظفر البرطلي المخزومي، المتوفى سنة ٦٥٠ هـ . كان من شعرائه ومن مطربيه .

وكمال الدين أحمد بن عبد الكريم المعروف بالكنيش القزويني الموصلي . كان من الشعراء الذين استغلهم بدر الدين في مدحه .

والشاعر جمال الدين علي بن المقرب الأحسائي . له قصائد كثيرة في مدحه . ثم انقلب عليه وهجاه بقصيدة جاء فيها : (٣)

تسلطن بالحدباء عبد بلؤمه	بصير . بلى عن نيل مكرمة عم
اذا أيقظته همة عربية	الى المجد قالت أرمنيته نم
يعظم أعياد النصارى وعنده	بأن اله العرش عيسى بن مريم

(١) الفخري : ٧١

(٢) فوات الوفيات : ١ : ٦٩ ـ ٧٣

(٣) ديوان الاحسائي : ٩٨

أديبا شاعراً ظريفاً . وقف أوقافاً كثيرة «منها مدرسة في الموصل» ومدرسة في نصيبين ، ورباطاً بالمدينة المنورة . وعظمت منزلته عند صلاح الدين الأيوبي . وكان يزوره ويستشيره .(١)

ـ **محمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم قاضي القضاة** (ـ ٥٨٦ هـ) . ولي قضاء الموصل» ودرس بمدرسة أبيه كمال الدين . وبالمدرسة النظامية . كان جواداً كريماً . أنعم في بعض رسائله الى بغداد بعشرة آلاف دينار على الفقهاء والأدباء والشعراء .(٢)

ـ **القاسم بن يحيى بن عبد الله بن القاسم** (٥٩٩ هـ) . اتصل بصلاح الدين وأرسله مرارا وصولا الى الخليفة ببغداد . ولي قضاء الشام . ثم انتقل الى الموصل وولي قضاءها . ثم ورد مرسوم الخليفة من بغداد يطلبه . وقلد قضاء القضاة شرقاً وغرباً . وفوض اليه النظر على أوقاف الشافعية والحنفية . وكان فقيها فاضلاً . عابدا مهيبا ذا ثروة . وله النثر والنظم .(٣)

ـ **علي بن القاسم بن المظفر بن علي** (ـ ٥٣٢ هـ) ولي قضاء واسط . ثم قضاء الموصل . والبلاد الجزرية والشامية . وكان من فضلاء زمانه .(٤)

وأخبار بيت الشهرزوري مستفيضة في كتب التراجم والطبقات . مثل : وفيات الأعيان . وطبقات الشافعية للسبكي وشذرات الذهب وغيرها .

ـ أبناء يونس بن منعة

أصلهم من أربل . وأول من سكن الموصل منهم ، يونس بن محمد بن منعة بن مالك . رضي الدين الأربلي (٥٠٨ ـ ٥٧٦ هـ) ودرس بمدرسة زين الدين . وكان فقيها شاعرا . وخرج من بيته جماعة من الفضلاء . انتفع بهم أهل البلاد وقصدهم الطلاب من بلاد العراق والعجم وغيرهما . وبقيت أسرتهم مشهورة بالعلم الى القرن الثامن للهجرة . وهم من علماء المذهب الشافعي .(١) ومنهم :

ـ **عماد الدين بن يونس** (٥٣٥ ـ ٦٠٨ هـ) . كان عالماً جليلاً . درس في عدة مدارس في الموصل . وقصده الفقهاء من مختلف الأقطار . وتولى قضاء الموصل .

---

(١) طبقات الشافعية (٤ : ٩٩ ـ ١٠٠)

(٢) طبقات الشافعية (٤ : ٢٩٨)

(٣) طبقات الشافعية (٤ : ٢٨٠)

(٤) وفيات الاعيان : (٢ : ٤١٩ ـ ٤٢٠ . مرآة الجنان : ٣ : ٤٠٦ .)

ومن مؤلفاته : « الفتاوى الواسطية » . و « المسائل الموصلية » . و « المحيط في الجمع بين المهذب والوسيط » . و « شرح الوجيز » . وغيرها[1]

ـ كمال الدين بن يونس (٥٥١ ـ ٦٣٩ هـ) من اجل علماء زمانه . كان متضلعاً بعلوم كثيرة ، في اللغة والنحو والفلسفة والرياضيات والطب وعلوم الحكمة والهيئة . وأنواع الحساب المفتوح منه ، الجبر والمقابلة والأرثماطيقي . والموسيقى والمساحة وغيرها . أخذ عنه علماء كثيرون منهم ، أثير الدين الأبهري ـ صاحب التعليقة في الخلاف والزيج والتصانيف المشهورة . رحل الى الموصل سنة ٦٢٥ هـ . وكان يجلس أمامه ويقول : « ما تركت بلادي ، وقصدت الموصل الا للاشتغال على الشيخ » في الوقت الذي كانت كتب الأثير تدرس في المدارس . وأخذ عنه أيضاً ، عبد اللطيف البغدادي ـ الطبيب المشهور . وعلم الدين قيصر المعروف بتعاسيف المهندس ، ونصير الدين الطوسي ، والفخر المرادي ومجد الدين ابو الفرج محمد بن محمد الموصلي المنجم[2]

وكان يدرس المسيحيين واليهود كتبهم المقدسة . ويشرحها لهم شرحاً يعجز علماؤهم عنها . وممن درس عليه منهم علوم الحكمة ، سويروس يعقوب الأول . قرأ عليه علم المنطق والفلسفة . ويعقوب البرطلي . وثاذري الأنطاكي اليعقوبي .

درس بمسجد زين الدين . وعرف فيما بعد بالمدرسة الكمالية نسبة اليه . كما درس في المدارس : البدرية والعلائية والقاهرية . ويحضر درسه أصحاب الطيالس من العلماء . فيحل لهم ما أشكل عليهم .

وردت عليه عدة أسئلة من بغداد وبلاد الروم والشام في الرياضيات . فأجاب عليها ، بعد أن عجز عنها العلماء . وممن مؤلفاته ، « كشف المشكلات وايضاح المعضلات في تفسير القرآن » . « شرح كتاب التنبيه في الفقه » ـ مجلدان ـ . كتاب « مفردات ألفاظ القانون » . كتاب « علوم المنطق » كتاب : « لغز في الحكمة » كتاب « الأسرار السلطانية في النجوم » وغيرها .

وخلف من الاولاد بمدينة الموصل كانوا من سادات المدرسين .

---

(١) وفيات الاعيان ، ١ ، ٤٧٦ ـ ٤٧٧ . طبقات الشافعية ، ٥ ، ٤٥ ـ ٤٦ .

(٢) من المصادر التي تبحث عنه ، وفيات الأعيان ، ٢ ، ١٣٢ ـ ١٣٤ . عيون الأنباء ، ١ ، ٣٠٨ . طبقات الشافعية ، ٥ ، ١٥٨ ـ ١٦٢ . مرآة الجنان ، ٣ ، ٢٦٢ ، ٤٠٦ . ابن العبري ، ٤٧٧ . اللؤلؤ النضيد ، ٥٠٢ . دفقات الطيب ، ١٠٥ .

ـ **شرف الدين بن كمال الدين بن يونس** (٥٧٥ ـ ٦٢٢ هـ) درّس في المدرسة القاهرية . وله عدة كتب في الفقه ، منها : كتاب التنبيه في الفقه الشافعي . كان غزير المادة ، تخرج به خلق كثير .

ـ **تاج الدين بن رضي الدين بن عماد الدين بن يونس** (٥٩٨ ـ ٦٧١هـ) كان فقيهاً ، عين قاضياً في الجانب الغربي من بغداد . وله مؤلفات في الفقه . منها : « التعجيز في الفقه الشافعي »[١] .

ـ **فخر الدين ابو الربيع سليمان بن جبرائيل بن منعة بن مالك بن يونس** (ـ ٦٥٠ هـ) ، كان من اعيان الموصل وعلمائها ، وأكابرها . وكان يعتمد عليه بدر الدين لؤلؤ،ويرسله في قضاء حاجاته . اشتغل بالتدريس وكان يدرس الفقه الشافعي .[٢]

ـ **ابناء الاثير** محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجرزي المعروف بالاثير

نزح ابوهم من جزيرة ابن عمر وسكن الموصل ، وتقلد دواوين الانشاء في اول الدولة الاتابكية ، وانجب ثلاثة اولاد ، علماء اجلاء ، يقول عنهم ياقوت الحموي : « كل منهم امام » وهم :

ـ **مجد الدين ابو السعادات** (٥٤٤ ـ ٦٠٦ هـ) الفقيه المحدث ، صاحب التصانيف الكثيرة في التفسير والحديث والنحو والحساب وغريب الحديث ، منها : « جامع الاصول في احاديث الرسول » ، « النهاية في غريب الحديث » ، « الانصاف في الجمع بين الكشف والكشاف » ، كتاب « البديع في النحو » ، « المرصع في الآباء والامهات والبنين » وغيرها[٣] .

ـ **المؤرخ عزالدين بن الاثير** (٥٥٥ ـ ٦٣٠ هـ) صاحب التصانيف المشهورة في التاريخ ، منها : « الكامل في التاريخ » وهو من اعظم الكتب العربية في تاريخ العرب والاسلام ، يمتاز بدقته وأمانته ، وأسد الغابة في اخبار الصحابة ، و « اللباب في الانساب » : اختصر به كتاب الانساب للسمعاني ، وزاد عليه زيادات معتبرة ، و « الباهر في تاريخ الدولة الاتابكية »[٤] .

---

(١) وفيات الاعيان ، ١ ، ٤٧٧ ، طبقات الشافعية ، ٥ ، ٧٣ ، الحوادث الجامعة ، ٣٧٤

(٢) تلخيص مجمع الآداب ، ٣ ، ١٧٩ ـ ١٨٠

(٣) وفيات الاعيان ، ١ ، ٤٤٧ طبقات الشافعية ، ٥ ، ١٥٣ ـ ١٥٤

(٤) وفيات الاعيان ، ١ ، ٣٤٧ ـ ٣٤٨

- **الوزير ضياء الدين بن الاثير** (٥٥٨ ـ ٦٣٧ هـ) . الكاتب المشهور . صاحب "المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر" و « الوشي المرقوم في حل المنظوم » وكتاب « المعاني المخترعة في صناعة الانشاء » وغيرها .(١)

- **محمد بن ضياء الدين** (٥٨٥ ـ ٦٢٢ هـ) . له نظم ونثر حسن . وله عدة مجاميع وتصانيف وغيرها . منها : « نزهة الابصار في نعت الفواكه والثمار » . غرة الصباح في اوصاف الاصطباح » « وكتاب روضة النديم » . ومجموع جمعه للملك الاشرف الايوبي احسن فيه ذكر جملة من نظمه ونثره ورسائل ابيه(٢)

- **ابناء مهاجر**

جدهم علوان بن مهاجر التكريتي : كان تاجراً ذا ثروة كبيرة . بنى بالموصل مدرسة للفقهاء، في سكة ابي نجيح . ووقف عليها وقوفاً . ونشأ اولاده على العلم والفضل(٣) . منهم :

محمد بن علوان بن مهاجر بن علي بن مهاجر . الامام شرف الدين ابو الفضل الموصلي (٥٤٢ ـ ٦١٥ هـ) تفقه في الموصل . وورد بغداد سنة ٥٦٠ هـ . قاصداً الحج . وبعد عودته درس بالمدرسة النظامية . ثم صار معيداً بها . وعاد الى الموصل، ودرّس بالمدرسة التي انشأها ابوه علوان قرب بيته . وبمدارس اخرى . وكان صالحاً كثير الخير والدين . سليم القلب . وله تعليقة في الفقه(٤)

ابو القاسم علي بن علوان بن مهاجر ، وهو الذي اسس دار الحديث المهاجرية فوق المدرسة(٥)

أحمد بن محمد بن علوان بن مهاجر : كان من علماء زمانه . قرأ القرآن والفقه والخلاف . وقصد بغداد وسكن بالنظامية . وجالس العلماء . وبعد وفاة والده تولى مكانه في النظامية . وخلع عليه .(٦)

محمد بن مهاجر التاجر : قصد بغداد . ونزل ليسبح في دجلة سنة ٦٠١ هـ . فغرق . ووجدوا في عمامته مكتوب رقعة فيها :

---

(١) وفيات الاعيان ، ٢ ، ١٥٨ ـ ١٠٦١ . مطالع البدور ، ١ ، ١٣٧

(٢) الجامع المختصر ، ٩

(٣) تلخيص معجم الآداب ، ٢ ، ٦٧٥

(٤) الوافي بالوفيات ، ٤ ، ٩٨ ـ ٩٩ . طبقات الشافعية ، ٥ ، ٣٢ .

(٥) تلخيص معجم الآداب ، ١ ، ١٩٣

(٦) تلخيص معجم الآداب ، ٢ ، ٦٧٥

يا أيها الناس كان لي أمل	قصّر بي عن بلوغه العمل
فليتق الله ربه رجل	أمكنه في زمانه العمل
ما أنا نقلت حيث ترى	كل الى مثله سينتقل

فكأنه قد ناح على نفسه، ووعظها بهذه الابيات(١)

ـ ابناء بلدجي :

كان جدهم بلدجي من امراء الدولة السلجوقية، وقام من اولاده علماء نجباء، منهم :

ـ ابو محمد محمود بن مودود بن محمود البلدجي الموصلي (٥٤٣ ـ ٦٢٣ هـ) كان عالماً ودرس في مدرسته في الموصل، وتخرج على يده اولاده وغيرهم، وهو من مشائخ العلماء، ومن فقهاء الحنفية، وله شعر جيد.

ـ عبد الله بن محمود البلدجي، ابو الفضل مجد الدين(٥٩٩ ـ٦٨٣هـ)، وهو صاحب المختار للفتوى وكتاب «الاختيار لتعليل المختار». درّس في مشهد الامام ابي حنيفة ببغداد، وكان من كبار فقهاء الحنفية عالماً فاضلاً عارفاً بالمذهب ورجال الحديث، وعلم الخلاف، ودفن بمشهد ابي حنيفة

ـ عبد الدايم بن محمود البلدجي (٦٠٤ ـ٦٨٠هـ)اخذ عن والده الكثير مع اخوته، وكان من علماء الحنفية البارزين، مدرساً فاضلاً مفتياً، ودفن في مقبرة قضيب البان الموصلي(٢)

ـ ابو الفضل عبد الكريم بن محمود البلدجي (ـ ٦٢٣ هـ) كان فقيهاً فرضياً، عالماً بالتفسير، درّس بمشهد الامام ابي حنيفة.

ـ عبد العزيز بن محمود البلدجي، كان فقيهاً بارعاً، وتقلد القضاء.

ـ أبناء هبل :

أصل هذه الأسرة من بغداد، ثم استوطنت الموصل، وقام منهم عدة اطباء، أشهرهم :

ـ مهذب الدين علي بن أحمد بن علي بن هبل (٥١٥ ـ ٦١٠ هـ). وهو أول من سكن الموصل، وأفاد فيها، فكان الناس يترددون اليه في سكة ابي نجيح،

---

(٥) الجامع المحتاج، ١٢٥ ـ ١٥٣.

(١) انظر عن أبناء بلدجي، الجواهر المضية، ٢، ١٦٢، ٢٩١، ٢٩٨، ٣٢١، ٣٢٧، البداية والنهاية، ١٣، ١١٦، الحوادث الجامعة، ٤٤٥، الدرر الكامنة، ٤٤٣.

يدرسون عليه الحديث والادب والطب. وله كتاب في الطب سماه «المختار» يقع في أربعة مجلدات. وكتاب «الطب الجمالي» ألفه للوزير الجواد الأصفهاني ودفن ظاهر الموصل في مقبرة الباب العمادي بجوار القرطبي.

- **شمس الدين أحمد بن هبل** المتوفي سنة ٥٤٨ هـ. وهو من فضلاء الموصل. وله ولدان من أعيان الفضلاء وأكابرهم.

- **اسرة النقيب**

من الاسر العريقة في الموصل. قام منها عدة اعلام اشتهروا في العلم والدين والادب والسياسة. منهم:

- **ابن الحاجب الموصلي نقيب العلويين في الموصل** (- ٥٥٠ هـ). كان شاعراً حسن النظم. ومن شعره:[1]

هل لأيامنا الأولى من معيد	بين دير الاعلى ودير سعيد
وزمان لهوت فيه فأفنيـ	ـت شبابي ما بين ناي وعود
بين باب العراق قالبا صلوثا	ت بأكناف بيعة الجارود

- **عزالدين ابو محمد علي بن فخر الدين عبيد الله بن عزالدين الحسيني الموصلي النقيب.**

من سادات النقباء بالموصل واعمالها. كان شاعراً مجيداً. ومن شعره ما كتبه في رسالة:[2]

اذا هزني شوقي اليكم ولم اجد	سبيلاً سوى حمل الرسائل والكتب
مررت على ابياتكم متلفتاً	كما التفت الضامي الى البارد العذب

- **عزالدين ابو الحسن علي بن ابي الفتح محمد بن ابي جعفر احمد بن زيد العلوي الموصلي الاديب**، نقيب الموصل. ومن شعره:

لهفي على عمري الذي ضيعته	في كل ما ارضى ويسخط مالكي
ويلي اذا عنت الوجوه لربها	ودعيت مغلولاً بوجه حالك
ورقيب اعمالي ينادي شامتاً	يا عبد سوء انت اول هالك
يبق من بعد الغواية منزل	الا الجحيم وسوء صحبة مالك[3]

---

(١) خريدة القصر: ٢، ٢٥٣

(٢) تلخيص معجم الآداب: ١، ٢٥٤

(٣) تلخيص معجم الآداب: ١، ٢٥٦

ـ عماد الدين ابو محمد اسماعيل بن علي بن محمد بن زيد العلوي الموصلي النقيب .

من النقباء السادة الاشراف ، كان صاحب همة علية ، ونفس ابية ، شاعراً . ومن شعره :

لا تصحبن من الورى ... من لايريبك في الصحاب
فالثوب ينفر صبغه ... فيما يليه من الثياب[1]

ـ ابو القاسم المرتضى بن محمد بن زيد بن محمد نقيب الطالبين في الموصل . كان اديباً فاضلاً وله شعر جميل . توفي سنة ٦٠١ هـ . ومن شعره يمدح وزير الموصل جلال الدين الاصفهاني :[2]

جلال الدين مولانا الوزير ... مناقبه محبرة تسير
ومن كفاه تحي كل ميت ... وتحميه اذا عز النصير
ومن يعطي الكثير بلا سؤال ... ويتبعه البشاشة والسرور
ومن اغنت مواهبه البرايا ... واوسعهم فليس يرى فقير

ـ الشريف ضياء الدين ابو عبد الله زيد بن محمد بن محمد بن عبيد الله الحسيني ـ نقيب العلويين بالموصل (-٥٦٣ هـ) . وهو الذي كتب اليه ابن الدهان الموصلي، عندما ضاقت به الحال، وعزم على قصد الصالح بن زريك ـ وزير مصر ، وصعب عليه استصحاب زوجته معه . فأرسل معها الى النقيب الابيات التالية :

وذات شجو أسال البين عبرتها ... كانت تؤمل بالتفنيد امساكي
الجت فلما رأتني لا أصيخ لها ... بكت، فأقرح قلبي جفنها الباكي
قالت وقد رأت الاجمال محدجة ... والبين قد جمع المشكو والشاكي
من لي اذا غبت في ذا المحل قلت لها ... الله وابن عبيد الله مولاك
لا تجزعي بانحباس الغيث عنك فقد ... سألت نوء الثريا جود مغناك

فتكفل الشريف المذكور لزوجته بجميع ما تحتاج اليه مدة غيبته عنها .

وللنقيب زيد ابيات يغنى بها . منها :

---

(١) تلخيص معجم الآداب ، ٢ ، ٦٩١

(٢) الجامع المختصر ، ٩ ، ١٦٦

يا بانة الوادي التي سفكت دمي بلحاظها ، بل يا قناة الأجرع
لي أن أبث اليك ما القاه من ألم الهوى ، وعليك أن لا تسمعي
كيف السبيل الى تناول حاجة قصرت يدي عنها كزند الاقطع

ومن نظمه الرقيق قوله :

قالوا سلا صدقوا عن السلوان ليس عن الحبيب
قالوا فلم ترك الزيارة قلت من خوف الرقيب
قالوا وكيف تعيش مع هذا ؟ فقلت من العجيب

وأخوه الامير شمس الدين ناصح الاسلام ابو عبد الله محمد . كان له من الشرف والفضل والادب . فطلبه الخليفة من سيف الدين غازي بن عماد الدين . وارسله رسولاً عنه الى بلاد الشام ، يستنهض الولاة وطوائف التركمان ، على نصرة المسلمين ومجاهدة الصليبيين ، بعد أن تفاقم شرهم في البلاد . واقام بدمشق ما اقام . وظهر من سداد رأيه ، وحسن كلامه ما نال من جميل الذكر ، ووافر الشكر . وعاد الى بغداد في ١١ رجب سنة ٥٤٣ هـ[٢]

ـ **كمال الدين حيدرة بن عبيد الله الحسيني** ، وقد تقدم الكلام عنه . ان بدر الدين لؤلؤ استماله . واجزل له العطاء حتى مدحه . والقى بعض قصائده عندما ورد رسول الخليفة الناصر لدين الله ، على تقليد بدر الدين مدبراً لأبناء الملوك الاتابكة . واقام بدر الدين احتفالاً حضره وجوه البلد وانشد فيه الشعراء . ومما قاله النقيب في هذا الحفل :

هنيئاً بجد ساعدتك سعوده وتم له يوم التفاخر عيده
وبشرى باقبال اهل بشيره كما وفدت عند الهناء وفوده
وأنى لبدر الدين للفخر والعلى نديداً ، وكلا ان يصاب نديده[٣]

(١) وفيات الاعيان ، ٢٥٦ ـ ٢٥٧
(٢) ابن القلانسي ٣٠١
(٣) الفخري ، ٧٠

الشعراء

وعانى صناعة الشعر اكثر العلماء . ونظموا في اغراض مختلفة . واشتهر بالشعر جماعة منهم من اقبل على نظم الموشحات مثل :

ـ ابن الدهان الموصلي (عبد الله بن اسعد الفقيه الشافعي النحوي) (٥٢١ ـ ٥٨١ هـ) وله موشح جميل[١]

ـ عثمان بن عيسى البلطي المتوفى سنة ٥٩٩ هـ ، نسبة الى مدينة بلد (بلط) المعروفة اليوم بأسكي موصل، وله عدة مصنفات، وموشح يمدح به القاضي الفاضل .

ـ يوسف بن يوسف بن سلامة بن زبلاق الهاشمي العباسي (٦٠٣ـ٦٦٠هـ) كان من الفضلاء ، وله رسائل مشهورة ، وكان شاعراً مجيداً . تولى كتابة الانشاء ، وله عدة قصائد وعدة موشحات .

ـ شهاب الدين محمد بن يوسف بن مسعود الشيباني التلعفري (ـ ٦٧٥هـ)، درس في الموصل، وكان شاعراً مجيداً ، مبتلى بالقمار . وله موشح في ديوانه . وضع لقطب الدين مودود في بعض السنين تقويماً ، وكتب عليه من شعره :

تضمن حسبان مجرى النجوم   وباح لديك بسر الفلك
فما كان شراً فللحاسدين   وما كان خيراً وبشرى فلك

ـ احمد بن الحسين بن علي ، شهاب الدين الموصلي ، من اهل القرن السادس للهجرة ، صاحب موشحات بديعة ونظم رائق ، فاضلاً بارعاً ناثراً ، مكثراً من الموشحات ، وممن عارض موشحاته شهاب الدين الفزاري (ـ ٧١٠ هـ) ومحمد بن دانيال الموصلي ، وهما من اهل القرن السابع .

ـ محمد بن دانيال بن يوسف الخزاعي الموصلي (٦٤٧ ـ ٧١٠ هـ) . نشأ ودرس في الموصل ، وبعد نكبتها على ايدي التتر سنة ٦٦٠ هـ . رحل الى القاهرة واتخذ له دكاناً يكحل به العيون ، وهو صاحب خيال الظل . يمتاز شعره بالرقة، وله نوادر ومجون، وله عدة موشحات .[٢]

ومن الشعراء الذين برزوا في الموصل : محمد بن شقاقة الموصلي (٥٣٣ هـ)

(١ ـ ٢) ديوان الموشحات الموصلية ، ٢٢ ـ ٥٥ .

(٣) وفيات الاعيان : ١ ، ٣٦١ ـ ٣٦٢

وعلي بن ابي الوفاء بن مسهر الموصلي[١] وابن درة الموصلي (٥٤٥ هـ) . وشميم الحلي (٦٠١ هـ) النحوي اللغوي الاديب . صاحب التصانيف الكثيرة في الادب[٢] وابو زكريا يحيى بن سعيد بن الدهان الموصلي (٥٦٩ ـ ٦٥٦ هـ)، واحمد بن بوران بن سنقر النقاش الموصلي ـ من اهل القرن السابع . برع في صناعة النقش والتصوير . شاعر جيد الوصف . ومن شعره قصيدة يصف بها ما في الجوسق البدري من نقوش وتصاويره وعلم الدين الشاتاني من اهل القرن السادس . ومن شعره كتب الى اولاده في الموصل وهو في دمشق يتشوق اليهم :[٣]

يا أهل سكة بشران تحية من ... حشا فراقكم أحشاءه حرقا
يبكي فتجرى بجيرون مدامعه ... فتشتكي أهلها من فيضها الغرقا

وسكة بشران محلة بالموصل ـ وغير هؤلاء كثير .

---

(١) معجم الادباء ، ٥ ، ٢٠٨

(٢) ـ (٣) وفيات الاعيان ، ٢ ، ٤١١ ، ذيل مرآة الزمان ، ١ ، ٥١٣ ـ ٥٢٤ ، ٢٦٣ ، ٢٨١ . خريدة القصر ، ٢ ، ٣٦٧ . اعلام الصناع المواصلة ، ٢٠٧ ـ ٢١٠ الموصل في العهد الاتابكي ، ١٠٧ ـ ١٠٨

المذاهب

وكان اكثر المذاهب انتشاراً هو المذهب الشافعي ، حرص السلاجقة والاتابكة على نشره في البلاد ، واشترطوا في اكثر المدارس التي شيدوها ان يكون المدرس شافعي المذهب ، ويدرس فقه الشافعية ، وكان في بعضها يدرس فقه الشافعية والحنفية معاً . ولم نجد سوى مدرسة واحدة كان يدرس فيها الفقه الحنفي ، كما نجد انتشار فقه الحنابلة عند بعضهم ، كان ذلك بتأثير حنابلة بغداد وحرصهم على نشر مذهبهم

واشهر رجال المذهب الشافعي ، ابناء يونس بن منعة ، ابناء مهاجر ، ابناء الاثير ، بيت الشهرزوري ، ابن شداد الموصلي ، خطيب الموصل عبد الله بن احمد (٤٦٨ ـ ٥٧٨ هـ) وابنه عبد المحسن (٥٨٠ هـ) وابن ابي عصرون التميمي الموصلي (٤٩٢ ـ ٥٨٥ هـ) درس في اكثر مدارس بلاد الجزيرة والشام ، وهو امام اصحاب الشافعي في عصره ، وصاحب الفتاوي المعروفة باسمه ، كما كان اماماً في القراءات[١] .

وابن الحدوس الموصلي المتوفى سنة ٦٣٠ هـ وله ، كتاب الكامل في الفقه ، كتاب مطول

ابن عبد السلام ، عز الدين بن عبد العزيز الشافعي المتوفى سنة ٦٦٠ هـ ، وله كتاب ، « الفتاوي الموصلية » ويسمى ايضاً فتاوى ابن عبد السلام في الفقه الشافعي[٢] .

ابن الصلاح الشرخاني الشهرزوري الملقب تقي الدين (٥٧٧ ـ ٦٤٣ هـ) ، احد فضلاء عصره في الفقه الشافعي ، والتفسير والحديث واسماء الرجال ، وما يتعلق باللغة ، وله مشاركة في فنون كثيرة ـ فكان من فقهاء الشافعية في عصره .[٣]

الحسن بن شرف شاه بن ركن الدين العلوي ، مدرس الشافعية وشارح « مختصر ابن الحاجب » ، وله شرح على « الحاوي » وغيره ، توفى في الموصل سنة ٧١٥ هـ[٤]

---

(١) طبقات الشافعية ، ٤ ، ٢٣٧ ـ ٢٣٩ .

(٢) (٣) كشف الظنون ، ٢ ، ١٢١٩ ، وفيات الاعيان ، ١ ، ٣١٢ ـ ٣١٣

(٤) طبقات الشافعية ، ٦ ، ٨٦ .

اما اشهر فقهاء الحنابلة :

ابو المحاسن المجمعي الموصلي الحنفي المتوفي سنة ٥٧١ هـ . احد فقهاء الحنابلة المواصلة . جمع كتاباً اشتمل على طبقات الفقهاء من اصحاب الامام احمد بن حنبل[١] .

ابو جعفر بن السمين المقرىء المحدث الفقيه الحنبلي المتوفى سنة ٥٨٨ هـ[٢] .

احمد بن علي بن احمد الموصلي الفقيه الحنبلي المعروف بابن الوندة المتوفى سنة ٦٢٢ هـ[٣] .

ابو الذخر خلف بن محمد اللنري الفقيه الحنبلي المتوفى سنة ٦٣٧ هـ[٤] .

احمد بن علي الحنبلي الزاهد المعروف بابن الوتارة[٥] .

اما فقهاء الحنفية فأشهرهم :

اولاد بلدجي ، وقد تقدم الكلام عنهم

(١ ـ ٥) شذرات الذهب ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٩٣ ، ٥ ، ٩٩ ، ١٢٣ ، ١٠٠ . وفيات الاعيان ، ١ ، ٢٠٩ ـ ٢١٠ .

المفسرون والقراء

ومن الذين كتبوا في تفسير القرآن الكريم :

ـ أبو السعادات ابن الاثير . له تفسير الانصاف في الجمع بين الكشف والكشاف[١] .

ـ المعافى بن اسماعيل بن الحسين الموصلي ـ ٦٣٠ هـ ، له : البيان في تفسير القرآن[٢] .

ـ الشيخ موفق الدين الشيباني الكواشي الصوفي المفسر (٥٩١ ـ ٦٨٠ هـ) ، وله : التفسير الكبير، والتفسير الصغير[٣] .

ـ عز الدين عبد الرزاق بن رزق الله الرسعني ـ ٦٦١ هـ ، وله تفسير جيد للقرآن الكريم[٤] .

وكان في الموصل حركة مباركة في قراءة القرآن الكريم . والتراتيل الدينية . لما يقام فيها من مجالس الوعظ والذكر والسماعات . التي تكون في زوايا اهل الطرق . وما ينشد فيها من المدائح النبوية، وخاصة في حفلات المولد الشريف، التي كانت تقام في كل مناسبة دينية او دنيوية . كما يتخلل حلقات الذكر التي تقام في التكايا والزوايا مدائح نبوية وموشحات دينية . فكان في البلد نهضة مباركة في قراءة القرآن الكريم . وترتيل المدائح . ونبغ فيها عدة اعلام، تركوا كتباً جليلة في القراءات والالحان ومعاني الحروف :

ومن الذين اشتهروا في قراءة القرآن الكريم :

ـ ابن ابي عصرون التميمي الموصلي ـ ٤٩٢ ـ ٥٨٥ هـ) درس في اكثر بلاد الجزيرة والشام . وهو امام في الفقه الشافعي وفي القراءات[٥] .

ـ يحيى بن سعدون القرطبي ـ ٥٦٧ هـ . وكان احد الائمة في القراءات، وعلوم القرآن الكريم اخذ عنه الكثير[٦]

---

(١) جمع بين تفسير الثعلبي المتوفى ٤٢٧ هـ . وتفسير الزمخشري المتوفى ٥٣٨ هـ .

(٢) كشف الظنون ، ٢ ، ١٧٥١ .

(٣) شذرات الذهب ، ٥ ، ٣٦٦ . طبقات الشافعية ، ٥ : ١٨ .

(٤) العبر ، ٥ ، ٢٢٤ .

(٥) غاية النهاية ، ١ ، ٤٥٥ . تكملة الصابوني ، ١٠٠ ـ ١٠٣ . شذرات الذهب ، ٤ ، ٢٨٣ . ذيل المرآة ، ١ ، ٣٨٩

(٦) وفيات الاعيان ، ٢ ، ٢٢٦ .

ـ الفخر الموصلي محمد بن ابي الفرج بن معالي بن بركة بن الحسين (٥٣٩ ـ ٦٢١ هـ) . درّس في النظامية . وله كتاب : الدر الموصوف في مخارج الحروف[٧] .

ـ شعلة الموصلي : (٦٢٣ ـ ٦٥٦ هـ) ـ وقد تقدم الكلام عنه ـ كان شيخ القراء في الموصل . متضلعاً بالعربية ،نظم الشمعة في القراءات السبعة . وله كتاب كنز المعاني في حرز الاماني . وهو شرح الشاطبية . والعقود في النحو . والناسخ والمنسوخ[٨]

ـ عبد المجير بن محمد بن عشائر القبيصي الموصلي الخطيب (٥٣٧ ـ ٦٣١ هـ) كان من اعيان الفقهاء ،ومن القراء المجودين الذين يؤخذ عنهم[٩] .

ـ عماد الدين علي بن ابي زهرون الموصلي (٦٢٢ ـ ٦٨٢ هـ) كان شيخ القراء في الموصل . وله كتاب التجريد في التجويد[١٠]

ـ ابو العباس النصيبي الخرقي ـ ٦٦٤ هـ . كان بارعاً في الفقه والقراءات ،وشيخ القراء ،وله عدة مؤلفات في هذا[١١]

ـ ابن الشحنة عمر بن محمد ـ ٦٠٦ هـ . كان مشهوراً بالقراءات وشواذها[١٢] .

ـ عبد الله بن ابراهيم الضرير الموصلي ـ ٦٧٩ هـ . كان شيخ القراء في الموصل ،واخذ عنه كثيرون[١٣] .

واشتهر في الموسيقى والالحان ابن الدهان الموصلي ـ ٦٨٧ هـ . ابو عبد الله الحسين بن الحسن . كان ماهراً في الشعر والادب والموسيقى . فريد عصره في صناعة الطرب . وكان شعره يتغنى به . وله مؤلف في الموسيقى[١٤] .

ـ منتخب الدين عمر بن المظفر المخزومي البرطلي : ـ ٦٥٠ هـ
كان يعاني الحياكة . ومهر في الشعر والادب . ثم اشتغل في الموسيقى وفن الطرب . واتخذ الموصل دار اقامة له . وتوفى فيها[١٥] .

---

(٧) غاية النهاية ، ٢ ، ٢٢٨ ـ ٢٢٩ . ابن الدبيثي ، ١٦٨ . العبر ، ٥ ، ٨٦ . البداية والنهاية ، ١٣ ، ١٠٥

(٨) غاية النهاية ، ٢ ، ٨٠ ـ ٨١ . الوافي بالوفيات ، ٢ ، ١٢٢ .

(٩) غاية النهاية ، ١ ، ٤٦٧ .

(١٠) غاية النهاية ، ٢ ، ٢٤ . دول الاسلام ، ٢ ، ١٤٣ .

(١١) دول الاسلام ،٢ ، ١٤٠ .

(١٢) بغية الوعاة ، ٣٦٣ ـ ٣٦٤ .

(١٣) غاية النهاية ، ١ ، ٤٠٣ .

(١٤) الموسيقى العراقية ، ٣٥ ـ ٣٦ . العراق بين احتلالين ، ١ ، ٢٩٣

(١٥) اعلام الصناع المواصلة ، ٦٤ . الوافي بالوفيات ، ٢ ، ٢٦٢

- عبد الرحمن بن المعلم الموصلي الاديب - ٦٦٠ هـ . كان ينشد في الاسواق، وينظم شعراً حسناً ، ويؤدي ما ينظمه حلواً، بصوت شجي حنين مطرب مبك ، وله كلام في ارباب الطرق والتصوف . وعبارته حلوة ، ومن شعره قصيدة اولها :

أيها الظبي الغرير كن من البلوى مجيرى

وهي قصيدة طويلة(١٦) .

(١٦) ذيل مرآة الزمان ، ٥٠٦ - ٥١٠ .

المحدثون

وكان اصحاب الحديث على وقوف باللغة، ورجال السند، والتفسير والقراءات والاخبار . ومنهم من الف في عدة علوم كعبد الرزاق الرسعني، الذي الف في التاريخ والتفسير والفقه . ومنهم

ـ ابو الحسن السراج الجهني المتوفى سنة ٥٢٩ هـ . كان اماماً ورعاً عالماً بالحديث، عاملاً بعلمه (١)

ـ ابن ودعان المتوفى سنة ٥٩٤ هـ . كان اماماً في الحديث . وله كتاب في الحديث جمع فيه اربعين خطبة للنبي صلى الله عليه وسلم . ويعرف « بأربعين ابن ودعان » . (٢)

ـ ابو زكريا يحيى بن سالم بن مفلح البغدادي الموصلي الحنبلي . حدث بالموصل، واخذ عنه جماعة وتوفى بها سنة ٦٠٨ هـ . ودفن بمقبرة الجامع العتيق (٣).

ـ علي بن محمد بن علي الموصلي المحدث . حدث بالموصل وتوفى سنة ٦١٤ هـ (٤).

ـ الحافظ زين الدين عمر بن زيد بن بدر بن سعيد الحنفي الموصلي . له كتاب « المغني في علم الحديث » رتبه على الابواب . وحذف الاسانيد . وقرىء عليه سنة ٦١٩ هـ (٥). وتوفى سنة ٦٢٢ هـ (٦).

ـ عبد الرزاق بن رزق الله بن ابي بكر بن خلف عز الدين ابو محمد المحدث الرسعني (٥٨٩ ـ ٦٦١ هـ) سمع الكثير وحدث . وكان فاضلاً اديباً شاعراً . له المكانة العلمية . ورد الموصل سنة ٦٢٣ هـ . ورتب بدار الحديث المهاجرية بسكة ابي نجيح . وله عدة كتب . واتصل ببدر الدين لؤلؤ . فقدمه وانعم عليه . ثم انتقل الى سنجار وتوفى بها ودفن بظاهرها شرقي البلد (٧). وابنه ابراهيم (٦٤٢ ـ ٦٩٥ هـ) كتب الانشاء لبدر الدين لؤلؤ

ـ وابنه المحدث العدل شمس الدين محمد . روى عن ابن روزبة وغيره . وكان من كبار الشهود . وله شعر جيد . توفى سنة ٦٨٥ هـ (٨).

والدنبلي ابو الحسن بن ابي بكر سليمان الموصلي حدث في بغداد .

(١ ـ ٢) طبقات الفقهاء للسبكي ، ٤ : ٢٧٨ . كشف الظنون ، ١ : ٧١٥ .

(٣) شذرات الذهب ، ٥ : ٣٩

(٤) شذرات الذهب ، ٥ : ٦٠

(٥) كشف الظنون ، ٢ : ١٧٥١ .

(٦) شذرات الذهب ، ٥ : ٩٩ .

(٧) ذيل مرآة الزمان ، ١ : ٥٤٥ ، ٥ : ٣٠٥ . المنهل الصافي ، ١ : ٨٥ . التكملة ١٥٣ ـ ١٥٤ شذر الذهب ١٥٣

(٨) التكملة ، ١٥٤ .

الاطباء

ومن الاطباء الذين عانوا التطبيب في الموصل ، وفي بيمارستاناتها . كما درسوا الطب فيها ، فتخرج عليهم اطباء في الموصل وغيرها من البلاد .

١ . **مهذب الدين علي بن احمد بن مقبل الموصلي** (ـ ٦١٠ هـ) . كان يدرس الحديث والادب والطب . واشتهر بالطب . وله كتاب : « المختار » في اربعة مجلدات . وكتاب « الطب الجمالي » الفه للجواد الاصفهاني وزير صاحب الموصل . وكان من اطباء زمانه . وتخرج عليه ولده شمس الدين احمد وكان من فضلاء الموصل . ولهذا ولدان من اعيان الفضلاء واكابرهم(١)

٢ . **المهذب علي بن احمد بن مقبل الموصلي** (ـ ٦١٠ هـ) . كان من اطباء زمانه ، وله تصنيف حسن في الطب . كما كان كثير الصدقة على الفقراء . وتخرج عليه جماعة من اهل الموصل(٢)

٣ . **ابو عبد الله عبد اللطيف بن يوسف بن محمد** المعروف بابن اللباد الموصلي ويعرف بعبد اللطيف البغدادي الطبيب النحوي اللغوي الفيلسوف الاخباري الملقب موفق الدين (٥٥٧ ـ ٦٢٩ هـ) كان من اوعية العلم . عانى صناعة الطب في الموصل ، واخذ عنه الطلبة ، والف في عدة علوم(٣)

٤ . **كمال الدين محمد بن الحسن الموصلي** الطبيب . وله كتاب « كنز الطبيب » الفه لعمر بن يوسف بن علي بن رسول ـ نسخة منه في معهد مخطوطات الجامعة العربية(٤)

٥ ـ **ابو الحسن علي بن ابي الفتح بن يحيى كمال الدين الكباري الموصلي** (٦٣٤ هـ) عاش ما يقارب مائة سنة . وكان يرجع اليه لغزارة علمه(٥)

---

(١) عيون الانباء (١ ، ٣٠٤ ـ ٣٠٦) . انباه الرواة (٢ ، ٢٣١) . نكت الهيمان ، ٢٠٦

(٢) الوافي بالوفيات (٧ ، ١٨٨ ـ ١٨٩) . منادمة الاطلال ، ٢٥٤

(٣) المسجد المسبوك : ٤٥٠

(٤) عيون الانباء (١ ، ٣٠٨) . المخطوطات الطبية في معهد المخطوطات العربية

(٥) معجم الاطباء ، ٢٩٨ ـ ٢٩٩ . البداية والنهاية ، ١٣ ، ٦٧

المؤرخون

ومن الذين تركوا آثاراً في التاريخ :

ـ ابن خميس الكعبي : تاج الاسلام مجد الدين الحسين بن نصر الموصلي (ـ ٥٥٢ هـ) وله كتاب طبقات الاولياء . ويسمى ايضاً مناقب الابرار في محاسن الاخيار . وقد اختار منه مجد الدين ابو السعادات ابن الاثير كتاباً سماه : المختار من مناقب الاخيار .(١)

ـ شعلة الموصلي : ابو عبد الله محمد بن احمد الموصلي (٦٥٦ هـ) . شيخ القراء في زمنه . له كتاب تاريخ الموصل . وجاء في كشف الظنون عنه انه : نظم منثور الكلام في ذكر الخلفاء الكرام . من خلافة ابي بكر الى خلافة الظاهر بالله(٢) . وكتاب فضائل الائمة الاربعة . وغيرها من كتب القراءة .

ـ عزالدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن الاثير : (٥٥٥ ـ ٦٣٠ هـ) وله :

التاريخ الكامل : وهو من اوثق كتب التاريخ واجلها . انتهى به الى سنة ٦٢٨هـ . طلب اليه بدر الدين لؤلؤ ان يكمله ويجعله باسمه . ففعل .

الباهر في اخبار الدولة الاتابكية : انتهى به الى نور الدين ارسلان شاه المتوفى سنة ٦٠٧ هـ .

اسد الغابة في اخبار الصحابة : ترجم فيه لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

اللباب في الانساب : اختصر به كتاب الانساب للسمعاني المتوفى ٥١٠ هـ . واستدرك عليه فيما فاته .(٣)

ـ مجد الدين ابو السعادات المبارك بن الاثير (٥٤٤ ـ ٦٠٦ هـ) وله من الكتب :(٤)

المرصع في الآباء والامهات والابناء والاذواء والذوات .

المختار من مناقب الاخيار ـ وقد تقدم الكلام عنه

---

(١) فهرس المخطوطات المصورة ـ التاريخ ، ٢ ، ١٥٥ ، ١٦٧ ، ٤٣٢ ، ٣ ، ٢٦٠ ـ ٢٦١ .

(٢) غاية النهاية ، ٢ ، ٨٠ ـ ٨١ . شذرات الذهب ، ٥ ، ١٨١ . هدية العارفين ، ١٠ .

(٣) و (٤) وفيات الاعيان ، ٢ ، ٤١٩ ـ ٤٢٠ . شذرات الذهب ، ٥ ، ٢٢ ، ١٣٧ .

ـ **ابن الحدوس الموصلي :** ابو الفتح المعافى بن اسماعيل الشيباني الوراق الموصلي (٥٣٢ ـ ٦٣٠ هـ) وكان اديباً فاضلاً مشهوراً بكتابة الشروط ، وله من الكتب : انس المنقطعين ، وتفسير البيان ، وكتاب احداق الاخبار في اخلاق الاخيار(٥) .

ـ **ابن الشعار الموصلي :** المبارك بن احمد بن حمدان (٥٩٣ ـ ٦٥٥ هـ) . وله من الكتب :

عقود الجمان في شعراء هذا الزمان ، يقع في اثني عشر مجلداً . تكلم به عن شعراء المائة السابعة للهجرة .

تحفة الوزراء : ذيل به معجم الشعراء للمرزباني . ذكر فيه كل من نظم شعراً الى آخر ايامه .(٧)

ـ **ابن باطيش :** عماد الدين اسماعيل بن هبة الله الموصلي (٥٧٥ ـ ٦٥٥ هـ) وله من الكتب :(٨)

التمييز والفصل بين المتفق في الخط والنقط والشكل ، وهو في مشتبه اسماء البلدان،والكلام على رجاله ، وطبقات الشافعية،وتاريخ الموصل

ـ **ابن شداد الموصلي :** (٥٣٩ ـ ٦٣٢ هـ) قاضي القضاة يوسف بن رافع الاسدي(٨) ، وله كتاب النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، في سيرة صلاح الدين الايوبي وكتاب تاريخ حلب

علي بن انجب الساعي : ابو طالب علي بن انجب بن عبد الله المعروف بابن الساعي ٥٩٣ ـ ٦٧٢ ، وله من الكتب :(٩)

المعلم الاتابكي : في تاريخ الدولة الاتابكية ، عمله لنور الدين ارسلان شاه بن زنكي بن ارسلان شاه في اخبار البيت الاتابكي .

ذيل على تاريخ الكامل لابن الاثير في عدة مجلدات وغيرهما .

ابو المحاسن المجمعي محمد بن عبد الباقي الموصلي الحنبلي (ـ ٥٧١ هـ) . جمع كتاباً في طبقات الفقهاء من اصحاب الامام احمد،وهو احد الفقهاء الحنابلة المواصلة

(٥) ابن الفوطي ، ١ ، ٤٨٥ ـ ٤٨٦ ، انباء الرواة ، ٢ ، ٢٤٦ ، شذرات الذهب ، ٥ ، ١٤٣ .

(٦) ذيل مرآة الزمان ، ١ ، ٣٣ ، معجم ابن الفوطي ، ٢١٩ ـ ٢٢٠ ، وفيات الاعيان ،

(٧) طبقات الشافعية ، ٥ ، ٥١ ، الوافي بالوفيات ، ١ ، ٨٤ ، شذرات الذهب ، ٥ ، ٢٦٧ ـ ٢٦٨

(٨) المسجد المسبوك ، ٦٢٧ وفيات الاعيان ، ٢ ، ٣٥٤ ـ ٣٦٠

ومن العلماء البلدانيين :

- **الهروى السائح** : علي بن ابي بكر الخراط الموصلي (٦١١ هـ) ذكروا عنه[١٠]، انه لم يترك براً ولا بحراً،ولا سهلاً ولا جبلاً،الا كتب خطه بحائطه. وكان يعاني خرط الزجاج ومولعاً بالسيمياء . ومن كتبه :"الاشارات الى معرفة الزيارات"، وصف به ما اطلع عليه من قبور الانبياء والصالحين في البلاد التي زارها .والتذكرة الهروية في الحيل الحربية .

- **نور الدين علي بن عثمان الموصلي** ، وله :[١١]

رحلة نور الدين : من الموصل الى قرا قوروم دار ملك القآن المغولي في القرن السابع للهجرة .

- **عزالدين سعد بن منظور بن ابي سعد بن هبة الله الكموني الاسرائيلي الموصلي** (ـ ٦٨٣ هـ) .[١٢] وله من الكتب :

كتاب في البلدان . اتبع فيه طريقة معجم البلدان .

---

(٩) سومر ، ١٤ ، ٤٢ . مقدمة الجامع المختصر . المجلد التاسع التي كتبها الدكتور مصطفى جواد .

(١٠) وفيات الاعيان ، ١ ، ٣٤٦

(١١) مجلة المجمع العلمي العراقي ، ٩ ، ١٣٢ .

(١٢) مخطوطات دار الكتب الظاهرية ـ الجغرافية وملحقاتها .

النحويون

واشتهر جماعة بالنحو والفواعدة كتب ، ومنهم :

- **علي بن خليفة النحوي المعروف بابن المنقي** المتوفى سنة ٥٦٢ هـ . كان اماماً فاضلاً . تأدب عليه اكثر اهل بلده . وكان يجلس بالمسجد المعروف بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم . وصنف مقدمة في النحو سماها « المعونة » . وله شعر حسن(١) .

- **سعيد بن المبارك النحوي** (٤٩٤ ـ ٥٦٩ هـ) من اعيان النحاة وافاضل اللغويين . الف في علوم مختلفة ، منها ، تفسير القرآن الكريم في اربعة مجلدات . وشرح الايضاح لأبي علي الفارسي في اربعين مجلدة . والغرة في شرح اللمع لابن جني(٢) .

- **ابو الحزم صائن الدين مكي الضرير النحوي** المتوفى سنة ٦٠٣ هـ . وكان الغالب عليه النحو والقراءات(٣) .

- **دهن الخصا ، وهو الحسين بن هبة الله الموصلي** المتوفى سنة ٦٠٨ هـ . احد نحاة عصره . تصدر للاقراء في الموصل(٤) .

- **شمس الدين احمد بن الحسين بن احمد المعروف بابن الخباز الاربلي الموصلي الفقيه الشافعي** (٥٨٩ ـ ٦٣٩ هـ) كان ضريراً ، علامة زمانه في النحو واللغة والفقه والعروض والظرائف . صنف كتباً مفيدة في النحو وغيره ، وتفقه به الناس . وله اشعار حسنة . ومن مؤلفاته ، النهاية في النحو . شرح الفية ابن معط ، وسماها الغرة المخفية في شرح الالفية(٥) .

- **ابو البقاء يعيش بن علي بن يعيش الصائغ الموصلي**(٥٥٣ـ٦٤٣هـ) وهو احد علماء زمانه المبرزين استفاد منه اهل الموصل . له شرح المفصل ، وشرح تصريف ابن جني(٦)

- **ابن الدهان النحوي الموصلي** (٥٨٩ ـ ٦٣٩ هـ) اشتهر بالتأليف . صنف شرحاً للايضاح والتكملة في ثلاثة واربعين مجلداً . واخذ النحو عنه ابنه يحيى(٧)

---

(١) معجم الادباء ـ لياقوت (١٤ ، ٢١٥)

(٢) انباه الرواة (٢ ، ٤٧ ـ ٥٠) . معجم الادباء (١١ ، ٢١٩ ـ ٢٢٣)

(٣) وفيات الاعيان (٢ ، ١٣١ ـ ١٣٢) نكت الهميان (٢٩٦ ـ ٢٩٧)

(٤) معجم الادباء (١٠ ، ١٧٨ ـ ١٨٠)

(٥) نكت الهميان (٩٦) بغية الوعاة ، ١٣١ ، العبر (٥ ، ١٥٩)

(٦) بغية الوعاة (٤١٩ ـ ٤٢٠)

(٧) وفيات الاعيان (١ ، ٢٥٦ ـ ٢٥٧) . انباه الرواة (٢ ، ١٠٣ ـ ١٠٤)

الصناعات :

الصناعات

نشطت الصناعة في الموصل، وأقبل اليها الصناع من البلاد الاخرى، يعرضون صناعاتهم،أو يأخذون عن الصناع المواصلة. ففي سنة ٥٩٥ هـ هاجر اليها الصناع من مصر،على أثر المجاعة التي حلت بوادي النيل،فكانوا عاملاً في نشر صناعاتهم(١). كما هاجر اليها الصناع والبناؤن من تكريت،ونقلوا معهم صناعة تزيين المباني بزخارف وتصاوير نافرة أو غائرة في الجبس والرخام. فكانوا عاملاً آخر في تنشيط صناعة البناء وزخرفته(٢).

والموصل مركز تجاري لبضائع الشرق والغرب وصناعاتهم وتحفهم. فكان هذا من العوامل التي اثرت على الصناعات والفنون الموصلية. فاقتبسوا منها ما يلائم عاداتهم وفنونهم.

ومن الصناعات التي تفوقت في المدينة: النسيج الموصلي، وتطعيم المعادن، وزخرفة الخشب والرخام وتطعيمهما، وصناعة الخزف الملون، والباربوتين، وصناعة البناء وغير ذلك. وغدت الموصل قبلة لارباب الصناعات والفنون. يرحلون اليها، ويأخذون عن أساتذتها الذين أبدعوا في عملهم، وجمال زخارفهم وحسن الاتقان. يصدرون منتوجاتهم الى ايران والهند شرقاً، والى بلاد الشام غرباً، ومنها تصدر الى أوربا ومصر، وجنوباً الى العراق

صناعة النسيج

ـ ١ ـ

عرفت الموصل بصناعة النسيج في اختلاف العصور، وازدهرت في هذا الدور الذي ساد فيه الأمن والاطمئنان. ولاقت تشجيعاً وعناية من أرباب الحكم. فتوسعت صناعة النسيج، وصار فيها سنة ٦٦٠ هـ (٧٥٠٠٠) نولاً للحياكة(٣)، و (٩٠٨) خانات لاعمال الحياكة: من صبغ ودق ونقش وتطريز وقصر. وكانت تنتج في اليوم ما يقدر بنصف مليون متر، وهو يفيض عن حاجة البلد. فيصدرونه الى بلاد الشرق والمغرب. وصار النسيج الموصلي مضرب المثل في الدقة والجودة والجمال. ومن هذه المنسوجات:

---

(١) قصة عبد اللطيف البغدادي: ٦٧.

(٢) التاريخ السرياني المجهول: ٣٤٣، أنباء الزمان: ٣٣.

(٣) منية الادباء: ٦٦ ـ ٦٨.

الشاش الموصلي : يكون من القطن ، دقيق الصنع ، ناصع البياض ، ناعم الملمس ، يوازي نسيج الحرير ، وبعضه كان يفضل على نسيج الحرير ، وأنتجوا منه أنواعاً ، منه تتخذ العمائم الجميلة ، وانتشرت هذه العمائم في كثير من البلدان ، فاذا ما وصفوا رجلاً بحسن البزة ، قالوا ، « على رأسه الشاش الموصلي »[٤] ، « وهذه عمامة وزراء الا انها موصلية »[٥] ، وذكر في التعليق على رحلة ماركوبولو ، أنه شاهد في سمرقند سنة ٦١٨ هـ ـ ١٢٢١ م ـ رجال الطبقة العامة والقسس يلفون حول رؤوسهم قطعة من هذا الشاش الجميل الموسليني[٦] .

واتخذوا من الشاش الموصلي الغلالات الجميلة ، والقمصان التي تكون تحت الثياب ، فكان الفتيان والمترفون يتفاخرون بارتدائه وقت الظهيرة ، وعند النوم[٧] .

وطرزوا حواشيه بالحرير الملون ، واتخذ منه النساء ثياباً للزينة ، وأزراً ، كما اتخذن منه الاحزمة التي تفوق بجمالها أحزمة الحرير[٨] .

واعجب الزهري الذي زار الموصل في القرن السادس الهجري ، بجودة نسيج الكتان الذي يصنع في تونس[٩] ، ويقول دوزي عن هذا النسيج ، بأنه يضاهي ثياب الحرير ، اذا قورنت برقعة الاقمشة الهندية وان هذه الاقمشة توازن بالموصلي ، بدقته وجمال صنعه[١٠] .

كما أعجب الزهري بنوع من هذا الشاش الفائق الصنع ، ويسميه "الاشكرنات" ، فيقول عنه عند كلامه عن مدينة الموصل :

« وفي هذه المدينة يعمل الربنيون الاشكرنات الرقاق ، التي لا توجد في معمور الارض الا فيها ، وهي ثياب أرق من ثياب الحرير ، وهي من القطن قياماً وطعمة ، وقد يعمل ببلاد العراق أنواع من هذه الثياب ، ولكن ليست كهذه »[١١] .

واتخذوا من النسيج القطني الثياب الظاهرة ، فكانوا يعلمونه بألوان زاهية ، ونقوش وزخارف جميلة ، يكون لثياب النساء ، وقد يخلطون مع القطن قليلاً من الحرير ، يزينون به النقوش ، وتكون القطعة الواحدة على قدر الثوب الواحد ، وتسمى

---

(٤) الف ليلة وليلة ، حكاية هارون الرشيد مع محمد بن علي الجوهري .

(٥) ـ (٧) مجلة المجمع العلمي العراقي ، ٣ ، ١٤٦ ، الجغرافية ، ٥٥ .

(٦) 66 : 1 . Travel of Marcopolo

(٨) ـ (١٠) معجم دوزي ، ١٥٥ ، ١٧٢ ، ١٤٩ .

(٩) الجغرافية ، ١٠٩ .

(١١) الجغرافية ، ٥٥

(طاقة) ـ ويعملون طاقات الرجال بزخارف تناسبهم . فكان هذا النسيج مما يقبل عليه أهل الشرق والغرب وعرف في اوربا باسم Mosline أي الموصلي .

تسربت هذه الصناعة من الموصل عن طريق فارس الى الهند . واختصت المدن الهندية « كمدراس » و « دكة » التي نالت شهرة واسعة في صناعة النسيج القطني الموصلي ، وتطريزه بخيوط الذهب والفضة . وصبغه بالالوان الزاهية على ما كان يصنع بالموصل ، وامتاز بسعره الباهض واقبال الناس عليه . فالقطعة التي طولها ثلاث ياردات ، وعرضها يارد واحد ، كانت تزن خمس الأونس لدقته وجماله . وبلغ سعرها أربعين ديناراً انكليزياً . ويرى بعض العلماء أن صناعة النسيج القطني تسربت من الهند الى انكلترا في القرن السابع عشر للميلاد . واختصت به بعض المدن الانكليزية كمنشستر وغيرها[١٢] .

ـ ٢ ـ

ونسجوا من الحرير أنواعاً جميلة مختلفة الزخارف والالوان . بعضه يكون من الحرير الخالص لثياب النساء . وينقش بنقوش زاهية الالوان . وقد تطعم حواشيه بالقصب أو الذهب . ويتخذ منه الأزر الجميلة المزركشة بالذهب[١٣] .

وشاهده مركوبولو السائح الايطالي عند مروره بالموصل، وأثنى على دقة ومهارة الصناع المواصلة . وذكر ان أهل الموصل يتاجرون مع الأقطار المختلفة بالاقمشة الحريرية المطرزة بالذهب . فكانت من أنفس ما يتهاداه الملوك والمترفون[١٤] .

وبعد موجة التتر هاجر أكثر الصناع الذين سلموا من القتل،ونشروا صناعتهم في البلاد الاخرى ومنهم ، يوسف بن عبد الكريم بن هبيل الذي هاجر الى اليمن . ومن جميل قوله يصف قطعة من نسيج الحرير،كان قد طرزها ووشاها،ورفعها الى الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول التركماني اليمني المتوفى سنة ٦٩٤ هـ . وكتب معها[١٥] :

يا امام الزمان في كل فن	وبديعاً ـ قد بذ شأو البديع
قد رفعنا الى معاليك روضا	من حرير في غاية التوشيع
دوحة في أواخر الصيف فاختر	ها . كما جاء في زمان الربيع

---

(١٣) الف ليلة وليلة ، حكاية الحمال مع البنات .

(١٤) رحلة مركوبولو ، ١ ، ٦٦ .

وعزالدين أبو الفضل الحسن بن الحسين بن يوسف النقاش الموصلي ٦٤٢ هـ ـ ٧١٠ هـ . كان يتعانى صناعة النقش وخياطة الزركش . سافر الى تبريز واتصل بالخاتون « بلغان » زوجة محمود غازان بن ارغون بن اباقا بن هولاكو وحصل له منها جاه ومال كثير[١٦].

كانوا يصدرون كميات كبيرة من منسوجات القطن والحرير ، ولاقت رواجاً واسعاً واقبالاً عليها . فكان ينقلها الجنويون والبنادقة وأهل مرسيليا الى أوربا ، ويبعت عندهم بأثمان باهضة ، وعرفت بالموسليني . وفي أيامنا هذه حاولوا الاستفادة من اسمها ، فأنتجوا قماشاً دقيقاً أبيض اللون سموه « بالموسليني » ، نسبة الى القماش الموصلي ، ليلاقي رواجاً في أسواق العالم ـ ويعرف عندنا في الموصل في الوقت الحاضر باسم « موزلين »

ـ ٣ ـ

ونسجوا من الصوف أقمشة مختلفة ، منها ما يلبس في الشتاء ، ومنها ما يستتر به أو يفترش ، وهذه تكون أقمشة سميكة ، تعلم حواشيها بنقوش وجامات ، يستتر بها فوق اللحاف ، وتسمى « جواجيم » مفردها « جاجيم » ، ونسجوا مثلها من غزل القطن ، يستترون بها في فصل الصيف ، ويسمى الواحد منها « إحْرام » ويجمعونها على « إحْرامات » .

وجاء عن تلمسان : يعمل فيها من الصوف كل شيء بديع من المحررات والابدان وأحاريم الصوف[١٧] . والاحاريم ـ الاحرامات ـ محرفة عن المقارم التي عرفت في بعض البلاد .

واتخذوا من شعر المعز بيوت الشعر الكبيرة الواسعة المحبوكة النسيج ، ولم تزل الموصل معروفة بهذا النسيج ، وقد مر بنا أن أحد أسواقها القديمة منذ القرن الاول للهجرة يسمى « سوق الشعارين » لبيع هذا النسيج فيه . ويعرف بهذا الاسم الى اليوم .

---

(١٥) ـ (١٦) ، أعلام الصناع المواصلة ، ٦٧ ، ٥٤ ـ ٥٥

(١٧) الجغرافية ، ١١٣

التحف المعدنية

الغنى يدفع الى التمتع بمباهج الحياة، وجمال الزينة، من بناء وثياب وأدوات ورياش . فالزخرفة بمواد ثمينة، ودقة الصناعة مما يكسبها جمالاً وبهاء . والموصل في هذا العصر كانت من المراكز الفنية في العالم . وهذا ما أدى الى تفوق الصناع ونبوغهم في صناعات كثيرة ، كتطبيق الادوات المعدنية، وزخرفتها بالذهب والفضة . وتطبيق الرخام الازرق برخام أبيض . وزخرفة الخشب وجمال البناء ... الخ .

أمّا صناعة التحف المعدنية ، فهي قديمة في بلاد ، بين النهرين . زين بها الآشوريون أوانيهم وأدواتهم وتحفهم . وورث الصناع المواصلة عنهم هذه الصناعة . وأضافوا اليها ما تأثروا به من الصناعات الاخرى . وأجروا عليها من عمليات التنقيح والحذف والاضافة . وابتكروا عناصر زخرفية جميلة مطبقة بالفضة والذهب . حتى صارت مدرسة الموصل في التطعيم قبلة الصناع . يأخذون عن أساتذتها . ويحتذون حذوهم . وكانت تحفهم التي يبدعون في انتاجها، مما يتنافس الملوك والمترفون في تزيين دورهم، وموائد طعامهم وشرابهم بها . وبقيت الموصل مدة القرنين ـ السادس والسابع للهجرة ـ اليها المرجع في هذه الصناعة . وهذا ما حمل القزويني أن يقول : « وأهل الموصل أهل تدقيق في الصناعات » . ويقول ابن سعيد المغربي عنها : « وفي الموصل صنائع جمة . لاسيما أواني النحاس المطعم . يحمل منها الى الملوك » .

والطابع الموصلي في الزخرفة كان يجمع بين الكتابة على التحفة بخطوط متنوعة، وتصاوير تمثل مظاهر الحياة والترف . ومجالس الانس والطرب . ومظاهر القنص والصيد . واللعب بالكرة والصولجان . ومظاهر فلكية . كالنجوم والقمر والأجرام السماوية . وبعض الحيوانات والطيور . وزخارف نباتية وهندسية دقيقة جميلة .

واستعمل الفنانون طرقاً في زخرفة التحفة، وأجملها وأدقها هو التطعيم بالذهب والفضة . وهو مما ابتكره الفنان الموصلي . وتأثر به غيره . وحاولوا تقليده . وهذا ما حمل علماء الآثار أن ينسبوا الى الموصل كثيراً من التحف المعدنية التي يظهر عليها تأثير مدرسة الموصل . ولم يكتب عليها صانعوها أسماءهم .

وصار في أم الربيعين محلات عديدة لأنتاج التحف المعدنية، يشرف على كل محل أستاذ ماهر بصنعة النقش والتطعيم . يشتغل عنده عدة أشخاص . يأخذون عنه، ويتدربون تحت اشرافه . ثم يتولى هو اجازتهم في العمل . فكان أحدهم اذا ما عمل تحفة، كتب عليها أنه أخذ على الاستاذ الفلاني لتنال اقبالاً .

ومما هو مكتوب على شمعدان : « عمل الحاج اسماعيل . نقش محمد بن فتوح ، أجير الشجاع الموصلي » .

وكان الشجاع الموصلي من الاساتذة البارزين في هذه الصناعة ، وتخرج عليه عدة أشخاص .

ومكتوب على علبة من النحاس المطعم : « نقش اسماعيل بن ورد الموصلي ، تلميذ ابراهيم بن مواليا وذلك بتاريخ شهر جمادي الآخرة سنة ٦١٧ هـ » .

وكان يتعاون في انتاج التحفة الواحدة عدة أشخاص ، يقوم الصفار بعمل التحفة وصقلها ، ثم يتولى الأستاذ نقشها ، ثم يتولى الحفار حفر النقوش أو الصور ، ثم تقدم الى المطعم ، فيقوم هذا بملء الحفر بالذهب والفضة، لتظهر النقوش والكتابات والتصاوير جلية واضحة .

ونجد على بعض التحف اسماء من قام بعملها ، واسم المدينة وتاريخ العمل ، ومن عملت له ، مكتوب على قدر من النحاس : « من عمل محمد بن عبد الواحد الموصلي ، وتطعيم مسعود بن أحمد الموصلي سنة ٥٥٩ هـ » .

ومكتوب على ابريق صنع في دمشق : « عز لمولانا الملك الناصر العالم العادل المجاهد صلاح الدنيا والدين ابي المظفر يوسف بن الملك العزيز غازي . نقش حسين بن محمد الموصلي بدمشق المحروسة سنة سبع وخمسين وستمائة » .

ويكتبون على التحفة أيضاً ما يناسبها ، ومن صنعت له ، ومن ذلك مكتوب على محبرة جميلة من صنع الموصل مكفتة بالفضة : « .

اذا فتحت دواة العز والنعم — فاجعل مدادك من جود ومن كرم

وعلى وجه الغطاء مكتوب :

تصرف ووقع بما بي — ففي أمان من حيل الزمان
ففي ذي الدواة سرور الصديق — وكيد العدو ونيل الأماني

وصنع محمد بن ختلج (خطلغ) ـ قطلق ، جدولاً للحساب الفلكي مطعماً بالذهب والفضة ، وعليه صور لعلامات فلكية ، وكتابات جميلة في ظاهره وباطنه ، صنعه لمحمد المحتسب البخاري ، سنة ٦٣٩ هـ ، وكتب عليه اسمه وتاريخ عمله ومن عملت له والابيات التالية :

أنا ذو البلاغة والمحدث صامتا وبمنطقى الترغيب والترهيب
يخفي اللبيب ضميره فأبينه فكأن اعضائي خلقن قلوب
أنا كاشف الأسرار في بدائع من حكمة وغرائب وغيوب
لكن بسطت أديم خدي صاغراً وجعلته عوض التراب يثوب

وذكروا أن بدر الدين لؤلؤ نذر في أول حكمه، أن يرسل في كل سنة الى مشهد الامام علي بن ابي طالب ـ كرم الله وجهه ـ قنديل ذهب بألف دينار، وشمعدانا مطعماً بالذهب والفضة، ولم يزل على ذلك حتى مات، فحكي أنه عدّ في المشهد أربعون قنديلاً، وأربعون شمعدانا وعليها اسمه.

فكان بدر الدين مغرماً بصناعة هذه التحف، وقد عملت له عدة تحف، وقفنا على عدد منها في متاحف الشرق والغرب، وعليها اسمه.

هذه التحف الموصلية كانت تشمل، القناديل والشمعدانات والمحابر والمباخر، وادوات المناضد والطشوت، والصواني وأواني الشرب والمزهريات وغير ذلك، وهي مزينة بزخارف نباتية وهندسية وتصاوير، وكتابات بخطوط مختلفة، تكون على شكل شرائط تحف بالاناء. أما التصاوير فقد تكون داخل جامات متتالية حول الاناء، او داخل شريط. وتكون الكتابات على ارضية مزخرفة بزخارف دقيقة، وهي تنتشر في الاناء.

وبعد نكبة الموصل سنة ٦٦٠ هـ هاجر اكثر الصناع الذين سلموا من فتك المغول الى سورية ومصر واليمن، ونشروا صناعتهم فيها، وتركوا تحفا كثيرة عليها اسماء صانعيها المواصلة، وتاريخ صنعها، والمدينة التي صنعت بها، واكثر هذه التحف كانت في مصر، لأقبال المماليك عليها، خاصة الملك قلاوون (٦٧٨ ـ ٦٨٩ هـ) فانه كان اكثرهم تشجيعاً، واستقدم الصناع المختصين بها، واجزل لهم العطاء، فانتجوا تحفا كثيرة متنوعة، ثم سار خلفاؤه على هذا، فتأسست محلات في القاهرة يعمل فيها صناع مواصلة، وصار في مصر سوق خاص لصناعة التطبيق في النحاس والخشب عرفت « بسوق الكفتيين ».

ويرى بعضهم ان هذه الصناعة تسربت من مصر الى مدن البحر الابيض المتوسط في اوربا، فكان يعمل بها صناع من الموصل، منهم، محمود الكردي الذي كان يشتغل في البندقية.

وقد بسطنا القول عن صناعة التحف المعدنية في الموصل،(١) والطرق التي كانت تتبع في الزخرفة . واعلام الصناع الذين وقفنا على ذكرهم . والتحف التي صنعوها،(٢) وذلك في كتابنا « الموصل في العهد الاتابكي»، وكتابنا(٣) «أعلام الصناع المواصلة».

وكانوا يصنعون الهاونات من البرنز الاصفر . ويجعلون للهاون قاعدة واسعة . ويكون أعلى الهاون واسعاً أيضاً يزينونه برؤوس تماثيل لأسود أو كباش أو غير ذلك . ويصورون حول الهاون صوراً مختلفة لحيوانات ونباتات، وكتابات مطعمة بالفضة او الذهب

ويصنعون من البرونز او الحديد مدقات تثبت فوق الابواب . وتكون على اشكال مختلفة . فمنها ما تكون على شكل رأس كبش، او رأس أسد، أو تكون على شكل طير . وهي مزينة بزخارف هندسية او نباتية متشابكة .

---

(١) : ٥١ ـ ٦٠

(٢) ٦٩ ـ ١٣١

(٣) ٧ : ٩٦ ـ ٩٨

زخرفة الرخام

ان كثرة الرخام ظاهر مدينة الموصل ، ومطاوعته للنحت والصقل والحفر ، حمل المواصلة أن يستعيضوا به عن الفسيفساء في تزيين منشآتهم العمرانية ـ كما كان مادة مهمة في البناء ، اتخذوا منه مداخل الأبواب والشبابيك ، وزينوا جدران البنايات الداخلية برخام مطعم ، ومنه أقاموا الأروقة والأواوين والمنابر والمحاريب ، وقبور بعض الصالحين ، ونحتوا منه التماثيل التي أقاموها في قصورهم ، والتصاوير التي تكون فوق الأبواب ، وتفننوا في زخرفته بزخارف مختلفة وكتابات متنوعة ، تدلنا على دقة العمل والابداع .

طبقوا الرخام برخام أبيض ناصع ، اتخذوه على شكل ألواح متسلسلة تحف حول الجدران الداخلية للمنشآت ، وهي مزينة بكتابات مطعمة أو زخارف .

وكانت بعض هذه الزخارف نباتية فيها أزهار وأوراق ، نافرة في المرمر ، تكون على شكل شريط ، يحف حول الجدران الداخلية فوق المرمر المطعم ـ كما نرى هذا في مرقد الامام يحيى بن القاسم ، ومرقد الامام عون الدين ، وغيرهما .

وقد تكون الزخارف المطعمة على شكل وحدات ، تثبت في الجدران متقابلة ومتناظرة ، تزين الجدران وعليها كتابات تؤرخ للمكان ، أو آية كريمة وأحاديث شريفة .

ومن طرق زخرفتهم ، الحفر ، تحفر الزخارف نافرة أو غائرة ، كما في محراب الجامع النوري ، الذي صنعه سيف (سنقر) البغدادي سنة ٥٤٣ هـ عندما جدد الأتابكيون الجامع الأموي [١] والمحراب من المرمر الأزرق مزين أعلاه بزخارف هندسية ونباتية ، متعانقة وبعضها متنافرة ، قد حفرت على مستويات متفاوتة ، بعضها أكثر عمقاً من التي فوقها ، ويظهر من هذه الزخارف المتفاوتة في العمق قطعة فنية رائعة ، ونجد تقليد هذا المحراب واضحاً في المحاريب التي صنعت في الموصل بعده ، كمحراب ابن الحسن ، ومحراب الامام يحيى بن القاسم وغيرهما .

ونلاحظ نحت الصور نافرة في المرمر فوق أبواب الخانات والمشاهد وأبواب المدينة ، وتكون كثيرة في الكنائس والأديرة ، ومن أروع المداخل الأثرية التي سلمت من عوادي الدهر ، مدخل حضرة الامام الباهر [٢] ، وهو من المرمر الازرق ، يحف

(١) الجامع الاموي ، أنظر عنه ، جوامع الموصل ، ٢ ـ ١٦ .

(٢) جوامع الموصل ، ١٨٧ ـ ١٩٦

به صورتا ثعبانين ملتفين على بعضهما . ويتألف منهما على جانبي المدخل نطاق من مستطيلات . كل منها على شكل محراب صغير تستمر الى أسفل الركنين . ويكون رأسا الحيتين متقابلين في أعلى الباب .

أما داخل المستطيلات ـ المحاريب الصغيرة ـ ففي كل منها زخارف هندسية ونباتية دقيقة بالرخام . يعلوها زخارف على شكل مقرنصات . فتظهر محاريب صغيرة تحف بجانبي المدخل .

وان الفنان قد استفاد من التفاف الحيتين فأظهر منهما هذه المحاريب الصغيرة ، مزج بين الصور والزخارف ، واتخذ منها وحدات هندسية داخلها قطع زخرفية . فكان موفقاً في عمله هذا .

ومن صناديق الأضرحة الجميلة المزينة برخام أزرق مطعم برخام أبيض . هو صندوق ضريح الامام علي الهادي[٣] تزينه زخارف دقيقة الصنع . تمثل أغصاناً وأزهاراً متداخلة ومتشابكة . وكتابات بارزة بالرخام . وكلها مطعمة . وفي أعلى الصندوق زهرة نافرة . يتدلى منها قنديل . وفي جانبي القبر سطران مطعمة كتابتهما بالرخام الأبيض ، وهي البسملة ونسب الامام علي الهادي .

أما جوانب الصندوق فمزينة بكتابات نافرة . تحتها جامات على شكل محاريب صغيرة متعاقبة . تحف بالصندوق . داخل كل جامة قطعة زخرفية جميلة .

وأقاموا تماثيل لحيوانات أليفة ومفترسة ، وطيور كانت في حدائق دورهم . تكون حول احواض ، في وسط كل حوض نافورة من المرمر . فيدفع منها الماء الى الحوض .

وزينوا أركان الابواب بزخارف دقيقة تشبه خلايا النحل . وهي كثيرة في الموصل . ونجد نماذج جميلة جداً منها في دير الجب ـ دير الخضر ـ كما نحتوا صوراً لأسود وحيوانات مفترسة ، وأفاعي وطواويس وحمام ، وحيوانات خرافية تكون فوق الابواب . كما كان هذا فوق باب سنجار[٤] . وباب الموصل في العمادية . وباب الخان ـ قرب سنجار ـ وفي دير الجب . وكنيسة مار حوذيمي . وكانوا في الكنائس يستعيضون عن الحيتين بصورة انسان يطعن التنين بالرمح . وهي من الصور التي نجدها كثيرة في الكنائس .

---

(٣) أعلام الصناع المواصلة ، ١٥٤ ـ ١٥٥ .

(٤) أحد أبواب مدينة الموصل .

ويجعلون على جانبي الشخيم الذي يكون بأعلى جانب الايوان، صورة رأس كبش من المرمر نافرة في الجدار - ويسمونها الكبش. فاذا ما أراد أحد أن يصعد الى الشخيم، ثبت حبلا بالكبش، وتسلق الحبل وصعد.

واتخذوا من الحلان احواضاً لشرب الحمام، تكون في الدور بجانب البئر - والحوض عبارة عن قطعة من الحلان. قد نقروا فيها حوضاً على شكل نجمة، مسدسة الشكل. وينحتون تحت كل نجمة في مقدم الحوض، رأس كبش أو أسد نافر، فاغر الفم. يسيل الماء من الحوض اليه، ويندفع من فمه.

وفي الموصل آثار كثيرة من المرمر تدل على تفوق القوم في نحته وتطعيمه وتزينه بزخارف ونباتات وكتابات، منها بالخط الكوفي المربع، أو الخط الكوفي المثلث، مكتوبة على أرضية غنية بأزهار وأوراق نافرة. وقد ينهون الحروف بتفريعات نباتية مورقة أيضاً. فكان هذا من أجمل الخطوط في الاتقان.

ومن الالواح الجميلة، قطعة من حجر الكرانيت الاسود (٣٣ × ١٥ سم)، كان على يمين الداخل الى حضرة الامام ابراهيم. نحت عليه «عبد الرحمن بن ابي حمزة الموصلي» البيت الحرام والكعبة المعظمة. وكتب فوقها: البسملة «ومن دخله كان آمناً». وكتب فوق هذه الآية: «ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين مقام ابراهيم».

وكتب تحت الشكل: هذا المسجد عمره ابراهيم الجراحي(٥)، وهذه التربة المجاورة له تربة حسنة خاتون بنت القرابلي، رحمة الله عليها وعلى ابراهيم الجراحي. عمل عبد الرحمن بن ابي حمزة».

---

(٥) الأمير الشيخ ابراهيم المهراني صاحب قلعة الجراحية. كان معاصراً للشيخ عدي بن مسافر في القرن السادس للهجرة، وأخذ عنه الطريقة العدوية. وهو الذي عمر المسجد والى جانبه تربة زوجته حسنة خاتون، الموصل في العهد الاتابكي: ١٥٩ - ١٦٠. مجموع الكتابات: ٧٠ - ٧٢. منية الادباء: ١٠٤.

الزخارف الجبسية

وزينوا البنايات بزخارف جبسية جميلة متنوعة، فيها عناصر من الزخارف العربية التي كانت في سامراء، نقلها التكارتة الى الموصل. وجعلوها مع العناصر الموروثة في البلد. كما نجد التصاوير التي نشرها السلاجقة في هذا الدور. وتفننوا فيها، وامتازت بدقتها وجمالها، وهذه الزخارف:

أما أن تكون داخل وحدات متناظرة الابعاد ومتقابلة، وقد تكون على ارضية مزينة بزخارف دقيقة.

أو تكون نافرة في البناء، وهي من زخارف نباتية وهندسية، متشابكة مع بعضها أو متنافرة، وقد يتخللها كتابات. ومنها ما تكون زخارف نباتية مورقة ومزهرة، وهي كثيرة في الجوامع والمراقد.

نجد في الزخارف الجبسية نوعاً طريفاً من زخرفة فيها صور أشخاص وحيوانات وطيور، تكون متداخلة مع الزخارف النباتية والهندسية، ومتناظرة مع بعضها» بحيث تظهر التصاوير كأنها مكملة للزخارف، وكلها على مستوى واحد» كما في محراب الجامع المجاهدي.

ومن القطع الجميلة المزخرفة بكتابات ونقوش غنية بديعة النقش،«هي التي كانت فوق المحراب في مصلى الجامع النوري: تتألف من ثلاثة أقواس. قد زخرفت جميع أجزائها بزخارف نباتية جميلة، ومكتوب عليها بالخط الكوفي كتابات دينية، البسملة وآيات من القرآن الكريم، ولفظ الجلالة ... الخ. وكلها نافرة في الاقواس»وعلى الاعمدة التي تستند عليها الاقواس[1]

وفي الرواق الشمالي من دور المملكة وعلى ارتفاع أربعة امتار افريز. داخله صور جبسية. كل صورة داخل دائرة صغيرة قطرها ٥ سم، وهي تحيط بالرواق، ولم يبق منها سوى عدد قليل. ويظهر أن الرواق المذكور كان غنياً بالزخارف والكتابات، تحيط بالرواق المذكور[2].

---

(١) نقلتها مديرية الآثار العامة وعرضتها في القاعة الاسلامية الثانية من متحف بغداد. أنظر ما قرأ من الكتابات في: «نصوص من المتحف العراقي، ٨: ٣٨ - ٤٠».

(٢) وذكر نيبور الذي زار الموصل ١٨ / مارس سنة ١٧٦٦ م انه رأى من هذه الصور الثمانين والمائة وقد عبث بها (رحلة نيبور الى العراق، ١١٠)

وفي دير الجب تمثالان نافران في جدران الكنيسة . أحدهما لمار بهنام، يقابله تمثال لأخته سارة . وهما من صناعة التكارتة الذين نزحوا الى قره قوش في القرن السادس للهجرة . وقد لعبت أيدي الجهال بهما فشوهت بعض معالمهما .

وزخرفوا جدران البنايات بألواح متناظرة، فيها كتابات تؤرخ للبناء، ومن بناه . وقد تكون الكتابة على شكل شريط يحف بجدران البناية .

زخرفة الكتب

كان السلاجقة يرغبون في التصاوير. نجدها على البنايات التي شيدوها، والكتب التي كتبت لهم، والنقود التي ضربوها، والأواني التي أنتجها الفنانون، نشطت هذه الصناعة في الموصل خلال القرنين السادس والسابع للهجرة، وتركوا آثاراً كثيرة تنطق بما كان عليه فن التزويق، وتزيين الكتب بمختلف الزخارف النباتية المزهرة، والزخارف الهندسية الدقيقة، نجدها في أفاريز الكتب التي كتبوها بخطوط جميلة مختلفة.

وصار للموصل مدرسة في التصوير، بلغ من تأثيرها ما حمل علماء الآثار أن ينسبوا اليها بعض الكتب التي لم يذكر فيها اسم كاتبها[١].

وفي خزائن الكتب الموصلية نفائس المخطوطات الجميلة التي تمتاز بجمال الخطوط، ودقة التجليد وتنوع الزخارف[٢] فكانوا يزينون أغلفة الكتب بزخارف نافرة مطعمة بالذهب والفضة والألوان الزاهية.

ومن ذلك نسخة من القرآن الكريم، بخط سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، كان جلده مطبقاً بالذهب، وزوق في غاية الدقة، ولما دمر المغول الموصل سنة ٦٦٠هـ وعبثوا بكنوز أم الربيعين، نزعوا ما كان في جلده من ذهب وتطبيق، فتلف من أوله ثماني قوائم[٣].

وفي المتحف البريطاني قطعة من مصحف، مؤلفة من (٥١) ورقة، تحتوي على الجزء الخامس والعشرين من القرآن الكريم، مكتوب بخط جميل، كله بالذهب، كتب سنة ٧٠١ هـ للسلطان الجايتو[٤].

ومن النقاشين الذين تفوقوا في التزويق والنقش، وتصوير الدور والكتب وتذهيبها، أحمد بن بوران بن سنقر بن عبد الله الموصلي النقاش (٥٩٦هـ)، فاق أهل زمانه في هذه الفنون، كما كان شاعراً جيد الوصف، ومن نظمه الجميل، يصف ما في الجوسق البدري من التصاوير والتماثيل والبساتين والبرك[٥].

---

(١) اعلام الصناع المواصلة، ٢٠٤.

(٢) في كتاب مخطوطات الموصل للدكتور داؤد الجلبي نماذج كثيرة منها.

(٣) الموصل في العهد الاتابكي، ٦٧.

(٤) المخطوطات المصورة، ٣٠٤، اعلام الصناع المواصلة، ٢٠٥.

(٥) سومر، ٢٤، ٢٢٩ ـ ٢٣٠.

والأمير عزالدين مسعود البرسقي، الذي تولى الموصل بعد والده (٥٢٠ـ ٥٢١هـ) كان متفوقاً بالتصوير والتزويق والقص، ومن أحسن الناس نقوشاً وتصاوير ـ كان يتخذ علامات سرية بينه وبين أتباعه. فاتخذ صورة غزال مع التوقيع علامة بينه وبين نائبه في حلب. يجعلها في التواقيع السرية المهمة(٦).

وعمر بن علي بن المبارك الموصلي (من أهل القرن السابع) اشتهر بتصوير الكتب وزخرفتها، وترك عدة كتب جميلة تدل على براعته في فنه. ففي المتحف البريطاني نسخة من مقامات الحريري، قام هو بتزويقها، وصور فيها احدى وثلاثين صورة جميلة، وكتب اسمه وتاريخ عمله: عمر بن علي بن المبارك الموصلي في السادس والعشرين من ذي القعدة سنة ستمائة و ٦٥٤ هـ.

ومنها نسخة أخرى زينها بأربع وثمانين صورة جميلة(٧).

ومحمد بن ابي طالب البدري، كتب سنة ٦١٤ هـ نسخة من كتاب الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني ـ لبدر الدين لؤلؤ ـ صاحب الموصل، وزينها بتصاوير منها صورة لبدر الدين لؤلؤ.

وأبو الدر ياقوت بن عبد الله الموصلي الملقب «امين الدولة»، المتوفى سنة ٦١٨هـ كان متفوقاً بالخط والتزويق. ولم يكن في آخر زمانه من يقاربه في حسن الخط، وقصده الناس من اختلاف البلدان، وأخذوا عنه، وترك عدة نسخ من قاموس الصحاح للجوهري، تنطق بدقة عمله(٩).

البطريارك ميخائيل الكبير المتوفى سنة ٥٩٦ هـ ـ ١١٩٩ م أتقن التزويق بماء الذهب والفضة، ومن آثاره انجيل نفيس زوقه وزين جلده بالفضة، وهو محفوظ بمكتبة باريس(١٠).

ومن المصورين المواصلة: ابو يوسف بهنام بن موسى الموصلي من اهل القرن السادس.

ومن آثاره التي لم تزل باقية: نسخة من كتاب الحشائش، او خواص العقاقير لديسقوريدس، وتتألف من ٢٤٤ ورقة، قد زين جلدها برسوم هندسية ونباتية

---

(٦) التصوير عند العرب، ١١٣، اعلام الصناع المواصلة، ٢١١.

(٧) التصوير الاسلامي، ١٠٦، ١٤٥ ـ ١٥٥، اعلام الصناع المواصلة، ٢١٣ ـ ٢١٤.

(٨) اعلام الصناع المواصلة، ٢٠٤.

(٩) وفيات الاعيان، ٢، ٢٠٧ ـ ٢٠٨.

(١٠) اللؤلؤ المنثور، ٣٩.

دقيقة ورائعة . وزوقت المخطوطة بغنى حيث وضع المزوق بها٦٢هـ٥ صورة لنباتات وحيوانات وثلاثة طيور . بالاضافة الى منمنمة الاهداء وصورة المؤلف . وطالب . وصورة رجل يقوم بعمل ما بالقرب من شجرة . وكتب اسمه وتاريخ انجازها ولمن عملت .

« نجزت المقالة الخامسة من كتاب ديسقوريدس على يد العبد الضعيف الراجي رحمة ربه اللطيف ابو يوسف بهنام بن موسى بن يوسف الموصلي المتعلم صناعة الطب في عشية يوم الخميس سابع وعشرين صفر سنة ستة وعشرين وستمائة هجرية . وهو اليوم الخامس وعشرين من كانون الثاني سنة الف وخمس مائة واربعين للاسكندر حامداً لله تعالى

ومن النسخ الجميلة انجيل كان في كنيسة قره قوش . حمله المطران جرجس دلال الى روما . واهداه الى البابا بيوس الحادي عشر . وحفظ في مكتبة الفاتيكان ـ كتب الانجيل الراهب مبارك بن داؤد البرطلي . بحروف مستديرة،وزينه بأربع وخمسين صورة ملونة في غاية الدقة والاتقان . وافتتح فصول الانجيل بحروف مذهبة . انتهى منه سنة ١٢٢٠ م = ٦١٧ هـ . (١١)

الراهب باخوس الخديدي الطواف المتوفى سنة ١٢٥١ م = ٦٤٩ هـ . وعرف هذا بتزويق الكتب وتزيينها . ومن آثاره . انجيلان مصوران . احدهما بأورشليم وفيه عدة تصاوير جميلة . والآخر في المكتبة الأهلية بباريس . (١٢)

وكانوا يزينون دورهم وحدائقها بتماثيل جميلة لحيوانات كاسرة واليفة . وطيور في اوضاع مختلفة،تكون حول البرك،وبين الاشجار المورقة والرياحين العطرة . وهذا ما نجده في البيت الموصلي منذ القرن الرابع للهجرة . فلهم عناية خاصة باتخاذ الجنائن في دورهم وغرس الازهار والرياحين فيها . واشهر هذه الجنائن . هي التي اتخذها بدر الدين لؤلؤ في الجوسق البدري،على دجلة والتي وصفها ابن بوران . وقد تقدم الكلام عنه

(١١) عصر السريان الذهبي ، ٨٨ . اللؤلؤ النضيد ، ٢٢٠ ـ ٢٢٨ .
(١٢) خزائن الكتب العربية في الخافقين ، ٢ ، ٥٢٣ .

زخرفة الخشب

ان تفاوت درجات الحرارة في فصول السنة، حمل الصناع المواصلة ان يتخذوا المحاريب والمنابر، وبعض صناديق الاضرحة من المرمر، لتوفره وسهولة زخرفته، ومحافظته على ما فيه من معالم. وتحمله اختلاف درجات الحرارة التي تؤدي الى تفكك الخشب وتلفه، ومع هذا فان زخرفة الخشب وتطعيمه لم تكن متأخرة، وما ادركناه منها - على قلته - يدلنا على تفوق الصانع الموصلي في زخرفته، وحفره وتطعيمه بالعاج والاخشاب الملونة. هذه الآثار غنية بالتخريم، ودقة الزخارف والكتابات، بخطوط متنوعة فوق ارضية مزينة بزخارف هندسية، ونباتية مورقة على ابعاد متفاوتة، تكون كل وحدة داخل مربع او مستطيل الشكل، فيفصل بين كل وحدتين شريط مزين بزخارف جميلة وكتابات بديعة [1]

ومن الصناديق الخشبية التي سلمت في الموصل صندوقان. هما في غاية الدقة والاتقان. مصنوعان من الخشب. يزين ظاهر كل منهما مهاد مخرمة وكتابات بالخط الكوفي نافرة فوق المهاد.

فصندوق الامام يحيى بن القسم، الذي امر بانشائه بدر الدين لؤلؤ سنة ٦٣٧ هـ تتجلى فيه دقة الزخارف، وجمال الكتابة. مكتوب عليه آيات من القرآن الكريم، وتاريخ صنع الصندوق: « تطوع بعمله العبد الفقير الراجي رحمة ربه لؤلؤ بن عبد الله ولي آل محمد سنة سبع وثلاثين وستمائة »[2].

اما صندوق الامام ابن الحسن فنجد فيه القاب بدر الدين لؤلؤبعد انتمكن في الملك، وامر بصنعه سنة ٦٤٦ هـ. ولا نجد هذه الالقاب فوق صندوق الامام يحيى بن القسم الذي صنع قبل هذا بتسع سنين[3]

ومن الابواب الجميلة باب الحضرة للامام ابن الحسن. امر بصنعه بدر الدين لؤلؤ بعد ان انشأ الحضرة سنة ٦٤٦ هـ. ويتألف الباب من مصراعين. كسي كل مصراع بصحيفة من النحاس، مثبتة بشرائط نحاسية رقيقة متقاطعة. تؤلف زخارف هندسية. وهو الباب الوحيد الذي وصلنا من هذا الطراز.

---

(١) اعلام الصناع المواصلة، ١٨٤ - ١٨٨.

(٢) مجموع الكتابات، ١٩٥ - ١٩٦، سومر، ٤٢، ١٧٩ - ١٨١.

(٣) سومر، ٦، ٢٠٠ - ٢٠١

مكتوب على المصراع الأيمن : « عمل عمر بن الخضر ولي آل محمد » ، وعلى المصراع الأيسر : « الملكي البدري رحمة الله تعالى » سنة ٦٤٦ هـ

وباب كان في جامع العمادية ، مزين بكتابات وزخارف ، تدل على انه صنع للملك الصالح ابن بدر الدين لؤلؤ (٦٥٧ ـ ٦٦٠ هـ) ، اشرف على صنعه ايبك الطويل ، مملوك بدر الدين لؤلؤ ، وكان في جامع العمادية منبر

جميل الصنع ، علي بن ابي النهى ، ابراهيم بن جامع ، وعلي بن سلامة الجزريين سنة ٥٤٨ هـ ، وزينوه بكتابات وزخارف نافرة وغائرة .(٤)

والمنبر الذي صنعه محمد بن علي الموصلي، لجامع حلب في القرن الثامن للهجرة ، مزين بزخارف مطبقة بقطع رقاق من العاج ، تؤلف وحدات زخرفية ، وكتابات جميلة ، وكتب عليه : « عمل العبد الفقير الى الله محمد بن علي الموصلي » .(٥)

(٤) سومر ، ٥ ، ٥٨ ـ ٥٩ ، نصوص في المتحف العراقي ، ٨ ، ١٢٤ ـ ١٢٧ ، معجم الالقاب ، ١ ، ٣١

(٥) اعلام الصناع المواصلة ، ١٩٦ ـ ١٩٨

الزخارف الآجرية

واستعملوا الآجر في بناء المنائر والقباب . وزينوا به ظاهر البنايات وداخلها . ومنارة الجامع النوري من اجمل البنايات التي زينت بزخارف آجرية نافرة . تكون على شكل وحدات تحف بجسم المنارة . يفصل بين كل وحدتين، وحدة على شكل حلقة .

واستعملوا الآجر في بناء القباب . فزينوا داخلها بزخارف على شكل مقرنصات . في كل مقرنصة زخارف دقيقة او كتابة . وتستمر هذه المقرنصات فتجتمع بأعلى القبة بزخرفة مستديرة .

وشيدوا القباب المزدوجة . فالقبة الظاهرة مكسوة بآجر مزلج . لونه ازرق . مائل الى الخضرة . اما واجهات البنايات فزينوها بألواح مكتوبة او مزخرفة بالآجر المزلج . كما نجد هذا في مقام يحيى بن القاسم . ففي الجانب الغربي من باب الحضرة، وعلى ارتفاع مترين عن الارض، وحدة على شكل نافذة مسدودة . مساحتها ٧٥. م × ١,٥ م مزينة بزخارف دقيقة . في منتصف هذه القطعة لوحة مستطيلة الشكل . مكتوب داخلها بالخط الكوفي المجدول : « بسم الله الرحمن الرحيم » . وهي من اروع القطع المكتوبة على ارضية مزخرفة . والكتابة والزخرفة كلها بالآجر المزلج .

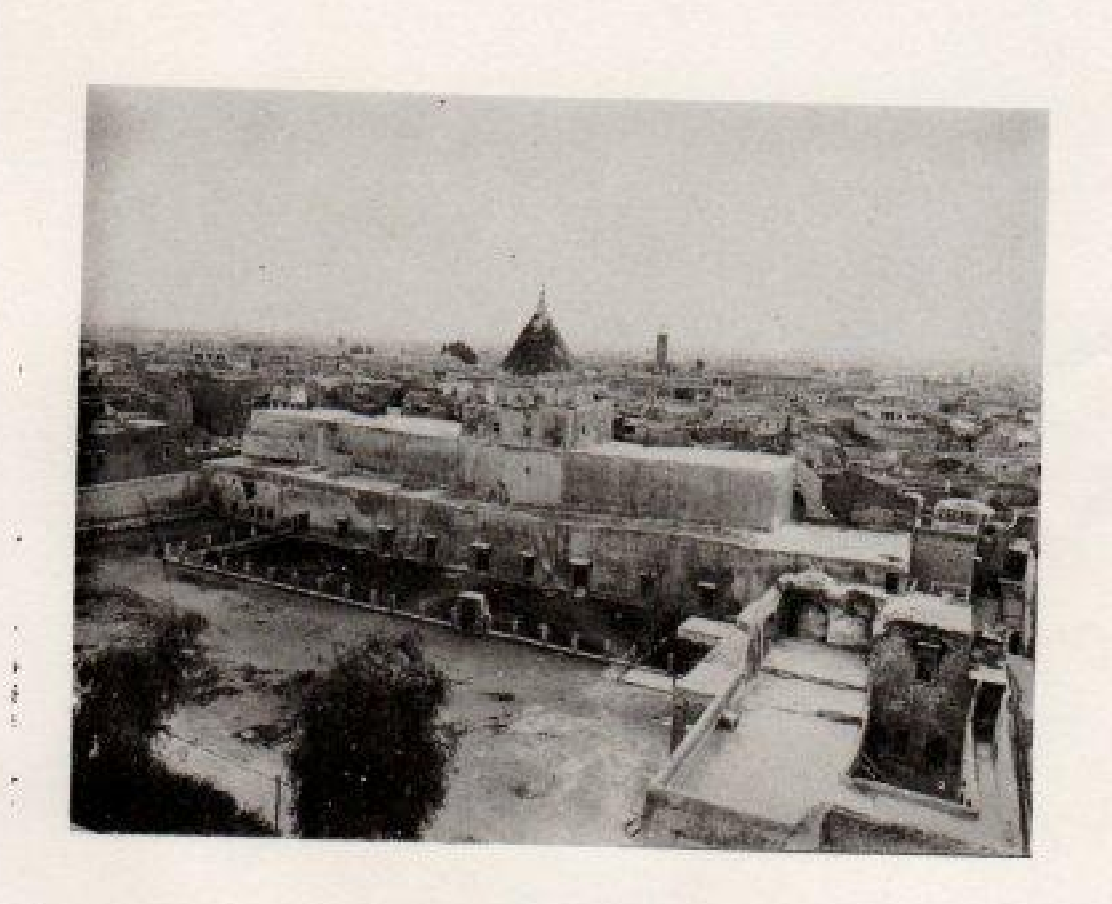
وفوق هذه وبارتفاع ٥٠ سم وحدة أخرى مكتوب داخلها : « تطوع بعمارته لوجه الله تعالى العبد الفقير لؤلؤ بن عبد الله » .

وفي الجانب الشرقي من المدخل وحدة كالتي في الجانب الغربي . وهي مناظرة لها في الزخرفة والكتابة، مكتوب داخل المستطيل الاول : « وما بكم من نعمة فمن الله » . وفوقها قطعة اخرى مكتوبة وقد طمست الكتابة .

اما داخل البناء فيزين الجدران وحدات مزخرفة او مكتوبة، على شكل مربع او مستطيل . متقابلة ومتناظرة . مزينة ارضيتها بزخارف دقيقة مخرمة . تعلوها زخارف هندسية خشنة متقاطعة مع بعضها ومتناظرة . ويظهر ان بعض هذه الوحدات كانت مزينة بكتابات جميلة . كل كلمة منها داخل وحدة تكون على شكل مسدس . وفي دير الجب لوحة مزينة بصور غزلان نافرة بالآجر المزلج . وهي في الاروقة التي أمام المصلى .

وقد اعجب ابن جبير بجمال هذه البنايات التي شاهدها في الموصل وما فيها من زخارف وكتابات متنوعة بالآجر . وخاصة ما كان في المنشآت التي شيدها مجاهد الدين قيماز في الربض الاسفل من الموصل . ومنها التي في الجامع المجاهدي فذكر عنه : « انه يقصر الوصف عنه . وانه لم ير وضع جامع احفل منه » .

الزراعة
التجارة



مصلى الجامع النوري ـ قبل تجديده

الزراعة

تحف بالموصل سهول خصبة . تزرع بها الحبوب والبقول والخضر . وتدر خيرات واسعة على اهل البلاد . وفي عهد العقيليين والسلاجقة من بعدهم . تأخرت الزراعة للنزاع الذي كان على الحكم . وكثرة المصادرات . وسوء ادارة العمال . واصحاب الاقطاع . فلم يكن الفلاح آمناً على حاصله . فقلت الارزاق وندرت الفواكه والبقول، وضاق الرزق في البلاد. وهجر السكان القرى الكثيرة . ونزحوا الى البلاد الاخرى . ويذكر ابن الاثير عن ندرة الفواكه . فيقول : حتى كان الذي يبيع الفواكه « يكون عنده مقراض، يقص به العنب لقلته اذا اراد ان يزنه .

ولما تولى عماد الدين . نشر الامن في البلاد . ومنع المصادرات . وضرب على ايدي الظالمين . وابقى الارض بأيدي الفلاح . يزرعها آمناً مطمئناً . ويدفع الضريبة المقررة الى السلطان . ومنع الاقطاع الذي كان سبب هلاك الفلاح . لانه يعلم ان الارض اذا اقطعت لارباب الحكم . ظلموا الفلاح وارهقوه . فعاد الفلاحون الى قراهم . وجدوا في عملهم « لا يخشون حاكماً يسلبهم . ولا متنفذاً يسطو عليهم « او جندياً يغتصب منهم .

وشدد عقوبة من يأخذ من فلاح شيئاً بلا ثمن . « فلا يجسر احد من اجناده ان يأخذ من فلاح حفنة تبن الا بثمنها « او بخط من الديوان الى رئيس القرية . وان تعدى احد صلبه . فتحاشى الجيش التعرض للفلاحين ومزارعهم . كما حذر جيشه من العبث بالمزروعات . فكان اذا سار الجيش في طريق « يسير في خطين متجنباً ما هو مزروع .

زرعوا الحبوب ; الحنطة والشعير والارز . وزرعوا البقول والفواكه والخضراوات . فكانت الموصل تمير بغداد . وزاد عدد سكان القرى .

واشتهرت الموصل بزراعة القطن لحاجتهم اليه في الحياكة . وزرعوا منه حقولاً كثيرة .

فعمرت القرى . وعادوا الى اماكنهم حتى صار عدد القرى الشرقية العامرة ٣٧٠٠ . والقرى الغربية ٢٣٠٠ قرية . وكان في الموصل ٩٥ بستاناً لزراعة الخضرة « وبعد ان كانت الموصل اقل بلاد الله فاكهة « صارت اكثر بلاد الله في انتاج الفاكهة . فالرمان يبقى الى ان يدرك العتيق الجديد . وكذلك الكمثرى وقريب منه العنب والخوخ . فيجمع العتيق والجديد معاً . وكان بظاهرها ٣٦ بستاناً للفواكه والاثمار . وفي

ولايتها اضعاف هذا . فصارت الموصل ارخص البلاد . واكثرها انتاجاً لمواد العيش .

وعني الفلاحون بتربية الغنم والبقر والمواشي التي تؤمن حاجة البلد من موارد العيش : اللحم والدهن والحليب والجبن . ومن المواد التي يحتاجونها في صناعاتهم، مثل الصوف الذي برع المواصلة في حياكته . وشعر المعز الذي يتخذون منه بيوت الشعر والغرائر . والجلود التي يتخذون منها الدلاء والروايا . ويصنع السراجون ما يحتاجونه من لوازم الخيل والسلاح . ويصنعون منها الاحذية .

ويصدرون كل سنة عدداً كبيراً من الغنم الى بلاد الشام . وتدر خيرات وافرة على اهل البلد .

وعنوا بتربية الخيول، ولهم من السهول الخصبة الكثيرة خير مساعد على هذا . فكانوا يملكون اجود الخيول في تنقلهم وفي حروبهم . والخيل مما يعنى به العرب ويتفاخرون بأنسابها .

ساد الرخاء في المدينة ولم تلاق قلة في الطعام الا في بعض السنين التي تقل فيها الامطار او تفيض مياه دجلة فتغرق المزارع . او تصاب ببرد شديد يتلف مزروعاتها كما حدث سنة ٦٢٢ هـ .(١)

١) انظر الباهر ، الكامل ، ١٢ ، ١٨٤ ــ ١٨٥ . الروضتين ، ٤٣ ، زبدة الحلب ، ٢ ، ٢٨٣ ــ ٢٨٤ . النجوم الزاهرة ؛ (٤٥ . منية الادباء ، ٦٧ الموصل في العهد الاتابكي ، ٤ ــ ٤١)

التجارة

تقع الموصل في سهل جميل يجتمع بها طرق الشرق والغرب ، وتزدحم في اسواقها وخاناتها بمختلف البضائع الواردة اليها ، والتي تصنع فيها ، ومنها توزع في البلاد .

يتفرع منها عدة طرق برية ، فيها عدة قلاع ، يشرف من فيها على حراسة الطريق ويؤمن راحة القوافل . وفي الطرق خانات فيها ما يحتاجه المسافر من طعام وماء وسكن . وتتألف القوافل التي تسير في الطرق البرية من :

١ ـ **البغال والخيل** : وهي تحمل البضائع الثمينة ، والتجار الذين يسرعون في سفرهم . واكثر ما تكون قوافل البغال في المناطق الجبلية ، والمناطق الوعرة ، فتسير الى ايران وبلاد آذربيجان وغيرها .

٢ ـ **وتسير قطارات الابل منها واليها** ، ويحمل الجمل اكثر مما يحمله البغل ، ولكن سيره محدود . واكثر ما تكون هذه القطارات في الطرق التي يقل فيها الماء فان الجمل يتحمل العطش ، ويصبر على الطعام القليل عدة ايام . فكانت القطارات كبيرة وكثيرة الى بغداد وسوريا .

٣ ـ **الكروان** : يسير في اختلاف الجهات ، واكثر ما يكون فيه الحمير ، والبغال والكدش ، ويكون عدد حيواناته كبيراً . يشرف على سيره وحط رحاله رئيس . ويرافق الكروان والقوافل التجار وغيرهم . واكثر ما يكون ركوبهم على الخيل او في « الكجاوة » وهي تتألف من قفصين مربعي الشكل ، ضلع الواحد منهما متر واحد ، او يزيد عليه قليلاً . يغلف بالقماش ليقي من فيه البرد والحر . ويتخذون في جوانبه فتحات ـ شبابيك ـ يشرف منها المسافرون .

اما الطريق النهري فتجري فيه السفن والاكلاك ، ولم تكن السفن صغيرة بل انها تتسع لعشرات المسافرين مع بضاعتهم ولوازمهم . كما رتبوا رجالاً يحملون خرائط ، وهم الادلاء والخفراء يسيرون مع القوافل ، ولهم معرفة بسلوك الطرق بين مدينة واخرى[1]

اما الاكلاك ، فمفرده كلك يتألف من عشرات القرب ، تنفخ وتنضد صفوفاً في النهر ، ويثبت فوقها اعمدة من الخشب تكون متعاكسة ، ويحمل فيه ما يراد نقله . فينحدر مع الماء ، ويتولى تدبيره رجلان او اكثر ، يوجهانه بواسطة مجذافين الى وسط النهر ليسرع انحداره . ويتخذون في وسط الكلك عريشاً يجلس به المسافرون .

---

(١) (المورد ، ١٠ ، ١ ، ٢٨٩)

ويتوقف ما يحمله الكلك على سعته،وقوة تيار الماء في النهر . ففي الربيع ـ وقت الفيضان ـ تكون الاكلاك كبيرة وسريعة . وتقطع السفن والاكلاك المسافة بين الموصل وبغداد في مدد متفاوتة . فقد تقطعها في يومين وساعتين من اليوم الثالث .

كانت دجلة غاصة بالسفن والاكلاك التي تنحدر الى الموصل محملة بالبضائع . وبعد ان تفرغ حمولتها تشحن ببضائع اخرى وتنحدر الى بغداد . وترسو بها « بباب الشعير » ثم تفرغ في خانات خاصة لما يأتي به تجار الموصل،ومما يدلنا على كثرتها ما ذكره ابن الجوزي انه كان في الموصل سنة ٦٦٠ هـ (٢٥٠ سفينة) عدا الاكلاك .

وكان في الموصل جسران؛احدهما الذي انشأه مروان بن الحكم،والثاني الذي انشأه مجاهد الدين قيماز في الربض الاسفل من الموصل . وفيها ١٨ درجية على دجلة لتحميل الاكلاك والسفن .

وصارت الموصل من المراكز التجارية في العالم . يقول عنها ياقوت : « هي محط الركبان . ومنها يقصد الى جميع البلدان . فهي باب العراق . ومفتاح خراسان . ومنها يقصد الى آذربيجان . وكثيراً ما سمعت ان بلاد الدنيا العظام ثلاث : نيسابور . لانها باب الشرق . ودمشق لانها باب الغرب . والموصل لان القاصد الى الجهتين قل ما لا يمر الا بها » ، ويقول عنها ايضاً « وما عدم شيىء من الخيرات في بلد من البلدان الا ووجد فيها » .

وكان فيها عشرات الخانات الكبيرة والفنادق،والساحات الواسعة التي تحط فيها القوافل،والقيسريات والمحلات التجارية الواسعة والاسواق الكثيرة . والحمامات التي يحتاجها المسافرون،حتى صار بعض ارباضها يضاهي المدينة بحركته التجارية؛ الواسعة،كما كان عليه الربض الاسفل .

وذكر سبط ابن الجوزي ان عدد اسواق الموصل الكبيرة كان (٣٦) سوقاً لكل بضاعة اربعة اسواق فأكثر . وفيها قيسرية خاصة لبيع الروائح العطرية تسمى قيسرية المسك . فيها (١٢) دكاناً .

وبلغ عدد حوانيت الموصل (٤٨٥١٥) حانوتاً .

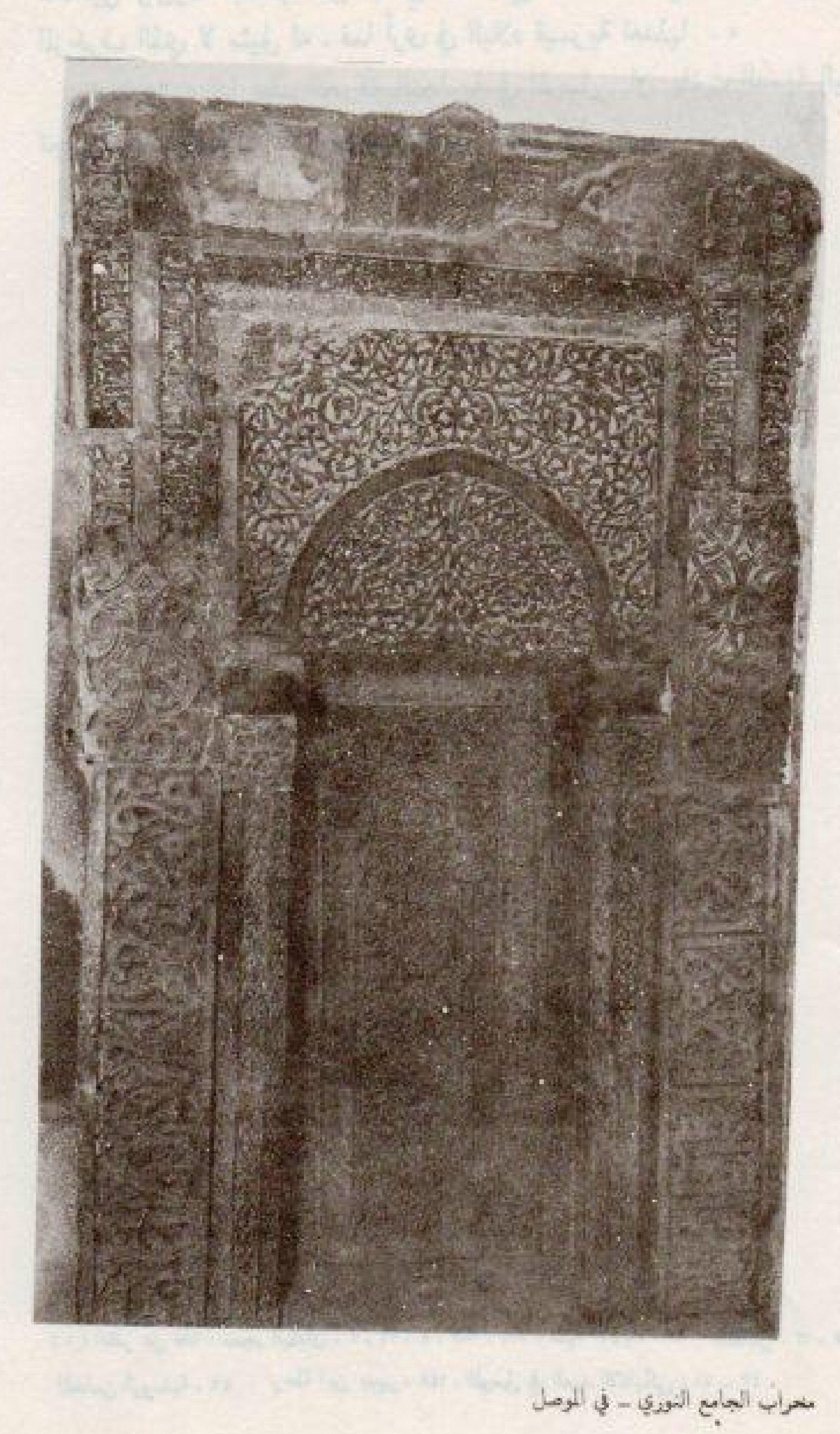
ومن القيسريات الكبيرة قيسرية الجامع النوري . وكان فيها (٦٩٩) دكاناً . والقيسرية التي بناها مجاهد الدين قيماز الرومي المتوفى سنة ٥٩٥ هـ وكانت من اجمل قيسريات البلاد . يقول عنها ابن جبير : « وبنى ايضاً داخل البلد،وفي سوقه قيسرية للتجار،كأنها الخان العظيم . تنغلق عليها ابواب حديد . وتطيف بها

دكاكين وبيوت بعضها على بعض، قد جلي ذلك كله في اعظم صورة من البناء المزخرف الذي لا مثيل له . فما أرى في البلاد قيسرية تعدلها . »

ومما يؤيد لنا عظم الحركة التجارية في الموصل ، ان بلغت الدمغة اليومية التي تجبى من اسواقها (١٠٠٠٠) درهم في اليوم ، وهو مبلغ كبير.[١]

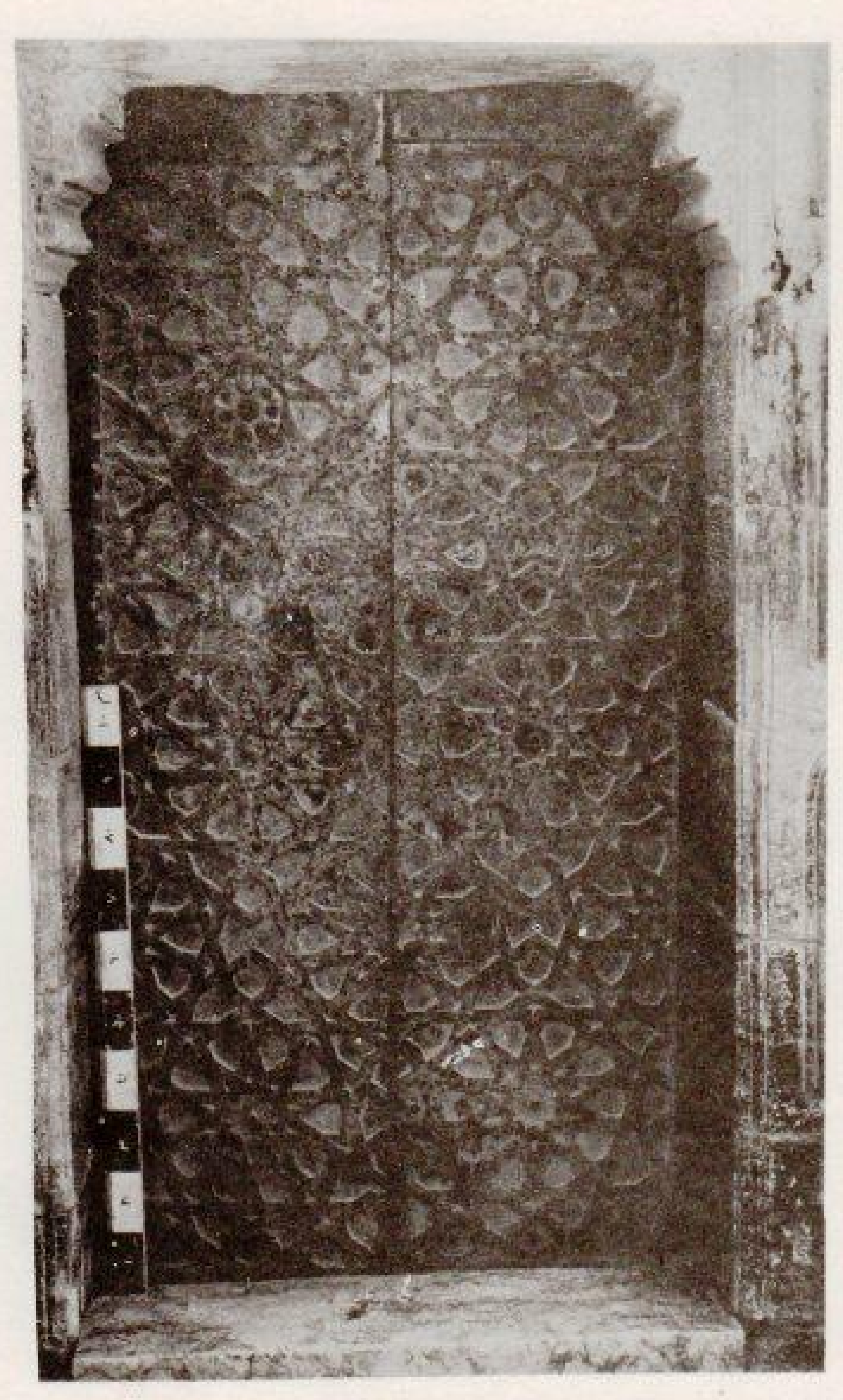
---

(١) انظر عن هذا ، معجم البلدان ، ٢ ، ١٦ ، ٨ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، منية الادباء ، ٦٧ الكامل ، ١٢ ، ١٩٥ ، المحاسن اليوسفية ، ٤٦ رحلة ابن جبير ، ١٨٨ ، الموصل في العهد الاتابكي ، ٤١ ـ ٤٣



محراب الجامع النوري ـ في الموصل

البريد
الجيش
الحالة الصحية



باب الحضرة في مشهد الامام عون الدين والذي يعرف ايضاً بابن الحسن

الجيش

نشأ عماد الدين في الحروب والقتال منذ نعومة اظفاره . فكان جندياً جريئاً، وقائداً مدبراً . وهذا ما حمله ان يعنى بجيشه عناية فائقة في تجهيزه وتدريبه . خاصة وانه رأى البلاد مقسمة، وامراء الاطراف في نزاع وحروب . والصليبيون قد تفاقم شرهم . ولا بد ان يعد جيشاً قوياً يقضي على الامارات الهزيلة ويوحدها . ويصد الصليبيين ويرجعهم على اعقابهم .

فأختار احسن العناصر المحاربة واشدها، وجهزهم بأقوى العدد وامضاها . وجعل لهم ديواناً خاصاً، يعنى بطعامهم ومرتباتهم واسلحتهم، فكان يتولى الجيش « امير حاجب » يكون مرجعه اليه . و هذا يتولى الادارة والتنظيم وتدبير معاشهم ودفع مرتباتهم كل ثلاثة اشهر . واول من تولى هذا المنصب الخطير « صلاح الدين بن ايوب الباغسياني » الذي كان احد اثنين دبرا امر تولية عماد الدين .

كان يحرص على دفع رواتب الجيش في اوقاتها . ويغضب اشد الغضب اذا تأخر دفعها . وقال يوماً لموظفي الديوان الذين اخروا دفع رواتب الجيش : « اذا كنتم تهملون امر جندي الذين تحت ركابي، ومن هو ملازمي في سفري واقامتي . وبهم من الحاجة الى النفقات في اسفارهم ما تعلمونه . فكيف يكون حال من بعد عني[1] . وهذا ما حمل الجند ان يخلصوا له » .

يحرص على راحة عوائل الجنود . شديد الغيرة على حريمهم . وينزل اشد العقوبة لمن يتعرض لهن . فكان يقول : « ان جندي لا يفارقوني في اسفاري . وما يقيمون عند اهليهم . فان نحن لم نمنع من التعرض الى حرمهم هلكن وفسدن » . لما بلغه ان والي جزيرة ابن عمر تعرض لحريم بعض الجند، عاقبة اشد العقاب وصادر املاكه[2] ـ كما تقدم .

هذا الاعتناء بالجند وعوائلهم وتأمين معاشهم . حملهم على الطاعة والانقياد لاوامره . فكان له هيبة وسطوة في قلوبهم . فسادهم النظام والطاعة .

---

(١) (٢) الباهر ، ٨٣ ، ٨٥

(٠) القباء التتري ، ثوب يلبس فوق الثياب . وقيل . يلبس فوق الثياب ويتمنطق به . وهو على ما ارى يشبه « الزبون » .

وخلف عماد الدين ابنه « غازي » وكان قد تربى في بلاط السلاجقة، مطلعاً على ادارة البلاد وسياسة المملكة، عالماً بتدبير الحروب . فسار على خطة ابيه في تنظيم الجيش وتعزيزه بالعَدَدْ والعُدَدْ، واظهار القوة امام العدو . فكانت ثيابهم ، يرتدى الجنود الاقبية التترية[١] . والتكلاوات فوقها[٢] . والقباء الاسلامي فوق ذلك . ويشد عليه السيف من جهة اليسار، والصوللق والكزلك[٣] من جهة اليمين ، والدبابيس تحت ركبهم . وامرهم سيف الدين غازي ان يكونوا كذلك في الحضر والسفر، لكي يرهب العدو جانبهم[×] واما ثياب ابدانهم . فيلبسون الكلوتات الصفر على رؤوسهم مكشوفة بغير عمائم . وذوائب شعورهم مرخاة تحتها . سواء في ذلك المماليك والامراء وغيرهم

اما المقدمون واعيان الجند، فيلبسون فوق هذا اقبية قصيرة الاكمام . اقصر من القباء التحتاني، بلا تفاوت كبير في قصر الكم وطوله . مع سعة الكم القصير . وطول الاكمام الطويلة .

وكان علمهم من حرير اصفر مطرز بالذهب . وعليه القاب السلطان واسمه وتسمى العصابة . ورايات صفر صغار تسمى السناجق

ويحمل الجندي فوق هذا في الحرب ما يحتاجه في سفره من الادوات وهي ، سكين ، ودرفش ومسلة وخيوط ودسترك وغير ذلك .[٤]

فكان جيشه في القوة والبأس والفتك لا يقل عن جيش والده عماد الدين ، يخشاه الصليبيون ويبتعدون عنه . فهو واقف لهم في المرصاد . يذود عن بلاد الاسلام . ولما حاصر الصليبيون دمشق سنة ٥٤٣ هـ استنجد صاحبها بسيف الدين غازي لقوة جيشه وكتب الى الصليبيين يقول ، « قد حضر ملك الشرق ومعه من العساكر مالا طاقة لكم به » . ولما شاهد الصليبيون كثرة عساكر الموصل وقوتها وتتابع الامداد اليهم ، رفعوا الحصار عن دمشق وانسحبوا عنها . وهكذا كانت جيوش الموصل في طليعة الجيوش التي يخشاها الصليبيون ويحذرون بطشها وفتكها[٥]

---

(٢) غطاء للرأس . ويسميه العامة في الموصل « كلاو » .

(٣) الصوللق ، جراب او كيس من الجلد . يوضع على الجانب الايسر من الحياصة . توضع به حاجات السفر من الزاد . والكزلك . فارسي معناه ، خنجر او سكين

(×) صبح الاعشى ، (٤ ، ٤٠ ــ ٤١)

(٤) درفش ، علم . المسلة ، ابره . دسترك ، منشار

(٥) الباهر ، ٨٩

كانت جيوش الموصل على أنواع فيها التركمان والعرب والاكراد، وطوائف أخرى، وكلهم مدربون أحسن تدريب .

وفي الجيش الاتابكي فصائل مدربة على هدم الاسوار . وهم الحجارون والنقابون . يعاونهم في مهمتهم هذه فصائل أخرى، وهم النفاطون الذين يحسنون استعمال رمي النار العربية . وكانوا من أشد من يخشاهم الصليبيون .

ولما حاصر صلاح الدين الايوبي مدينة القدس سنة ٥٨٣ هـ ليستردها من الصليبيين . وضاق به الامر . استنجد بملك الموصل عزالدين مسعود بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي . فأرسل اليه فصائل الحجارين . مع فصائل من رماة النفط، ومعهم أحمال من النفط الابيض . فكانوا من أكبر المساعدين له على هدم السور وفتح بيت المقدس .

كما كان في الجيش من يحسن بناء الاسوار . وحفر الخنادق وتحصين المدن[١] .

وفي سنة ٥٨٧ هـ أراد السلطان صلاح الدين أن يحصن بيت المقدس . فيحكم سور المدينة، ويعمق خندقها . فأرسل الى عزالدين مسعود يطلب منه خبراء يعينونه في هذا الامر من جيش الموصل . فأرسل اليه عزالدين الجصاصين . فقاموا بالامر خير قيام[٢] .

وكان للخيالة شأن في الجيوش الموصلية، يعنون بخيولهم، ومدربون أحسن تدريب، ولا يتركونهم يركنون الى الراحة في الايام التي ليس فيها حرب . بل كانوا يدربون الخيالة كل يوم في اللعب بالكرة والصولجان . لكي تنشط خيولهم . وكان الميدان في الموصل الذي امام دور المملكة والقلعة . المحل الذي تدرب به العساكر . وفيه كذلك يشرف الملك فيه على عرض الجيوش والالعاب . ويشارك في الالعاب القادة والفرسان ورجال العلم والدين . وربما شارك الملك بنفسه .

وكان نورالدين محمود يلازم اللعب بالكرة كل يوم بعد صلاة العصر . ولامه أحد المتصوفة . وكتب اليه يقول : « ما كنت أظن أنك تلهو وتلعب وتعذب الخيل بغير فائدة دينية » . ولم يعلم هذا أن اللعب كان لتدريب الجيش . والخيل لا للهو واللعب .

---

(١) ، (٢) الموصل في العهد الاتابكي ، ٧٣ .

فكتب اليه نورالدين بخط يده ، يقول له : « والله ما حملني على اللعب بالكرة اللهو والبطر ، انما نحن في ثغر ، والعدو قريب منا ، وبينما نحن جلوس ، اذ يقع الصوت فنركب في الطلب ، ولا يمكننا أيضا ملازمة الجهاد ليلا ونهاراً ، وشتاءاً وصيفاً ، اذ لا بد من الراحة للجند ، ومتى تركنا الخيل في مرابطها صارت جماما لا قدرة لها على ادمان السير في الطلب ، ولا معرفة لها أيضا بسرعة الانعطاف في الكر والفر في المعركة ، فنحن نركبها ونروضها بهذا اللعب ، فيذهب جمامها، وتتعود سرعة الانعطاف، والطاعة لراكبها في الحرب ، فهذا والله الذي يبعثني على اللعب بالكرة »(١)

(١) الباهر ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٨٦ – ١٨٧

البريد

تنظيم البريد من الامور التي يعنى بها مدبرو الممالك والدول . ليطلعوا على ما يكون في البلاد ، وأخبار أعدائهم ومجاوريهم . وان عماد الدين نظم البريد في بلاده ، وقرر قواعده ، وعهد بأمره الى أصدق رجاله وأكثرهم تحريا لدقة الاخبار ، ينقلون اليه يوميا أخبار بلاده ، واخبار البلاد المجاورة ، وما يستجد بها من الحوادث ، وما يدور في قصور السلاجقة والامراء وقواد الجيش ، واخبار الصليبيين ، يحملون اليه أخبارهم، واخبار جدهم ولهوهم، في سرهم وعلانيتهم . فأنفق الاموال الطائلة على المرتبين لهذا وعلى السعاة ، والحمام الزاجل وابراجه ، ومراكز البريد وما أعد فيها من خيول وبغال وجمال وغيرها . وعن الاتابكيين تعلم الايوبيون تنظيم البريد، وساروا على ما كانوا عليه .

أستعملوا الحمام الزاجل في نقل الاخبار بسرعة ، وعنوا بتربيته ، وترتيب ابراجه، وتدريبه والمحافظة على افراخه ، والانفاق على هذا بسخاء ، وعهدوا بالاشراف على أبراجه وما تأتي به من البطائق، وفيها أصدق الاخبار المستعجلة التي تهم أمر الدولة، وتصل اليهم في ساعات معدودة .

يقول القلقشندي عند كلامه عن الحمام الزاجل : « أول ما نشأ بالديار المصرية والبلاد الشامية من الموصل ، وان أول من اعتنى به من الملوك ونقله من الموصل الشهيد نورالدين زنكي صاحب الشام سنة ٥٦٥ هـ ، وحافظ عليه الخلفاء الفاطميون »(١) .

كانت أبراج الحمام منتشرة في مؤسسات الدولة، وقلما تخلو دار منها ، فتصلهم الرسائل والاخبار المستعجلة في يومها .

واعتمدوا على السعاة في نقل الاخبار المستعجلة ايضا ، والسعاة هم الذين يقطعون المسافات البعيدة عدواً ، وكانوا يتنافسون بهذا ، وتقام السباقات بينهم ، وتقدم الهدايا للمتفوقين منهم .

ومن السعاة المتفوقين الذين وقفنا على اخبارهم « معتوق الموصلي المعروف بكوثر » ، وينافسه « علي بن الاربلي » ، ففي سنة ٦٤٦ هـ سعى علي بن الاربلي من داقوق الى بغداد ، فوصل بعد العصر وفضل على معتوق الموصلي المعروف بكوثر نصف ساعة .

---

(١) صبح الاعشى ، ١٤ ، ٣٧٠ ، ٣٩٠ ، الكامل ، ١١ ، ٣٥١ ، التعريف بالمصطلح الشريف ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، زبدة كشف الممالك ، ١١٦ ــ ١١٧

وفي سنة ٦٤٣ هـ جرى معتوق الموصلي المعروف بكوثر الكلام من داقوق ساعيا على قدميه . فوصل « كشك الملكية » ودخله . وكان الخليفة ورجاله في الكشك ، فقدموا له مبالغ جليلة .

وفي سنة ٦٤٦ هـ جرى كوثر الساعي من واسط الى بغداد في يوم وليلة(٢)

(١) انظر عن السعاة ، الحوادث الجامعة ، ٢٣٤ ، ٢٩١ ، اللمعات البرقية ، ٢٢٥ العسجد المسبوك ، ٤٣٥ ، ٥٦٦ ، المدرسة الشرابية ، ٦٦ ـ ٦٧

الحالة الصحية

مناخ الموصل لطيف . فهي أم الربيعين، خريفها ربيع . وربيعها تزينه الحقول الجميلة والازهار التي تحفها . يقول عنها ياقوت : « ان الغريب اذا أقام ببلد الموصل سنة تبين في بدنه فضل قوة ... وما نعلم لذلك سبباً الا صحة هواء الموصل وعذوبة مائها » . فمناخها صحي . يبعث على النشاط والعمل .

ان توفر مواد الغذاء ورخصها . وتدفق الثروة على سكانها . حملهم على التمتع بمباهج الحياة . فعنوا بمدينتهم ودورهم،وحرصوا على نظافتها وتنسيقها . والمحافظة على صحتهم وسلامة اجسامهم . فلا نجد ذكراً للأوبئة والامراض السارية في الموصل ـ في هذا العصر ـ الا قليلاً ـ ومما يدلنا على اهتمام القوم بالنظافة وعنايتهم بصحة أجسامهم . أنه كان في الموصل (٣٠٠) حمام للرجال . و (٢٠٠) حمام للنساء . و (١٠) حمامات خاصة بالبنات فقط .(١)

وكان في المدينة ثلاث مارستانات ـ مستشفيات ـ أحدها داخل المدينة . والثاني في الربض الاسفل منها،بناه « مجاهد الدين قيماز » على دجلة(٢) مقابل جامعه الذي لم يزل باقيا الى اليوم ويسمى « بالجامع الاحمر » . وهذا المارستان جميل جداً ببنائه وموقعه الذي يشرف على دجلة،والحقول التي تحف به . وفي المارستان ما يحتاجه المريض من اسباب المعالجة والترويح عن النفس مما يخفف مرضه . ويبعث اليه البهجة . وفي المدينة مارستان خاص بمعالجة المجانين .(٣)

والمعالجة في المارستان بلا ثمن . يدخله المريض فتجرى عليه الفحوص اللازمة . ثم يقدم له الدواء من صيدلية المارستان . واذا احتاج ان يكون تحت اشراف الطبيب . ينام في المارستان . ويجرى عليه الطعام والدواء والشراب وكل ما يحتاجه المريض .

وفي المارستان الاطباء والفصادون والكحالون والمجبرون وغيرهم من الخدم والفراشين والطباخين الخ .

---

(١) منية الادباء : ٦٦

(٢) رحلة ابن جبير : ١٨٩

(٣) مصارع العشاق : ١٠٤

فكانت نفوس الموصل في ازدياد . وتقدر بنصف مليون . وعدد النصارى فيها (٤٣٥٠٠) نسمة وعدد اليهود (٣٦٠٠)[١] نسمة . فضاقت المدينة بسكانها وخرجوا الى الارباض التي في ظاهرها . فعمروها . وصارت من المدن المعدودة في كثرة عدد سكانها حتى قالوا : اهل بقاع الدنيا عشرة مواضع منها : آذربيجان والموصل وارمينية وشهرزور .[٢]

---

(١) منية الادباء ، ٦٧

(٢) نهاية الارب ، ١ ، ٢٩٦

الحالة الاجتماعية

اهل الموصل ميالون الى البر وعمل الخير، ويحسنون معاملة الغرباء، ولا يشتطون في معاملاتهم. يقول عنهم ابن جبير: «وأهل هذه البلدة على طريقة حسنة، يستعملون اعمال البر. فلا تلقى منهم الا ذا وجه طلق، وكلمة ليّنة، ولهم كرامة للغرباء، واقبال عليهم، وعندهم اعتدال في جميع معاملاتهم»[1]

ويقول القزويني عن اهل الموصل: «واهلها اهل الخير والمروءة، والطباعة اللطيفة في المعاشرة والظرافة»[2]

وهم متمسكون في دينهم، يحافظون على تقاليدهم وعاداتهم الحسنة، ولا يتساهلون في شيء منها. واذا رأوا منكراً او ما ينافي الدين يستنكرونه. ومما يدل على شدة تمسكهم بدينهم ما كان عندهم من المساجد والجوامع والربط الكثيرة»[3]

تدفقت الثروة في البلد بهذا العصر، فتأنقوا في انشاء الدور الجميلة، مزينة بالرخام المطعم، والآجر المزلج، والزخارف المتنوعة. فيها حدائق وارفة، وبين خمائلها تماثيل لحيوانات وطيور، تنتشر بين اشجارها، وحول نافورات يتدفق الماء منها فيسقي الاشجار والازهار. وما وصلنا من بنايات ذلك العهد تطلعنا على دقة هندستها، واحكام بنائها، وجمال زخرفتها.

— ١ —

تفننوا في صنع المراوح من الخيش لتكون واسطة تبريد لهم في الصيف، وجمعوا الثلج من الجبال وادخروه في مخازن كبيرة، ينقل منها وقت الصيف، وله جمال خاصة بنقله وتوزيعه وقت الحاجة.

وظهر طبقة من المغنين، ابدعوا في الايقاع والغناء، كما كثر عندهم نظم الموشحات التي ينشدونها في مجالس انسهم وطربهم.

---

(١) رحلة ابن جبير: ٢٢٣

(٢) آثار البلاد واخبار العباد: ٢٠٩

(٣) الكامل: (١١، ١٩٨)

ونرى مظاهر النعيم والترف في التصاوير التي فوق آنيتهم التي كانوا يزينون بها موائدهم ومجالسهم ، مناظر الصيد والقنص ، والعاب الكرة والصولجان ، ومجالس الانس والطرب ، وما فيها من عازفي القيثارات والاعواد والصنوج والدفوف .

ـ ٢ ـ

عنوا بتربية الطيور والحيوانات التي كانوا يصطادون بها ، كالباز والصقر والشاهين والعقاب ، والكلاب السلوقية . كما كانوا يهارشون بين هذه الحيوانات والطيور ـ خاصة بين الكلاب ، ومناطحه الكبوش ، وبين الديكة مع بعضها والقبوج ، ويسابقون بين الحمام ، وكان للحمام شأن في الموصل لنقل الرسائل ، ومنها نقله نور الدين محمود الى بلاده ليسهل عليه الوقوف على اخبارها .

وتضاعفت عنايتهم بالخيول والجمال ، لأنها واسطة التنقل بينهم ، وفي نقل التجارة من الموصل واليها ، وفرسان الجيش وما يستعملونه في الحروب ونقل الذخائر والعتاد .

ـ ٣ ـ

والموصل ام الربيعين ، ففي الربيع ينتشر اهلها ظاهر المدينة بين الحقول والازهار ، يتمتعون بمناظر ربيعها ونسيمه العليل ، ويقيمون الخيام ظاهرها ، يبيتون فيها ليلاً ، ونجد في اشعار اهلها ذكراً لمرابع المدينة التي كانوا يقصدونها وبعض اديرتها وما فيها من موقع جميل، وخمر معتق ، ومن ذلك ما قاله ابن الحاجب الموصلي ـ نقيب العلويين بالموصل (ـ ٥٥٠ هـ) :(٤)

ودير سعيد لم يزل باقياً ، ويسمى في الوقت الحاضر « الدير الخربان » وموقعه جميل ، خاصة في زمن الربيع ، وكان يقصده الفتيان والشعراء واهل البطالة ، وممن قصده ، ابن الحكاك الموصلي (ـ ٦٠٤ هـ) وكان شيخاً ظريفاً ، بات فيه ، وقال يصف شرابه وسقاته(٥)

---

(٤) خريدة القصر ، (٢ ، ٢٥٣)

(٥) الجامع المختصر ، (٩ ، ٢٥٦ ـ ٢٥٧)

رهبان دير سعيد بت عندهم	في ليلة نجمها حيران مرتبك
فجاء راهبهم يسعى ، وفي يده	مدامة ، ما على شرابها درك
كالشمس مشرقها كأس ، ومغربها	فم النديم ، وكف الساقي الفلك

– ٤ –

وفي الخريف يزرعون المباقل على شاطيء دجلة ، الخيار والبطيخ واللوبيا والقرع وغير ذلك ، ويسمى الحقل ، (شاروق) يقيمون في كل شاروق عريشاً ، يزرعون حوله الرياحين ، فيخرج السكان في الاماسي الى الشواريق ، يتنزهون بمناظرها الخلابة وينامون فوق العريش في الليل .

وذكر القزويني هذه الشواريق عند كلامه عن الموصل فقال ، « وفي الجانب الشرقي ، عند انتقاص الماء يبقى على طرف دجلة ضحضاح دجلة على ارض ذات حصباء ، يتخذ الناس عليها سرراً وقباباً من القصب في وسط الماء ، يسمونها الشواريق ، ويبيتون فيها ليالي الصيف ، ويكون هواؤها في غاية الطيب ، واذا نقص الماء وظهرت الارض زرعوا بها القثاء والخيار ، فتكون حول القباب مقثأة ، ويبقى ذلك الى اول الشتاء[٦]

– ٥ –

ومن وسائل التسلية عندهم والتضحيك ، كانوا يعملون تماثيل تشبه بعض الغلمان ورجال حاشية الملك او غيرهم ، ويدربون صقور الصيد على الانقضاض عليها ، حتى اذا خرج الملك الى الميدان يرسلون على الشخص الذي دربوها على تمثاله ، فتنقض عليه ، فيضحكون منه ، ويكون هذا في الموصل كثيراً[٧]

---

(٦) آثار البلاد ، ٢٠٩

(٧) التصوير عند العرب ، ٩٨

- ٦ -

وكان لخيال الظل شأن في الموصل . وهو يطلق على الروايات الهزلية - البابات - التي كانت تنتقد النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، بأسلوب لاذع ، يؤثر في الجمهور ويضحكهم . فكان من وسائل التسلية عندهم . يتخذونه في المجتمعات وايام الاعياد والمواسم . وفي المتنزهات . حيث يكثر المشاهدون . كما كانوا يقيمونه في دور الملوك والامراء والمتمولين . وابن دانيال - (- ٧١٠ هـ) من ابرز الممثلين في هذا . فكان يضع البابة ويلحنها ، ويعين الازياء للأشخاص ، ويشترك هو بنفسه بالتمثيل . ويشرف على من يساعده . فكان هو الواضع والناظم والملحن والمخرج . ومن الموصل نقله ابن دانيال الى مصر بعد نكبة الموصل على ايدي التتر سنة ٦٦٠ هـ (٨)

- ٧ -

ومن وسائل التسلية عندهم : الالعاب التي كان يقوم بها الفتيان والفرسان . ومنها : المبارزة بالسيوف ، والمصارعة ، وتكون هذه بين المتنافسين في الاحتفالات والاعياد . ويجتمع الناس لرؤيتها . وكذا سباق الخيل .

ومن الالعاب التي مارسوها بكثرة : اللعب بالكرة والصولجان . فكان الملوك والامراء والجيش يقومون بممارستها بعد صلاة العصر في الميدان من كل يوم . ويجتمع الناس لمشاهدتهم وتشجيعهم .

كان عماد الدين زنكي مولعاً بها . وكان يلعب مع السلطان محمود السلجوقي . وسار اولاده على نهجه . فكان نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي من احسن الناس لعباً بالكرة . وكان ربما ضرب الكرة فتعلو . فيجري الفرس ويتناولها بيده من الهواء . ويرميها الى آخر الميدان .

ويذكر ابن شداد عن نور الدين : « انه كان شديد الركض . ولعاً بلعب الكرة ، بحيث من رآه يقول : ما يموت الا من وقوعه على ظهر الفرس .

وكان يأمر كافة قواده ان يلعبوا بالكرة مع افراد الجيش كل يوم بعد العصر . خشية ان يركن الجيش الى الكسل .

---

(٨) الموصل في العهد الاتابكي : ٨٨

وقد لامه عمر الملاء في هذا بأنه يتعب خيول المسلمين من غير جدوى . فأجابه ، انه محاط بالاعداء وقد اوقف نفسه للجهاد . فاذا ترك الجيش يتعود على الخمول والكسل ويهملون خيولهم . ولذا فاللعب واجب لتدريب الجيش وتنشيطه كل يوم(٩)

وكان عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود لا يعفي احداً منها ـ حتى الطاعنين في السن ـ وكان في دولته الامير بهاء الدين علي بن الشكري . رجل كبير له خدمة في الدولة، ويبالغ عز الدين في احترامه، ومع هذا كان يشركه باللعب، ويعطيه من دوابه الخاص ما يركبه ويلعب عليه(١٠)

ـ ٨ ـ

وانتشرت العاب الفتوة في الموصل ، وهي : الرمي بالبندق . والانتساب في الرمي ، وسباق الحمام، والبندق كرات تصنع من الطين . وتسمى (جولاهق) ترمى اما بواسطة القوس او بسبطانة تتخذ من خشبة مستطيلة مجوفة الداخل . يرمون بها طيور الواجب . ويفتخرون باصابتها وصرعها .

والفتيان ينتسبون في رمي الطيور الى الخليفة أو أحد رؤساء الدولة . وان الخليفة الناصر لدين الله العباسي، أمر الملوك أن تنتسب اليه في رمي البندق . ثم عمم هذا على كافة الطبقات . اذا أصاب الرامي المنتسب طيراً، يرسل الطير الى بغداد، أو يحمله بنفسه الى الخليفة، ومعه الشهود من الفتيان . يشهدون أن الرامي رمى الطير باسم الخليفة . فيأمر الخليفة بتعليق الطير بباب البدرية . ويكتب عليه اسم راميه، وأنه رماه باسم الخليفة . وينثرون الدنانير على الطير تكريماً للمنتسب . كما ينال جوائز من الخليفة .

وبعد وفاة الناصر صاروا ينتسبون الى الخليفة او رجال الدولة . ففي سنة ٦٣٨هـ انتسب الامير ابراهيم بن بدرالدين لؤلؤ في رميه طيراً باسم الخليفة . وأرسله مع رسول ومعه جماعة من الشهود أيدوا رميه باسم الخليفة فقبل . وعلق بباب البدرية . ونثروا عليه ألف دينار . وخلع على الواصلين معه .

---

(٩) المحاسن اليوسفية ، ٢٢٦ . الباهر ، ١٦٨ ـ ١٦٩

(١٠) الباهر ، ١٨٦

وفي سنة ٦٣٤ هـ انتسب ركن الدين اسماعيل بن بدرالدين لؤلؤ الى شرف الدين اقبال الشرابي ، في رميه ، فحمله بشر ـ خادم ركن الدين ـ مع اثنين من رماة البندق الى الشرابي ، فأمر بتعليقه تجاه باب البدرية ، ونثروا عليه ألف دينار ، واعطى للواصلين معه ثلاثة آلاف دينار .(١١)

وكما استعملوا الحمام في نقل البريد ، كذلك استعملوه في سباق الغاية ، يسابقون بين الحمام ، وقد يصل سعر الحمامة الى عشرات الدنانير .

ـ ٩ ـ

وكان للركض اهمية خاصة ، ونشأ عندهم طبقة عرفوا « بالسعاة » ، فكانوا يقيمون مباريات بينهم ، يشهدها الخليفة والناس ، ويقدمون الهدايا للفائز .

ومن السعاة المشهورين اذ ذاك ، معتوق الموصلي المعروف بالكوثر ، فانه جرى سنة ٦٢٥ هـ من واسط الى بغداد في يوم وليلة ، وأعطي خلعا واموالا من الدولة والتجار ، فحصل له عشرون فرسا وخمسة آلاف واربعمائة دينار ، وخلع قومت بألف وسبعمائة دينار .

وفي سنة ٦٤٣ هـ جرى من داقوقة الى بغداد ، واتجه الى كشك الملكية ، وكان فيه الخليفة ورجال دولته ، فقبل الارض بين يدي الخليفة ، فأعطاه خمسمائة دينار ، وأعطاه الشرابي ثلاثمائة دينار ، وحصل له من ارباب الدولة شيء كثير .

وكان ينافسه علي بن الاربلي ، فسعى سنة ٦٤٦ هـ من داقوقة الى بغداد ، وفضل على الكوثر الموصلي بنصف ساعة ، ولما وصل بغداد استقبله الخليفة المستعصم واولاده في الكشك ، فدار علي بن الاربلي حول الكشك ، فأمر له الخليفة بفرس من مراكبه ، وخلعة ، ودار من الغد في البلد بالطبول والبوقات ، فحصل له شيء كثير .(١٢)

---

(١١) الفتوة في الاسلام ، ٦٨ ـ ٧٥ ، الحوادث الجامعة ، ٩٥ ـ ٩٦ ، ١٤٣

(١٢) انظر عنهما ، الحوادث الجامعة ، ٢٣٤ ، العسجد المسبوك ، ٤٣٥ ، ٥٦٦ ، اللمعات البرقية في النكت التاريخية ، ٢٥

– ١٠ –

ويحتفلون بعيدي الاضحى والفطر . فيعدون النقل والحلوى قبل ايام . يهدى بعضهم الى بعض . ويتفقدون الفقراء والمعوزين . ويأخذون أجمل زينتهم . ويكثرون من التزاور والابتهاج . وان كان الفصل معتدلاً، خرجوا الى ظاهر المدينة وشواطيء دجلة . يتنزهون ويبتهجون . وترى الفتيان قد امتطوا خيولهم الجميلة . وزينوها . يقيمون حلبات السباق بينهم

– ١١ –

ومن احتفالاتهم الكبيرة يوم ولادة سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام . يزينون الدور والاسواق ويوزعون الحلوى . ويجتمعون في الجوامع . يستمعون الى تلاوة القرآن الكريم والسيرة النبوية . والموشحات الدينية . والقصائد التي يلقيها الشعراء . ويشارك في هذا الناس على اختلاف طبقاتهم .

وأكبر احتفال بهذا اليوم، هو الذي يقيمه عمر بن محمد الملا . يحضره الملك والامراء والعلماء والفقهاء . والناس على اختلاف طبقاتهم . ويعد فيه الاطعمة المختلفة، فيكون حفلا مشهودا يشترك فيه الشعب .[١]

وكان مظفر الدين كوكبوري يقيم احتفالا مهيبا بهذه الذكرى المباركة . يستعد لها من شهر محرم . ويتوافد الفقهاء والعلماء والادباء والصوفية الى اربل من اختلاف البلاد . فكان يقيم القباب الجميلة في الميدان . ويجمع بها القراء والمنشدين واصحاب الخيال . ويستعد لها استعداداً كبيراً . وقبل المولد بيومين يخرج من الابل والبقر والغنم شيئاً كثيراً . ويزفها بجميع ما عنده من الطبول والمغاني الى الميدان . ويشرعون بنحرها ويعدون أنواع الاطعمة . وكان هو يتفقد الموائد ويدور بنفسه على التي تقدم للفقراء خاصة . كما كان يحضر ما يلقيه الشعراء والقراء والمنشدون . ويستمر في عرض الجيش في ذلك اليوم . فيكون من الايام المشهودة . ثم يقدم الهدايا الى العلماء والقراء والمتصوفة والشعراء وغيرهم . وعمل له أبو الخطاب بن دحية كتاب « التنوير في مولد السراج المنير » فأعطاه ألف دينار[٢]

---

(١) الكامل ، ١١ ، ١٤٧ ، الروضتين ، ١ ، ١٨٩

(٢) وفيات الاعيان : ١ : ٤٣٥ – ٤٣٨

- ١٢ -

أما بدرالدين لؤلؤ فانه لما رأى ما يقوم به مظفر الدين وأهل الموصل من الاحتفال العظيم، بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم، فانه صار يحتفل بعيد الشعانين . ويقدم الخمور والملاهي وينثر عليهم الدراهم .[1]

ويحتفلون في استقبال شهر رمضان . فيستقبلونه بالتكبير والتهليل واقامة الصلوات في المساجد، والاجتماع لسماع مجالس الوعظ والارشاد . وحضور حلقات الذكر التي يقيمها المتصوفة .

- ١٣ -

ويحتفلون باستقبال موكب الحج من مكة المكرمة . فيخرج الناس رجالاً ونساء، ممتطين خيولهم وقد زينوها بالحرير والوشي . وعلقوا عليها قلائد الذهب والفضة . ويعودون مع الموكب بالتهليل والتكبير . يتقدمهم العلماء واصحاب الطرق .

ووصف ابن جبير هذا الاستقبال الذي رآه في اليوم الثاني من وصوله الموصل . فقال :

« ومن أحفل المشاهد الدنيوية المرئية، بروز شاهدناه يوم الاربعاء . ثاني يوم وصولنا الموصل للخاتون أم عزالدين صاحب الموصل[2] . وبنت الامير مسعود . فخرج الناس على بكرة أبيهم . ركباناً ومشاة . وخرج النساء كذلك . وأكثرهن راكبات . وقد اجتمع منهن عسكر جرار . وخرج أمير البلد للقاء والدته مع زعماء دولته . فدخل الحاج المواصلة صحبة خاتونهم . على احتفال وابهة . قد جللوا أعناق ابلهم بالحرير الملون . وقلدوها القلائد المزوقة . ودخلت خاتون المسعودية تقود عسكر جواريها . وامامها عسكر رجالها يطوفون بها . وقد جللت قبتها كلها سبائك الذهب مصوغة أهلة ودنانير . سعة الاكف . وسلاسل وتماثيل بديعة الصفات . فلا تكاد تبين من القبة موضعا . ومطيتاها تزحفان بها زحفا . وصخب ذلك الحلي يسد المسامع . ومطاياها مجللة الاعناق بالذهب . ومراكب جواريها كذلك .

---

(١) اعلام النبلاء ، ص . ١٢٠

(٢) هو عزالدين مسعود بن قطب الدين مودود (٥٧٦ - ٥٨٩ هـ)

ومجموع ذلك الذهب لا يحصى تقديره . وكان مشهدا أبهت الابصار وأحدث الاعتبار » .[١]

ـ ٤ ـ

ومن الاماكن التي كانوا يتعبدون بها ليلة الجمعة هو الرباط المجاور لمشهد النبي يونس . فيقضون ليلهم في الصلاة والقرأءة والذكر . ثم يؤدون صلاة الجمعة . وقد حضر هذا ابن جبير الذي زار الموصل سنة ٥٨٠ هـ فبات في الرباط . ثم قصد عين يونس وشرب من مائها . واغتسل بها . وصلى في المسجد المجاور لها[٢] . وهو غير مسجد (النبي يونس) كان هذا فوق عين يونس التي تسمى اليوم (الدملماجة) وكنت قد اقترحت على مديرية الاثار العامة أن تنقب عنه فوق العين . ففعلت مشكورة وظهرت أسس ومعالم المسجد المذكور . وهي ظاهرة الى اليوم .

---

(٢) رحلة ابن جبير : ٢٢٣ ـ ٢٢٤

(٣) نشرت في مجلة سومر . المجلد الثاني والعشرون ص ٧٥ ـ ٧٨ بحثاً عن مسجد عين يونس . وعرفت بعين يونس . وهي التي تعرف اليوم بعين الدملماجة .

الطرق الصوفية

وكان للطرق الصوفية شأن كالعدوية والقادرية والبدوية والسهروردية . قام مشائخ كمل . كانوا على جانب من العلم والزهد والادب . أوقفوا انفسهم لأرشاد الضال، وتعليم الجاهل . ونصح الظالم . والاخذ بيد العادل . جمعوا الشباب في زواياهم ووجهوهم الى العلم والعمل النافع . والجهاد في سبيل الله . خاصة وان عصرهم عصر كفاح وجهاد، وصد الزحف الصليبي الذي طغى على كثير من بلاد الشام. وكان لهم تأثير حسن في مقاومة هذا الزحف، والجهاد المقدس الذي ادى الى تحرير بيت المقدس، وازالوا عنه الظلم والطغيان.

قاوموا الفساد . ولم يسكتوا عن محرم . ينصحون الحكام ويرشدونهم الى الخير . وربما ثاروا عليهم . ولما رأى الشيخ أبو الفرج الدقاق المتوفى سنة (٥٧٣ هـ) بيع الخمور في البلد . انكر الامر وهجموا على دكاكين الخمارين . اراقوا خمورهم وكسروا آنيتهم .(١)

وكان الشيخ موفق الدين ابو العباس أحمد بن يوسف الكواشي الزاهد المفسر ينقم على بدر الدين لؤلؤ ـ صاحب الموصل ـ وينكر ما يأتيه بدرالدين لؤلؤ من ظلم . وفتكه بأولاد سيده نور الدين ارسلان شاه . وما يلاقيه منه اهل البلد .

ولهذه الطرق الصوفية شيخ يرجعون اليه ـ شيخ مشائخ الصوفية ـ ويأخذون عنه . وممن تولى هذا الشيخ عمر النسائي السهروردي الموصلي المتوفى في مكة المكرمة سنة ٥٥٦ هـ . رحل الى مكة المكرمة وجاور فيها . وهو الذي ألبس الملك عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود خرقة التصوف في مكة المكرمة عندما حج اليها . ثم رحل الى المدينة المنورة . وجاور فيها عدة سنين . وفي سنة ٥٤٨ هـ سمعوا هدة داخل الحجرة الشريفة . ولم يجدوا من يستحق النزول اليها سوى الشيخ النسائي . فتقدم اليه امير المدينة قاسم بن مهنا الحسيني . والتمسه ان ينزل الى الحجرة الشريفة . فقبل بعد امتناع وتهيب . فأنزلوه في الحبال . فرأى ردماً . فكنس ما وجده من تراب .(٢)

---

(١) الكامل لابن الاثير (١١ ، ١٨٩)

(٢) الباهر . لابن الاثير (١٨٨) عمدة الاخبار في مدينة المختار ، ١٢٠

ومن المشائخ الذين كان لهم أثر حسن في خدمة المجتمع :

الشيخ عدي بن مسافر الهكاري الاموي : (٤٦٥ ـ ٥٥٧ هـ) واليه تنسب الطريقة العدوية . كان فقيها . عالما . اوقف نفسه للارشاد والوعظ والتعليم في تكيتة بجبل لالش . وعكف عليه اكراد الجبال . فكان له شأن في هدايتهم وتوجيههم . حتى صار يعرف « بامام الاكراد » .(١)

وخلفه ابن اخيه الشيخ ابو البركات صخر بن مسافر العدوي . فحل محل عمه في الوعظ والارشاد . ثم خلفه ابنه عدي بن صخر . وسار على ماكان عليه ابوه وعمه . ثم خلفه ابنه الشيخ حسن شمس الدين (٥٨١ ـ ٦٤٤ هـ) وهو الذي استغل الطريقة العدوية لنيل الملك . فخنقه بدر الدين لؤلؤ في قلعة الموصل .

ـ **الشيخ معين الدولة عمر بن محمد بن خضر الملاء،** كان جليل القدر . يأكل من كسب يده . يملأ تنانير الجص بنفسه . وهو الذي اشار على نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي في عمارة الجامع النوري ففعل . وكان يقيم احتفالا كبيراً يوم ولادة الرسول الاعظم ـ صلى الله عليه وسلم ـ وله رسالة في سيرة الرسول. ودفن في رباطه الذي يقع في محلة الشيخ عمر التي نسبت اليه وفي سنة ١٣٩٤هـ = ١٩٧١م هدم المسجد وادخل في توسيع الشارع ونقلت رفاته الى الجامع النوري .(٢)

الشيخ عبد الملك بن حماد الكناني الموصلي المتوفى سنة ٥٧١ هـ : كان آباؤه من امراء الجبل . وتقلد المناصب . وفي سنة ٥٥٥ هـ حج الى بيت الله الحرام . وصادف الشيخ احمد الرفاعي . فلازمه . واخذ عنه الطريقة الرفاعية . وعاد الى الموصل سنة ٥٥٩ هـ . واوقف نفسه للارشاد والتوجيه . وتوفي معمراً . ودفن في مشهد جامع النبي جرجيس في الموصل .(٣)

ـ **الشيخ قضيب البان الموصلي :** ابو عبد الله الحسين بن عيسى بن الخضر الحسني الموصلي . (٤٧١ ـ ٥٧٣ هـ) درس الفقه والادب . واخذ الطريقة عن الشيخ عبد القادر الكيلاني . وكان يتردد بالرسائل بينه وبين الشيخ عدي . واخذ الطريقة العدوية عن الشيخ عدي . ثم طلبه الشيخ الكيلاني يصلي اماماً عنده .

---

(١) انظر عن الشيخ عدي وخلفائه ، (اليزيدية ، ٥٢ ـ ٧٧)

(٢) جوامع الموصل (٤٩ ـ ٥٠)

(٣) العقود الجوهرية في مدائح الرفاعية ، (٣٩ ـ ٤١ ، ١١١)

وتولى تغسيل الشيخ الكيلاني بعد موته . عاد الى الموصل ، وبنى له رباطاً ظاهر باب سنجار ، وتفرغ للوعظ والارشاد والذكر ، واخباره مستفيضة .(٦)

ـ **الشيخ محمد الغزالي المعروف بالغزلاني** : هو محمد بن علي الطائي الموصلي الرفاعي المتوفى سنة ٦٠٥ هـ ، اتصل بالشيخ احمد الرفاعي في ام عبيدة ، ولازمه ، واخذ عنه ، فأجازه الشيخ الرفاعي وأمره بالعودة الى الموصل ، فسكن في مغار يقع في سفح تل عرف باسمه ـ تل الغزلاني ـ ودفن في زاويته ، ولم يزل الغار الذي فيه زاويته وقبره ، يقع شرقي لحف تل الغزلاني الذي عليه معسكر الغزلاني .

وخلفه ولده الشيخ احمد الغزلاني ، كان فقيهاً عالماً ، اخذ الطريقة عن الشيخ عبد الملك بن حماد الرفاعي ، وسلك طريق الارشاد والعلم ، توفى سنة ٦٢٠ هـ .(٧)

ـ **الشيخ محمد بن منصور الحداد الواعظ الموصلي** ، كان عالماً جليل القدر ، له كتاب « البدور التامات في بديع المقامات » ، وهو ثلاثون مقامة فرغ منها في رجب سنة ٦٧٣ هـ .(٨)

ـ **الشيخ يوسف الكواشي** ؛ وهو من العلماء الاجلاء ، له تفسير للقرآن الكريم ، وقد تقدم الكلام عنه

---

(٦) جوامع الموصل ، (٢٦١ ـ ٢٦٦)

(٧) روضة الرياحين وخلاصة مناقب الصالحين ، ١٣٢

(٨) كشف الظنون ، ١ ، ٢٣١

ملحق رقم - ٤ -

بدرالدين لؤلؤ بن عبدالله
٦٢٠ ـ ٦٥٧هـ

الملك الصالح	الملك المظفر علاء الدين علي	الملك المجاهد سيف الدين اسحاق
صاحب الموصل	صاحب سنجار وتلعفر	صاحب جزيرة ابن عمر
٦٥٧ ـ ٦٦٠هـ	٦٥٧ ـ ٦٥٨هـ	٦٥٧ ـ ٦٥٨هـ

ملحق رقم ـ ٦ ـ

اعمال الموصل في العهد الاموي :

ذكر ابو زكريا الازدي في حوادث سنة ١١٣ هـ انها كانت واسعة منها ، الكرخ[١] ، ودقوقا[٢] ، وخانيجار[٣] ، وشهرزور[٤] ، وباعربا[٥] ، وتكريت[٦] ، والسن[٧] ، وباجرمي[٨] ، وقردى[٩] ، وسنجار[١٠] ، والعمرانية[١١] ، الى حدود اذربيجان .

---

(١) الكرخ ، ويراد بها كرخ سامراء ، والذي كان يسمى كرخ فيروز ، واتصل بسامراء بعد ان بناها المعتصم ، وبقيت عامرة الى القرن السابع للهجرة . (معجم البلدان ، ٧ ، ٢٣٥) .

(٢) دقوقا ، بين اربل ، ولم تزل باقية ، ولها ذكر في الاخبار والفتوح (معجم البلدان ، ٤ ٦٦) .

(٣) خانيجار ، بلدة قرب داقوقا (معجم البلدان : ٤ ، ٦٦)

(٤) شهرزور : كورة واسعة في الجبال بين اربل وهمدان ، وتشمل عدة مدن وقرى ، وبها سهول خصبة ، يسكنها الاكراد الجلالية والباسميان والحكمية والسولية . (معجم البلدان : ٥ ، ٣١٢ ـ ٣١٣)

(٥) باعربا ، تقدم الكلام عنها

(٦) تكريت ، مدينة معلومة ، تقدم ذكرها ، تقع غربي دجلة ، تبعد عن سامراء بمقدار خمسين كيلومترا ، ولها ذكر كثير في الفتوح والاخبار .

(٧) السن ، مدينة على دجلة عند مصب الزاب الاسفل ، فوق تكريت ، ولها جامع كبير وفي اهلها علماء (معجم البلدان : ٥ ، ١٥٤) .

(٨) باجرمي ، قرب الرقة من ارض الجزيرة ، ويذكر ياقوت انها في زمنه (القرن السابع للهجرة) من اعمال البليخ (معج البلدان ، ١ : ٣٤) .

(٩) قردى ، قرب جزيرة ابن عمر ، يقابلها غربي دجلة بازبدى ، ويضاف الى قردى مائتي قرية (معجم البلدان : ٧ ، ٥١) .

(١٠) سنجار ، من مدن الجزيرة المعلومة ، تقع في لحف جبل يسمى باسمها ، ولها اخبار كثيرة ، ويذكر ياقوت عنها انها ذات اشجار نخل وترنج ونارنج (معجم البلدان : ٥ ، ١٤٤) .

(١١) العمرانية ، تقع قرب شوش متاخمة للمرج ، فيها رستاق وكروم ، ويذكر ياقوت ان قلعتها آلت الى الخراب ، ما بقى منها شيء ، وبها كهف يقولون انه كهف داود بزار (معجم البلدان ، ٦ ، ٢٢٠) .

يقع كهف داود في قرية « كندك » وهي بين قرية شوش وعقرة ، وللدكتور محمود الامين بحث مستفيض عنه في مجلة (سومر : ٩ ، ٢٠٤ ـ ٢١١) .

ملحق رقم – ٧ –

اعمال الموصل في عهد العباسيين

(في القرنين الثاني والثالث للهجرة)

أ – وفي القرن الثاني اخذ الخلفاء العباسيون يختزلون من اعمالها :

١ – اختزل منها الخليفة المهدى (١٥٨ – ١٦٠ هـ) كورة دراباذ، وكورة الصامغان.

٢ – واختزل منها الخليفة هرون الرشيد (١٧٠ – ١٩٤ هـ) كورة تكريت، وكورة الطيرهان.

٣ – واختزل منها الخليفة المعتصم (١٩٨ – ٢١٨ هـ) كورة شهرزور واعمالها.

ب – ويذكر الاصطخري المتوفي سنة ٣٠٠ هـ ان كور الموصل هي :

تكريت[١]، الحضر[٢]، الطيرهان[٣]، السن[٤]، الحديثة[٥]، مرج جهينه[٦]، نينوى[٧] باجلى[٨]، باهدرى[٩]، باعذرى[١٠]، حبتون[١١]، بانقلي[١٢]، حزة[١٣]، بابغيس[١٤]، المغلة[١٥] رامين[١٦]، الحناية[١٧]، باحرمى[١٨]، (بالحاء)، خنياسابور[١٩]، دقوقا[٢٠]، خانيجار.

ويذكر ان خراج الموصل اربعة آلاف الف درهم (الممالك والممالك : ٩٤)

---

(١) تقدم الكلام عنها. ويظهر انها اعيدت الى الموصل، هي والطيرهان، بعد وفاة الخليفة المعتصم.

(٢) مدينة تبعد عن جنوب غربي الموصل قرابة (١٥٠) كيلومتراً. نشأت على الطريق التجاري الذي تمر به القوافل من ساحل الخليج العربي، الى ديار الجزيرة والشام، شيدها القبائل العربية، ولها حضارة زاهية، واخبارها مستفيضة، وللاستاذين فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى كتاب يبحث عنها بصورة واسعة اسمه « الحضر مدينة الشمس » نشرته وزارة الاعلام العراقية، بالمساهمة مع مؤسسة كولبنكيان.

(٣) الطيرهان، لم نتوفق الى معرفة موقعها.

(٤) السن، مدينة على دجلة، فوق تكريت، لها سور وجامع كبير، وعند السن مصب الزاب الاسفل (معجم البلدان، ٥، ١٥٤).

(٥) الحديثة، مدينة كانت على دجلة بالجانب الشرقي قرب الزاب الاعلى، وهي مدينة قديمة، وتسمى ايضاً « حديثة الموصل » تمييزاً لها عن حديثة الفرات، وهي خربة في الوقت الحاضر (معجم البلدان، ٣، ٢٣٤ – ٢٣٧).

(٦) مرج جهينة، تقع جنوب حمام العليل، وهي اول منزل لمن يريد بغداد – وامامها مرج واسع يسقى بماء دجلة، يزرع به في الوقت الحاضر البنجر والقطن والخضر وقد خربت المدينة، وبقربها قرية تسمى باسمها (معجم البلدان ٣، ١٨٤، وفيات الاعيان، ١، ١٤٦).

(٧) تقدم الكلام عنها ، واخبارها كثيرة جداً .

(٨) لم نقف على ذكر لباجلي ، ولعلها باجرمى ، وقد تقدم الكلام عن باجرمى .

(٩) باعذري ، يذكر عنها ابن حوقل ، انها من حد المغيثية الى الخابور ، ومن معلثايا الى فيشابور .

(١٠) باعذري ، يذكر عنها ياقوت انها من قرى الموصل (معجم البلدان ، ٢ ، ٤٠) وقرية باعذرة تقع في لحف جبل الشيخ عدى (جبل عين سفني) وهي قرية كبيرة تشرف على سهل واسع امامها . وفيها رئيس الطائفة اليزيدية ،وهو اراديها هذه القرية .

وباعذره ايضاً ، قرية في لحف جبل عين الصفراء ، تبعد عن برطلة ببضع كيلومترات وتسمى « باعذره عرب » .

(١١) جبتون ، يذكر عنها ياقوت في (معجم البلدان ، ٣ ، ٢٠٧) جبل بنواحي الموصل ، وفي تاريخ الموصل للصائغ (١ ، ٦٠) يذكر انها في الجبل على سواحل الزاب الكبير ، ولم يحدد موقعها ، والمصدر الذي اخذ عنه .

(١٢) بانقلي ، لم نتوفق في ضبط مكانها .

(١٣) حزة يذكر ياقوت في (معجم البلدان ، ٣، ٢٧٢) بليدة قرب اربل من اعمال الموصل .

(١٤) بابغيس ، ناحية بين اذربيجان واربيل ، يمر بها الزاب الاعلى (معجم البلدان ، ٢ ، ١٥) .

(١٥) المقلة ، لم نتوفق في ضبط موقعها .

(١٦) رامين ، لم نتوفق في ضبط موقعها .

(١٧) الحناية ، ناحية غرب الموصل ، فتحها عتبة بن فرقد صلحاً (معجم البلدان ، ٣ ، ٣٥٠) .

(١٨) باحرمى (والصحيح باجرمى بالجيم) ـ وقد تقدم الكلام عنها .

(١٩) خنينا سابور ، ولعله اراد بيت شابور وهي المعروفة بيشابور وتعرف اليوم باسم « فيشخابور » تقع محل التقاء الخابور بدجلة .

(٢٠) دقوقا ، تقدم الكلام عنها .

(٢١) خانيجار ، تقدم الكلام عنها .

ملحق رقم ٧

اعمال الموصل في القرنين الرابع والخامس للهجرة

وفي القرن الرابع للهجرة تكلم ابن حوقل(×) الموصلي عن مدينة الموصل . وما يتبعها من نواح ورساتيق(١) وكور(٢) . وحاصلات كل ناحية وما فيها من خيرات ، وما يجبى منها . وهو بحث طريف . قلما نجد مثله في كتب البلدانيين الذين تكلموا عن الموصل ـ قال عن الموصل :

وللموصل نواح عريضة . ورساتيق عظيمة . وكور كثيرة . غزيرة الاهل والقرى والقصور والمواشي الى غير ذلك من اسباب النتاج والسائمة من الاغنام والكراع . فمن ذلك :

١ ـ **رستاق نينوى :** ويمتد الى رستاق المرج . وهو رستاق جليل . قريب الى الموصل .

٢ ـ **رستاق المرج :** وهو يجاور رستاق نينوى . وهو ايضاً فسيح واسع . كثير الضياع والماشية والكراع . وفيه مدينة تعرف بسوق الاحد . وفيها اسواق ولها موعد لاوقات . يجتمع فيها المتاع وسائر التجارة والاكرة والاكراد . وهي تحاد الجبل على نهر يقرب منها يطرح ماؤها الى الغراب الكبير (هو نهر الخازر الذي يصب ماؤه في الزاب الكبير) وقد تقدم الكلام عن المرج

٣ ـ **ارض حزة ورساتيقها :** وهو اقليم بينه وبين اعمال المرج الزابي الكبير ، وفيه مدينة تعرف بكفر عفرى(٣) . يسكنها قوم من الشهارجة نصارى ذوو يسار ، ومنها يمتار الاعراب . وينزل في نواحيها الاكراد .

٤ ـ **رستاق قردي :** وهو الجزيرة المعروفة بابن عمر(٤) . وجبل باسورين(٥) ونواحيه الى حدود باعيناثا(٦) الى طنزي(٧) وشاتان(٨) .

٥ ـ **رستاق بازبدي :** وهو يقابل رستاق قردي في الجهة الغربية من نهر دجلة . ويقول عنه وعن رستاق قردي : رستاقان عظيمان متجاوران . فيهما الضياع الجليلة الخطيرة . التي تكيل الضيعة دخلاً في كل سنة الف كر حنطة وشعيراً . وحبوب قطان .

٦ ـ **رستاق باهدرا**(٩) : وهو من حد المغيثية(١٠) الى الخابور(١١) . ومن معلثايا(١٢) الى فيشابور(١٣) . وهو ايضاً عظيم . جليل الضياع والدخل والمرافق .

٧ ـ **رستاق الخابور**(١٤) : يجاور رستاق سنجار . ورستاق الحيال(١٥) . يرويه نهر الخابور الذي يصب ماؤه في نهر الفرات .

٨ ـ **رستاق الخابور** : وفيه مدن كثيرة واعمال واسعة يجاور رستاق سنجار .

٩ ـ **رستاق سنجار ونواحي الحيال** : وللجميع من الدخل الكثير عن سائر وجوه الغلات والفواكه اليابسة والرطبة .

١٠ ـ **رستاق معلثايا** : يجاور رستاق فيشابور .

١١ ـ **رستاق فيشابور** : وهما رستاقان خطيران معدودان في نفائس الاعمال ، ومحاسن الكور ، بكثرة الخيرات والغلات والتجارات .

(×) انظر صورة الارض ، (١٩٦ ـ ١٩٨) وانظر ايضا (احسن التقاسيم ، ١٤٠)

(١) الرستاق ، كل موضع فيه مزارع وقرى ، ولا يقال ذلك للمدن ، كالبصرة وبغداد . وهو عند الفرس بمنزلة السواد عند اهل بغداد (معجم البلدان ، ١ : ٣٧ ـ ٣٩) .

(٢) الكورة ، كل صقع يشتمل على عدة قرى ، ولا بد لتلك القرى من قصبة او مدينة او نهر يجمع اسمها ذلك اسم الكورة ، كقولهم دارا بجرد مدينة بفارس لها عمل واسع يسمى ذلك العمل بجملته كورة دارا بجرد ، ونحو نهر الملك ، فانه نهر عظيم مخرجه من الفرات ويصب في دجلة ، عليه نحو ثلثمائة قرية ، ويقال لتلك جميعه نهر الملك ، وكذلك ما اشبه ذلك (معجم البلدان ، ١ : ٣٦) .

(٣) يذكر عنها ياقوت في معجم البلدان ، ٧ ، ٢٦٦ ، انها في زمانه قرية من قرى اربل ، بينها وبين الزاب الاسفل .

(٤) كان هذا زمن ابن حوقل ، واما في العهد الاموي ـ كما تقدم ـ فكانت قرب جزيرة ابن عمر ، فيظهر انها توسعت واتصلت بجزيرة ابن عمر .

(٥) يقول ياقوت عن باسورين ، ناحية من اعمال الموصل في شرقي دجلتها (معجم البلدان ، ٢ : ٣٦) .

(٦) يذكر عنها ياقوت في (معجم البلدان ، ٢ : ٤١) قرية كبيرة كالمدينة ، فوق جزيرة ابن عمر ، لها نهر كبير يصب في دجلة ، وفيها بساتين كثيرة ، وهي من انزه المواضع ، تشبه دمشق ـ ذكرها ابو تمام في شعره فقال :

لولا اعتمادك كنت ذا مندوحة — عن برقعيد وأرض باعيناثا

(٧) بلد بجزيرة ابن عمر من ديار بكر ، ويكتبها ياقوت طنزة (معجم البلدان ، ٦ : ٦٢) .

(٨) قال عنها ياقوت في (معجم البلدان ، ٥ : ٢١٦) قلعة بديار بكر ، ينسب اليها الحسن بن علي بن سعيد بن عبد الله الشاتاني (٥١٣ ـ ٥٧٩ هـ) .

(٩) ويذكرها ياقوت بالذال (باهذرا) (معجم البلدان ، ٨ ، ١٩٦) ويذكرها البكري وابن خردادنه بالذال والف مقصورة (باهذرى) (معجم ما استعجم ، ٤ : ١٢٧٨) .

(١٠) لم نتوفق الى معرفة موقعها ، وذكر ياقوت ثلاث مواقع باسم ، المغيثة ، ولم يذكرها كما انه لم يذكر المغثية . (المشترك وضعاً والمفترق صقعاً ، ٤٠٢) ومعجم البلدان ، ٨ ، ١٠٦) .

(١١) يراد به الخابور الذي يصب ماءه في دجلة .

(١٢) معلثايا ، يذكر عنها ياقوت في (معجم البلدان ، ٨ ، ٩٨) بليد له ذكر في الاخبار المتأخرة قرب جزيرة ابن عمر من نواحي الموصل .

وتسمى اليوم قرية ، ملطاي ، وفيها كهف في سفح ، جبل كاني قصاره ، المطل على روبار دهوك ، وهي تبعد عن دهوك بضع كيلومترات ، في هذا الكهف منحوتات أشورية بالصخر . وللاستاذ اكرم شكري بحث عنها في مجلة (سومر ، ١٠ ، ٩٠ ـ ٩٢) .

(١٣) تقدم الكلام عنها .

(١٤) يراد به خابور الفرات .

(١٥) يذكر ابن حوقل عنه (صورة الارض ، ١٩٩) عن الحيال . بقرب سنجار بين شمالها وغربها . وهو واد من اودية ديار ربيعة . فيه مشاجر وضياع وكروم وخصب وأب . يسكنه قوم من العرب قاطنين فيه . مخفرين من بني قشير ونمير وعقيل وكلاب

المصادر

ابن ابي اصيبعة (احمد) ـ ٦٦٨ هـ

عيون الأنباء في طبقات الاطباء ـ مصر

الأزدي (ابو زكريا يزيد) ـ ٣٣٤ هـ

تاريخ الموصل . الجزء الثاني . حققه دكتور علي حبيبة ـ مصر ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م

ابن الأثير (عز الدين) ـ ٦٣٠ هـ

الباهر في الدولة الاتابكية ـ القاهرة ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٣ م

أسد الغابة في إخبار الصحابة ـ مصر ١٣٢٩ هـ

الكامل في التاريخ ـ مصر ١٢٩٠ هـ

اللباب في تهذيب الأنساب ـ طبعة المثنى

ابن الأثير (ضياء الدين ـ ٦٣٧ هـ)

الجامع المختصر في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور بغداد ١٣٧٥

آدم ميتز

الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري . نقله الى العربية : محمد عبد الهادي ابو ريدة

ابن الجزري (عبد الرحمن) ـ ٨٣٣ هـ

غاية النهاية في طبقات القراء ـ مصر ١٩٣٣ م

ابن الجوزي (عبد الرحمن) ـ ٥٩٧ هـ

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ـ حيدر آباد ١٣٥٧ هـ

صفة الصفوة ـ حيدر آباد ١٣٥٦ هـ

ابن حجر العسقلاني (احمد) ـ ٨٥٢ هـ

الاصابة في اخبار الصحابة ـ مصر ١٩٢٥ م

تهذيب التهذيب ـ بيروت ١٣٤٥ هـ ١٩٦٨ م

ابن حزم (علي) ـ ٤٥٦ هـ

ابن جبير (محمد ـ ٦١٤ هـ)

جمهرة انساب العرب ـ مصر

رحلة ابن جبير ـ تحقيق دكتور حسين نصار

ابن حوقل (محمد) ـ القرن الرابع للهجره

صورة الارض ـ طبع بيروت

ابن خرداذبة (عبد الله) ـ ٣٠٠ هـ

المسالك والممالك ـ بريل ١٨٨٩ م

ابن خلدون (عبد الرحمن) ـ ٨٠٨ هـ

العبر وديوان المبتدأ والخبر ـ مصر ١٢٨٤ هـ

ابن خلكان (احمد) ـ ٦٨١ هـ

وفيات الاعيان ـ مصر ١٣١٠ هـ

ابن الساعي الخازن (علي بن انجب ـ ٦٧٤ هـ)

الجامع المختصر ـ بغداد ١٩٣٤ م

ابن شاكر الكتبي (أحمد) ٧٦٤ هـ

فوات الوفيات ـ مصر ١٢٩٩ هـ

ابن الخياط (احمد ـ ١٢٨٥ هـ)

ترجمة الاولياء في الموصل الحدباء ـ حققه سعيد الديوه جي ـ الموصل ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٦م

ابن تغري بودى (يوسف ٨٧٤ هـ)

النجوم الزاهرة في ملوك مصر القاهرة ـ مصر ١٣٥٠ هـ

المستوفي بعد الوافي ـ القاهرة ١٩٦٥

المنهل الصافي (محفوظ نسخة منه في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة)

ابن سعيد المغربي (علي بن موسى ـ ٦٨٥ هـ)

العراق والجزيرة في رحلة ابن سعيد المغربي ـ نشر في مجلة كلية الآداب ، ٤ ، سنة ١٩٣٢ ، نشره الدكتور محمد رشيد الفيل

ابن شداد (يوسف ـ ٦٣٢ هـ)

النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ـ سيرة صلاح الدين الايوبي ـ مصر ١٣٤٦هـ

ابن شداد (محمد بن علي ـ ٦٨٤ هـ)

الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة ـ تاريخ لبنان والاردن وفلسطين ـ تحقيق د . سامي الدهان ـ دمشق ١٣٨٢ هـ ١٩٦٢ م

الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة ـ تحقيق ، يحيى عباده دمشق

ابن الصابوني (محمد بن علي ـ ٦٨٠ هـ)

تكملة اكمال الكمال ـ تحقيق الدكتور مصطفى جواد ـ بغداد ١٣٧٧ هـ ١٩٥٧ م

ابن الطقطقي (محمد) ـ ٧٠٩ هـ

الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية ـ بيروت ١٣٨٥ هـ ١٩٦٦ م

ابن طولون (محمد ٩٥٢ هـ)

القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية ـ دمشق ١٩٤٧ م

اللمعات البرقية في النكات التاريخية حلب ١٣٤٢ هـ

ابن عبد ربه (احمد) ٣٢٧ هـ

العقد الفريد ـ مصر ١٣٨٤ هـ ١٩٦٥ م

ابن العبري (غريغوريوس) ـ ٦٨٥ هـ

تاريخ مختصر الدول ـ بيروت ١٨٩٠ م

ابن العديم (عمر) ـ ٦٦٠ هـ

زبدة الحلب من تاريخ حلب ـ حققه سامي الدهان ـ دمشق ١٣٧٠ هـ ١٩٥١ م

ابن سلام (القاسم) ـ ٢٢٤ هـ

الاموال ، صححه وعلق حواشيه محمد حامد الفقي ـ مصر ١٣٥٣ هـ

ابن العماد الحنبلي (عبد الحق) ـ ١٠٨٩ هـ

شذرات الذهب في اخبار من ذهب ـ مصر ١٣٥٠ هـ

ابن عبد الحق (عبد المؤمن ـ ٧٣٩ هـ)

مراصد الاطلاع ـ بيروت

ابن فضل الله العمري (شهاب الدين) ـ ٧٤٨ هـ

التعريف بالمصطلح الشريف ـ مصر ١٣١٢ هـ

مسالك الابصار في ممالك الامصار ـ طبعة دار الكتب المصرية

ابن الفوطي (عبد الرزاق ٧٢٣ هـ)

الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ـ بغداد ١٣٥٤

ابن الفرات (محمد بن عبد الرحمن ٦٧٥ هـ)

تاريخ ابن الفرات ـ بيروت ١٩٣٨ م

ابن قتيبة الدينوري (عبد الله) ـ ٢٧٦ هـ

الامامة والسياسة ـ مصر ١٣٢٨ هـ

الاخبار الطوال ـ مصر ١٣٣٠ هـ

المعارف ـ مصر ١٣٥٣ هـ
عيون الاخبار ـ مصر ١٣٤٣ هـ ١٩٢٥ م
ابن القلانسي (حمزة) ـ ٥٥٥ هـ
ذيل تاريخ دمشق ـ بيروت ١٩٠٨ م
ابن كثير (اسماعيل) ـ ٧٧٤ هـ
البداية والنهاية ـ مصر ١٣٤٨ هـ
ابن النديم (محمد) ـ ٣٨٠ هـ
الفهرست ـ مصر ١٣٤٨ هـ
ابن الوردي (عمر) ـ ٧٤٩ هـ
تاريخ ابن الوردي ـ النجف ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م
ابو الفرج الاصفهاني (علي) ـ ٣٥٦ هـ
الاغاني ـ طبعة ساسي
ابو الفدا (اسماعيل) ـ ٧٣٢ هـ
المختصر في اخبار البشر ـ المطبعة الحسينية
تقويم البلدان ـ نسخة مخطوطة في خزانة المدرسة الاحمدية في الموصل
ابو شامة المقدسي (عبد الرحمن ـ ٦٦٥ هـ)
الروضتين في اخبار الدولتين ـ مصر ١٢٨٨ هـ
تراجم رجال القرنين : السادس والسابع ـ بيروت
احمد تيمور باشا (١٣٤٨ هـ)
كتاب التصوير عند العرب ـ مصر ١٩٤٠ م
اعلام المهندسين في الاسلام ـ مصر ١٩٥٧ م
احمد عيسى بك (الدكتور) ـ ١٣٦٥ هـ
معجم الاطباء ـ مصر ١٣٦١ هـ
البيمارستانات في الاسلام ـ دمشق
اسماعيل الياس ـ ٨٠٣ هـ
العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك بيروت ١٣٩٥
ابو نعيم (احمد) ـ ٤٣٠ هـ
حلية الاولياء وطبقات الاصفياء ـ مصر ١٣٥١ هـ

ابو يوسف (يعقوب) ـ ١٨٢ هـ

الخراج ـ القاهرة ١٣٤٦ هـ

احمد امين ـ ١٩٥٤ م

ظهر الاسلام ـ مصر ١٩٦٢ م

اسحق بن الحسين المنجم ـ ٤٥٤ هـ

آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان

الاصطخري (ابراهيم) ـ القرن الرابع للهجرة

المسالك والممالك ـ مصر ١٣٨١ هـ ١٩٦١ م

الايوبي محمد تقي الدين ـ ٦١٧ هـ

مضمار الحقائق وسر الخلائق القاهرة ١٩٦٨ م

الاصفهاني (محمد) ـ ٥٩٤ هـ

خريدة القصر وجريدة العصر ـ شعراء الشام ـ تحقيق الدكتور شكري فيصل . دمشق ١٣٧٨ هـ

خريدة القصر ـ تحقيق محمد بهجت الأثري ـ بغداد

الفتح القسى في الفتح القدسي ـ مصر ١٣٤٤ هـ

اغناطيوس يعقوب الثالث

دفقات الطيب في تاريخ القديس ماربهنام الشهيد ـ زحلة ١٩٦٦ م

بدران ـ عبد القادر

منادمة الاطلال ومسامرة الخيال

برصوم (اغناطيوس افرام الاول)

اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية ـ حمص ١٩٥٦ م

بنيامين التطيلي ـ ٥٦٩ هـ

رحلة بنيامين ـ ترجمة عزرا حداد ـ بغداد ١٣٦٤ هـ ١٩٤٤ م

تامارا رايس

السلاجقة ـ ترجمة لطفي الخوري (بالاشتراك) بغداد ١٩٦٨ م

حاجي خليفة

كشف الظنون عن اسامى الكتب والفنون ـ استانبول ١٩٣٣ م

حسين امين (الدكتور)

تاريخ العراق في العصر السلجوقي بغداد ١٣٨٥ هـ ١٩٦٥ م

حسن الباشا (الدكتور)

التصوير الاسلامي في العصور الوسطى القاهرة ١٩٥٩ م

الدليمي (محمد نايف)

ديوان الموشحات الموصلية ـ الموصل ١٣٦٥ هـ ـ ١٩٧٥ م

المختار من شعر ابن دانيال (حققه ونشره) الموصل ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م

الذهبي (محمد بن احمد ـ ٧٤٨ هـ)

المختصر المحتاج اليه من تاريخ ابن الدبيثي ـ تحقيق الدكتور مصطفى جواد

العبر في اخبار من غبر ـ الكويت ١٩٦٣

البشارى المقدسي (ابو عبد الله) ـ القرن الرابع للهجرة

احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ـ بريل ١٩٠٩ م

بديع الزمان الهمداني ـ ٣٩٨ هـ

مقامات بديع الزمان ـ مصر ١٣٤٨ هـ ١٩٢٣ م

الخباز البلدي (محمد) ـ القرن الرابع للهجرة

شعر الخباز البلدي ـ جمعه صبيح رديف ـ بغداد ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣ م

البنداري (الفتح)

تاريخ دولة آل سلجوق ـ لاهور ١٣١٨ هـ

البكري (عبد الله) ـ ٤٨٧ هـ

معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواقع ـ مصر ١٣٦٤ هـ

بنيامين النطيلي (٥٦٩)

رحلة بنيامين ـ ترجمة عزرا حداد بغداد ١٩٦٨ م

البلاذري (احمد) ـ ٢٧٩ هـ

فتوح البلدان ـ مصر ٣٥٠ هـ

انساب الاشراف ـ القدس ١٩٣٦ م ـ الخامس

انساب الاشراف ـ الاول ـ حققه الدكتور محمد حميد الله ـ مصر

الثعالبي (عبد الملك) ـ ٤٢٩ هـ

ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ـ القاهرة ١٣٢٦ هـ

يتيمة الدهر ـ القاهرة ١٣٧٥ هـ ١٩٦٤ م

لطائف المعارف ـ تحقيق ابراهيم الابياري

بدران (عبد القادر)
مقاومة الاطلال ومسامرة الخيال ـ دمشق
الجاحظ (عمرو) ـ ٢٥٥ هـ
التبصر بالتجارة ـ مصر ١٣٥٤ هـ
البيان والتبيين ـ مصر
الحيوان ـ مصر ١٣٢٣ هـ
جواد علي (الدكتور)
تاريخ العرب قبل الاسلام بغداد ١٣٧٩ هـ ١٩٥٠ م
الجهشياري (محمد) ـ ٣٣١ هـ
الوزراء والكتاب ـ طبعة الصاوى
الحسيني(علي)
اخبار الدولة السلجوقية ـ لاهور ١٩٣٣ م
الخالديان (محمد وسعيد)
ديوان الخالديين ـ تحقيق الدكتور سامي الدهان ـ دمشق ١٣٨٨ هـ ١٩٦٩ م
التحف والهدايا ـ القاهرة ١٩٥٦ م
الخطيب البغدادي (احمد) ـ ٤٦٣ هـ
تاريخ بغداد ـ مصر ١٣٤٩ هـ
الديوه‌جي (سعيد)
الموصل في العهد الاتابكي ـ بغداد ١٣٧٨ هـ ١٩٥٨ م
بيت الحكمة ـ الموصل ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م
الفتوة في الاسلام ـ الموصل ١٩٤٠ م
سور الموصل ـ مجلة سومر . المجلد الثالث ١٩٤٧ م
خطط الموصل في العهد الأموي ـ سومر المجلد السابع ١٩٥١ م
قلعة الموصل في اختلاف العصور ـ سومر . المجلد العاشر ١٩٥٤ م
جسر الموصل في مختلف العصور ـ سومر . المجلد الثالث عشر ١٩٥٦ م
جوامع الموصل ـ بغداد ١٣٨٢ هـ ١٩٦٣ م
اعلام الصناع المواصلة ـ الموصل ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م
الزخارف الرخامية في الموصل ـ سومر . المجلد العشرون ١٩٦٤ م

الرشيد بن الزبير (القرن الخامس للهجرة)
الذخائر والتحف ـ تحقيق محمد حميد الله ـ الكويت ١٩٥٩ هـ
الذهبي (محمد) ـ ٧٤٨ هـ
تاريخ دول الاسلام ـ حيدر آباد ١٣٦٤ هـ
طبقات الحفاظ ـ مصر ١٩٧٣ م
ميزان الاعتدال في نقد الرجال ـ مصر ١٣٢٢ هـ
الروذراوري (محمد) ـ ٤٨٨ هـ
ذيل تجارب الأمم ـ مصر ١٣٣٤ هـ
الزركلي (خير الدين)
الاعلام
السامر (فيصل) الدكتور
الدولة الحمدانية في الموصل وحلب ـ بغداد ١٩٧٠ م
السري الرفاء (احمد) ٣٦٠
ديوان السرى الرفاء ـ القاهرة ١٣٥٥
السيوطي (عبد الرحمن) ـ ٩١١ هـ
تاريخ الخلفاء ـ مصر ١٣٨٣ هـ ١٩٦٤ م
بغية الوعاة في طبقات النحاة ـ مصر ١٣٢٦ هـ
طبقات المفسرين ـ مصر
زكي محمد حسن (الدكتور)
الفنون الايرانية في العصر الاسلامي ـ مصر ١٩٥٠ م
اطلس الفنون الاسلامية ـ القاهرة ١٩٥٨ م
سبط ابن الجوزي (يوسف ـ ٦٤٥ هـ)
مرآة الزمان ـ حيدر آباد ١٩٥١ م
السبكي (عبد الوهاب ـ ٧٧١ هـ)
طبقات الشافعية الكبرى ـ مصر ١٣٢٤ هـ
معيد النعم ومبيد النقم ـ مصر ١٣٦٧ هـ
الشمشاطي (علي بن محمد ـ حوالي ٤٠٠ هـ)
الانوار ومحاسن الاشعار ـ الكويت ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٠ م

الصفدي (صلاح الدين ـ ٧٦٤ هـ)

نكت الهميان في نكت العميان ـ مصر ١٣٢٩ هـ ـ ١٩١١ م

عبدال (افرام)

اللؤلؤ النضيد في تاريخ مار بهنام الشهيد ـ الموصل ١٩٥١ م

العزاوي (عباس)

العراق بين احتلالين ـ بغداد

عيسى سلمان (الدكتور) بالاشتراك

نصوص في المتحف العراقي ـ الثامن ـ نصوص عربية ـ وزارة الاعلام ـ بغداد ١٩٧٥ م

النعيمي (عبد القادر بن محمد ـ ٩٢٧ هـ)

الدارس في اخبار المدارس

ابراهيم فاخوري

مخطوطات لمكتبة الظاهرية ـ الجغرافيا والتاريخ وما يتبعها دمشق ١٣٨٩ هـ

ادى شير

تاريخ كلدو وأثور ـ بيروت ١٩١٢ م

سيوفي (نقولا) ـ ١٩٠١ م

مجموع الكتابات المحررة في ابنية مدينة الموصل ـ حققه ونشره سعيد الديوهجي ـ بغداد ١٩٥١ م

الشابشتي (علي) ـ ٣٨٨ هـ

الديارات حققه ونشره كوركيس عواد ـ بغداد ١٩٥١ م

الصائغ (سليمان)

تاريخ الموصل

الصابي (محمد) ـ ٤٨٠ هـ

الهفوات النادرة . حققه احمد الجندي دمشق ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م

المختار من رسائل الصابي ـ بيروت ١٨٩٨ م

الصابي (هلال) ـ ٤٤٨ هـ

تحفة الامراء في تاريخ الوزراء ـ مصر ١٩٥٨ م

رسوم دار الخلافة . حققه ميخائيل عواد ـ بغداد ١٣٨٣ هـ ١٩٦٤م

الصفدي (صلاح الدين) ـ ٧٦٤ هـ

الوافي بالوفيات ـ اسطنبول ١٩٣١ م

الصولي (محمد) ـ ٣٣٥ هـ

اخبار الراضي والمتقي ـ طبعة الصاوي

اخبار ابي تمام ـ مصر ١٩٣٧ م

طرازي (فيليب)

خزائن الكتب العربية في الخافقين ـ بيروت

العلوجي (عبد الحميد)

تاريخ الطب العراقي ـ بغداد ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م

العمري (محمد امين) ـ ١٢٠٣ هـ

منهل الاولياء ومشرب الاصفياء من ذكر سادات الموصل الحدباء . حققه ونشره سعيد الديوه‌جي ـ الموصل ١٣٨٦ هـ ١٩٦٧ م

العمري (يأسين) ـ ١٢٣٢ هـ

منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء . حققه ونشره سعيد الديوه‌جي . الموصل ١٩٥٥ م

فؤاد سزكين

تاريخ التراث العربي . ترجمة الدكتور فهمي ابو الفضل ـ القاهرة ١٩٧١ م

الفارقي (احمد) ـ (القرن السادس للهجرة)

تاريخ الفارقي . حققه بدوى عبد اللطيف ـ مصر ١٩٥٩ م

فؤاد سفر (بالاشتراك مع محمد علي مصطفى)

الحضر ـ مدينة الشمس ـ بغداد ١٩٧٤ م

الفيروزبادي (محمد) ـ ٨١٧ هـ

البلغة في تاريخ أئمة اللغة . دمشق ١٣٩٢ هـ ١٩٢٧ م

القفطي (علي) ـ ٦٤٦ هـ

اخبار العلماء باخبار الحكماء ـ مصر ١٣٢٦ هـ

انباه الرواة على انباه النحاة ـ مصر ١٣٦٩ هـ ١٩٥٠ م

كحالة (عمر رضا)

معجم قبائل العرب . القديمة والحديثة ـ بيروت ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨ م

الكنجي (محمد بن يوسف) ـ ٦٥٨ هـ

كفاية الطالب في مناقب امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام النجف ؛ ١٣٥٦ هـ

القلقشندي (احمد) ـ ٨٢١ هـ

صبح الاعشى في صناعة الانشا ـ طبع دار الكتب المصرية

نهاية الارب في معرفة انساب العرب ـ تحقيق ابراهيم الابياري . القاهرة ١٩٥٩م

محمد بن عبد الله الخطيب الاسكافي ـ ٤٢١ هـ

لطف التدبير ـ القاهرة ١٩٦٤ م

المبرد (محمد) ـ ٢٨٥ هـ

الكامل ـ القاهرة

المرزباني (محمد) ٣٨٤ هـ

معجم الشعراء ـ القاهرة ١٣٥٤ هـ

المسعودي (علي) ـ ٣٤٥ هـ

التنبيه والاشراف . القاهرة ١٣٥٧ هـ ١٩٣٨ م

مروج الذهب ومعادن الجوهر ـ القاهرة ١٣٤٦ هـ

امين خير الله سعيد

الطب العربي ـ بيروت ١٩٤٦ م

النويري (احمد)

نهاية الارب في فنون الأدب ـ طبعة دار الكتب المصرية

نيبور (كارلستن ـ ١٨١٥ م)

رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر

ترجمة الدكتور محمود حسين الامين ـ بغداد ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م

الوتري (احمد بن محمد ـ ٩٨٠ هـ)

روضة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين ـ مصر ١٣٠٦ هـ

اليونيني(موسى ـ ٧٢٦ هـ)

ذيل مرآة الزمان ـ حيدر آباد ـ ١٣٧٥ هـ ١٩٥٥ م

يشوعدناح (مطران البصرة)

الديورة في مملكتي الفرس والعرب ـ ترجمة ونشره الاب لويس شيخو الموصل ١٩٣٩ م

الوطواط (محمد) ـ ٧١٨ هـ

عزر الخصائص الواضحة ـ مصر

ياقوت الحموي ـ ٦٢٦ هـ

معجم الادباء . طبعة دار المأمون

معجم البلدان ـ مصر ١٣٢٣ هـ

المشترك وضعاً والمفترق صقعاً ـ كوتنجن ١٨٤٦ م

اليافعي (عبد الله) ـ ٧٦٨ هـ

مرآة الجنان ـ الهند ١٣٣٨ هـ

اليعقوبي (احمد) ـ ٢٩٢ هـ

تاريخ اليعقوبي ـ النجف ١٣٥٨ هـ

كتاب العيون والحدائق في اخبار الحقائق ـ القسم الرابع دمشق ١٩٢٧ م

مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق ـ السنة : ٣٠

مجلة المجلة الموصلية : السنة الاولى ١٩٣٨ م

مجلة الثقافة ـ تصدر في تونس ـ السنة الاولى ـ العدد الثالث سنة ١٩٦٣ م

مجلة « الجزيرة » الموصل السنة الاولى ١٣٦٥ هـ ١٩٤٦ م

السنة الثانية ١٣٦٦ هـ ١٩٤٧ م

مديرية الآثار العامة في بغداد

مجلة سومر السنة ٣١ ـ ١٩٧٥ م

دليل متحف دار الآثار العربية ـ بغداد

خان مرجان

متحف الفن الاسلامي ـ القاهرة ١٣٧٣ هـ

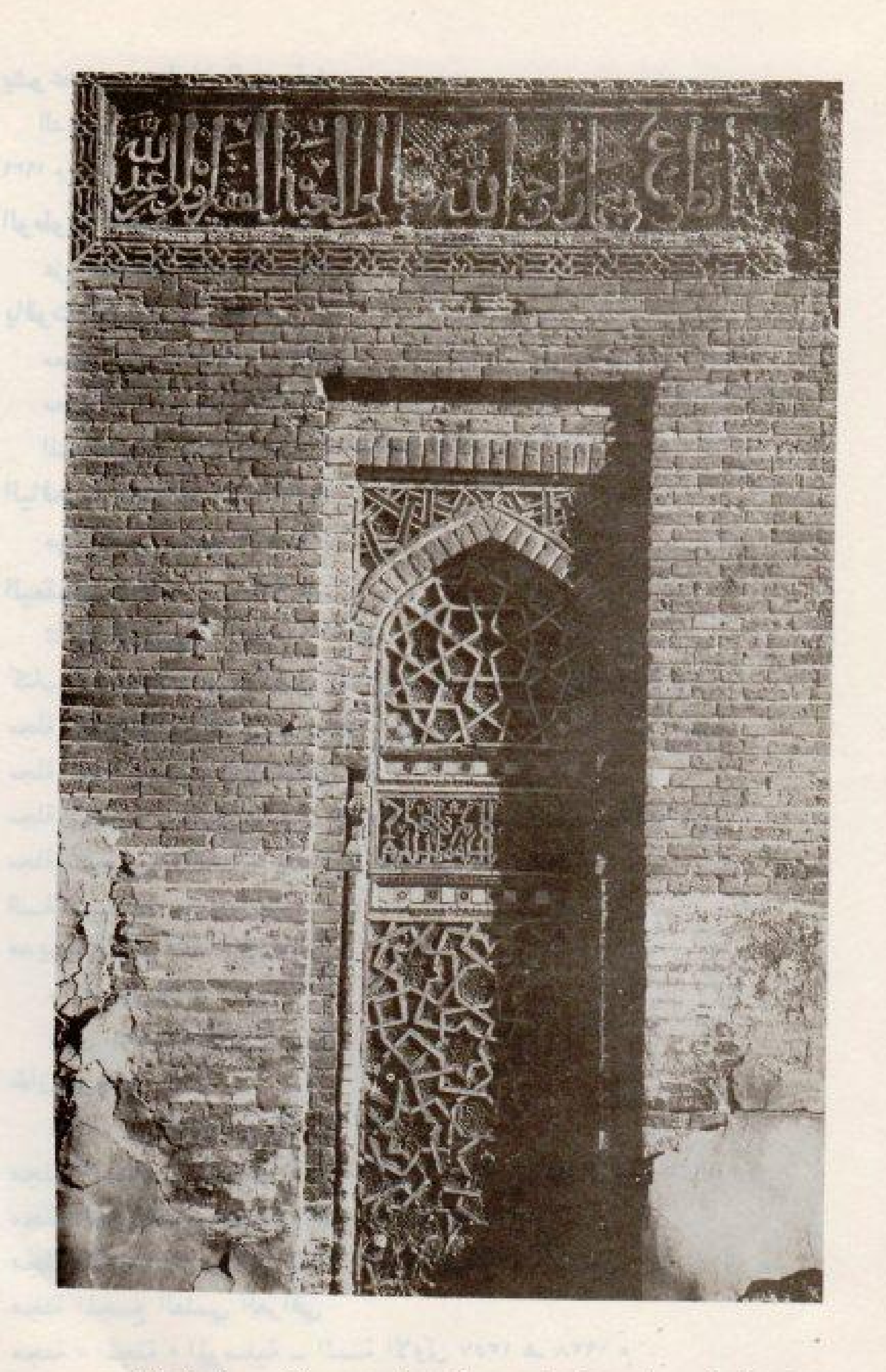
مجلة الاستاذ ـ اصدرتها دار المعلمين العالية في بغداد سنة ١٩٥٥ م

مجلة الجزيرة الموصلية ـ السنة الاولى ١٩٣٨ م

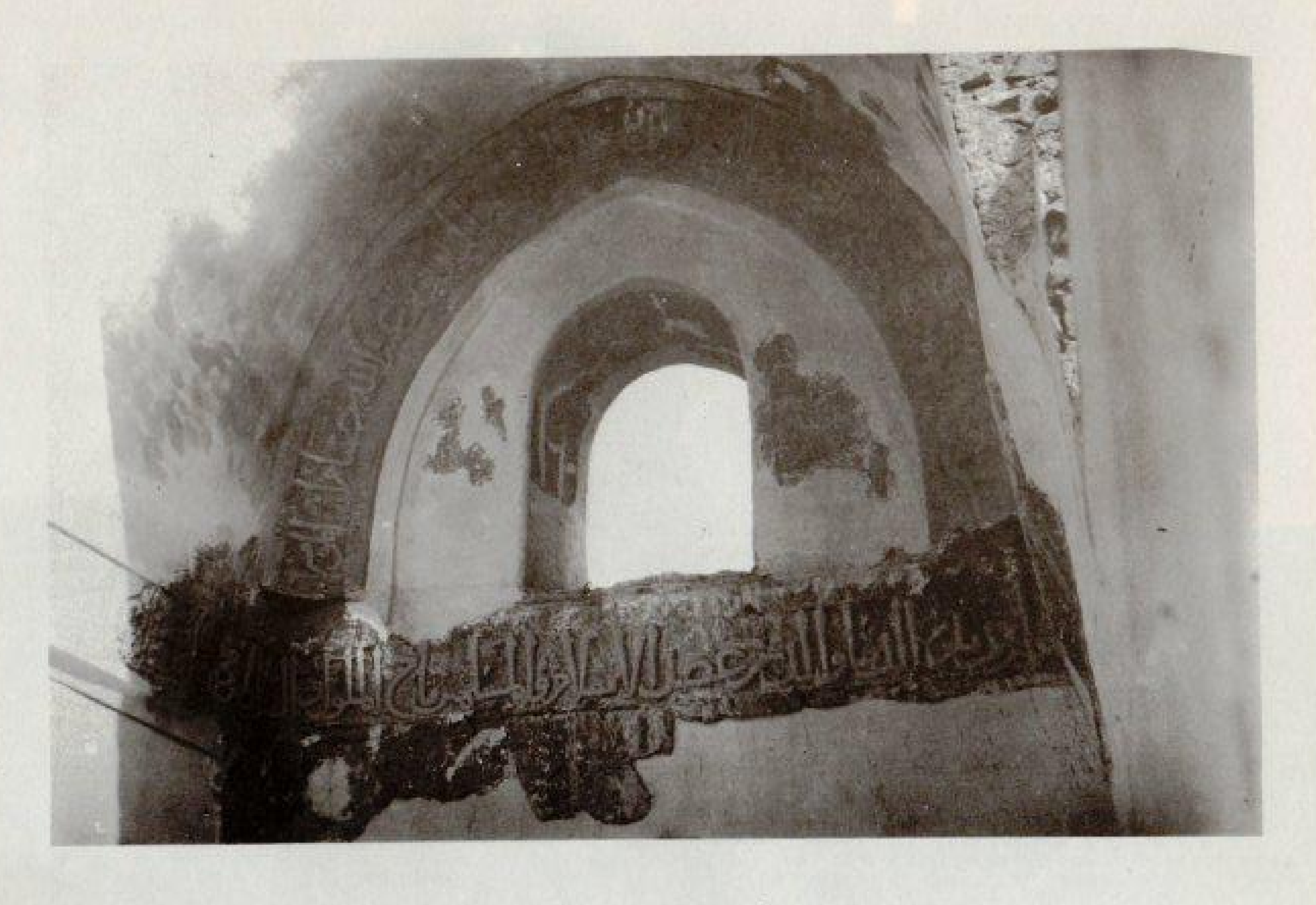
مجلة الكتاب المصرية ـ السنة السادسة ـ العدد السادس

مجلة المجمع العلمي العراقي

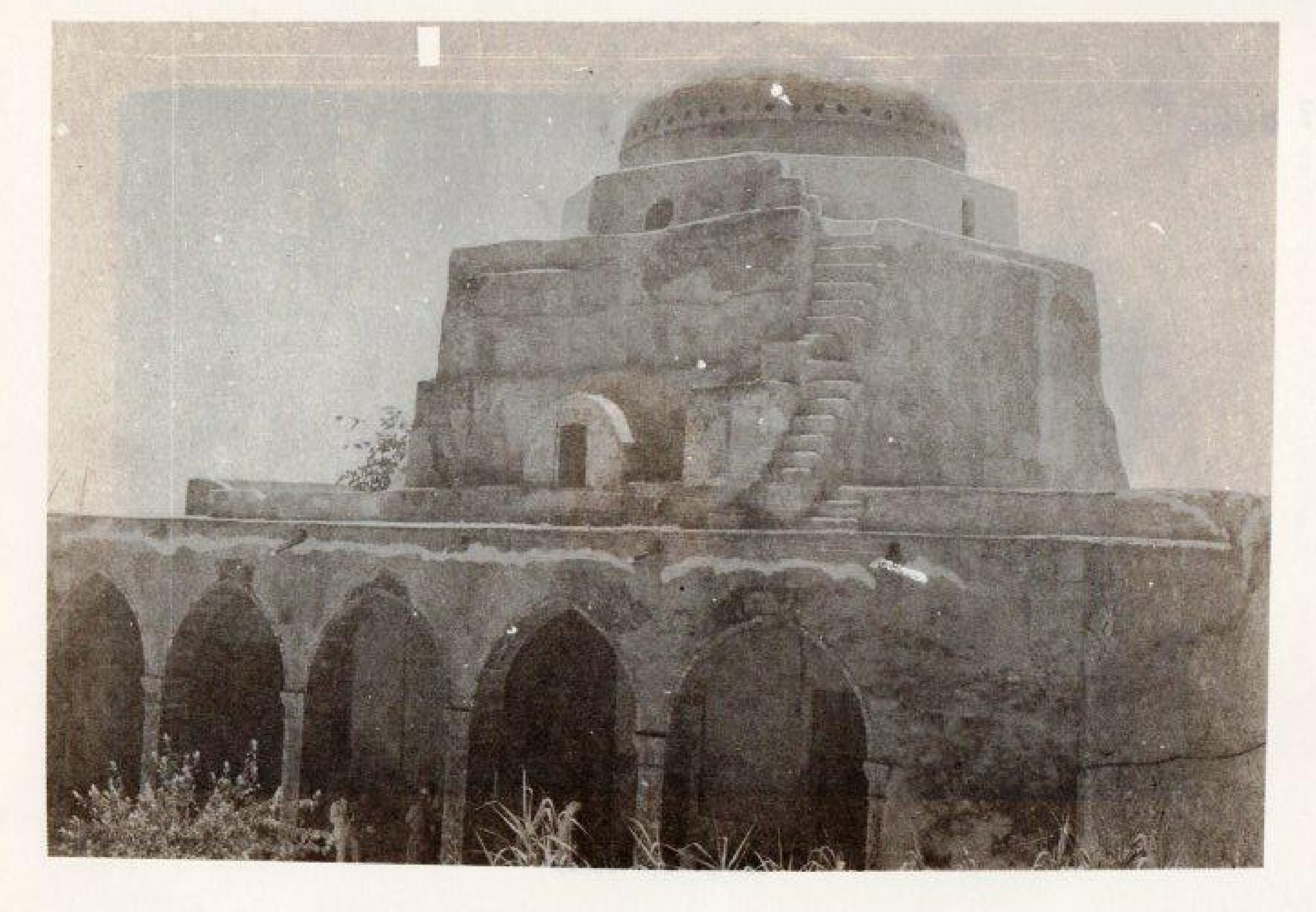
مجلة « المجلة » الموصلية ـ السنة الاولى ١٣٥٧ هـ ١٩٣٨ م



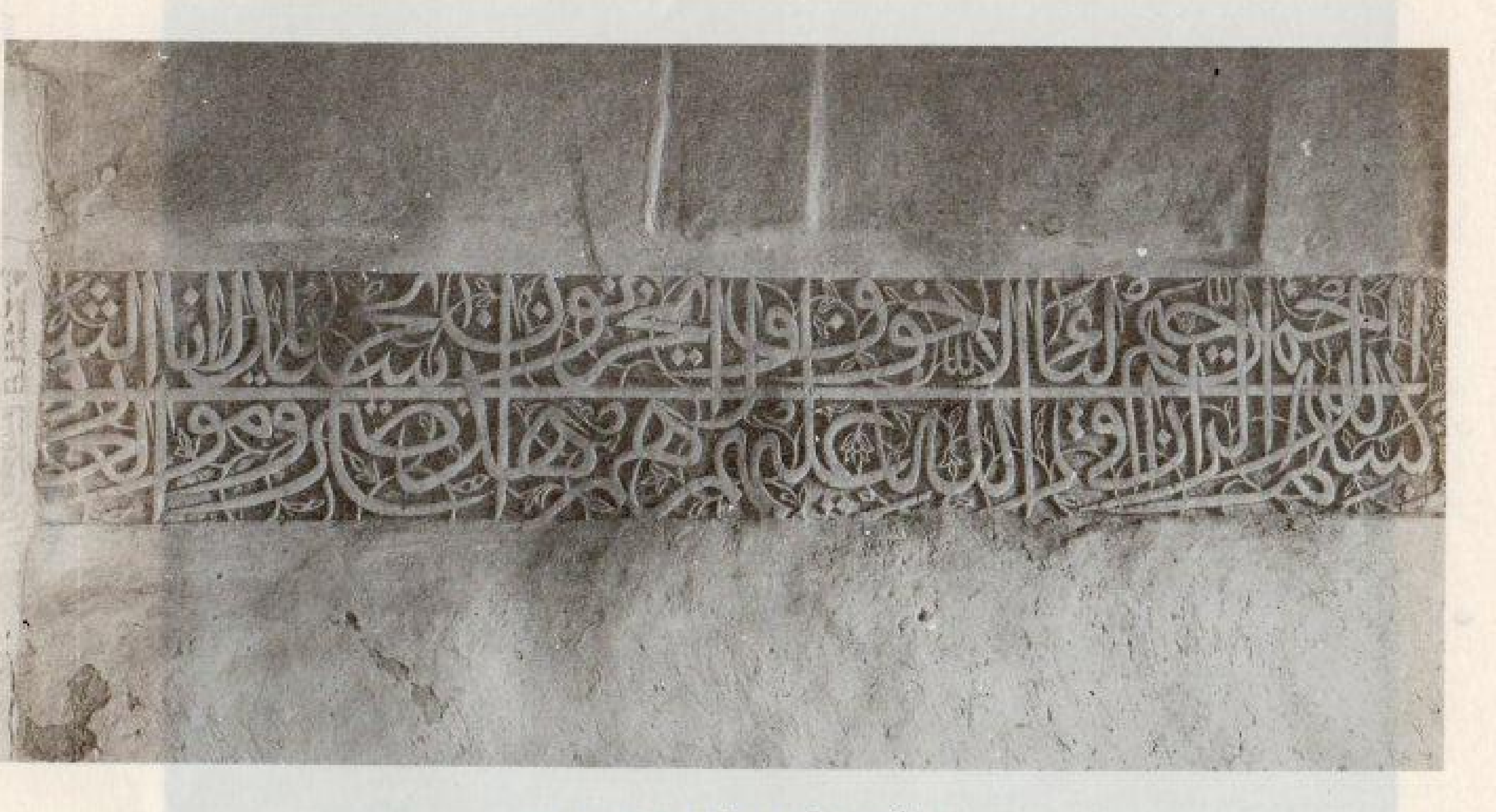
- الزخارف والكتابات التي تزين الجدار الغربي من قبة مشهد الامام يحيى بن القاسم وهي في الأجر المزلج .



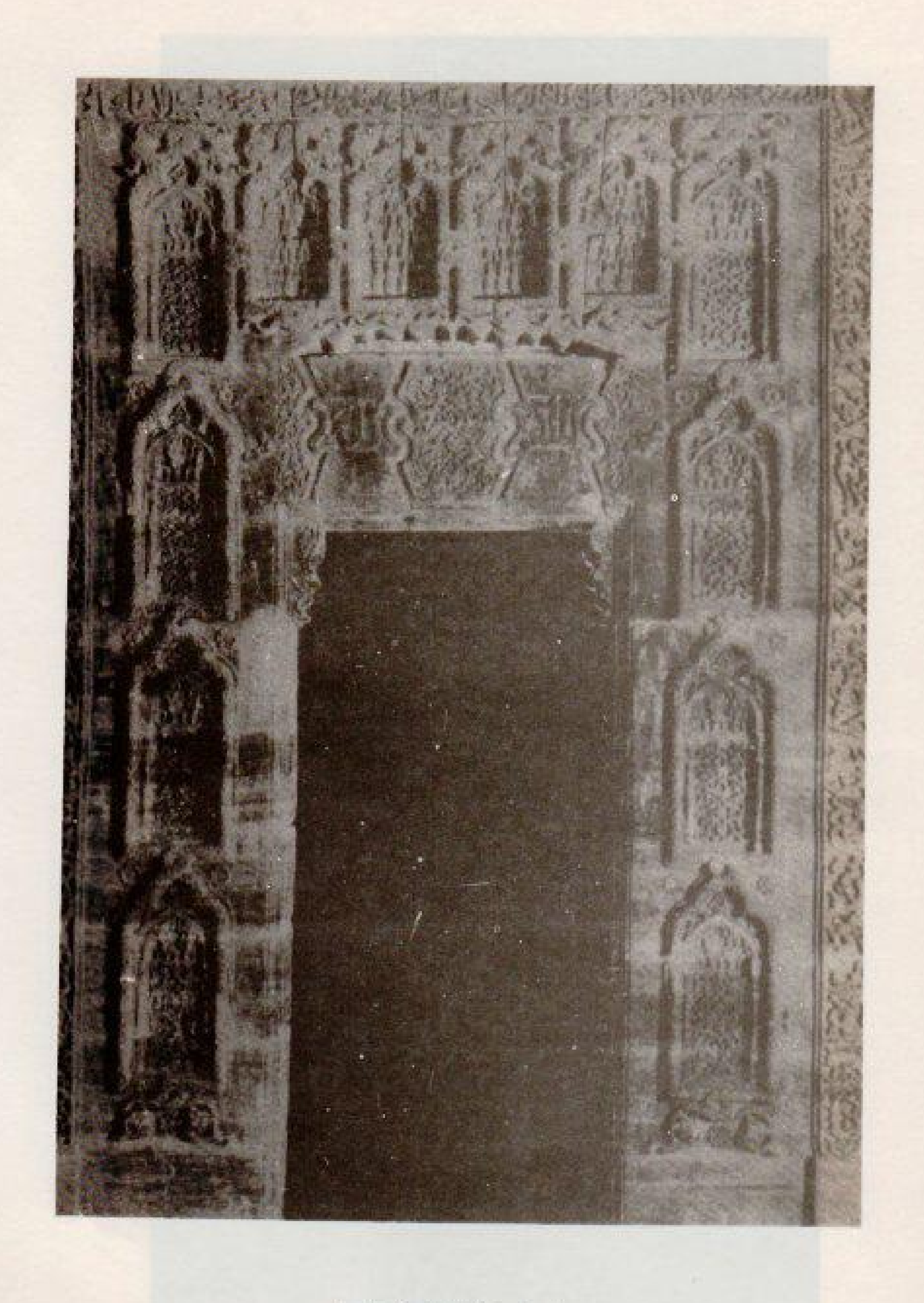
– قرى سراي – من بقايا دور المملكة



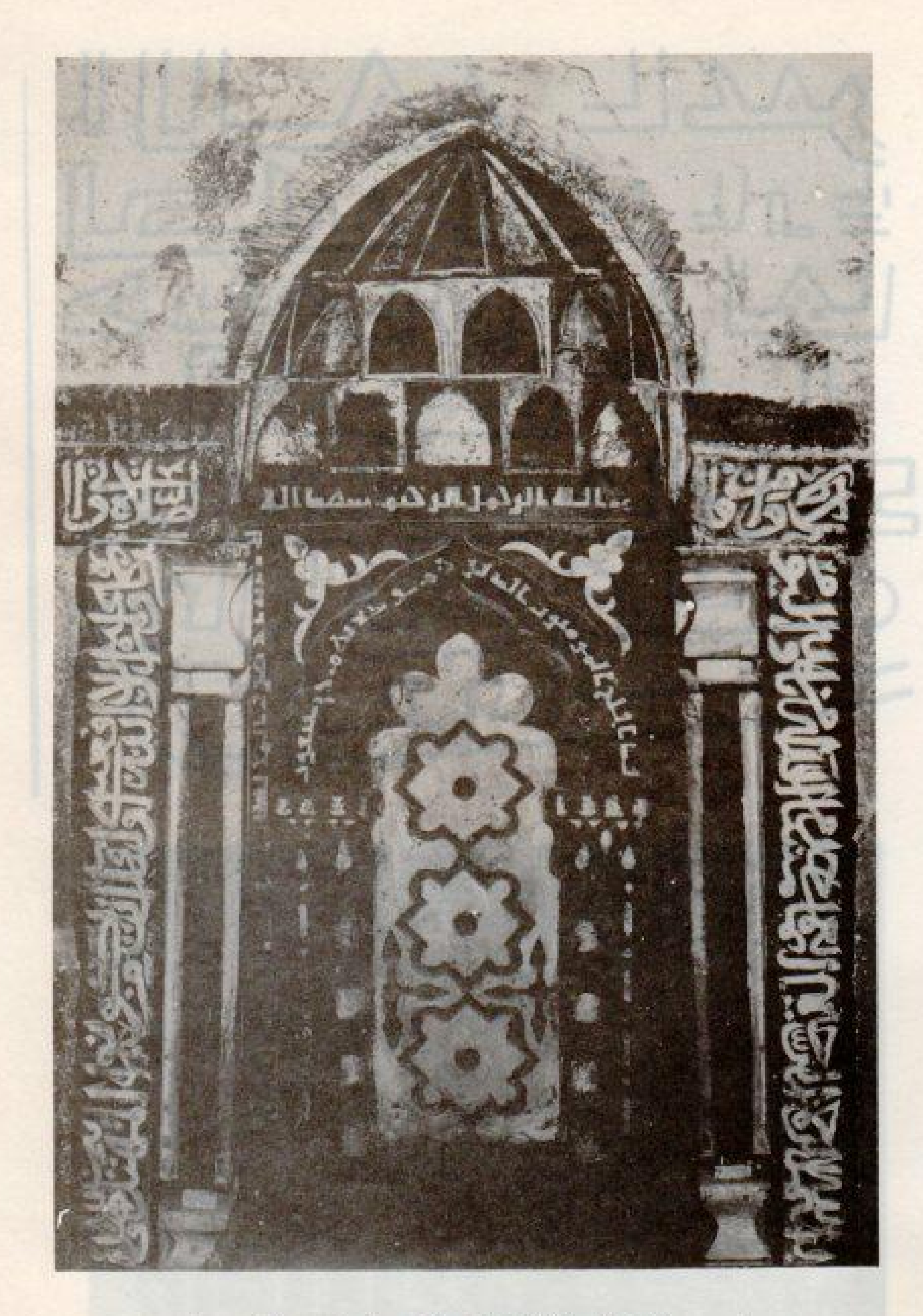
جامع مجاهد الدين قيماز الرومي – جامع الخضر–



من الكتابات التي كانت في رباط الشيخ قضيب البان الموصلي .



مدخل حضرة الامام الباهر في الموصل .

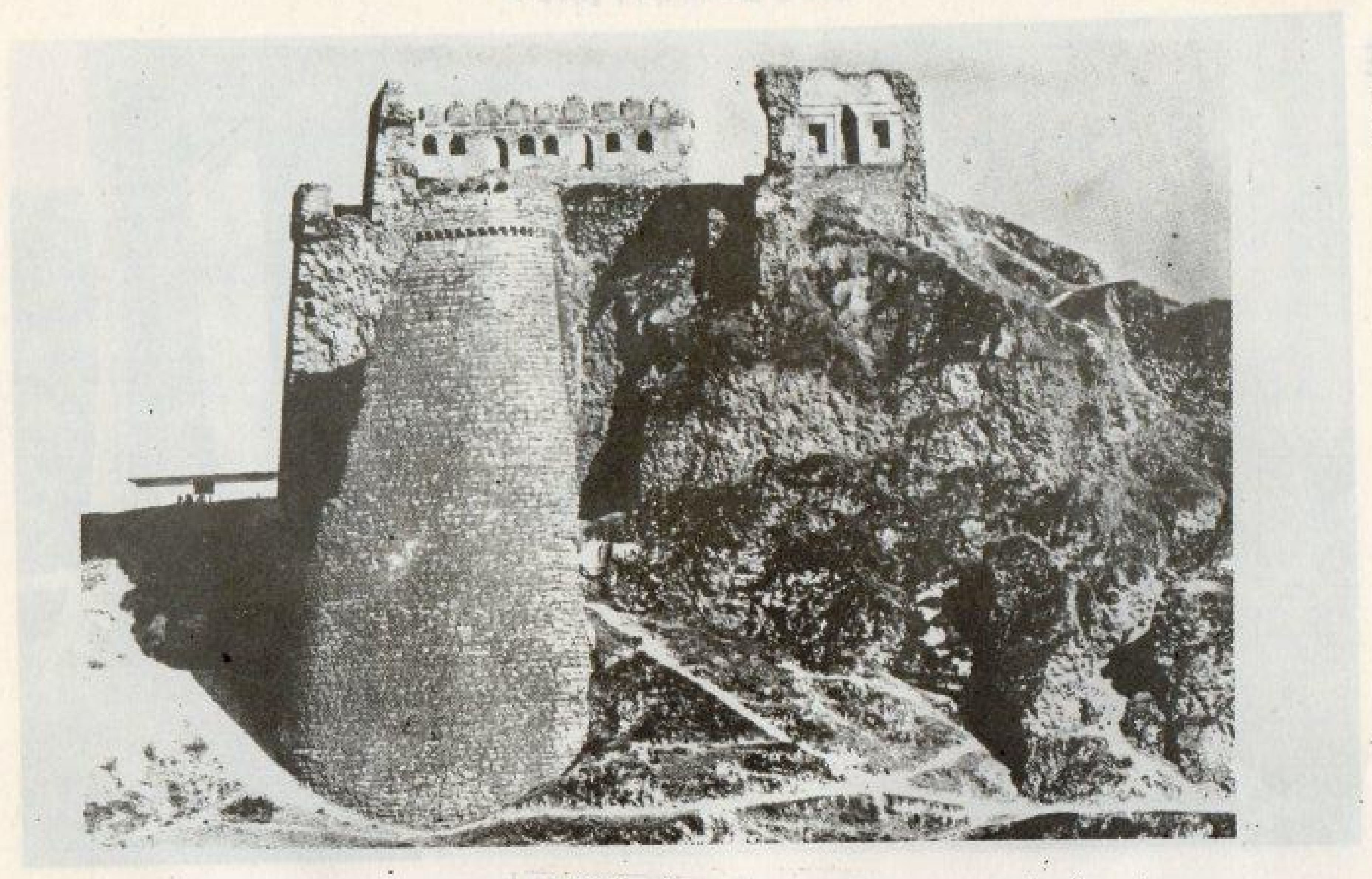


محراب المدرسة النظامية والتي تعرف اليوم باسم مقام علي الاصغر

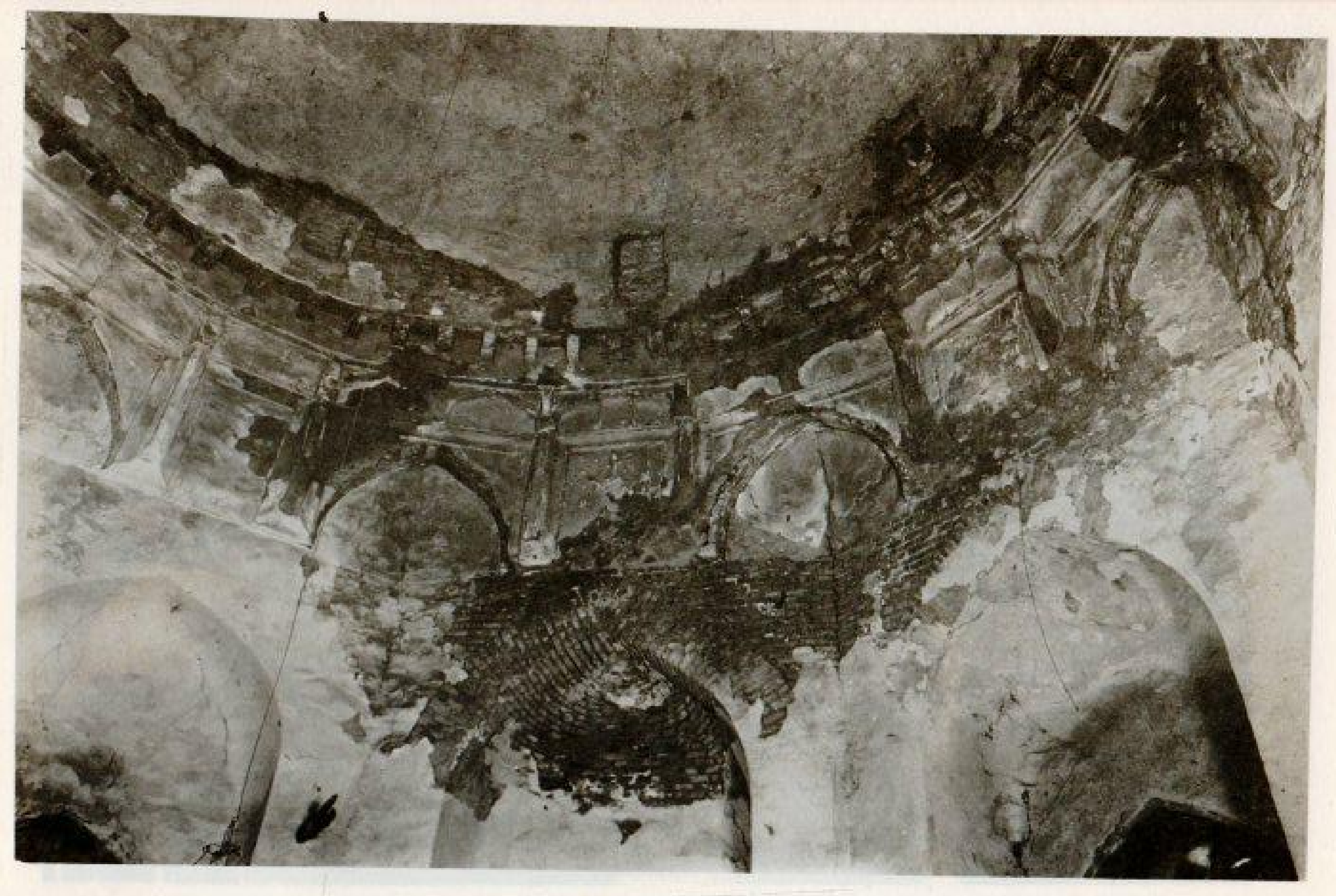




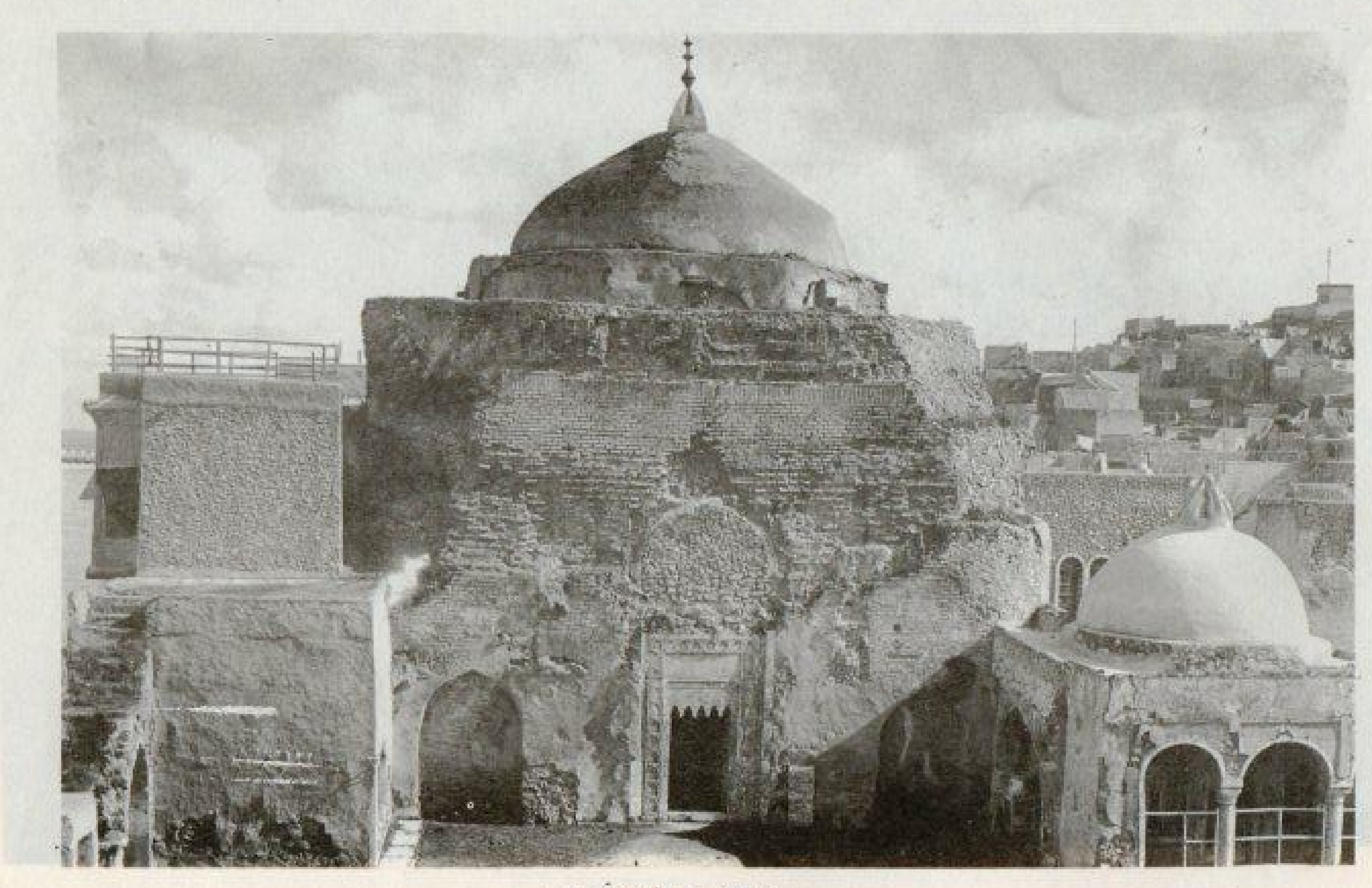
الاساطين التي كانت داخل المصلى في الجامع النوري



– باش طابيا – قلعة الموصل .



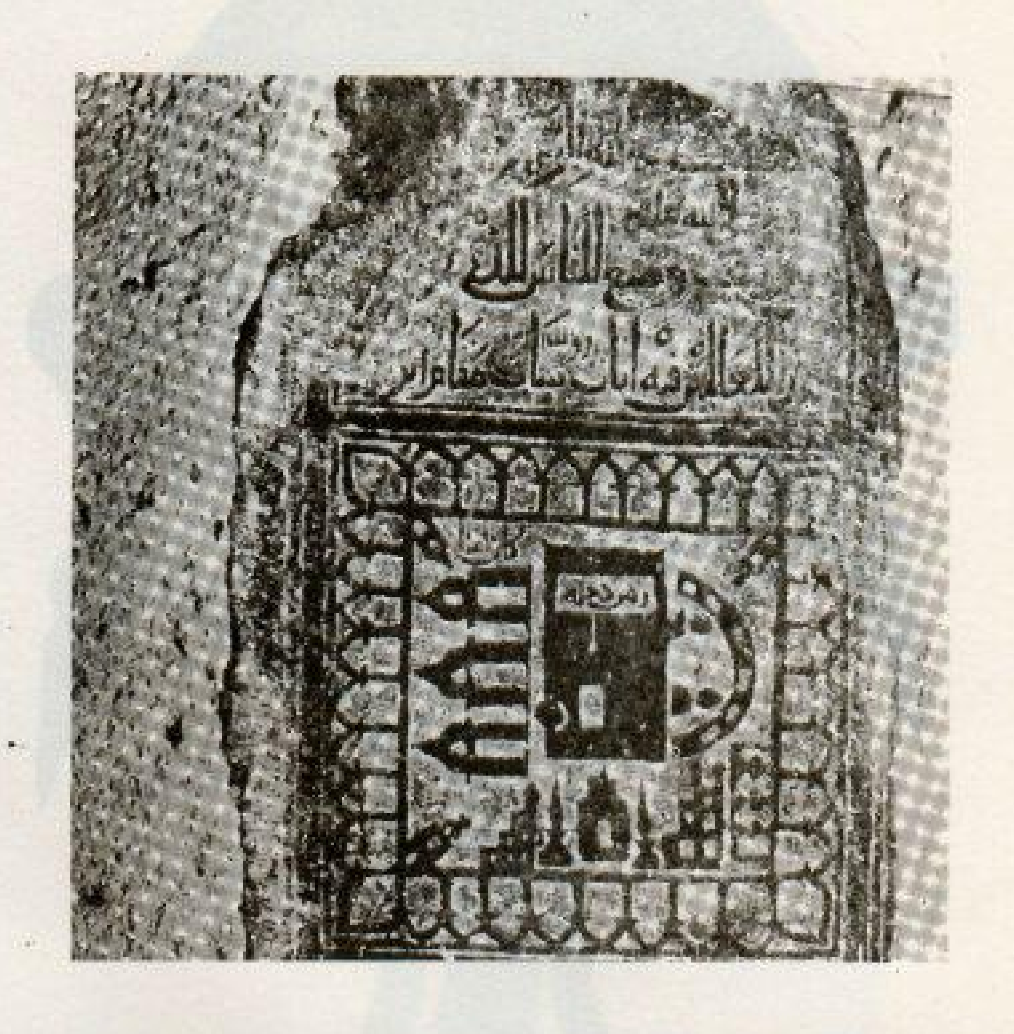
من الزخارف الجصية التي كانت تزين داخل قبة المدرسة الكمالية .



واجهة المدرسة الكمالية في الموصل.



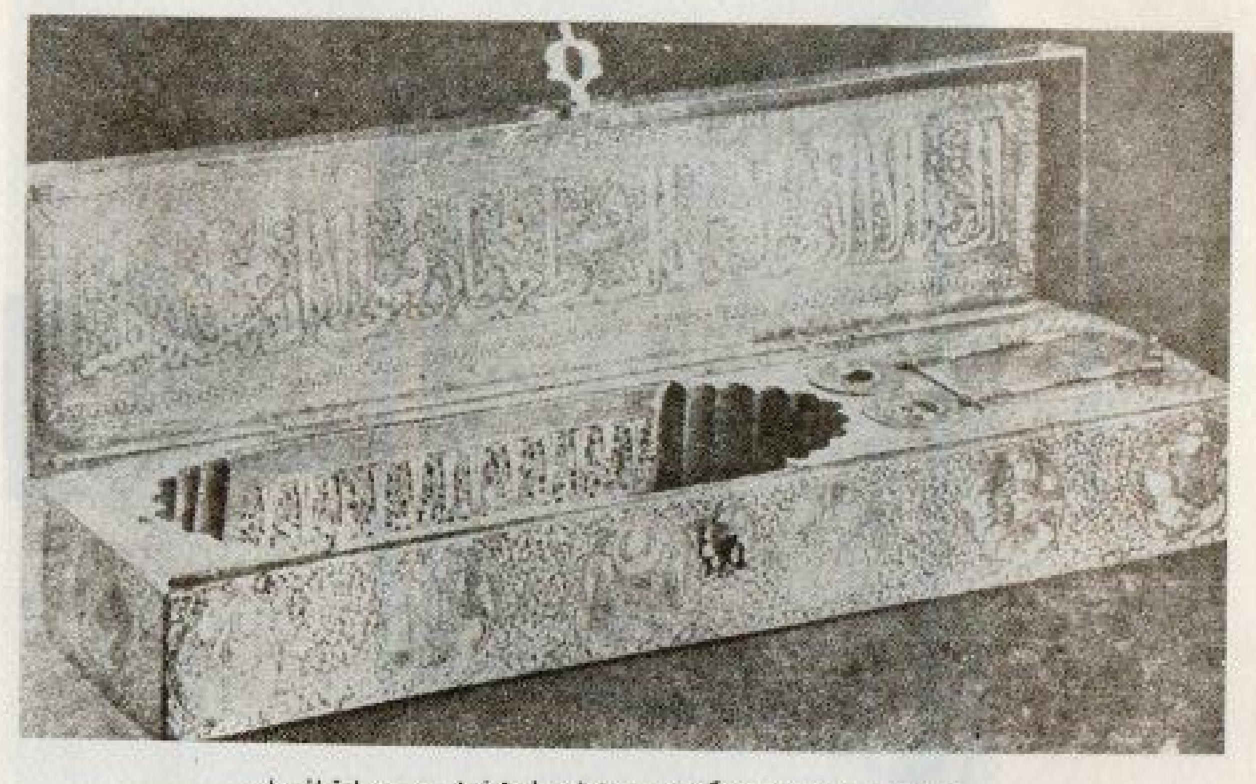
كرة أرضية صنعها محمد بن هلال الموصلي من النحاس سنة ٦٧٤ هـ – كما هو مكتوب عليها ورسم عليها اليابسة والماء (محفوظة في المتحف البريطاني – بلندن)



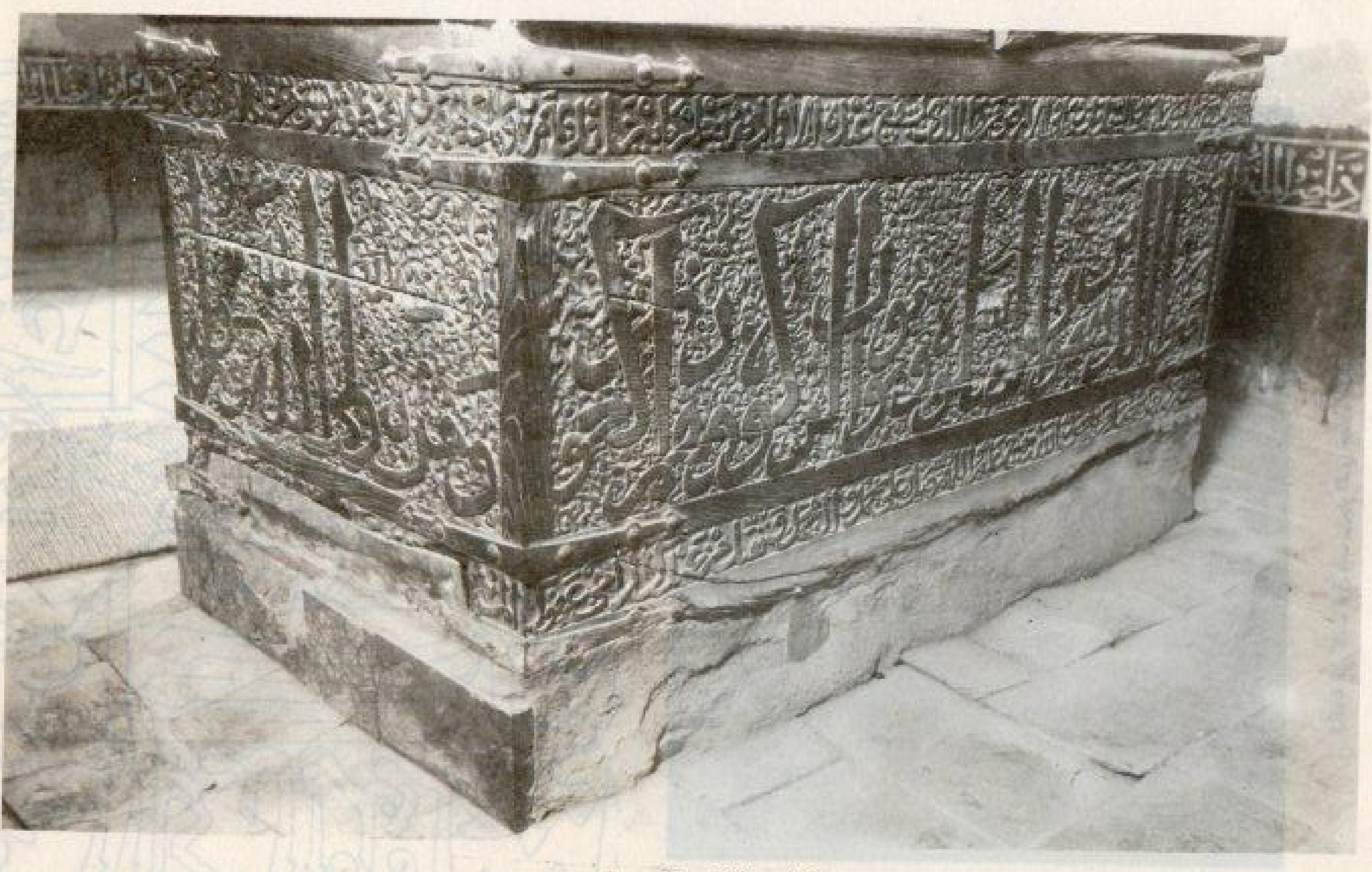
صورة البيت الحرام والكعبة المعظمة التي كانت في مسجد ابراهيم الجراحي – والذي يعرف اليوم بمشهد الامام ابراهيم .



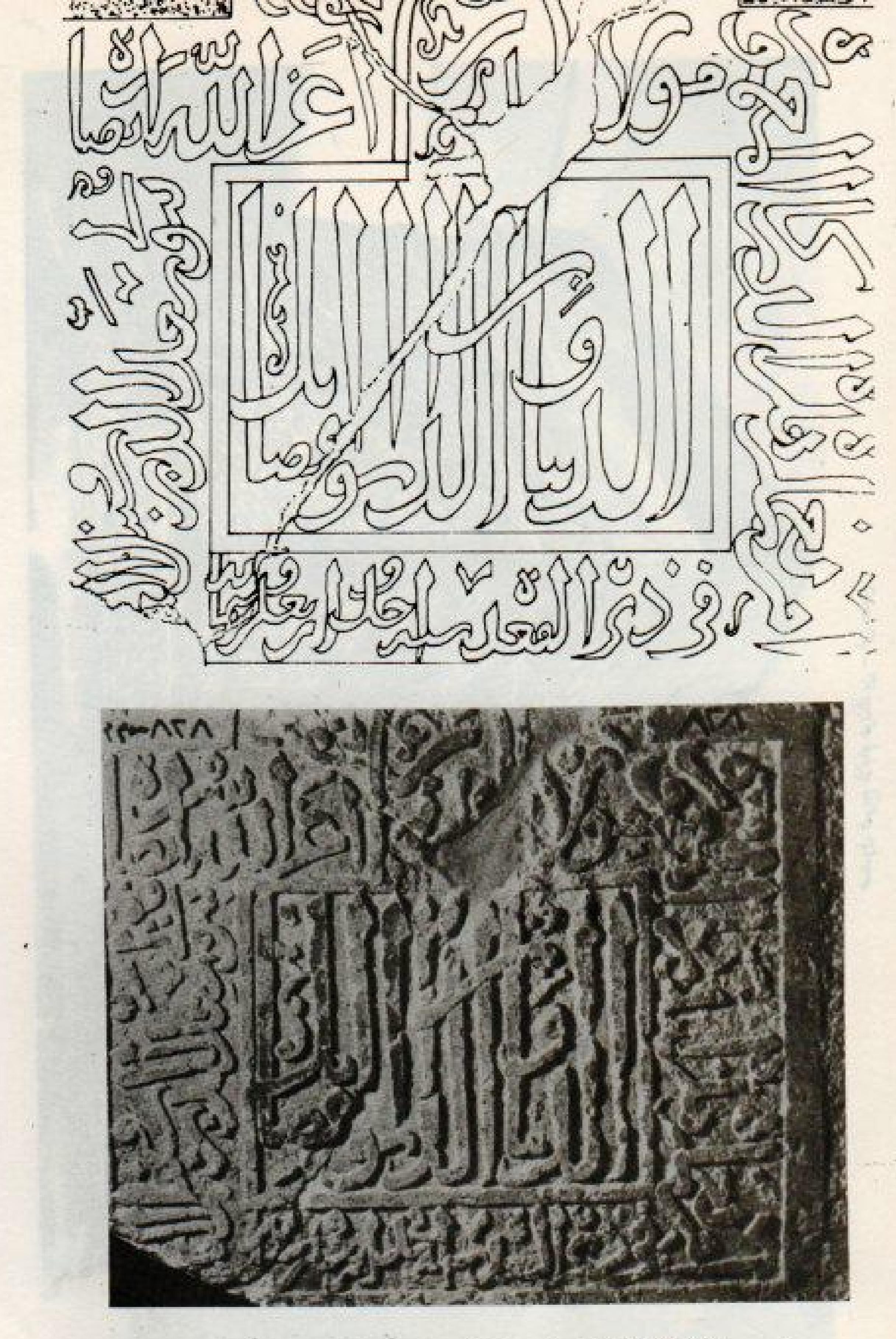
شمعدان مكفت بالفضة مكتوب عليه :



محبرة من النحاس مزينة بكتابات وزخارف مطعمة فيها – من صناعة الموصل .



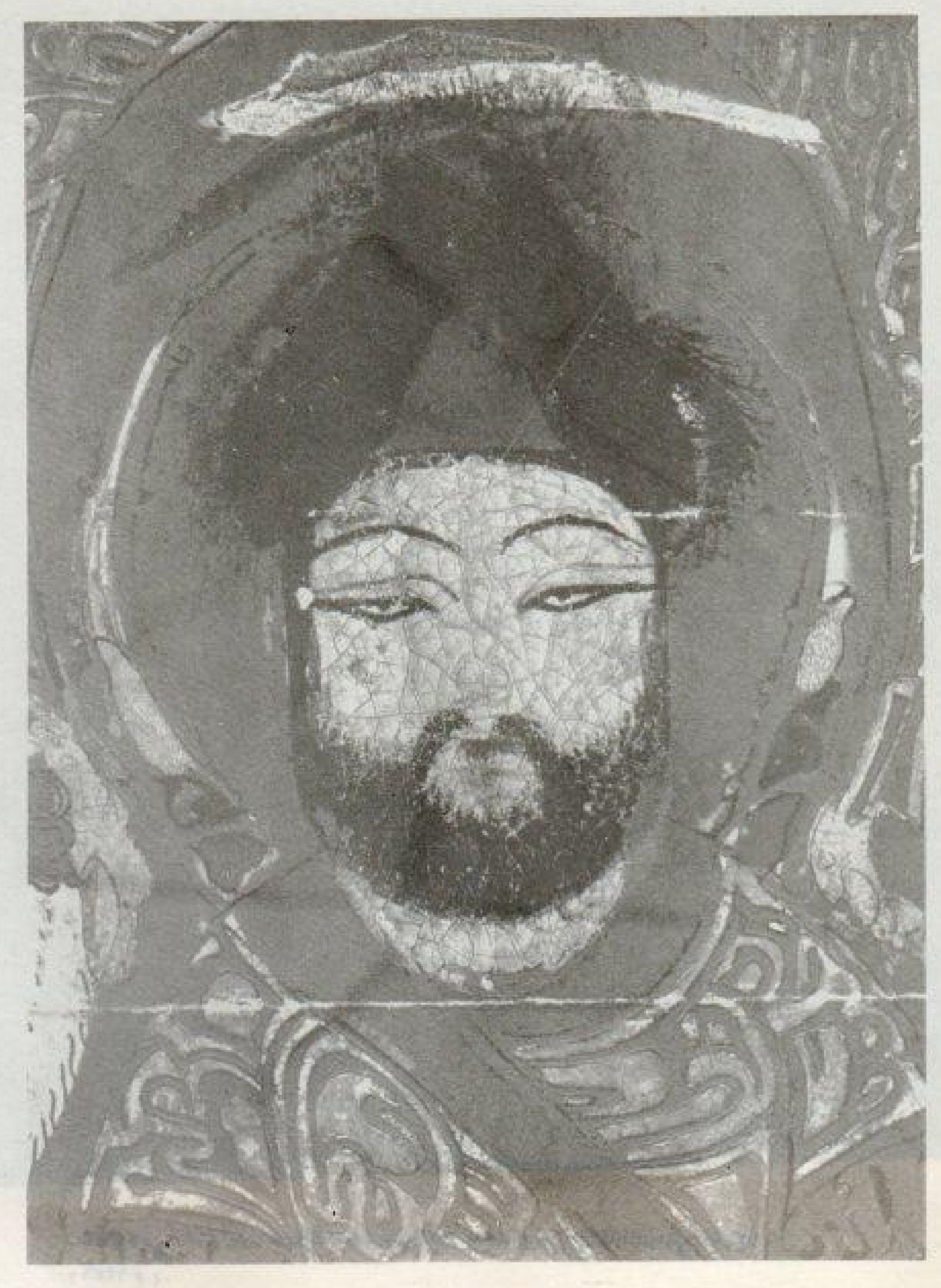
صندوق ضريح الامام عون الدين – ابن حسن .



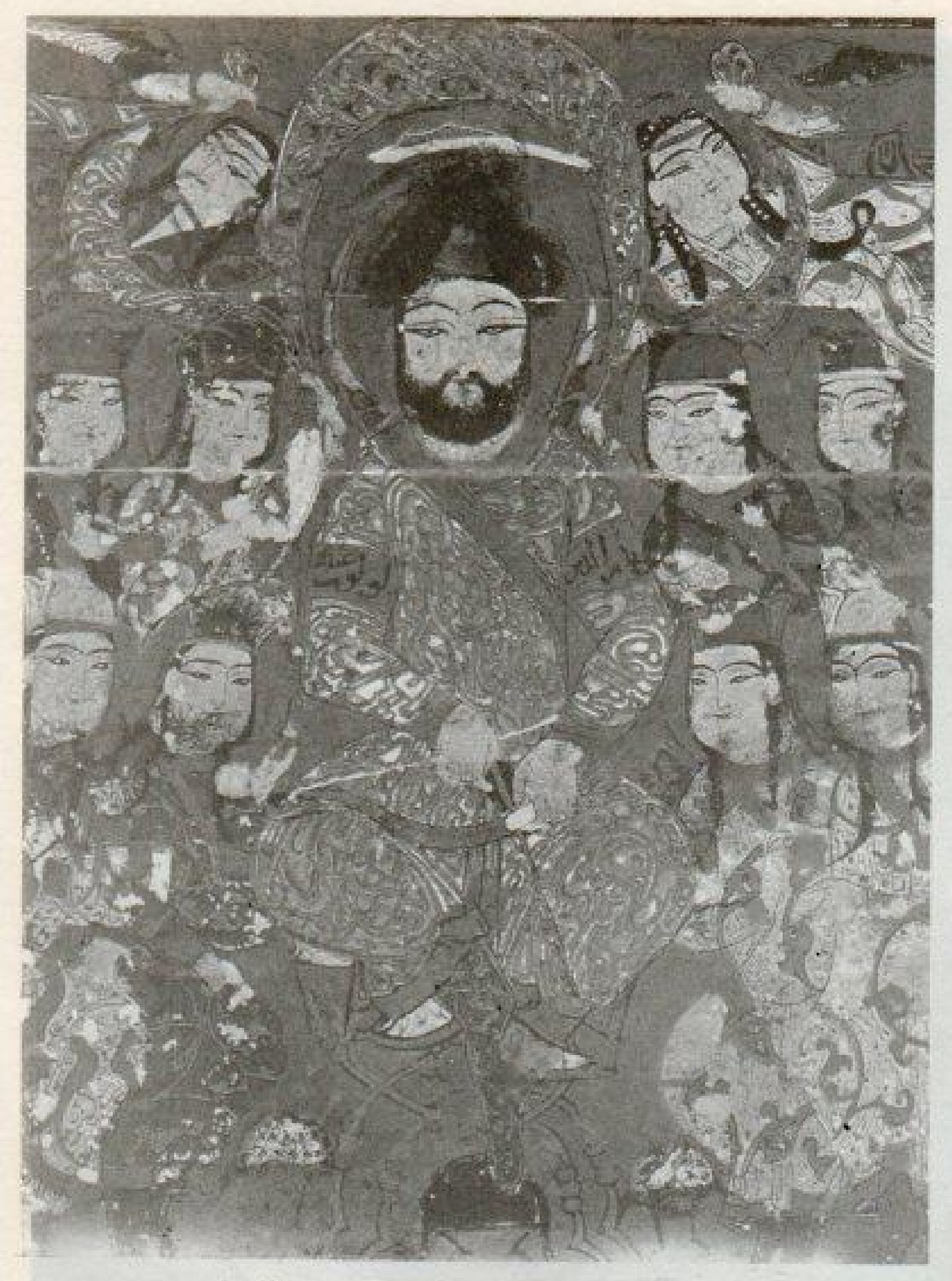
الكتابة التي كانت فوق باب سنجار الذي جدده بدرالدين لؤلؤ سنة ٦٤١ هـ .



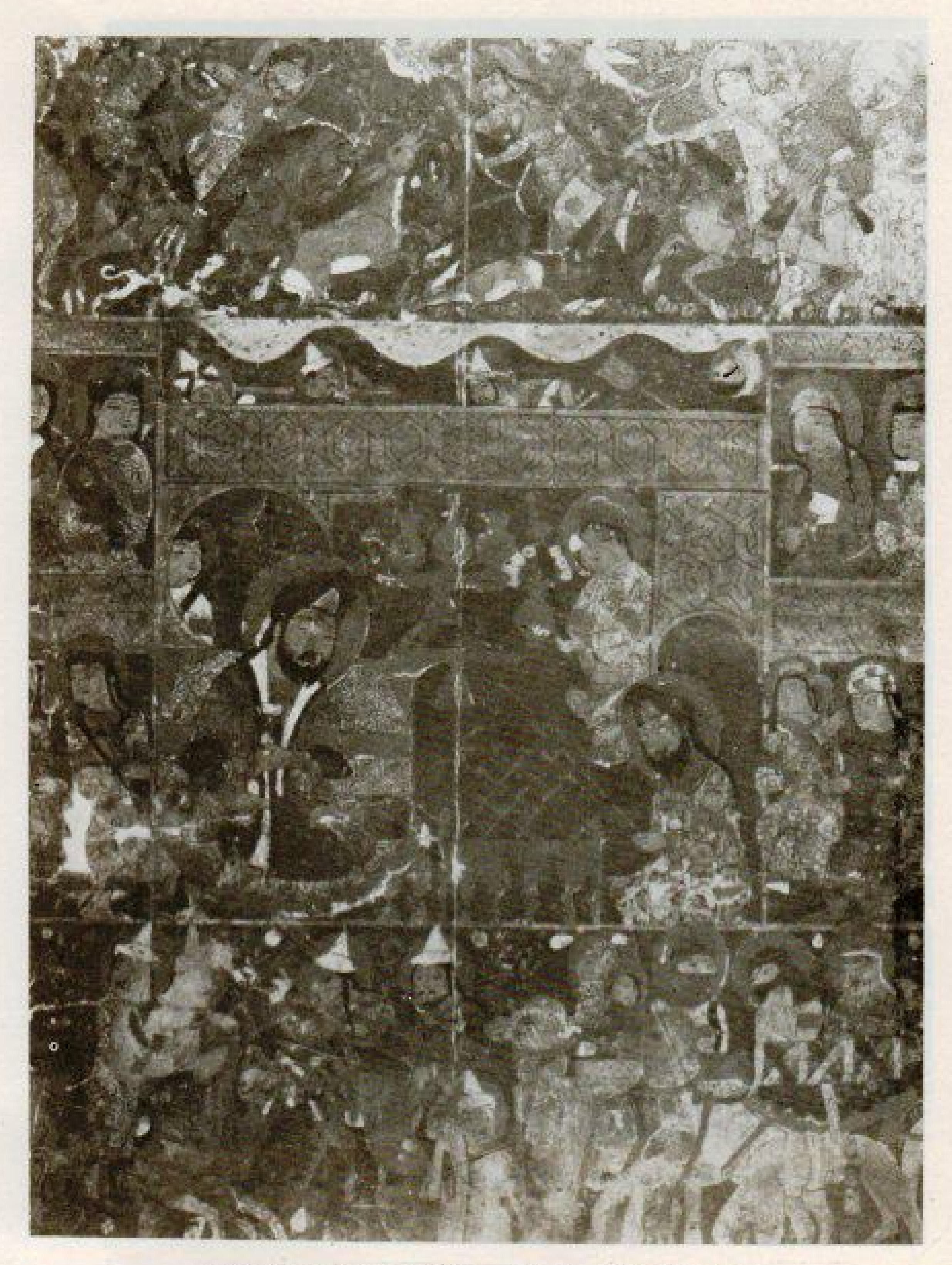
استقبال شهر رمضان المبارك من مقامات الحريري التي كتبها عمر بن علي بن المبارك الموصلي سنة ٦٥٤ هـ (١٢٥٦ م).



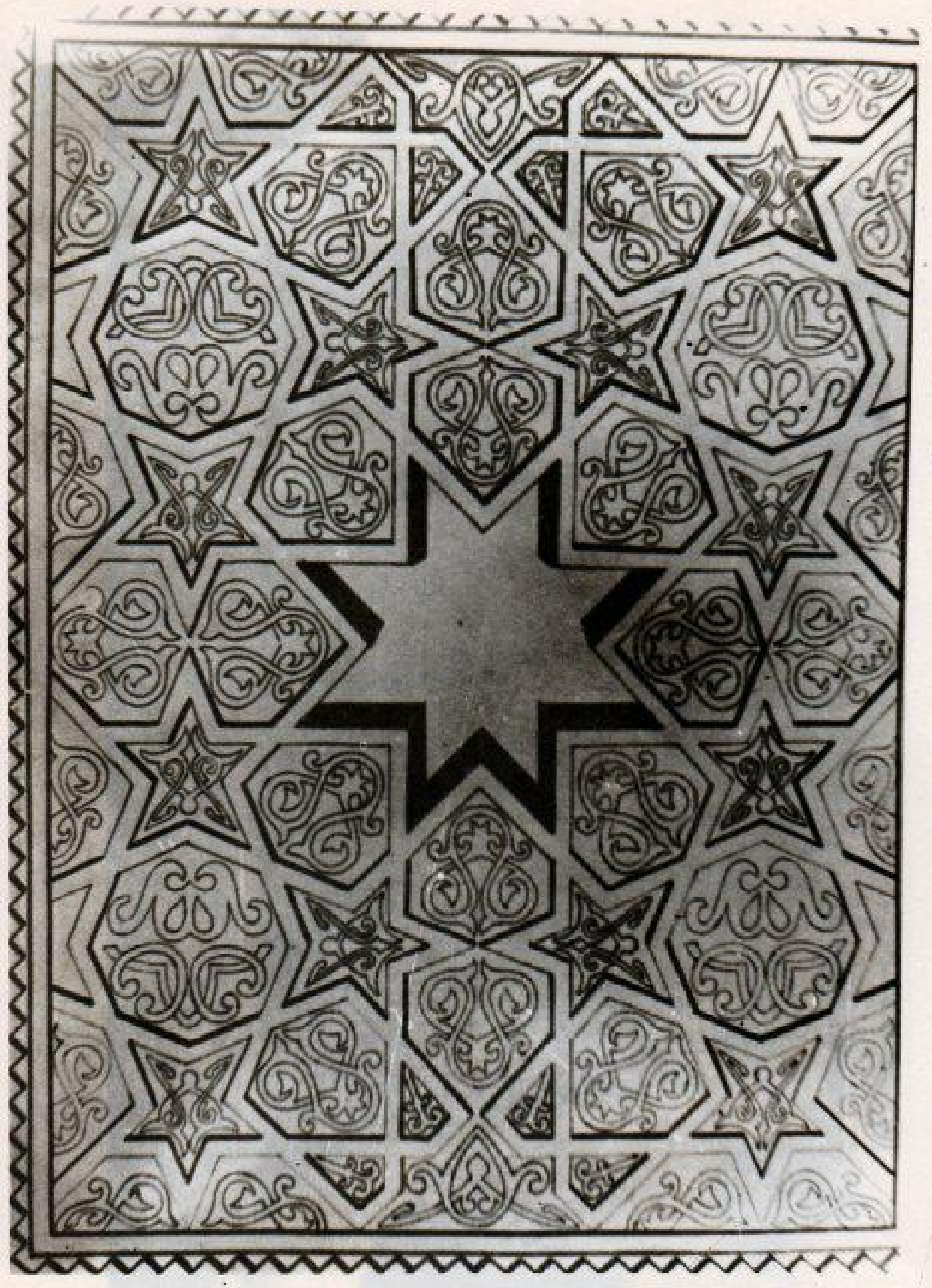
بدرالدين لؤلؤ



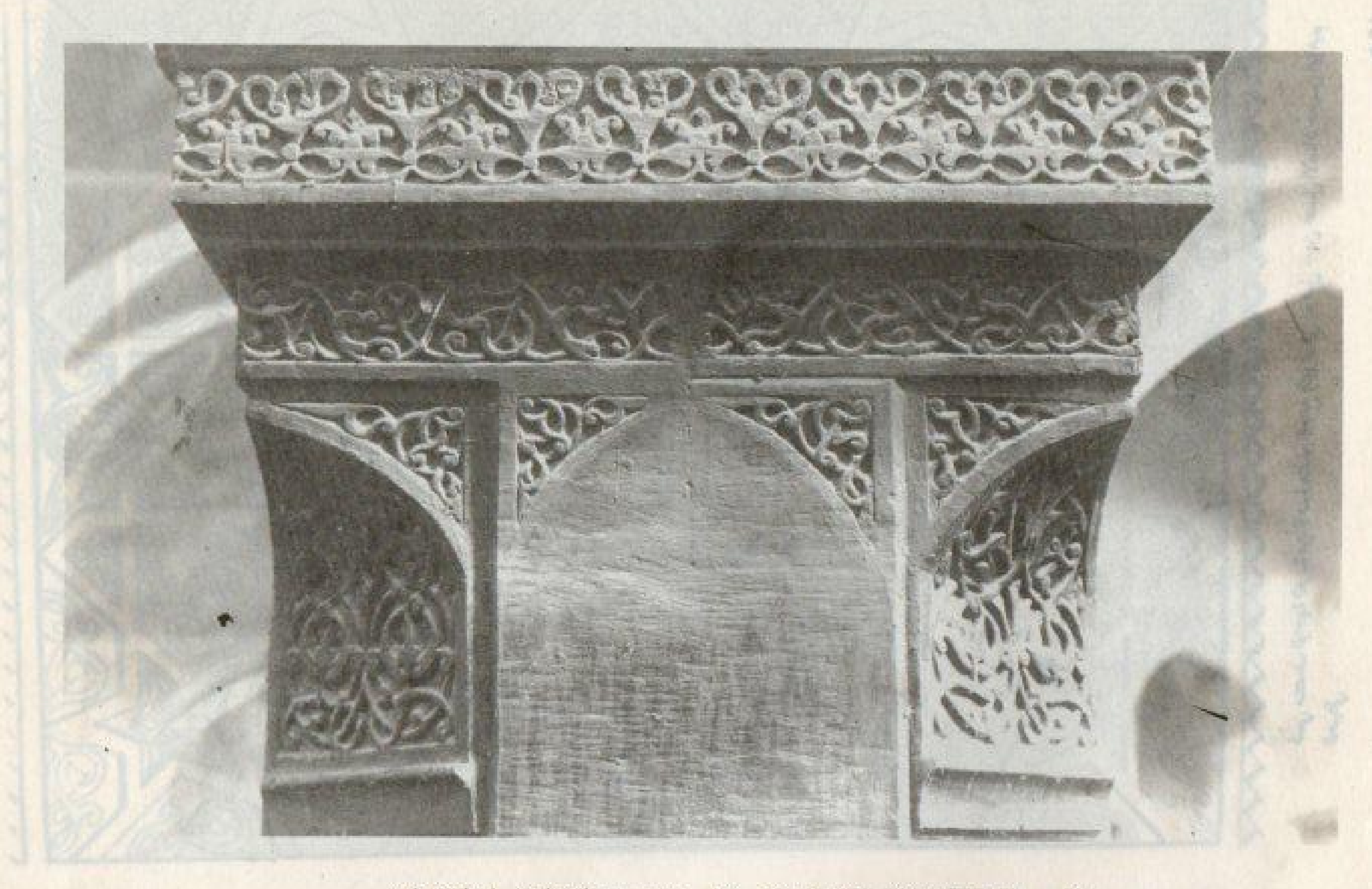
صورة بدرالدين لؤلؤ . من كتاب الاغاني الذي كتبه محمد بن ابي طالب البدري سنة ٦١٤ هـ



منظر في البلاط الملكي – في الموصل – من كتاب الدرياق المنسوب الى جالينوس



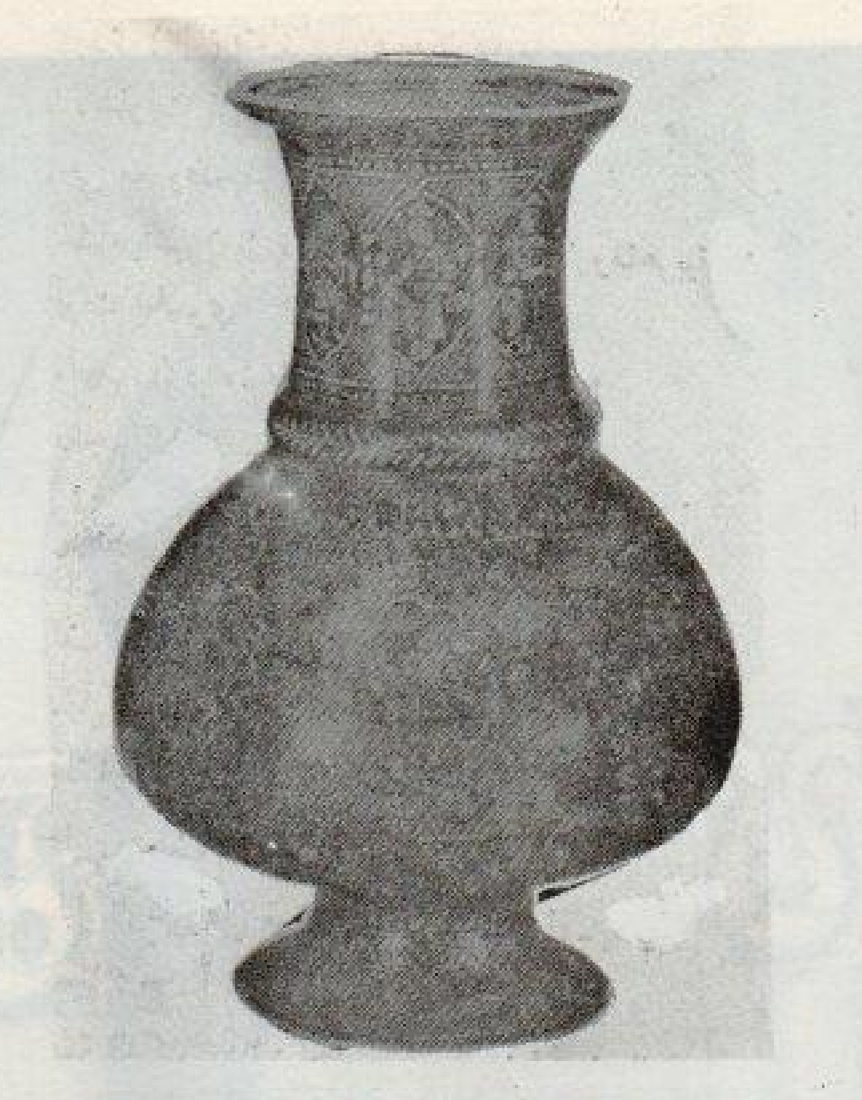
في منتصف الواجهة الغربية من قاعدة مئذنة الجامع النوري في الموصل – من عمل الاستاذ حسين ابراهيم الحيطي .



نموذج من الزخارف الرخامية التي كانت تزين القسم الاعلى من احدى اساطيف المصلى في الجامع النوري



محراب في مصلى الجامع النوري- بعد تجديده- دعامتاه قد اتخذتا دعامتا القوس من اسطوانتين كانتا في المصلى عند نقضه.



مزهرية من النحاس المطعم – صنعها علي بن حمود النقاش الموصلي سنة ٦٥٧ هـ .



من التصاوير التي كانت فوق باب سنجار .

وقعت اخطاء مطبعية اكثرها لا تخفى على القارىء ومن هذه الاخطاء :

ص	س	خطأ	صواب
١٠	١٠	كمدينة	كمدينة مدة
١٨	١٣	فارساً	فارس
..	الحاشية ١	تحذف كلمة تغلب	
٢٠	٣	فسـ	فنسبت
٢٢	١٥	موسيلا	موسيلا Mescila
٢٧	٤	يتجمعرا	يتجمعوا
٣٩	٢٣	غزو	غزو الروم
٤٠	١٨	خير ورفاه	خيراً ورفاهاً
٥٨	٣	نفذ	أنفذ
٦٦	٣	فخلصها	فخلصها
٧٠	٢٠	ويفتك	ويفتكوا
٨١	٢	ومدوهم	وأمدوهم
٨٨	١٨	الحسن	الحسين
٨٩	١٥ ، ١٦	الحسن	الحسين
٩٠	٣ ، ١٢	الحسن	الحسين
٩٠	٢٤	متمكنون	متمكنون فيها
١٠٠	٢٢	الي بحكم	تحذف
١٠١	١٢	بخطة	بخطه
	١٦	سوا	تحذف
١٥٠	١٢	ليظهر	ليظهره
١٧٧	حاشية ٣	المشرفه	المشرعه
١٨٢	١٩	يبات	يبيت
١٩٥		لسواري	سواريُ
٢٠١	٨	تحذف كلمة ناصر الدولة	
٢٠٦	٢٠	المتنى	المثنى
٢٠٧	٥	ابو يعلي	ابو يعلى
٢٠٨	٤	عيس	عيسى
٢١٤	٣	الموفى	المتوفى

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢١٥	١٦	صوة الارض	صورة الارض
٢١٨	٤	باسم	باسم Camamusli
٢٣٣	١٤	ويباتون	وييبتون
..	١٨	يبات	يبيت
٢٣٥	١٥	الشخميات	الشنحيمات
٢٣٧	٢٢	وعمرت عمر	وعمرت
٢٤٢	١٣	كدم	كمثل دم
٢٩٧	٤	اثنا	اثنتا
٢٧٤	١٨	الامانة	الامان
٢٦٢	اخر سطر	معرى	معرب
...	٣	زوجة	زوجه
٢٧٥	٤	شيرز	شيزر
٣٠١	٩	٥٨١ هـ	٥٨٩ هـ
٢٤٤	قطعة من الزخارف التي تزين باب الحضرة للنبي جرجيس		
٢٧١	٢٠	نجم الدين بن ايوب	نجم الدين ايوب
٢٧٧	١٥	بن	بنت
٢٨١	٢٦	يحرس	يحرص
٣١٦	٩	تعاضم	تعاظم
٣١٧	٤	باهضة	باهظة
٣١٤	١٥	بدر الدين لؤلؤ	تحنف
٣٣٨	٥	خانقاه	خانقاهاً
	١٥	وكان ومن	وكان من
٣٤٠	١٥	الاستاذ نوري بن يونس كما هو مكتوب عليه (تنقل مع السطر ١٢)	
٣٤١	٥	رفاة	رفات
٣٤٢	٧	الجامع	المسجد
٣٥١	١١	لم تقف	لم نقف
..	..	جاء عماد الدين	جاء عن عماد الدين
..	٢٠	الشافعي	ابي حنيفة
٣٦٣	٣	سائغ	صائغ
...	٨	في العهد الاتابكي	في الموصل

الصفحة	السطر	في الجزء	في القسم
...	..	في الجزء	في القسم
٣٧٤	٥	منه	منة
...	١٧	المشتهي .. المنتهي	المشتهى .. المنتهى
٣٧٩	٦	الرسغي	الرسغني
٣٨٠	٩	وصولاً	رسولاً
٣٨٣	١٨	فوق المدرسة	تحذف
٣٨٦	١٤	ابر عبد الله	ابو عبد الله
٣٩٢	٨	الرسغي	الرسغني
٣٩٥	٢٢	روزية	روزبة
٣٩٦	٩ ، ٧ ، ١١	تحذف هذه الاسطر	
٤٠٣	٢٠	نولاً	نولِ
٤٠٥	١	يعملون	يعلمون
٤٤٠	٤	اهل	آهل
٤٥٦	٨	بين اربل	بين اربل وبغداد
٤٥٧	٥	الهدى	المهدى
٤٥٩	١٥	الفراب	الزاب
...	١٨	كفر عفرى	كفر عزى
٤٦٠		يحذف السطر الاول	
٤٦٢		جمهرة انساب العرب . تنقل بعد ابن حزم على كما كررت بعض المصادر في الطبع ولا نرى داعياً لذكرها .	
٤٦٣	١٦	بودى	بردى
٤٦٤	٧	اللمفات	اللمعات
٤٧٣	٢٧	تحذف مجلة الجزيرة الموصلية	
٤٧٥		قرى سراى	قره سراى
٤٩٧		دعامتا القوس	تحذف
٤٩٤		الدريان	الدرياق
٥٠٣	٢٥	الدولة	الدول
..	٢٦	تدمير	تدبير

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥٠٧	٥		يضاف ضياء الدين ، وابنه محمد
٥٠٩	٢٠	احمد	يحذف
...	٢٤	الحق	الحسن
...	٢٥	ابو الحق	ابو الحسن

تضاف الفقرة التالية في بداية صفحة ٤٠

بلاد الروم فبعد ان وطد الحكم في البلاد التي تولاها غزا بلاد الروم سنة ٧٥ هـ (٦٩٤ م) وفتك بهم ، وصار يعرف بصاحب الجزيرة والثغور .

الفهرست

سياسة الولاة

الدولة الحمدانية
٢٩٣ ـ ٣٨١ هـ .

الدولة العقيلية
٣٨١ ـ ٤٨٩

الدور السلجوقي
٤٩٥ ـ ٥٢١ هـ

الدولة الاتابكية
٥٢١ ـ ٦٦٠ هـ

دور بدر الدين لؤلؤ ـ وسياسته
٦٣١ ـ ٦٦٠

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد (٦٥٩) لسنة ١٩٨٢